

International Islamic University
Islamabad- Pakistan
Faculty of Usuluddin (Islamic
Studies)
Department of Dawah & Islamic
Culture



الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد- باكستان
كلية أصول الدين (الدراسات الإسلامية)
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

الجهود الدعوية في بلاد الأندلس (91- 366 هـ)

(دراسة تحليلية)

بحث تكميلي لنيل درجة الدكتوراه في الدعوة والثقافة الإسلامية

إعداد الطالب

عبد الباسط عبد الصمد

رقم التسجيل

366-FU/PHDDIC/F18

تحت الإشراف

الدكتور مير أكبر شاه

الأستاذ المساعد في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية كلية أصول الدين

العام الجامعي

1446 هـ الموافق 2024

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

إلى والدي الشهيد -رحمه الله وتقبل شهادته- الذي سقى حديقة الإسلام
بدمه

إلى والدتي الحليمة -حفظها الله- التي اهتمت بي وربتني وأثرتني على
نفسها

إلى زوجتي الوفية -حفظها الله- التي ساعدتني في تربية أولادي وحفظ
بيتي

إلى أخي -حفظه الله- الذي أتعب نفسه في كفالتني وخاصة في الجانب
المالي

إلى أخي الشهيد -رحمه الله- الذي ضحى بروحه لإعلاء كلمة الله
وكل من يجاهد في سبيل الله بالنفس والمال لتكون كلمة الله هي العليا

اهدي هذا الجهد المتواضع

عبد الباسط عبد الصمد

كلمة الشكر

انطلاقاً من قول النبي ﷺ: "من لم يشكر الناس لم يشكر الله"،⁽¹⁾ فالحمد والشكر لله تعالى أولاً وأخيراً على نعمه الظاهرة والباطنة، الصغيرة والكبيرة، العامة والخاصة، وتوفيقه إياي لإتمام هذا البحث.

لا بد من التنويه بما لوالدي الكريمين وأسرتي الذين تكفلوا لي وحثني على مواصلة الدراسة ودعمي أخلاقياً ومالياً وكل الجوانب وخاصة في التعليم والدراسة من الدور العظيم من مسيرتي العلمية وتوجهي الصالحة، حيث شجعاني على تحصيل العلم والمعرفة، وأتاح لي فرصة الدراسة.

أتقدم بالشكر والعرفان إلى الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد باكستان والقائمين عليها الذين أتاحوا لي فرصة الدراسة فيها، وأسأل الله العظيم أن يجعلها جامعة خير، ومنارة علم، وأن يديم عطاءها ويحفظها من كل شر ومكروه، وأخص بالشكر هنا كلية أصول الدين وعلى وجه الخصوص قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، فجزى الله القائمين عليها خير الجزاء.

وأخص بعظيم التقدير والشكر الجزيل وخالص الدعاء رئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية فضيلة الدكتور خليل الرحمن -حفظه الله- وأستاذاً فضيلة الدكتور مير أكبر شاه -حفظه الله- الذي حاول معي وتفضل بالإشراف علي، والذي استفدت كثيراً من توجيهاته وملاحظاته القيمة، وإرشاداته العلمية الدقيقة، وعطائه العزيز، وجميع أستاذة الكرام من كلية أصول الدين وخاصة أستاذة قسم الدعوة والثقافة الإسلامية فجزاهم الله عني خير الجزاء، وبارك الله لهم في علمهم وعمرهم وأهلهم وأولادهم، وأسأل الله أن ينفع بهم الأمة، وأن يرد بهم جميله بما يستحقه.

وتقديم الشكر والتقدير لأصدقائي وأساتذتي ولكل من ساعدني بمصدر أو مرجع بالقول والفعل أو المشورة لأولئك جميعاً ولسائر أهل الفضل علي، أقدم أطيب تحياتي وتمنياتي، وأسأل الله لهم المزيد من الفضل والمنة إنه سميع مجيب، فجزاهم الله أحسن الجزاء في يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وأسأل الله تعالى أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وصلى الله على محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

عبد الباسط عبد الصمد

(1) الإمام الترمذي: الإمام محمد بن عيسى الترمذي (ت: 279هـ)، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، ط 2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، عام 1395هـ/1975م، 4/339، رقم الحديث: 1955، في باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك.

وتتميز العصر الأموي بالتأسيس الحضاري والعمراني حيث أن الحكام والدعاة والعلماء والفنانون قد اهتموا بالتأسيس الحضاري والعمراني فأسسوا الإدارة ومراكز العلوم والفنون والعمران، وانتشرت الأخلاق الإسلامية بين القبائل غير المسلمة، وقدم العلماء في مجالات متنوعة، كما أن بلاد الأندلس هي المنطقة الحيوية من العالم الإسلامي أيضاً قد قدمت للحضارة الإنسانية العديد من الدعاة، والعلماء، والفقهاء، والفلاسفة، والأطباء، والمهندسين، وفي مجالات أخرى من العلوم بالإضافة إلى أنها قد قدمت مراكز علمية وثقافية وفنية وجامعية خالدة في التاريخ، وأصبحت منطقة الأندلس معلماً للغرب ومربها.

ولم يرد أن الفاتحين المسلمين قد أجبروا أصحاب البلاد الأصليين على اعتناق الدين أو اللغة العربية، إن هذا لم يحدث، لذلك أردت من خلال هذا البحث أن أناقش على أرض الواقع قضايا الفتح وأسبابه، ومنها مسأله الدعوة، وجهود الفاتحين والأمراء وكيف تمت وماذا قاموا بالأعمال، وهذه ما أردت.

ومن هنا اخترت هذا البحث لمرحلة الدكتوراه ولم أقصد فيه السرد التاريخي المجرد، وإنما أردت عبرة الحاضر من وقائع الماضي والاستفادة منها في المجال الدعوي، وإبراز ضرورة الدعوة الإسلامية اليوم كضرورتها بالأمس، تحت عنوان: (الجهود الدعوية في بلاد الأندلس "91-366 هـ") وأسأل الله العون والسداد، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أهمية الموضوع:

نظراً للجهود العظيمة التي قامت بها الدولة الأموية في مجال الدعوة الإسلامية في بلاد الأندلس وغيرها، فقد اخترت هذا الموضوع مستهدفاً توضيح هذه الجهود العظيمة في مجال الدعوة الإسلامية التي قامت بها الدول الإسلامية في منطقة بلاد الأندلس، من أهمية اختيار الموضوع أهمها ما يلي:

- 1- أهمية الأندلس دعويًا وتاريخياً كقطر إسلامي له دور كبير في نشر الإسلام واستقرار تعاليمها في جوانب شتى للعالم.
- 2- قدم المسلمون في سبيل دعوة الإسلام في الأندلس الغالي والنفيس، الأمر الذي يستدعي إبراز الدور الدعوي العظيم الذي قامت به تلك الدول الإسلامية لخدمة المجتمع.
- 3- إبراز إسهامات الدول الكبيرة في تطوير العملية التعليمية في بلاد الأندلس وإبراز العلاقات الثقافية والتاريخية بين بلاد الأندلس وغيرها من الدول.
- 4- إلقاء الضوء على الدعوة خلال الفتوحات ومن خلال حكم المسلمين في الأندلس، وقدمت للحضارة الإنسانية العديد من الشخصيات البارزة في مجالات متعددة بالإضافة إلى أنها قدمت مراكز علمية وثقافية

وفنية وجامعية خالدة في التاريخ.

أسباب اختيار الموضوع:

قد اخترت هذا الموضوع للدراسة لعدة أسباب، من أهمها ما يلي:

- 1- أن الدعوة الإسلامية في بلاد الأندلس قد بلغت أوج عظمتها واتساعها بعد الفتح الإسلامي.
- 2- من أهم أسبابها أن بلاد الأندلس بعد الفتوحات الإسلامية أصبحت منارة للعلوم في مختلف الميادين (العلوم الطبيعية والرياضية والفلسفة..). إلى جانب العلوم الشرعية.
- 3- إبراز طريقة الإسلام في المعاملة الحسنة مع التركيز على معاملة الفاتحين التسامحية وعدم إجبار الناس بدخول الإسلام في البلاد التي فتحوها، واحترام دينهم وعقيدتهم والوقوف بالعهود معهم.
- 4- فهم الأسباب والدواعي الدعوية والثقافية التي أدت إلى دخول بلاد الأندلس إلى الإسلام وتحويلها إلى منارة العلم والمعرفة.

الدراسات السابقة:

ما وجدت أثناء بحثي وتنقيبي عن موضوع الدراسة في مكتبات الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد (المكتبة المركزية ومكتبة حميد الله)، وغيرها من مكتبات خلال الإنترنت والمواقع المختلفة على الإنترنت، إلا بعض الرسائل العلمية التي لمست هذا الجانب، وكذلك عدد من المقالات العلمية التي تناولت جانباً أو آخر من الجوانب التي تتعلق بالجوانب المتعددة، ومن هذه الرسائل:

- 1- التاريخ الاقتصادي للدولة الأموية في الأندلس في المدة 138-422هـ / 756-1031م: للباحث الزغول محمد حسين محمد، المشرف على الرسالة الحلاق سعيد سامي، رسالة الدكتوراه في جامعة اليرموك كلية الشريعة والدراسات الإسلامية عام 2016م- الأردن.

قد تناول الباحث التاريخ الاقتصادي للدولة الأموية في الأندلس، لكنه لم يتطرق إلى الجهود الدعوية ولم يبحث عن الفتوحات الإسلامية في هذه البلاد، وتكلم في رسالته عن سرد التاريخ والانجازات الاقتصادية للدولة الأموية في الأندلس منذ 138-422هـ، دون ذكر الفتوحات وجهود الدعاة في نشر الإسلام في هذه المنطقة.

- 2- التعايش الحضاري بين المسلم والآخر في الأندلس من بداية الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة الأموية

(92- 422هـ / 711- 1031م): قراءة في حوار الحضارات: للباحث عبد الله محمد بلحاج، المشرف على الرسالة: شيخة جمعة، رسالة الدكتوراه في جامعة تونس كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية عام 2011م- تونس.

إن صاحب هذه الرسالة تكلم عن التعايش الحضاري بين المسلمين وغيرهم في الأندلس، حتى أنه تكلم بعض الشيء في جانب التعليم والتربية، لكنه لم يلفت نظره في نشر الدعوة الإسلامية وجهود الدعاة والفاثحين في الأندلس.

3- العلاقات السياسية بين الدولة الأموية بالأندلس والدول الأوروبية المعاصرة لها 138- 366هـ/ 755- 976م: للباحث عبد الواحد مخلف محمد، رسالة الماجستير في جامعة الأنبار كلية الآداب عام 2009م- العراق.

تطرق الباحث للعلاقات السياسية بين الدولة الأموية بالأندلس مع الدول الأوروبية، وركز في بحثه على الأحوال السياسية في أوروبا وأحوال الدولة الأموية في بلاد الأندلس، إضافة إلى ذكر العلاقات بين الدولتين أحياناً الحربية وأحياناً السلمية وأحياناً الدبلوماسية وأحياناً الحضارية.

4- من ملامح السياسية للخلافة الأموية في بلاد الأندلس 316- 422هـ / 929- 1031م: للباحث مكاري أحمد المهدي، المشرف على الرسالة الأسطى المبروك غنية، رسالة الماجستير جامعة الفاتح كلية الآداب عام 2009م- ليبيا.

تكلم الباحث في رسالته عن ملامح السياسية للأمويين في الأندلس عن قرن واحد تقريباً، ولم يتطرق للجوانب الأخرى في رسالته مثل الدعاة وجهودهم وأساليبهم والوسائل المستخدمة من قبلهم في نشر الدعوة الإسلامية.

الفرق بين الدراسة والدراسات السابقة:

تتم هذه الدراسة بالجهود الدعوية في بلاد الأندلس، لأن الدراسات السابقة تناولت جوانب معينة من الموضوع، ولم تتطرق إلى الجانب الدعوي في هذه المنطقة، فمن الدراسات السابقة ما ركزت على اقتصاد الدولة الأموية والانجازات الاقتصادية، مثل دراسة الباحث: الزغول محمد حسين محمد، ومنها ما ركزت على التعايش الحضاري بين المسلمين وغيرها، وما تناولت نشر الدعوة وجهود الدعاة والفاثحين، كدراسة عبد الله محمد بلحاج، وكذلك الباحث عبد الواحد مخلف محمد وأحمد المهدي تطرقا للعلاقات واللامح السياسية إضافة إلى ذكر العلاقات بين الدولة الأموية

والدول الأوروبية.

وهذه الدراسة تستوعب كل ذلك من إيضاح الجهود الدعوية لخدمة الدعوة الإسلامية ونشرها في البلاد المفتوحة، والاستفادة منها بتطبيقها في العملية الدعوية، وإبراز أنموذج للدولة الإسلامية، لتتأسى بها الدول الإسلامية في العصر الحاضر وتستفيد من التجارب التي مرت بها الدول الإسلامية في الأندلس وتعمل على تلافيتها.

مشكلة البحث:

تركزت مشكلة البحث في وجود الجهود الدعوية في بلاد الأندلس والحاجة إلى إبرازها للاستفادة منها في مجال الدعوة، وتبرز في الأسئلة الآتية:

- 1- كيف تعامل الفاتحون مع تطبيق كلمة اختيار الشعوب بين الإسلام والجزية والقتال؟
- 2- ما هي أنواع الجهود الدعوية في بلاد الأندلس والآثار المترتبة عليها؟
- 3- كيف عالج المسلمون القضايا الدينية والاجتماعية والثقافية خلال الدعوة الإسلامية؟
- 4- ما أهم الأساليب والوسائل التي اعتمد عليها الدعاة المسلمون في نشر الإسلام في بلاد الأندلس؟

منهج البحث:

اعتمدت في هذه دراسة بالمنهج التحليلي، حيث قمت بذكر جهود الدعاة والعلماء المسلمين في بلاد الأندلس أفراداً وجماعات، و تم بتحليل الوقائع والوسائل والأساليب الدعوية، وأستخرجت الدروس والنتائج منها، وذلك لأن الموضوع يشمل جميع هذه الجوانب.

خطوات البحث:

أولاً: قمت بعزو الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث والآثار والحكم عليها من غير الصحيحين، وتراجم الرجال وشرحت الكلمات الغامضة والمجهولة، وتوضحت الأماكن من الأسماء القديمة والجديدة، وكذلك قمت بتحليل الأحداث، من جهة الأسباب والمسببات وذكر أخذ العبر والدروس والنتائج المستخرجة منها.

ثانياً: أستخرجت الجوانب الدعوية منها.

ثالثاً: التأكيد من صحة المعلومات قدر الإمكان معتمداً على المصادر والمراجع الأصلية، فأولاً اعتمد على

المصادر التي كتبت في عصر الموضوع، ثم القرن الذي بعده، واعتمد على الكتب الدعوية المتقدمة والمتأخرة، وأحياناً اجد كتاباً متأخراً أكثر اعتماداً وصحة، فأعتمد عليه أكثر من الكتاب التي عاصرت هذه الدولة.

رابعاً: أذكر في الهامش المؤلف، والكتاب، والمحقق إن وجد، والطبعة، دار الطبعة، بلد الطبعة، تاريخ الطبعة ثم الجزء والصفحة، وإذا ذكرت كتاباً في المرة الأولى كتبت عنه كل المعلومات، ولكن في المرة الأخرى فقط أكتب اسم المؤلف والكتاب والجزء والصفحة.

خامساً: ذكرت الجهود الدعوية المستفادة من كل مبحث أو فصل.

حدود البحث:

لقد اخترت لهذا البحث حدوده المكانية والزمانية، من حيث المكان أن منطقة الأندلس تقع في شبه جزيرة أيبيريا في الجنوب الغربي للقارة الأوروبية، يحد من جهة الشرق البحر المتوسط (بجر الروم) ومن جهة الغرب المحيط الأطلسي (بجر الظلمات) ومن جهة الجنوب مضيق جبل طارق، دخل الإسلام إليها عام 91هـ / 710م واستمر حكم المسلمين بها إلى عام 897هـ / 1492م. وهي فترة طويلة شهدت أحياناً قوة المسلمين وأحياناً أخرى شأبها الضعف.

وأما الزمن أو الفترة التي حكم واستقر بها الأمويون منذ الفتح الإسلامي لهذه المنطقة، وهي فترة بداية الفتوحات الإسلامية حتى سقوط الحكم الأمويين في هذه المنطقة عام 422هـ / 1030م، ولكن عندما ننظر لهذه الفترة الطويلة نجد فيه تغييرات كثيرة كعصر الولاة وعصر الإمارة والخلافة، وحددت الفترة من الفتح الإسلامي وهي من عام 91هـ / 710م وحتى نهاية الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر عام 366هـ / 976م، لأن بداية هذه الفترة تشمل على الفتوحات، وتوحيد القبائل وتأسيس النظام، وانتشار العلم والعلماء، وآخر هذه الفترة تعد عصر الذهبي في جميع المجالات، وبعد عام 366هـ مرحلة الانحطاط والضعف حتى سقوط الخلافة الأموية في عام 422هـ / 1030م.

خطة البحث:

تشتمل الخطة على مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب، وفي كل باب فصول وكل فصل يشتمل على مباحث.

أما المقدمة ففيها:

- 1- أهمية الموضوع
- 2- أسباب اختيار الموضوع
- 3- الدراسات السابقة
- 4- الفرق بين الدراسة والدراسات السابقة
- 5- مشكلة البحث
- 6- منهج البحث
- 7- خطوات البحث
- 8- حدود البحث
- 9- خطة البحث

التمهيد

موجز بلاد الأندلس قبل الفتح الإسلامي

وفيه ستة أمور:

أولاً: تسمية الأندلس واشتقاقاتها

ثانياً: بلاد الأندلس جغرافياً

ثالثاً: المعتقدات الدينية في الأندلس قبل الفتح الإسلامي

رابعاً: الأحوال السياسية لبلاد الأندلس قبل الفتح الإسلامي

خامساً: الأحوال الاجتماعية في الأندلس قبل الفتح الإسلامي

سادساً: الحالة الاقتصادية في الأندلس قبل الفتح الإسلامي

الباب الأول

الجهود الدعوية في فتح الأندلس وإقامة الدولة ونشر الإسلام فيها

الفصل الأول

الجهود الدعوية في فتح الأندلس

المبحث الأول: حركة الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس

المبحث الثاني: الجهود الدعوية للقادة والجيش في الأندلس

الفصل الثاني

الجهود الدعوية في إقامة الدولة ونشر الإسلام في الأندلس

المبحث الأول: الجهود الدعوية في توحيد القبائل وتحقيق الاستقرار

المبحث الثاني: مراحل الجهود لإقامة الدولة في الأندلس

المبحث الثالث: الجهود في تعامل الحكام وأنظمة مع غير المسلمين ودورها في نشر الدعوة

الفصل الثالث

الخدمات العمرانية ودورها في نشر الإسلام في الأندلس

المبحث الأول: جهود الحكام والأمراء في تقديم الخدمات العمرانية

المبحث الثاني: دور الخدمات العمرانية في نشر الدعوة الإسلامية في الأندلس

الباب الثاني

الجهود الدعوية في مجال الثقافة ومعالجة القضايا الاجتماعية ووسائلها في الأندلس

الفصل الأول

الجهود الدعوية في مجال الثقافة ووسائلها في نشر الدعوة في الأندلس

المبحث الأول: الوسائل الثقافية ودورها الدعوي في الأندلس

المبحث الثاني: جهود المسلمين في العلوم الشرعية والتطبيقية

الفصل الثاني

الجهود الدعوية في معالجة القضايا الاجتماعية ووسائلها في الأندلس

المبحث الأول: نظام القضاء ودوره في معالجة القضايا الاجتماعية

المبحث الثاني: نظام الحسبة ودوره في معالجة القضايا الاجتماعية والاقتصادية

الباب الثالث

آثار الجهود الدعوية في بلاد الأندلس

الفصل الأول

آثار الجهود الدعوية في المجال الديني والعلمي في الأندلس

المبحث الأول: آثار الجهود الدعوية في المجال الديني

المبحث الثاني: آثار الجهود الدعوية في المجال العلمي

الفصل الثاني

آثار الجهود الدعوية في المجال الاجتماعي والسياسي في الأندلس

المبحث الأول: اثر الجهود الدعوية في المجال الاجتماعي

المبحث الثاني: اثر الجهود الدعوية في المجال السياسي

الفصل الثالث

نتائج الجهود الدعوية داخل الأندلس وخارجها

المبحث الأول: نتائج الجهود الدعوية داخل الأندلس

المبحث الثاني: نتائج الجهود الدعوية خارج الأندلس

الخاتمة: تشتمل على النتائج والتوصيات

فهرس الآيات الكرىمات

فهرس الأحاديث الشريفة

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المحتويات

التمهيد

موجز بلاد الأندلس قبل الفتح الإسلامي

أولاً: تسمية الأندلس واشتقاقاتها:

أصل كلمة الأندلس (1) فيها آراء مختلفة، ويحتك بعضها البعض، منهم ابن الأثير صاحب كتاب الكامل في التاريخ: يقول: "أول من سكنها قوم يعرفون بالأندلس - معجمة الشين، فعرّب فيما بعد بالسين مهملة-، وكذلك تسمية هذا البلد بالأندلس نسبة إلى أندلس بن يافث بن نوح -عليه السلام-". (2) أو أنه أندلس بن طوبال بن يافث بن نوح - عليه السلام-. (3)

وقال ابن الأثير: "أول من سكن الأندلس بعد الطوفان قوم يعرفون بالأندلس فعمروها وتداولوا ملكها زمناً طويلاً". (4)

عرفت شبه جزيرة (5) الأندلس بأسماء مختلفة عبر العصور، من القدم كانت عرفت هذه المنطقة ب أفيوسا (ofyosa) أي بلاد الحياة، بعد ذلك كانت الأقوام تسكن أي مناطق هذه شبه الجزيرة تطلق عليها اسماً، ولكن لم تبقى شبه الجزيرة على اسم واحد زمنياً طويلاً. (6)

وفي القرن الخامس قبل الميلاد الإغريقيون قاموا بتأسيس بعض المراكز الاستعمارية في شبه الجزيرة وهذه أطلقوا

(1) الأندلس: بضم الدال وفتحها، وضم الدال ليس صحيحاً، وهي كلمة عجمية لم تستعملها العرب في القديم وإنما عرفت العرب في الإسلام ... وأندلس: بناء مستنكر - فتحت الدال أو ضمت، وإذا حملت على قياس التصريف وأجريت مجرى غيرها من العربي، فوزنهما فَعْلَلَل أو فَعْلَلَل وهما بناءان مستنكران ليس في كلامهم مثل سَفْرَجَل ولا مثل سَفْرَجَل. (ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي (ت: 626هـ / 1228م)، معجم البلدان، دار صادر بيروت - لبنان، عام 1397هـ / 1977م، 1/ 262).

(2) ابن الأثير: أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني المعروف بإبن الأثير الجزري الملقب بعز الدين (ت: 630هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، ط 1، دار الكتاب العلمية بيروت - لبنان، عام 1407هـ / 1987م، 5/ 264.

(3) راجع: المقري التلمساني: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت: 1041هـ / 1632م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر بيروت - لبنان، عام 1408هـ / 1988م، 1/ 125. كولان: ج. س. كولان، الأندلس، ترجمة: لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية (إبراهيم خورشيد، د. عبد الحميد يونس، حسن عثمان)، ط: 1، مطبعة دار الكتاب اللبناني - بيروت، ودار الكتاب المصري - القاهرة، عام 1980م، ص 17.

(4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 5/ 264.

(5) شبه الجزيرة كلمة عربية تطلق على المكان الذي يحيط به الماء من ثلاث جهات، وبلاد الأندلس يحيط بها الماء ما عدا شرقها. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، 1/ 263).

(6) بدر: الدكتور أحمد بدر، دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها من الفتح وحتى سقوط الخلافة، ط: 2 بدمشق، عام 1972م، ص 5.

اسم إيبيريا (1) لبعض المناطق الساحلية، وما لبث هذا الاسم أن أطلق على شبه الجزيرة كلها.

في عام 205م غزا الرومان شبه جزيرة إيبيريا، وأطلقوا عليها اسم إسبانيا (Hispania)، ثم تحول هذا اللفظ في القرون الوسطى إلى (España) ومنه اشتقت الكلمة الإنجليزية (Spain). وقد أصبحت إسبانيا بعد تمكن الرومان من السيطرة عليها كلها إقليمياً رومانياً. (2)

وكذلك يوجد بعض الغموض في شأن الاسم لهذه المنطقة من القدماء، اليونانيون يسمونها إيبيريا والرومان يسمونها إسبانيا. (3)

أما لفظ الأندلس معرب جاء من لفظ "الوندال" وهم قبائل الجرمانية (4) الذين نزلوا في القرن الخامس

(1) إيبيريا Evaria هذا الاسم مأخوذ من نهر (إبرو Ebro)، وهو نهر ينبع من شمال شرق شبه الجزيرة ويصل على البحر الأبيض المتوسط. الإغريق أطلقوا إسم إيبيريا على بعض سواحلها، ثم سميت بعد ذلك (باطقة) من وادي بيطي، وهو نهر قرطبة. أما شبه الجزيرة إيبيريا هي اسم عام عند اليونان لجميع هذه الأراضي التي تقع في الجنوب الغربي للقارة الأوروبية. (راجع: البكري: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو البكري (ت: 487هـ/1094م)، جغرافية الأندلس وأوروبا، تحقيق: الدكتور عبد الرحمن بن علي الحجري، ط: 1، نشر دار الإرشاد- بيروت، عام 1387هـ/1968م، ص 57. الجيوسي: الدكتورة سلمى الخضراء الجيوسي، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ط: 2، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت- لبنان، عام 1999م، 22/1).

(2) حتاملة: الدكتور محمد عبده حتاملة، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة "دراسة شاملة"، ط 1، دائرة المكتبة الوطنية عمان- الأردن، عام 1420هـ/2000م، ص 49.

(3) كولان، الأندلس، ص 17.

(4) الوندال (Wandals) هم من قبائل الجرمانية، الذين جاءوا من أوروبا وأقيموا في شبه الجزيرة إيبيريا زمناً طويلاً، لذلك سميت شبه الجزيرة بـ فاندلسيا (Vandalusia) أي بلاد الوندال، قبائل الجرمانية (Germanic peoples): وتسمى أيضاً القبائل التوتونية، السويبية أو القوطية في الأدب القديم، هي جماعة لسانية عرقية أوروبية هندية من أصل شمال أوروبي، يحددون بإستخدامهم اللغات الجرمانية والتي اشتقت من الجرمانية البدائية التي بدأت أثناء العصر الحديدي الروماني البدائي. القبائل الجرمانية القديمة تشمل الترويجيون، السويديون، الدنماركيون، الأيسلانديون، الأفريكانيون، الفلمنجيون، الفريسيون، الناطقون بالاسكتلندية وآخرون. وبعض القبائل الجرمانية أخرى هي الوندال، القوط، الفرنجة، الألان، السويبي، الأنغلز، السكسون وغيرهم. (راجع: البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا، ص 57 وما بعدها. طقوش: الدكتور محمد سهيل طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ط 3، دار النفائس، عام 1431هـ / 2010م، ص 17.

Waldman, Carl; Mason, Catherine (2006), Encyclopedia of European Peoples, Infobase Publishing, ISBN 1-4381-2918-1, Retrieved May 25, 2013, p 296.

Minahan James, One Europe, many nations: a historical dictionary of European national groups, Greenwood Publishing Group, ISBN 0-313-30984-1, Retrieved May 25, 2013, p 769.

الميلادي في القسم الجنوبي لشبه الجزيرة وأقاموا زمناً طويلاً، ويسمون في اللغات الأوروبية "الفاندال أو الفاندالوس"، واشتهر القسم الجنوبي باسم "فاندالوسيا أو واندالوسيا" حتى وصل العرب ونطق بـ "وندلس"، وحذف بعد ذلك "الواو"، فعرّب الاسم إلى "الأندلس".⁽¹⁾

وقال الحميري: "كلمة الأندلس ليست عربية بل اشتقها العرب من كلمة فاندالوسيا أي بلد الوندال، وأطلق العرب كل المناطق التي شملها حكم المسلمين وراء جبال البرت⁽²⁾ حتى نهاية الحكم الإسلامي".⁽³⁾

ويرى البعض: أن كلمة الأندلس اسم عربي لشبه جزيرة إيبيريا.⁽⁴⁾ وكان أول من أطلق بهذا الاسم هم العرب، وأطلق على المناطق التي سيطر عليها المسلمون حتى عام 897هـ/1492م.⁽⁵⁾

وقال الحميري في كتابه: "اسمها في القديم إبارية، ثم سميت بعد ذلك باطقة، ثم سميت إشبانيا من اسم رجل ملكها في قديم الزمان، وسميت بعد ذلك بالأندلس من أسماء الأندليش الذين سكنوها".⁽⁶⁾

Pavlovic, Zoran (2007), Europe, Infobase Publishing, ISBN 1-4381-0455-3, Retrieved 9 March 2014, p 53).

(1) مؤنس: الدكتور حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط: 2، الناشر: دار الرشاد، مطبعة سربية للطباعة والنشر - القاهرة، عام 1418هـ/1997م، ص 263.

(2) جبال البرت أو البرانس، وكذلك تسمى (البرتات أو البرينية) هي سلسلة الجبال الفاصلة بين الأندلس وأوروبا، والبرت معناه الأبواب، وسبب تسمية هذه سلسلة الجبال لأنها تحتوي على خمسة أبواب أو ممرات ضيقة وطويلة، كانت تستعمل للعبور نحو جنوب فرنسا وبلاد الأندلس، فلا يستطيع أحد أن يعبر إلا من طرق تسمى ممرات بالأبواب. (عنان: محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ط 3، مكتبة الخانجي - القاهرة، عام 1408هـ، 1/53، 177).

(3) راجع: الحميري: أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري (ت: 866هـ/1461م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط 2، مطابع هيدلبرغ مكتبة لبنان - بيروت، عام 1420هـ/1984م، ص 121. بدر، دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها من الفتح حتى الخلافة، ص 5. حموده: الدكتور علي محمد حموده، تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي، ط 1، دار الكتاب العربي - مصر، عام 1376هـ/1957م، ص 34.

(4) الدكتور شاكر مصطفى، الأندلس في التاريخ، ط: 1، الناشر وزارة الثقافة في الجمهورية السورية - سوريا، عام 1990م، ص 6.

(5) راجع: أرسلان: الأمير شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، ط 1، دار مكتبة الحياة - بيروت، 1/32. كولان، الأندلس، ص 17.

(6) الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 2.

الأسماء المتعددة لشبه الجزيرة حسب الشعوب التي كانت تسكن هذه الجزيرة، تنتقل من اسم لآخر حتى سماها المسلمون الأندلس.

ثانياً: الأندلس جغرافياً:

عند دراسة بلاد الأندلس نحتاج أن نعرف هذا البلد طبيعياً وجغرافياً ودينياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً قبل الفتح الإسلامي، لذلك أريد أن أعرف حدود المنطقة من ناحية جغرافية قبل الفتح الإسلامي.

الف: موقع ومساحة الأندلس:

الأندلس شبه جزيرة واسعة ومساحتها العامة تبلغ خمسمائة وستة وتسعين ألفاً وثمانمائة واثنين وثلاثين (596832) كيلو متر مربع تقريباً، بعض الجغرافيين والمؤرخين يزيد أو ينقص هذه المساحة. (1)

وبلاد الأندلس تكون مسيرة عمائرها ومدنها نحو شهرين ولهم من المدن الموصوفة نحو من أربعين مدينة. (2)

تقع بلاد الأندلس في الجنوب الغربي للقارة الأوروبية، (3) وهي جزيرة عظيمة وواسعة تتصل في الشمال سلسلة جبال البرت فاصل بين أوروبا وشبه الجزيرة الإيبيرية ومضيق جبل طارق (4) عن إفريقيا في الجنوب، تقع من

(1) سطيحة: محمد محمد سطيحة، الجغرافية الإقليمية دراسة المناطق الكبرى، نشر دار النهضة العربية- بيروت، عام 1974م، ص 59. كتب الجغرافيين والمؤرخين الذين يزيد أو ينقص مساحة الأندلس منها كتاب: هزاع بن عبد الشمري، مختصر جغرافية العالم، دراسة شاملة لجميع حوال العالم وسلطانه ومعالم الطبيعة فيه، دار النشر اليمامة، عام 1975م، ص 195. وكتاب العرب والإسلام في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط لعمر فروخ، ص 43.

(2) المسعودي: أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت: 346هـ / 957م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، اعتنى به وراجعته: كمال حسن مرعي، ط 1، المكتبة العصرية صيدا- بيروت، عام 1425هـ / 2005م، 1 / 162.

(3) ذكر الجغرافيون اليونان والرومان أن شبه جزيرة إيبيريا تقع في غرب أوروبا، فجعلوا حدها الشمالي الشرقي حداً شرقياً وليس جنوبها الغربي، والساحلين الشرقي والجنوبي ساحلاً واحداً وهو الجنوبي، في حين ظل ساحلاها الغربي والشمالي في وضعهما السليم. وقد تبنى الجغرافيون المسلمون هذا التصور الخاطيء. (راجع: المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1 / 137، 138. المراكشي: أبي محمد محي الدين عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي (ت: 647هـ / 1250م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: سعيد عريان، المجلس الأعلى للثقون الإسلامية، الجمهورية العربية المتحدة، عام 1963م، ص 7- 8. H. L. Jones Leon: The Geography II, trans. Classical Library, London 1923. p 7- 8).

(4) مضيق جبل طارق كان يعرف في القديم بأعمدة هرقل، وقد سماه العرب اسماً مختلفاً منها مضيق الحجاز، وخليج الزقاق، والبحر الزقائي، وبحر العودة أو العدوتين، لا يجاوز طوله 80 كم وعرضه في أضيق جنباته 15 كم. (شاعر مصطفى، الأندلس في التاريخ، ص 8).

جهة شرق البحر المتوسط (بحر الروم)، ومن جهة الغرب المحيط الأطلسي (بحر الظلمات)، أي أن البحر المتوسط والمحيط الأطلسي تقع في شرقها وغربها، ويحد من جهة الشمال القارة الأوروبية، ومن جهة الجنوب مضيق جبل طارق، أقاليم بلاد الأندلس الواقعة في أوروبا وراء البحر المتوسط الأبيض على شكل مثلث يضيق نحو الشرق ويتسع نحو الغرب. (1)

ب: ما تشمله شبه جزيرة الأندلس اليوم:

تشمل شبه جزيرة الأندلس حالياً كل من إسبانيا والبرتغال، فتشكل معظم شبه الجزيرة بلد إسبانيا حيث تبلغ مساحتها مائة وخمس وتسعين ألف ميل مربع من مئتين وثلاثين ألف ميل مربع، ويحدها من الغرب البرتغال والمحيط الأطلسي، ومن الشرق فرنسا، ومن الجنوب البحر الأبيض المتوسط ومضيق جبل طارق، ومن الشمال خليج بسكاي. (2)

أما البرتغال تقع في غرب شبه الجزيرة، وهي تحاصر بين إسبانيا والمحيط الأطلسي، تحدها إسبانيا من الشرق والشمال، ومن الجنوب والغرب المحيط الأطلسي. (3)

ج: التضاريس: (4)

أكبر جزء من الأندلس عبارة عن هضبة مرتفعة يبلغ متوسط ارتفاعها ما بين ألف ستمائة إلى ثلاثة آلاف وخمسمائة قدم، وتحف بها سلسلة جبال البرت أي الأبواب، ومن سلسلة هذه الجبال جبال كنتنبريات التي تنتهي من

(1) راجع: ابن غداري المراكشي: أبي العباس أحمد بن محمد بن عذاري المراكشي (ت: 712هـ)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج. س كولان وأ. ليفي بروفنسال، ط 2، دار الثقافة بيروت- لبنان، عام 1983م، 1/ 2. ابن حوقل: أبو القاسم بن علي بن حوقل النصيبي (ت: 380هـ/ 990م)، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، عام 1979م، ص 105. كولان، الأندلس، ص 61-63. فروخ: عمر فروخ، العرب والإسلام في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، ط 1، المكتب التجاري- بيروت، عام 1378هـ/ 1959م، ص 43 وما بعدها.

(2) أحمد صادق، جغرافية العالم- دراسة إقليمية، مكتبة الأنجلو والنهضة المصرية- القاهرة، عام 1966م، ص 408. هزاع: هزاع بن عبد الشمري، المعجم الجغرافي لدول العالم، ط 1، مطبعة التقدم- القاهرة، عام 1401هـ، ص 195.

(3) راجع: هزاع، المعجم الجغرافي لدول العالم، ص 133.

(4) التضاريس: هو كل ما كان على وجه الأرض من مرتفعات الجبال والهضاب، ومنخفضات السهول والأودية والأنهار. (متولي: الدكتور محمد متولي، وجه الأرض، مكتبة الأنجلو المصرية، ص 319. إبراهيم أنيس، عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد، المعجم الوسيط، ط 4، مكتبة الشروق الدولية، عام 2004م، 1/ 538).

مرتفعات غاليسيا في جانب الغرب، وفي الجنوب توجد جبال مورينا، وأعلى سلاسل الجبال في الجنوب هي جبال شلير (1). (2)

لقد وصف كثير من المؤرخين والجغرافيين أن بلاد الأندلس هي متوسطة البلدان، كريمة البقعة بطبع الحلقة، طيبة التربة، مخضبة القاعة، منبجة العيون الثراء، متفخرة الأنهار الغزار، قليلة الهوام ذوات السموم، معتدلة الهواء أكثر الأزمان، لا تزيد قيطها زيادة منكرة تضر بالأبدان، وكذا سائر فصولها في أعم سنيها تأتي على قدر من الاعتدال، وتوسط الحال. (3)

وقال القزويني في وصف الأندلس: "الأندلس شامية في طبيها وهوائها، يمانية في اعتدالها واستوائها، هندية في عطرها وذكائها، أهوازية في عظم جبايتها، صينية في جواهر معادنها، عدنية في منافع سواحلها". (4) وتضاريس شبه الجزيرة الإيبيرية "تشبه تضاريس المغرب أكثر بكثير من شبهها بأوروبا". (5)

كثرة الجبال تكون منبع لكثرة الأنهار، لذلك أن بلاد الأندلس تنبع من هذه السلاسل الجبلية عدة أنهار، معظمها يتجه نحو الغرب ليصب في المحيط الأطلسي، ومن أشهر أنهارها وأكثرها أهمية هي نهر درور، وتاجه، واليانع، ونهر الوادي الكبير - المعروف بإسم النهر الأعظم، ونهر قرطبة، ويشار إليه أحياناً بإسمه القديم نهر بيطي (Beatis) - ونهر المنهو وغيرها. ونهر إبرو هو النهر الوحيد من الأنهار الكبرى الذي يتجه نحو الشرق ليصل إلى البحر الأبيض المتوسط. وكذلك أودية أخرى تتجه إلى الشرق مثل النهر الأبيض ووادي شقر وغيرها. (6)

(1) جبال مورينا المعروفة عند العرب بجبال قرطبة. وجبال شلير المعروفة عند المسلمين بجبل الثلج.

(2) انظر: أحمد صادق، جغرافية العالم - دراسة إقليمية، ص 346. كولان، الأندلس، ص 63.

(3) المقرئ التلمساني، نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب، 1/ 70. دويدار: حسين يوسف دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (138-422هـ/755-1030م)، ط 1، مطبعة الحسين الإسلامية 25 حارة المدرسة - خلف الأزهر، عام 1414هـ/1994م، ص 335.

(4) القزويني: زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت 682هـ)، آثار البلاد وأخبار العباد، الناشر دار صادر - بيروت، 1/ 504.

(5) شاكر مصطفى، الأندلس في التاريخ، ص 7.

(6) راجع: بدر، دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها من الفتح حتى الخلافة، ص 6. حتاملة، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة، ص 49.

د: المناخ: (1)

تنقسم شبه الجزيرة من حيث المناخ إلى ثلاثة أقاليم رئيسية مختلفة، وهي: سواحل البحر الأبيض المتوسط الجنوبي والشرقي. والهضبة الداخلية. وسواحل المحيط الأطلسي الشمالية والغربية. ويمتاز كل إقليم بمظهره التضاريسي ومناخه الخاص، (2) كما هي مناخ البحر الأبيض المتوسط في الجنوب والشرق صيفاً، وهو أدنى إلى الجفاف في الشرق، ومناخ متطرف جاف في الداخل من الهضبة، ويرجع ذلك لكل من ارتفاعها، واحاطتها بالسلاسل الجبلية التي تعزلها عن المؤثرات البحرية، لذلك الصيف حار متوهج والشتاء بارد شديد البرودة في هذه المناطق، ومناخ في السواحل الغربي والشمالي الغربي بسبب موقعه البحري فأمطاره غزيرة على مدار السنة وينتج نشوء مراعي غنية، وصيفه معتدل وكذلك الشتاء، ويسود ويعتدل. (3)

وبوجه عام تعيش معظم البلاد في ظل المطر، وأدت هذه الأنماط المناخية إلى تنوع الحياة الزراعية من أقاليم تعتمد كلياً على مياه الأمطار إلى تفاوت من مكان لآخر. (4)

قال المقرئ التلمساني: "الأندلس أندلسان في اختلاف هبوب رياحها ومواقع أمطارها وجريان أنهارها، أندلس غربي وأندلس شرقي، فالغربي منها ماجرت أوديته إلى البحر المحيط الغربي، ويمطر بالرياح الغربية، والجانب الشرقي ويقال له الأندلس الأقصى تنحدر أوديته إلى الشرق وأمطاره بالرياح الشرقية، ومهما استحكمت الرياح الغربية كثر مطر الأندلس الغربي وقحط الجانب الشرقي، ومتى استحكمت الرياح الشرقية مطر الأندلس الشرقي وقحط الجانب الغربي". (5)

(1) المناخ هو عبارة عن حالة إقليم ما من حيث الحرارة والضغط والرياح والأمطار، وهو مختلف عن الطقس لأن المناخ عبارة عن حالة الأقاليم على المدى البعيد، وأما الطقس فهو عبارة عن معرفة الأحوال الجوية تقلباتها في المدى القصير. (راجع: أنصاري: يوسف الأنصاري، الجغرافية الطبيعية، ط: 1، بدون مطبعة، عام 1959م، 2/ 5. الجوهري: الدكتور يسري عبد الرازق الجوهري، أسس الجغرافية العامة، نشر مكتبة المعارف بالإسكندرية- مصر، ص 241).

(2) أحمد صادق، جغرافية العالم- دراسة إقليمية، ص 395 وما بعدها.

(3) راجع: الجمل: الدكتور محمود الجمل، أوروبا في مجرى التاريخ، ط 1، مكتبة النهضة المصرية، عام 1969م، ص 483 وما بعدها. طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص 16.

(4) طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص 16.

(5) راجع: المقرئ التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 132.

هـ: السكان:

شكلت شبه الجزيرة الأندلسية لعناصر بشرية مختلفة وعديدة، فيكون سكانها من خليط بشري من أجناس مختلفة الأعراق والأصول والثقافات من قديم العصور، كثرة الهجرات إلى هذه البلاد وقيام عدة شعوب وزوال أخرى أدى إلى وجود أجناس مختلفة من الأصول والثقافات وكل جنس متأثر بثقافته وأصله.

أول من سكن الأندلس بعد الطوفان قوم يعرفون بالأندلس وسمي بهم المنطقة، فعمروا البلد وعاشوا زمناً، ربما وقعوا في الإفساد في الأرض، فحبس الله المطر عنهم، ووالى القحط عليهم، فهلك أكثرهم وفر من يقدر على الفرار، فبقيت الأندلس خالية حوالي قرن أو أكثر، ثم أمطرت وأخصبت، فجرت أنهارها وعيونها، وحييت أشجارها، ثم نزل الأندلس مغتبطين، وسكنوها معتمرين وتوسعوا في عمارة الأرض. (1)

في القرن الحادي عشر قبل الميلاد غزا الكلتيون (2) الأندلس واستوطنوا المناطق الشمالية والغربية، وتزوجوا من الإيبيريين الذين كانوا قد قدموا من إفريقيا، ونشأ جيل جديد أطلق علماء السلالات الكلت الإيبيريين. (3)

ونزل الفينيقيون (4) في القرن العاشر قبل الميلاد في سواحل الشرقية لبلاد الأندلس وبنوا فيها عدداً من المدن، واتخذوا مراكزاً رئيسية لحماية مستوطناتهم المنتشرة في المنطقة. (5)

(1) المقري التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 133-134.

(2) من السلالات الهندو أوروبية، وعرفهم الرومان بإسم الغالين. (طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص 16).

(3) راجع: حتاملة، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة، ص 49. O' Chapman, C.E: A History of Spain PP. 7, 8. Callaghan J. F: History of Medieval Spain p. 27

(4) الفينيقيون: هم من أصل كنعاني سامي، وأصلهم من منطقة بابل، ثم استوطنوا مناطق الشام الساحلية، وأطلق اسم Phoinikes أي الشعب الأحمر المشابه لون الدم، لأنهم تخصصوا في صناعة الصبغة الحمراء والملابس الأرجوانية الزاهية، ومن هنا سميت ب السامية كنعان، واتفقت مع التسمية اليونانية فينيقيا في المعنى، وكانت للفينيقيين حضارة مشهورة. (انظر: نور الدين حاطوم، نبيه عاقل، أحمد طربين وصلاح مدني، موجز تاريخ الحضارة، حضارات العصور القديمة، دمشق، عام 1964م، ص 236 وما بعدها. العبادي: الدكتور أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الشباب الجامعة - الإسكندرية، عام 1968، ص 23).

(5) الفينيقيون بنوا عدداً من المدن ماتزال قائمة حتى اليوم، من هذه المدن مدينة ليكسوس (وهي العرائس الآن)، وروسادير (وهي الآن مليلة)، ومدينة غادير أو قادر تعني القلعة (وقد سماها العرب ب قادس) وعدوة ومالقة وطرشيش، وفي عام 850 ق م أسست مدينة قرطاجنة على الساحل الشمالي لإفريقيا قرب مدينة تونس الحالية، واتخذوها مركزاً رئيساً لحماية مستوطناتهم المنتشرة في الساحل الغربي للبحر الأبيض المتوسط. (راجع: شاعر مصطفى، الأندلس في التاريخ، ص 9-10. طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص 17. حتاملة، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة، ص 49).

وقد ذكر: "أول من سكن شبه الجزيرة الإيبيريون، (1) وأول الوافدين هم الفينيقيون وفدوا في القرن العاشر قبل الميلاد، ثم جاء بعدهم الإغريق في القرن الخامس قبل الميلاد، ثم جاء القرطاجنيون، ثم الرومان". (2)

في القرن الخامس الميلادي غزت القبائل الجرمانية يسمونها الوندال منطقة الأندلس واستقروا في سهلها الجنوبي وقد نسب هذا السهل للوندال. (3) وكذلك خاض القرطاجيون بلاد الأندلس واتخذوا موطناً لهم، فسكان بلاد الأندلس في القرن الأول الميلادي كانوا خليطاً من السكان المحليين والجليقيين (Galicianos) والكانتبريانيين (Cantabrianos) والبشكس (Vascos) واللشديانيين (Lusitanios) وغيرهم. (4)

وفي مطلع القرن الثاني الميلادي بدأ الفساد في الإمبراطورية الرومانية في الأندلس، وقامت بضغط القبائل الجرمانية وقبائل الهون الآسيوية البربرية، في ظل الصراع الداخلي بين هذه القبائل الجرمانية فقد طرد القوط (5) في عام 406م، وبعد ثلاثة أعوام عادوا منتصرين على من في مواجهتهم، واستقروا في الأندلس في منطقة جبال البرت. (6)

حكام القوط طردوا الوندال الروم من الأندلس، ولم يمتزجوا بالسكان الأصليين بحيث يصيرون وإياهم شعباً واحداً بل عاشوا فئة قائمة بذاتها منها الملك وجميع أشرف المملكة، وحرمو المصاهرة بينهم وبين الأهليين الأصليين، وشعب القوط أصحاب أشداء في القتال والبطش، وفي نهاية هزموا على أيدي المسلمين. (7)

وكذلك عدد سكان الأندلس في عهد القوط أو قبيل الفتح الإسلامي كان حوالي عشرة ملايين نسمة، مع

(1) الإيبيريون: هم قبائل من غالة والبسك، أي من فرنسا الحالية.

(2) ذنون طه: عبد الواحد ذنون طه، الفتح والاستقرار العربي في شمال إفريقية والأندلس، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، عام 1982م، ص 69.

(3) حموده، تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي، ص 34. طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص 14.

(4) حتاملة، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة، ص 49.

(5) قبائل القوط شعبة من الشعوب الجرمانية الكبرى، التي كانت تسكن فيما يعرف الآن ب ألمانيا، والتي زحفت من الشمال على الإمبراطورية الرومانية الكبرى ودمروا القسم الغربي منها، وقد غزوا أيضاً روما في عام 409م، ثم جنوب فرنسا واستقروا نهايا في بلاد الأندلس واتخذوا مدينة طليطله عاصمة لهم، ثم مدوا نفوذهم إلى جنوب البلاد، وتخطوا إلى شمال مراكش واستولوا منه على مدينة سبتة، وقد دام ملكهم نحو قرنين من الزمان من 484 - 711م. (حموده، تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي، ص 34).

(6) انظر: طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص 17 - 18.

(7) حموده، تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي، ص 34، 35.

ترجيح زيادة نسبة سكان الحضرة والقرى عن العناصر الريفية. (1)

و: اللغات:

كان هناك اللغات عديدة، مع مجيئ الفينيقيين انتشرت اللغة الفينيقية السامية بين سكان، وأن الفينيقيين نطقوا حروف الهجاء عن الشعوب الشرقية المجاورة كالبايلين والمصريين، ثم أدخلوا عليها بعض التحسينات والإضافات واستعملوها في تجارتهم ومعاملاتهم، فانتشرت بين القبائل الأخرى، اليونانيون قد أضافوا فيها بعض حروف العلة ثم نشروها بدورهم في أوروبا. (2) فأكثر سكان هذه المنطقة كانوا يتكلمون باللغة الإسبانية. (3) وفي عام 587م أعلن مجمع طليطلة (4) اللغة اللاتينية رسمية للبلاد. (5)

ثالثاً: المعتقدات الدينية في الأندلس قبل الفتح الإسلامي:

الدين له أثر بالغ في جميع جوانب الحياة، سواء في الجانب الفكري، والاجتماعي، والسياسي، والاقتصادي، والثقافي، لذلك كان لرجال الدين في الأندلس أثر كبير في الجانب الروحي والفكري، وأن الدين في العصور الوسطى يسيطر على كل شيء، حتى كان الناس يعتقدون أن رجال الدين يستطيعون أن يدخله الجنة أو النار. (6)

الف: الديانة النصرانية:

عدد المبشرين الذين بذلوا جهوداً شاققة لنشر النصرانية في شبة جزيرة إيبيريا، تعرض بعض الحكام على

(1) كولان، الأندلس، ص 87.

(2) العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص 26.

(3) اللغة الإسبانية تحتوي على أكثر من أربعة آلاف كلمة عربية عدا التعبيرات والصيغ العربية الموجودة في تلك اللغة، وتوجد عائلات مسيحية إسبانية تحمل أسماء عربية، وكذلك توجد أسماء الأماكن العربية والمغربية فلا تزال في كل قرية وكل ناحية من الأراضي الإسبانية. (العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص 17).

(4) طليطلة: هي مدينة عظيمة بالأندلس، كانت عاصمة القوط ومن أعظم المدن القديمة، وتقع على نهر تاجة. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4/ 39)

(5) طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص 25-26. حتاملة: الدكتور محمد عبده حتاملة، مدخل لدراسة تاريخ الأندلس، المملكة الأردنية الهاشمية لدى المكتبة الوطنية، عمان- الأردن، عام 1431هـ/ 2010م، ص 24. العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص 27.

(6) العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص 51.

المبشرين ولكن نجحوا في نشرها بين الرعايا باعتراف المذهب النصراني، حتى انتشرت على نطاق واسع بين فترة 307-337م، حيث أن قسطنطين اعتنق الديانة المسيحية على المذهب الكاثوليكي (1) وجعلها الديانة الرسمية للدولة الرومانية، واعتنقها الشعب بحماس بالغ. (2)

انتشرت الديانة النصرانية الكاثوليكية في ربوع إسبانيا الرومانية، ثم جاء القوط بالمذهب الأريوسي (3) وقد انتشر بين القوط الغربيين الوثنيين كغيرهم من الشعوب الجرمانية، واعتنق ملوكهم خلال الفترة 410-587م التي تسمى فترة الملوك الأريوسيين. (4)

زاد نفوذ طبقة النبلاء (5) ورجال الدين بين الناس حتى على تعيين الملوك وعزلهم، حكام القوط أجبروا الشعب أن يعتنقوا المذهب الأريوسي، ورعاياهم الإيبيريون الكاثوليك قد كانوا رفضوا المذهب الأريوسي حتى بدأت العداوة بينهم. (6)

(1) المذهب الكاثوليكي على اعتبار المسيح عليه السلام إلهاً ثانياً وابن الإله بوحدة الجوهر، وأنه تجمعت فيه كل صفات الألوهية، وتعتبر كلمة الله عند الكاثوليك، الأفتوم الثاني من الثالوث المقدس، والقانيم الثلاثة التي تتركب منها الذات الإلهية عند الكاثوليك هي: الأب، والإبن (كلمة الله)، وروح القدس، وهم الذين يقولون: إن عيسى عليه السلام له طبيعتان ومشيتان: طبيعة ومشيتة لاهوتية، وطبيعة ومشيتة بشرية. (راجع: صفر: أحمد صفر، مدينة المغرب العربي في التاريخ، دار النشر بوسلامة- تونس، عام 1959م، 1/ 365، 366. الجهني: مانع بن حماد الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ط 1، الندوة العالمية للشباب الإسلامي- الرياض، عام 1409هـ، ص 53).

(2) راجع: حتاملة: الدكتور محمد عبده حتاملة، إيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين، ط 1، عمان، عام 1996م. ص 183. طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص 25.

(3) المذهب الأريوسي: ينسب هذا المذهب إلى أريوس بن أمونيوس (256-336م) الذي ولد في ليبيا ونشأ في الإسكندرية، وكان قسيساً خطيباً، انتشر هذا المذهب على يد الأسقف ولفلاس، يقول أصحابه: إن عيسى عليه السلام عبد الله كسائر الأنبياء والرسول، فهو مربيوب مخلوق وليس بإله ولا يجعل مريم عليها السلام مكاناً في العقيدة ولا يعترف للقساوسة بحق الوساطة بين الله والناس. وهم يعتقدون بالطبيعة الواحدة. (راجع: ابن القيم: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (ت: 751هـ)، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ط 1، مكتبة المعارف- الرياض، ص 166. مؤنس: الدكتور حسين مؤنس، فجر الأندلس، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية (711-756م)، ط 1، الشركة العربية للطباعة والنشر- القاهرة، عام 1959م، ص 5 وما بعدها. حتاملة، إيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين، ص 184).

(4) حتاملة، إيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين، ص 208.

(5) طبقة النبلاء تتألف من القوط الغربيين والنبلاء الرومان، وحتى منتصف القرن السابع الميلادي تحكم بإدارة مشتركة من الطبقتين النبيلتين القوطية والرومانية، العائلة القوط تتألف من عدة طبقات، أعلاها طبقة الكبار (Grandes)، وتليها طبقة الدوقات (Duques)، ثم الكونتات (Condes)، ثم الأشراف (Gardingos). (حتاملة، مدخل لدراسة تاريخ الأندلس، ص 34).

(6) مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 233. حتاملة، مدخل لدراسة تاريخ الأندلس، ص 19.

بعد فترة شجع البابوات على بسط نفوذهم الديني والسياسي على شبه جزيرة إيبيريا وتحول المذهب الأريوسي إلى المذهب الكاثوليكي وأصبح المذهب الوحيد المعترف به في هذه المنطقة،⁽¹⁾ وظل أهلها يتعصبون لهذا المذهب والحكام يضطهدون أهل المذاهب والأديان الأخرى، واكتمل انتصار المذهب الكاثوليكي بعد عام 610م، وأصبحت المجامع الكنيسة في طليطلة رمز القوة الكبرى المسيطرة في الحياة السياسية والدينية في البلاد التي خضعت تدريجياً لسيطرة رجال الدين، وأصبحت الكنيسة سلطة عظيمة فيما بعد.⁽²⁾

ب: الديانة اليهودية:

انتشرت الديانة اليهودية في الأندلس منذ القرن الرابع الميلادي انتشاراً واسعاً، وكان أكثر عدداً بعد المذهب النصراني،⁽³⁾ وكانوا يكروا العيش في المراكز الحضرية المتقدمة، واختاروا منها طول الساحل الشرقي والجنوبي من إسبانيا على البحر الأبيض المتوسط، وفي تشريعاتهم فعاليات تجارية مهمة بقدر أهمية نشاطهم الزراعي.⁽⁴⁾

حكام القوط كانوا يعانون من سوء المعاملة مع اليهود، وصدرت تشريعات معادية لهم، منهم إصدار قرار من مجامع الكنيسة في طليطلة وحرّم على اليهود أن يشتري عبداً نصرانياً.⁽⁵⁾

ثم دخل اليهود في دواوين الحكومية الحسابية والمالية عن طريق إعطاء الأموال للحكام، وكانوا على اتصال دائم مع يهود شمال إفريقيا،⁽⁶⁾ وعلى الرغم من أهمية الأعمال التي كانوا يقومون بها إلا أنهم كانوا يعيشون على هامش الحياة،⁽⁷⁾ وعندما أصبحت المذهب الكاثوليكي المذهب الرسمي للقوط تحولت النعمة بين القوط ورجال الكنيسة إلى

(1) ملك آريوسي ريكارد نخلّي عن المذهب الأريوسي واعتنق المذهب الكاثوليكي في عام 587م، وتبعه سائر القوط، ثم أعلن مجمع طليطلة الديني الذي انعقد في نفس العام المذهب الرسمي للدولة المذهب الكاثوليكي تحت ظل الملكية القوطية. (Thompson, E.A, The Goth in Spain) (PP, 311, 312, Isidoro of Sville History of Goths, Vandals and Suevi P, 5).

(2) راجع: مؤنس، فجر الأندلس، ص 9-10. حتاملة، إيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين، ص 185-186، 242، 256-258.

(3) حتاملة، الأندلس التاريخ والحضارة والحنّة، ص 54.

(4) راجع: الزعفراني: حاييم الزعفراني، يهود الأندلس والمغرب، ترجمة: أحمد شحلان، الناشر مرسوم الرباط مطبعة النجاح الجديدة، عام 1844هـ/2000م، ص 44-45. حتاملة، الأندلس التاريخ والحضارة والحنّة، ص 110.

(5) حتاملة، مدخل لدراسة تاريخ الأندلس، ص 28.

(6) العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص 52.

(7) بشتاوي: عادل سعيد بشتاوي، الأندلسيون المواركة، دراسات في تاريخ الأندلسيين بعد سقوط غرناطة، ط 2، دمشق، عام 1985م، ص 201.

اليهود، وعندما كان رجال الكنيسة يشغلون في أمور سياسية أخذ القوط يعاملون معاملة قاسية مع اليهود. (1)

كان اليهود مكروهين في إسبانيا بسبب اختلاف عقائدهم، وقد دفعهم شعورهم بالاضطهاد إلى بذل محاولات نظام الحكم عن طريق الثورة والمؤامرات، وقد أصدر قراراً رسمياً ضد اليهود ليجبرهم على اعتناق النصرانية، وقد أعتق منهم العبيد والمستأجرين، الحكام قد هددوا أن يقبلوا قراراتهم وإلا فإنهم سيطرودون من إسبانيا، وأصعب عليهم أن يزرعوا أراضيهم وأن يمتلكوا المزارع، ثم أصدر قراراً رابعاً بإجبار اليهود على اعتناق المسيحية، فقبل الآلاف منهم ظاهرياً، أما الذين رفضوا فقد طردوا من إسبانيا وضبط أملاكهم وذلك سنة 613م. (2)

زادت الاضطهادات في سنة 616م على اليهود وأصدر الأمر بتنصيرهم في مدة عام واحد، فإذا انتهت المدة وبقي أحدهم على مذهبه جلد مائة جلدة ونفى وصودرت أملاكه. (3) وفي عام 15هـ/ 636م صدر قانون آخر غير الكاثوليكي، وأبعد عن كل وظائف الحكم والمزارع الكبيرة، وحرم عليهم عمل العطلة في الأيام المختارة عند النصرانية، وهاجم الحكام على اقتصاد اليهود في إسبانيا، ومنعوا تجارتهم فيما وراء البحار، استطاع بعضهم دفع الرشوة للنبلاء ورجال الدين، حتى دبر يهود إسبانيا بالاشتراك مع يهود الغرب مؤامرة لإسقاط السلطة، فعقد مجمع كنيسي في عام 74هـ/ 694م بمصادرة أملاك اليهود، وفصل أبناءهم عنهم بعد سن السابعة، وتربيتهم بين النصارى حتى ينشأوا النصرانيين، هذا الأمر الذي أثار غضب اليهود على الدولة القوطية. ثم صدر قرار الكنيسة بطرد اليهود بسبب التغلغل في البلاد، ثم سمح لهم بالعودة وذلك قبيل الفتح الإسلامي. يرى البعض أن استعانة يهود إسبانيا بالمسلمين كانت يسرت عملية فتحها. (4)

ج: المعتقدات الأخرى:

الأيبيريون القدماء في فترة (1000- 500 ق م) كانوا يعبدون آلهة متعددة، من أهمها آلهة الشمس تسمى

(1) راجع: بشتاوي، الأندلسيون المواركة، دراسات في تاريخ الأندلسيين بعد سقوط غرناطة، ص 201-202. بدر، دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها من الفتح حتى الخلافة، ص 9-10.

(2) راجع: العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص 52. حتملة، إيبريا قبل مجيء العرب المسلمين، ص 243، 252.

(3) دوزي: رينهاث دوزي، المسلمون في الأندلس، ترجمة وتعليق: حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام 1994م، 1/ 38.

(4) راجع: حتملة، إيبريا قبل مجيء العرب المسلمين، ص 246، 253، 264. العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص 52، 53. بدر، دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها من الفتح حتى سقوط الخلافة، ص 9-10. بشتاوي، الأندلسيون المواركة، دراسات في تاريخ الأندلسيين بعد سقوط غرناطة، ص 202.

نيتو (Neto)، وكانوا عبدوا الظواهر الطبيعية لكي يتمكنوا من الدفاع عن أنفسهم بسهولة. (1)

القبائل الذين قدموا من وسط أوروبا عبدوا بعض الحيوانات وتماثيل آلهة الحرب، كانوا يحملون صوراً مجسمة للفقوس والرماح. (2)

أما الفينيقيون كانوا يأتون بعقائدهم الدينية، وعندهم صور مجسمة يحفظونها منذ قرون، وكان كبير آلهتهم هو إيل (El) وزوجته عشيرت (Asherat) إلهة البحر، وابنها بعل (Bael) إله الجبال والعواصف والأمطار، وكان للإله بعل ابن هو عليان (Aliyan) الذي كان يمثل البرق وابنة هي أنات (Anat) وهي أخت عليان وزوجته. (3) وكان الإله عند الفينيقيين هو السيد والراعي للشعب، وهم يعتقدون أن الموت هو راحة لجسد الإنسان من مشكلات الحياة، لذلك كانوا يسمون القبر مكان الراحة. (4)

وقد دخلت إلى إيبيريا الديانة الوثنية الرومانية، وكانت تقوم على عبادة الإمبراطور وآلهة أخرى مثل جوبتر (Jupiter) وجونو (June) ومينيرفا (Minerva). عامة الناس في إسبانيا كان أذهانهم مضطربة وهو الذي أدى إلى انتشار السحر والكهانة والشعوذة والعرافة والتوسل بالأحجار وما إليها لكف أذى الأرواح الشريرة، كل هذا يدل على أن الممارسات الوثنية ترسخت في معظم أرجاء إسبانيا. (5)

كذلك في القديم كان يوجد المجوس، حيث كانوا أتوا بعد الطوفان قوم يعرفون بالأندلس فعمروها وتداولوا ملكها، وكانوا مجوساً. (6)

فالخلاصة أن الديانة الرسمية في بلاد الأندلس قبل الفتح الإسلامي كانت النصرانية الكاثوليكية، وهذه الديانة كانت لها السيطرة على جميع شؤون الدولة، وهناك المذهب النصراني الأريوسي وكان أتباعه قلة، وليس عندهم الحرية

(1) حتاملة، إيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين، ص 109-110.

(2) حتاملة، إيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين، ص 115.

(3) حتاملة، إيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين، ص 137-138.

(4) راجع: حاطوم، عاقل، طرين ومدني، موجز تاريخ الحضارة، ص 253. حتاملة، إيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين، ص 139.

(5) انظر: مؤنس، فجر الأندلس، ص 480-482.

(6) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 4/264.

الاعتقادية. أما الديانة اليهودية كانت تحت اضطهاد الكاثوليك أيضاً، فكانت بهم أشد العقوبات ومنها إجبار على اعتناق النصرانية، وحرمان تربية أولادهم حتى لا ينشأوا يهوداً. لذلك أن اليهود يرحبون بالمسلمين ويتعاونون معهم عند الفتح.

وكذلك الوثنيون كانوا أيضاً تحت اضطهاد الكاثوليك، لأن حكام النصرانية الكاثوليكية لا يحبون أي ديانة أو مذهب آخر، لذلك أصدر قراراً في مجلس طليطلة عام 589م ضد الوثنية والأديان الأخرى. (1) هكذا كانت الأحوال الدينية في الأندلس قبل الفتح الإسلامي.

رابعاً: الأحوال السياسية لبلاد الأندلس قبل الفتح الإسلامي:

بلاد الأندلس لها تاريخ عريق، غني بالأحداث السياسية والتاريخية والمذهبية والجنسية، كما أن أول من سكنها قوم يعرفون بالأندلس، فعمروها وتداولوا ملكها زمناً طويلاً، حبس الله المطر وتوالى عليهم القحط فهلك أكثرهم وفر منهم البعض، ثم دخل إليها قوم من إفريقية، وعندما رأوا بلاد الأندلس وانهارها فسكنوها وعمروها ونصبوا لهم ملوكاً يضبطون أمرهم. (2)

في القرن الحادي عشر قبل الميلاد غزا الكلتيون بلاد الأندلس واستوطنوا المناطق الشمالية والغربية، وأسسو نظام الحكم، ثم نزل الفينيقيون في القرن العاشر قبل الميلاد في السواحل الشرقية لبلاد الأندلس وبنوا عدداً من المدن لإتحاد مركز رئيسي لحماية مستوطناتهم المنتشرة في المنطقة. (3) ثم جاء بعدهم الإغريق في القرن الخامس قبل الميلاد، ثم القرطاجنيون، ثم الرومان، وفي القرن الثالث قبل الميلاد برزت قوة روما التي نازعت قرطاجنة على السيادة، هذه النزاعات ابتدأت من عام 264 ق م وانتهت في عام 149 ق م. (4)

(1) السامرائي: الدكتور عبد الواحد خليل إبراهيم السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط 1، درا الكتاب الجديد المتحدة بيروت- لبنان، عام 2000م، ص 13.

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 4 / 265.

(3) راجع: حتاملة، الأندلس التاريخ والحضارة والحنة، ص 49. طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص 16. شاعر مصطفى، الأندلس في التاريخ، ص 10-9. Chapman, C.E: A History of Spain PP. 7, 8. O' Callaghan J. F: History of Medieval Spain / 10-9 p. 27

(4) راجع: ذنون طه، الفتح والاستقرار العربي في شمال إفريقية والأندلس، ص 69. طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص 14، 17. حموده، تاريخ الأندلس السياسي والعمري والاجتماعي، ص 34. حتاملة، الأندلس التاريخ والحضارة والحنة، ص 49.

وفي مطلع القرن الثاني الميلادي بدأ الفساد في الإمبراطورية الرومانية في الأندلس والحكام فقد ضغطوا على القبائل الجرمانية، حتى زاد الصراع الداخلي وفي ظل هذا الصراع قد طرد القوط في عام 406م من الأندلس، وبعد ثلاثة أعوام عادوا منتصرين وأخذوا زمام الحكم. (1)

كان احتلال القبائل الجرمانية وخاصة القوط لبلاد الأندلس مدمراً أدى إلى خراب البلاد، ثم تحالف القوط مع الرومان ضد هجوم قبائل الهون في سنة 450م، وانهمز الهون واستمرت حروب القوط ضد قبائل أخرى مثل الهون والآلان والسويف، وفي سنة 456م جهز جيش كبير ضد السويف وانتصر عليهم، فأصبحت كل شبه جزيرة إيبيريا تحت حكم القوط عدا جليقية، وبلغت حكم القوط أوج ازدهارها ووضع قانوناً مكتوباً لشعب يعتمد على العرف والعادات، ويعرف بقانون بوريك. (2)

شبه الجزيرة الإيبيريا في بداية القرن السادس للميلاد كانت تحت قيادة سياسة واحدة لأول مرة في تاريخها، وهذه أول مرة تحكم حكماً مركزياً. (3)

تغيرت الأحوال وأصبحت إسبانيا في عهد ملوك القوط مقسمة بين البيزنطيين والسويف والإغريق والبشكنس وغيرهم، كل واحد يسعى خلف العرش، لذلك كان معظم الملوك قتلوا على أيدي الثائرين عليه. (4)

بعد بضع سنوات بدأ الإمبراطور البيزنطي بإعادة إحياء الإمبراطورية الرومانية في منتصف القرن السادس الميلادي، توجه نحو إفريقيا ثم إيطاليا ونجح بإعادتهما، ثم تطلع نحو إسبانيا، فبسط نفوذه على جنوبي وشرقي البلاد، ظلت حكم البيزنطيين على إسبانيا حوالي سبعين عاماً بين مد وجزر، أما الملك القوطي سعى باسترداد ما احتله البيزنطيون وسيطروا في عام 585م. (5)

(1) طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص 17-18. حتاملة، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة، ص 50.

(2) حتاملة، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة، ص 50-51.

(3) ننعني: الدكتور عبد المجيد ننعني، تاريخ الدولة الأموية في الأندلس- التاريخ السياسي، ط 1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت- لبنان، ص 16.

(4) حتاملة، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة، ص 52.

(5) راجع: شاكراً مصطفى، الأندلس في التاريخ، ص 12-13. العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص 30-31. طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص 19. حتاملة، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة، ص 51.

في القرن السابع الميلادي كانت إسبانيا تشهد الخلافات والمؤامرات متلاحقة أدت إلى انحلال وضعف دولة القوط، وظهر الإنحلال السياسي بين أفراد الطبقة الحاكمة، حاول بعض الملوك الخروج من طبيعة التنظيم القبلي حسب اختلاف فيما بينهم الطامعين للعرش، (1) فقد كان العرش للأقوياء، (2) حتى بدأت سلسلة المؤامرات والاعتياالات والحروب اضطرابات في سبيل الوصول إلى العرش. (3)

فكثير من الملوك حاولوا أن يقيموا نظاماً ملكياً وراثياً لكنهم فشلوا، وللملك شروط عندهم، منها: أن يكون ملكاً من أصل قوطي نبيل، ويتمتع بأخلاق حسنة، وهو من بين النبلاء، ولكن في الحقيقة الأقوى كان يصبح ملكاً، والمملك يكون هو القائد الأعلى للجيش وله خيار في تعيين أو عزل عن المناصب العسكرية والسياسية والدينية، يتصرف المناسب في أمور البلاد كما يشاء، وله مجلس من النبلاء في الحكم، يصدرن القوانين وينفذونها ويقضون في الأمور كما يريدون. (4)

ساعات الأحوال السياسية في بلاد الأندلس وذكر المؤرخون بعض حوادث الاعتداءات على النساء، (5)

(1) اختلاف بين طبقة النبلاء بدأت في عهد الملك إينجيكما حكم من عام 680-700م، وسبب إختلاف هو تعين ابنه غيطشة ولياً للعهد وأشركه معه في الحكم دون النظر إلى قانون الانتخاب، وعندما تولى الحكم إلى غيطشة الأمور قد اضطرت وظهرت المؤامرات المتتالية ضده التي دبرها كبار القوط، ولكن أن غيطشة كان عادلاً في حكمه، وتوحد رجال الكنيسة مع رجال السلطة، لكن المعاندون دبروا لإسقاطه ثورة بعد ثورة، وكانت الظروف صعبة والبلد في مشنق بين رجال الدين والنبلاء. (بدر، دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها من الفتح حتى الخلافة، ص 10. مؤنس، فجر الأندلس، ص 12، 15. سالم: السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي وحتى سقوط الخلافة بقرطبة، نشر مؤسسة شباب الجامعة- الإسكندرية، عام 1999م، ص 85 وما بعدها. عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ص 32).

(2) تاريخ القوط مملوء من المؤامرات والحروب والاعتياالات، وما يستطيع أحد أن يصل إلى الحكم دون تراق الدماء، لم يستثنى منهم أي ملك إلا ملكين هما: ششبرت (Sisiberto) الذي حكم من سنة 612-621م، استولى على شبه جزيرة الأندلس كاملة، والمملك آخر هو شندا سفتنو (Chindaswinto) الذي حكم من عام 649-672م ترك دينه الأريوسي وأمرهم بإعتناق المذهب الكاثوليكي، ونجح بوحدة الشعب المتنافرة. (راجع: مؤنس، فجر الأندلس، ص 10 وما بعدها. سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي وحتى سقوط الخلافة بقرطبة، ص 63).

(3) طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص 19. المقرئ التلمساني، نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب، 1/ 265.

(4) انظر: مؤنس، فجر الأندلس، ص 23.

(5) وقد ذكر بعض المؤرخون أن يوليان حاكم طنجة وسبته ارسل ابنته فلورندا إلى بلاط الملك القوطي رودريك أو لذريق في طليطلة حسب عاداتهم، أما فلورندا وقعت في الحب مع ألفونس وهو أحد أعضاء القصر، ولكن لذريق رآها وكانت تتمتع بحظ وافر من الجمال، فاعتدى عليها وامتناعها عن ألفونس، فكتب إلى أبيها فأعضبه ذلك، فكتب إلى موسى بن نصير باطاعة واستعدعاه إليه، ووصف له بلاد الأندلس ودعاها إليها وذلك آخر سنة تسعين الهجري. (ابن القوطية: أبو بكر محمد بن عمر بن القوطية (ت: 367هـ/977م)، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط 2، دار الكتاب المصري - القاهرة، دار الكتاب اللبناني بيروت، عام 1410هـ/1989م، ص 34. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 4/ 267).

وكانت عادة عند الأسر النبيلة أنهم يبعثون أولادهم الذكور والإناث إلى القصر في مدينة طليطلة يكونون في خدمة الملك، ويتأدبون بآداب وعادات القصر، فإذا بلغوا الحكم أنكح بعضهم بعضاً، وكان أحد حكام المنطقة أرسلت ابنته إلى القصر، واعتدى عليها ملك، فطلب حاكم المنطقة المساعدة من المسلمين في إفريقية وأعلن باطاعة واستدعاه، فعب المسلمون البحر ودخلوا بلاد الأندلس. (1)

خامساً: الأحوال الاجتماعية في الأندلس قبل الفتح الإسلامي:

كان المجتمع في الأندلس قبل الفتح الإسلامي تكوّن من عدة طبقات متباينة الحال ومختلفة الطبائع، منها طبقة النبلاء، وكان يتكون من الحكام القوطية الذين يعدون أنفسهم أعلى الناس، وطبقة رجال الدين، فكانت تضم فيها سلالة القوط الفاتحين وطبقة النبلاء الرومان، فهي طبقة تتمتع بكل الامتيازات الاجتماعية في الحكم والثراء والإقطاعات الكبرى، وكل المجتمع في خدمة هذه الطبقة، وكذلك كان لرجال الكنيسة شأن كبير في الدولة، وكل الأمور كانت بأيديهم، وهي طبقة كبيرة وغنية تمتلك الأراضي الزراعية كبيرة، لذلك كانت تسيطر روحياً على نفوس الناس، وعندهم قدرة في المجتمع لا للغير إلا النبلاء، كما أن رجال الكنيسة ينظرون لمصالحهم الخاصة فقط لا لتحسين أحوال الناس، ولا يستطيع أحد أن يعترض عليهم. (2)

وأما الشعب تحت حكم القوط فكان طائفتين منفصلتين، إحداهما طائفة العبيد أو أخلاس الأرض أو الأفتان - جمع قن وهو عبد الأرض-، وكان للسيد حق على العبيد حق الحياة أو الموت، القانون والعرف لا يمنعانه من قتله ولا من تعذيبه، وللسيد حق أن يدخلوا بأنفسهم وعائلاتهم، (3) وليس لأي أحد حرية الزواج دون موافقة سيده، فإذا فعل يفصل عنه زوجه، وعندما كان يتزوج بسيدة من غير طبقة تقسم الذرية كاملة بين طبقتين. (4)

أما طائفة الثانية كانت تسمى الطبقة المتوسطة وأفرادها سكان المدن الأحرار، وقد لاقت هذه الطبقة من

(1) راجع: جرجي زيدان (ت: 1332هـ/ 1914م): فتح الأندلس، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- مصر، عام 2012م، ص 8-9. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 34. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 4/ 267.

(2) انظر: سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي وحتى سقوط الخلافة بقرطبة، ص 63 وما بعدها.

(3) حموده، تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي، ص 35-36.

(4) Dozy: Reinhart Pieter Anne Dozy, Spanish Islam, translated with a biographical introduction and additional notes by Francis Griffin Stokes, published Chatto Windus- London 1972, p 226.

سفك العيش ما كان شرا مما يلاقه العبيد ذلك بأن عبء الضرائب كان يقع عليهم فهم الذين يدفعون الأموال ليعثرها الحكام والأشراف في لذائذهم. (1)

أن بلاد الأندلس عند مقدم المسلمين كانت في حالة سيء، هناك خمس طبقات اجتماعية، منها: طبقة النبلاء، ورجال الدين، والأحرار، الأقبان والعبيد، واليهود. النبلاء معظمهم كانوا من القوط، ويشكلون مع رجال الدين الطبقات العليا، الرومان كانوا يشكلون الثلث وتمتعوا إلى جانب الأمور القضائية، وشاركوا أيضا في عضوية المجمع الديني والمجلس الملكي. ومعظم الناس يعيشون في شقاء وسلب الحقوق. (2)

إذاً فالحالة الاجتماعية كانت أسوأ في الأندلس، لأن المجتمع إذا كانت متكونة على الطبقة والتفرقة والعرقية أو الطائفية، فليس للمجتمع أن يسود حياته أو أن يتقدم في الأمور الاجتماعية، لأن هناك طبقات متسلطة على رقاب الضعفاء، الذين كانوا يسخرون لخدمة النبلاء ورجال الدين، وكانت لا تحفى عنهم عدالة المسلمين في جوارهم شمال إفريقية، فكانوا يتشوقون إليهم حتى ذهب المسلمون لتخلص الضعفاء من مشنقة الأقباء.

سادساً: الحالة الاقتصادية في الأندلس قبل الفتح الإسلامي:

الفينيقيون كانوا تجاراً استوطنوا الأندلس واستولوا على التجارة البحار، واحتلوا بعض الأقاليم على شواطئ البحر الأبيض المتوسط، وكان اليهود يعملون بالتجارة وزراعة الأراضي الأندلسية، عند اليهود التجارة والزراعة مهمة عن كل شيء. (3)

دام الحروب في الأندلس وهدمت الحالة الاقتصادية للبلاد، ومن قبل الحكام فكانت الضرائب تفرض على أصحاب الأملاك، غير طبقة النبلاء، وكانت الضرائب فادحة للغاية وتفرض على الأراضي الزراعية والأموال التجارية

(1) حموده، تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي، ص 35-36.

(2) راجع: كحيلية: الدكتور عبادة بن عبد الرحمن رضا كحيلية، تاريخ النصارى في الأندلس، ط 1، دار السعادة طبعة الزيتون، عام 1414هـ/1993م، ص 11. الحجى: الدكتور عبد الرحمن علي الحجى، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (92-897هـ/711-1492م)، ط 2، دار القلم- دمشق، عام 1407هـ/1987م، ص 29.

(3) راجع: حاطوم، موجز الحضارة، ص 236. شاكر مصطفى، الأندلس في التاريخ، ص 9-10. العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص 23. طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص 17. حاييم الزعفراني، يهود الأندلس والمغرب، ص 44-45.

وعلى رؤوس الأشخاص. (1)

كان الملوك يفرضون الضرائب الكبرى على أعدائهم نوعاً من العقاب المباشر، وأيضاً تفرض الضرائب على الضعفاء بإسم الضرورة وأمن الدولة، (2) لأن هذه الأعمال من جانب الحكام لم تكن الوسيلة لكسب محبة الناس، ولكن الناس متنفرون عنهم وعن الدولة. (3)

الاقتصاد في الأندلس كان يعتمد على الزراعة، ورعي المواشي والمعادن والتجارة، أهل الأندلس كانوا يزرعون الحبوب والقمح، لكن لقلة خصوبة الأرض والظروف المناخية هم عجزوا زراعة الحبوب الكافية، لذلك واجه أهل الأندلس في بعض الفترات القحط، وكانوا يعتمدون على واردات القمح من شمالي إفريقيا. وفي بعض إقليم البلد أشجار الصنوبر الكثيرة وفي بعضها تغطيها أشجار الزيتون وصناعة زيت منه، كميات الزيت المنتجة كانت تزيد عن حاجات الناس فيصدر منه إلى أنحاء العالم الإسلامي، وكانوا يزرعون الفواكه مثل الأعناب الكرز والتفاح واللوز والرومان الموز وخاصة التين الذي اشتهرت منه أنواع عديدة في الأندلس، وأيضاً كانوا يزرعون الأعشاب العطرية والنباتات التي تدخل في صناعة الأقمشة مثل الزعفران والعصفر والكمون والكزبرة والفوة والحناء إضافة إلى الكتان والقطن. الحيوانات للركوب عندهم الخيول والبغال، وكانت الماشية والأغنام والماعز تربي في كل مكان للإفادة. (4)

وفوق ذلك أرض الأندلس غنية من حيث المعادن، والأندلس بقعة كريمة طيبة كثيرة الخيرات، وفيها معادن الذهب والفضة والنحاس والرصاص والزبيق واللازورد والشب والتوتيا وغيرها. (5)

ضعفت الحالة الاقتصادية في الأندلس قبل الفتح الإسلامي حتى وصلت البلاد إلى أسوأ الأزمان الاقتصادية، وكان أهم أسباب هي: اضطهاد طبقات العليا على الشعب، وذلك بدفع الضرائب ما لا يطيق،

(1) انظر: ذنون طه، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، ص 79 وما بعدها.

(2) في عهد لذريق آخر ملوك القوط أصبحت الدولة في حاجة للمال، فاضطر أن يفرض ضرائب جديدة، وزاد فقر الفقراء، ولكن مع كثرة هذه الضرائب فإنها لم تكف لتغضية أطماع لذريق، فبسط يده إلى كنوز الكنائس الشهيرة، مما أثار عليه غضب رجال الدين، فأدى هذا إلى نفور كثير من النبلاء عن ملك لذريق، فدمر كل شيء فتخلف وراءها الأمراض والمجاعات، ويصحبها دائماً عدم الاستقرار في كل مجالات الحياة البشرية. (راجع: علي حبيبة، مع المسلمين في الأندلس، ط 2، دار الشروق - جدة، بدون تاريخ، ص 78، 82. بدر، دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها من الفتح حتى الخلافة، ص 12).

(3) علي حبيبة، مع المسلمين في الأندلس، ص 82.

(4) كولان، الأندلس، ص 99-103.

(5) راجع: الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 1. كولان، الأندلس، ص 103-104.

وتكليفهم بالخدمات العسكرية والدفاع عن الملك والبلد، وبالإضافة إلى سوء أحوال السياسية والحروب الأهلية، والشعب موجه من الجفاف والأمراض حتى كثير من أهل الأندلس هلكوا قبل الفتح الإسلامي. (1)

هكذا كانت أحوال الأندلس الاقتصادية قبل الفتح الإسلامي، فهي أحوال سيئة في جميع النواحي حياتهم سواءً الدينية والمادية، الإستقرار في المجتمع يحرص الإنسان أن ينتج شيئاً في حياته المعيشية، والإستقرار كان مفقوداً في الأندلس بسبب الظلم الذي كان واقعاً في المجتمع من جانب الحكام والنبلاء ورجال الدين وغيرهم.

(1) انظر: النصولي: أنيس زكريا النصولي، الدولة الأموية في قرطبة، ط 1، المطبعة العصرية- بغداد، عام 1926م، ص 13.

الباب الأول

الجهود الدعوية في فتح الأندلس وإقامة الدولة
ونشر الإسلام فيها

هكذا كانت الفتوحات في ميادين الحرب، وكذلك في جانب الدعوة بأسلوب الحكمة والموعظة الحسنة بين الناس، وأكثر سكان شمال إفريقية -البربر- اعتنقوا الإسلام وتحمسوا للجهاد في سبيل الله، وقاموا بحمل هذا الدين إلى جميع البشر، (1) وانضموا إلى الجيش الإسلامي فأصبحوا قوة كبيرة في المنطقة، (2) وفوق ذلك كانت بعض القبائل الذين لم يعتنقوا الإسلام دخلوا في الجيش الإسلامي، لأنهم كانوا يرون العدل والمحبة من المسلمين.

توجه المسلمون نحو الأندلس لإنقاذ أهلها من الظلم والكفر والضلال، وإدخالها تحت حكم الإسلامي، وأصبحت نوراً يضيئ بالسلام ومعلماً من معالم الإسلام ومعبراً من معابر الإسلام إلى أوروبا، لأن الأندلس كانت جزءاً من أمم أوروبا، فأنقذ الله الأندلس بالسلام على أيدي المسلمين الدعاة الفاتحين، ولها إقبال ونهاية في تاريخنا الإسلامي.

(1) انظر: العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص 48. شبارو: الدكتور عصام محمد شبارو، الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود (91- 897 هـ / 710 / 1492 م)، ط 1، دار النهضة العربية بيروت- لبنان، عام: 1423 هـ / 2002 م، ص 62.

(2) في عام 90 هـ / 708 م عهد موسى بن نصير إلى طارق بن زياد بتولى قيادة البربر المسلمين الذين انتظموا في صفوف الجند الإسلامي في منطقة المغرب الأقصى، واتخذ مدينة طنجة مقراً له، وكان حماس هؤلاء البربر إلى الجهاد ونشر الإسلام التي جاء بها المسلمون كبيراً، لذلك لم يكن أمام طارق بن زياد وجنده سوى التوجه نحو الأندلس، لأن البربر كانوا على التواصل الدائم مع السواحل الإسبانية لقرىهما، وكانوا على علم تام عن شبه الجزيرة الإيبيرية. (السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص 23- 24).

المبحث الأول

حركة الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس

بعد إتمام فتح إفريقية توجه المسلمون نحو الأندلس، هو الميدان الجديد الذي ينشر فيه الإسلام، وبداية فكرة فتح الأندلس كانت في عهد عثمان بن عفان -رضي الله عنه-،⁽¹⁾ لكن أول من المسلمين الذين عبر البحر ودخل شبه جزيرة الأندلس برسم الجهاد هو طريف بن مالك المعافري⁽²⁾ مولى موسى بن نصير⁽³⁾ في عام 91هـ/710م.

العمليات الاستطلاعية بقيادة طريف بن مالك المعافري (91هـ/710م):

حكام الأندلس كانوا في صراع حول الحكم، حيث كان حاكم سبتة⁽⁴⁾ يولييان⁽¹⁾ قدم العرض إلى موسى

(1) أرسل عثمان -رضي الله عنه- عبد الله بن الحصين الفهري، وعبد الله بن نافع بن عبد القيس إلى الأندلس، فأتياها من قبل البحر، وكتب عثمان إلى من انتدب معهما: أما بعد: فإن القسطنطينية إنما تفتح من قبل الأندلس وإنكم إن فتحتموها كنتم شركاء من فتحها في الأجر. والسلام. (راجع: الطبري: محمد بن جرير الطبري (ت: 310هـ/922م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، ط 2، دار المعارف - مصر، عام 1384هـ/1964م، 4/254. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 4/83. ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير دمشقي (ت: 774هـ/1373م)، البداية والنهاية، ط 1، مكتبة المعارف - بيروت، عام 1966م، 4/152).

بدأت تحركات المسلمين نحو شواطئ سنة 56هـ/676م افتتح فيها جزيرة شريك وهي جزيرة في البحر المتوسط قرب إفريقية، ومن تمهيد فتح الأندلس كانت غزوة عبد الله بن موسى بن نصير سنة 89هـ/708م، وهي معروفة بغزوة الأشرف، وافتتح في هذه الغزوة جزيرتي ميورقة ومنوقة "هما جزيرتان في البحر الأبيض قرب الأندلس" وجزر أخرى. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2/136. و 5/216، 246. دائرة المعارف الشعب، مطابع الشعب بمصر، عام: 1959م، 2/224).

(2) هو طريف بن مالك، وقيل: بن ملوك النخعي، أو المعافري، وكنيته أبا زرعة، يقال: إنه بربري، ويقال: عربي من أهل اليمن. (المقري التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/254. الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 8).

(3) هو موسى بن نصير بن عبد الرحمن بن زيد اللخمي من التابعين، ولد في سنة 19هـ/640م في خلافة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، تولى في الخلافة الأموية عدة أعمال كان آخرها ولاية إفريقية وفتح الأندلس، توفي في سنة 97هـ/716م. (انظر: شبت: الدكتور شبت خطاب، قادة فتح المغرب، ط 2، دار الفكر، عام 1393هـ، 1/221. الضبي: أحمد بن يحيى بن عميرة الضبي (ت: 599هـ/1202م)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق: روحية عبد الرحمن السويفي، ط 1، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، عام 1997م، ص 424).

(4) سبتة: بفتح السين وسكون الباء، مدينة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط في شمال المغرب الأقصى وهي عبارة عن شبه جزيرة في مضيق جبل طارق وتقابلها الجزيرة الخضراء بالأندلس وفي الشرق مدينة مدبونة، وهي مدينة مشهورة تعتبر من قواعد بلاد المغرب العربي. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، 3/182. أبو الفداء: عماد الدين إسماعيل (ت: 732هـ) تقويم البلدان، دار صادر - بيروت، عام 1820م، ص 58. ابن بطوطة: محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ت: 799هـ/1377م)، تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار - المعروف برحلة ابن بطوطة، شرحه وكتبه همامه: طلال حرب، ط 2، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، عام 1413هـ//1992م، ص 171، 172).

بن نصير للفتح، (2) فكتب موسى إلى الوليد بن عبد الملك (3) وأخبره بأحوال الأندلس، فأجابته: "إن خضها بالسرايا حتى تختبر ولا تغرر بالمسلمين في بحر شديد الأهوال"، (4) واتبع موسى الأوامر من قبل الخليفة، ففي شهر رمضان سنة 91هـ/710م بعث موسى بن نصير طريف بن مالك أن يعبر البحر ومعه خمسمائة جند، جاز البحر في أربعة مراكب، نزل المسلمون في جزيرة اسمها بالوماس (5) واجتمعوا بجماعة من مؤيدي الملك السابق غيطشة (6) وأحد أحبار اليهود، وكان آل غيطشة معارضة للملك لذريق، (7) وشن طريف بن مالك بتلك الجزيرة عدة حملات استطلاعية ناجحة على سواحل الأندلس الجنوبية والجزيرة الخضراء، ودرس خلالها من تحصيناتها وأوضاع سكانها

(1) يليان أو يوليان: كان حاكماً لمدينة سبتة وماجاوروها للدولة الرومانية، لما هزم الروم ارتبط يوليان بالقوط وكان يتلقى الإمدادات منهم ضد المسلمين، وثم لصالح المسلمين حتى أسلم. (راجع: مؤنس، فجر الأندلس، ص 62. مؤلف مجهول (عاش في قرن 4هـ/10م)، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بما بينهم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط 2، دار الكتاب اللبناني، عام 1988م، ص 4).

(2) أن يوليان حاكم سبتة توجه بنفسه للقاء طارق بن زياد حاكم طنجة وعرض عليه المساعدة في دخول الأندلس، فذهبوا به إلى موسى بن نصير وكان مقيماً في القيروان، فرحب بهذا العرض. (راجع: ابن عبد الحكم: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الحكم بن أعين القرشي المصري (ت: 287هـ/900م)، فتوح مصر وأخبارها، تحقيق وتقديم: محمد الحجيري، ط 1، دار الفكر بيروت- لبنان، عام 1996م ص 90. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 8).

(3) هو الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك بن مروان، ولد سنة 45هـ/665م، وتولى الخلافة بعد أبيه سنة 86هـ/705م وبلغت الفتوحات الإسلامية في عهده أعظم مبلغ، وكانت مدة خلافته كلها خير على الأمة الإسلامية، وتوفي سنة 96هـ. (راجع: الذهبي: الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: 748هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعلي أبو زيد، ط 7، مؤسسة الرسالة بيروت، عام 1411هـ/1990م، 4/374).

(4) مؤلف مجهول، أخبار المجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم، ص 6.

(5) جزيرة لاس بالوماس التي سميت فيما بعد بجزيرة طريف. (حتملة، مدخل لدراسة تاريخ الأندلس، ص 42).

(6) غيطشة: هو ابن الملك وامبا وتولى الحكم سنة 77هـ/696م، ويعتبر عصره العصر الهام في التاريخ الإسباني، لأنه شهد فوضى أدت إلى تسهيل الطريق أمام المسلمين. (المقري التلمساني، نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب، 1/266. النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت: 733هـ/1332م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: عبد المجيد الترحيني، ط 1، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، عام 1424هـ/2004م، 24/44)

(7) لذريق أو الأدرينوق: اختار النبلاء والقساوسة لذريق وهو ليس من الأسرة الملكية لتولي العرش، وأقاموه ملكاً على إسبانيا، وخلع الملك بالقوة عن العرش، وعندئذ انقسم الجيش والحكومة بينه وبين للملك المخلوع، ولم يرض أتباع الأسرة الملكية على حكمه، وهم ينتظرون الفرصة ليعيد إليهم العرش. وقتل في معركة وادي لكة عام 92هـ/711م. (راجع: السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص 21. العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص 54. مؤلف مجهول، أخبار المجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم، ص 4. المقري التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/233. ابن عذاري: أبي العباس أحمد بن محمد بن عذاري المراكشي (ت: 712هـ)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج. س كولان وأ. ليفي برونسال، ط 2، دار الثقافة بيروت- لبنان، عام 1983م، 2/3).

وعلاقتهم بالحكام القوط، عاد سالماً غانماً منتصراً في نفس الشهر إلى طنجة. (1)

هذه هي بداية فكرة فتح الأندلس، والأسباب التي دفعت المسلمين إلى عبور المضيق لها علاقة دينية وجغرافية وسياسية واجتماعية لأوضاع السكان الذين عاشوا قبل الفتح، من أهم أسبابها ما يلي:

أولاً: إن مهمة الأمة الإسلامية هي الدعوة إلى الله عز وجل: اختارها الله أن تكون حاملة لهذا الدين إلى الناس كافة، ليخرج الناس من الظلمات والكفر والعصيان إلى العدل والإسلام والطاعة، كما قال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ نَزَّلْنَا نَارًا مِّنَ السَّمَاءِ عَلَىٰ مِصْرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَنزَلْنَا فِيهَا توراتَهُمْ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ اللَّاتِي بَيَّنَّا لِقَوْمِهِمْ فِي الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّهُمْ قَوْمٌ مُّشْرِكُونَ﴾ (2) وقال أيضاً: ﴿ثُمَّ نَزَّلْنَا فِيهَا توراتَهُمْ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ اللَّاتِي بَيَّنَّا لِقَوْمِهِمْ فِي الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّهُمْ قَوْمٌ مُّشْرِكُونَ﴾ (3).

وكانت أخلاق وعادات المسلمين وسيلة في دعوتهم إذا فتحوا قطراً نشروا فيه الإسلام، والإسلام دين عالمي لكل البشر، كما قال النبي ﷺ: "أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي ... وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة". (4)

فيجب على الأمة الإسلامية الدعوة إلى الله والحرص على هداية الناس، لأجل رغبة في ثواب الله، كما انطلق الصحابة ومن بعدهم التابعون-رضوان الله عليهم أجمعين- مشارق الأرض ومغاربها لتنفيذ أوامر الله ورسوله في الدعوة إلى هذا الدين الحنيف.

ثانياً: تأمين حدود المسلمين من الأعداء: أن القوط قد أظهروا عداوتهم للإسلام وبدأت اعتداءاتهم لإيقاف الدعوة الإسلامية، وقاموا بمؤامرات ضد المسلمين (5) عن طريق اتصال حضاراتها القديمة في إحدى العدوتين وهما

(1) راجع: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 5-6. المقري التلمساني، نفتح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، 1/ 229-230. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 4/ 269. الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 8. مؤلف مجهول، أخبار المجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم، ص 6.

(2) سورة آل عمران، رقم الآية: 110.

(3) سورة إبراهيم، رقم من الآية: 1.

(4) جزء من حديث رواه الإمام البخاري في صحيحه. (الإمام البخاري: أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت: 256هـ)، الجامع المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه المشهور بصحيح البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، ط 1، المكتبة السلفية- القاهرة، ط 2، دار سحنون- تونس، كتاب التيمم، 1/ 86).

(5) عند فتح إفريقية من عام 76-85هـ/ 695-705م واجه جيش الإسلامي البربر والروم، لكن تفرق المسلمون الروم عن البربر وجعل وجهته الأولى

ت ت ت ت □، (1) وبدأ موسى بن نصير بتجهيز الجيش بأمر من الخليفة بقيادة طارق بن زياد (2) وأعد لهم السفن للعبور وذلك كانت سنة 92هـ/711م، وهي بداية نشر الدعوة المستقرة في بلاد الأندلس. (3)

أهمية هذه الحملة الاستطلاعية في الفتح:

- أول خطوة جديّة على طريق العبور إلى الأندلس التي رسم موسى بن نصير بدقة وبراعة.
- توثيق صدق يوليان لمساعدة المسلمين.
- كشف قوة المقاومة في الأندلس والاستعداد لها.
- إقناع موسى بن نصير في تسهيل العبور والنزول على شاطئ دون أي أخطار بحرية جديّة.

فقرر موسى بن نصير حسب هذه المعلومات الدقيقة بتنفيذ عملية الغزو. (4) وبناءً على ذلك كان موسى بن نصير من أعظم رجال الحرب والإدارة، حيث ظهرت براعته الإدارية في جميع المناصب التي تقلدها وبراعته الحربية في جميع الحملات البرية والبحرية التي قادها. (5) كما أنه صالح لقيادة المسلمين في الإدارة والحرب.

وبين ملكك لذريق حمية الجاهلية واتفق الدين، فجز إليه بنفسك وشن الغارة على بلاده، واقطع ما بينك وبينه، وإذ ذاك تطيب النفس عليك، ونحن من ورائك إن شاء الله". فانصرف يوليان وحشد جيوشه، فسبا وقتل وغنم ورجع وقد امتلأت أيديهم خيراً وشاع في كل قطر فتحمس الناس للغزو. (ابن الكردبوس: أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس التوزري (عاش في أواخر القرن السادس الهجري الموافق الثاني عشر الميلادي)، تاريخ الأندلس، هو قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق: الدكتور أحمد مختار العبادي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مجلة مدريد سنة 1965م، 13/54).

(1) سورة الحجرات، رقم من الآية: 6.

(2) هو طارق بن زياد بن عبد الله بن ولغو بن رفجوم بن نبرغاسن بن ولهاص بن يطوقت بن نفزو، فهو نفزي، وقيل إنه فارسي همزاني، وقيل إنه بربري نفزي، والأخير هو الصحيح، وكان فاتح الأندلس ومن قواد المسلمين العظماء، وكان شجاعاً ولاءه موسى على طنجة بعد فتحها عام 85هـ/704م، وكان طارق من الدعاة الذين نشروا الإسلام بين قبائل البربر حتى تحولت جميع معابدهم الوثنية إلى المساجد. (راجع: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 1/43 و 2/5. الذهبي، سير أعلام النبلاء، 4/500. المقري التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/230)

(3) راجع: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 4/468. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 4/556. ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون (ت: 808هـ/1405م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر - بيروت، عام 1958م، 4/117. ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/4.

(4) طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص 35.

(5) المقري التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/133، 134.

الفتح الإسلامي واستقرار المسلمين في الأندلس:

المسلمين يعد فتح الأندلس من أعظم الفتح التي قام بها المسلمون في القرن الأول الهجري، ونظراً للسرعة التي تم بها، لأن القادة المسلمين استفادوا في الوقت المناسب من ضعف مملكة القوط في الأندلس، وأنهم حصلوا تعاوناً من الإسبان الذين كانوا في عبودية القوط، اشتد عزم موسى أن يفتح أراضي جديدة على الجانب الآخر وراء البحر.

حملة طارق بن زياد (92-93هـ / 711-712م):

بعد عودة طريف بن مالك سالماً وثق موسى بن نصير بحليفه يوليان فبدأ بتجهيزات الجيش، لما تم تجهيز الجيش أرسل ثلاثمائة من قادة العرب الأشراف وسبعة آلاف جند معظمهم من البربر نحو الأندلس في أول الأمر، واختار لها أحسن قادة وأشد ثقة به هو طارق بن زياد، وأنشأ له مجلساً استشارياً لمساعدته في إدارة العمليات العسكرية ومعظم أعضاء المجلس من العرب، (1) عبروا المضيق في 5 رجب سنة 92هـ الموافق 28 نيسان سنة 711م، على متن سفن المسلمين وسفن تجارية قدمها يوليان. (2)

لكن المسلمين كانوا أصحاب الأسطول البحري، لأنهم بذلوا نشاطاً بحرياً استعداداً لمثل هذا الفتح الذي يتطلب إنشاء القواعد وبناء الأساطيل البحرية وإرسال السرايا الاستطلاعية، (3) واستعانوا ببعض سفن حليفهم يوليان، ولكنهم اعتمدوا في الدرجة الأولى على القوى البحرية الذاتية في سبيل تحقيق هذا الفتح الكبير الذي اقتحم أوروبا لأول مرة في تاريخ الفتح الإسلامي. كما قال الله ﷻ: ﴿كُؤُؤٌ وَؤُؤٌ وَؤُؤٌ﴾. (4)

(1) المجلس الاستشاري لمساعدة طارق بن زياد مكون من معظم عناصر العرب مثل: عبد الملك بن أبي عامر المعافري، ومغيث الرومي مولى الوليد بن عبد الملك، وعلقمة اللخمي وغيرهم لأجل ما يؤكد حرصه على نجاح خطة الفتح. (شبارو، الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود، ص 67).

(2) راجع: الثعالبي: أبو منصور عبد الملك بن محمد النيسابوري الثعالبي (ت: 429هـ / 1038م)، تاريخ شمال إفريقيا، تحقيق: أحمد بن ميلاد ومحمود إدريس، دار الغرب الإسلامي بيروت، عام 1987م، ص 29، 30. ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 6. المقري التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 254.

(3) اعتمد المسلمون في مساندة الحملات البرية لفتح المغرب على سفن مصر سنة 89هـ / 708م، عندما أسسوا داراً لصناعة الأسطول في تونس بفضل الخليفة عبد الملك بن مروان الذي أوعز إلى حسان بن النعمان. ثم استكمل موسى بن نصير بناء دار الصناعة، وقد ساعده في ذلك جماعة من أقباط مصر. (ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون (ت: 808هـ / 1405م)، المقدمة ابن خلدون، نشر دار إحياء التراث العربي - بيروت، 2/ 628. السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت - لبنان، عام 1969م، ص 32).

(4) سورة الأنفال، رقم من الآية: 60.

لما وصل طارق إلى شاطئ من عدوة الأندلس حاملاً لواء الإسلام معلياً رايته وبشائر النصر تحثهم على السير قدماً، وجد المقاومة الأولى فمنعته من النزول في أسهل الأماكن حتى عدل عنه إلى مكان وعراً ليلاً فوطأه للنزول فيه، فنزل طارق بن زياد مع جنوده أمام جبل كالي المنيع (منذ ذلك الحين يعرف بجبل طارق) (1) واتخذ مركزاً لقواته وقاعدة للانطلاق وتأمين جنوده ضد أي هجوم من جانب الإسبان، وسور تلك المنطقة وحصنها يسمى سور العرب، (2) ثم انطلق للعمليات ففتح قرية إلى الشمال من الجبل تسمى قرطاجنة ثم الجزيرة الخضراء وقضى على إحدى السرايا القوطية، (3) وذلك قبل المعركة الحاسمة.

كتب القائد القوطي إلى ملكهم قائلاً: "إن قوماً لا يدري أم من أهل الأرض أم من أهل السماء قد وطئوا إلى بلادنا وقد لقيتهم، فلتنهض إليّ بنفسك". (4)

الخطاب من القائد القوطي يدل على أن طارق بن زياد كان منتصراً عليهم، وهذه الانتصارات حققت تثبيت أقدام المسلمين على أرض الأندلس.

توجه الملك القوطي لذريق ومعه أمم الأعاجم عددهم مائة ألف من المقاتلين نحو طارق بن زياد، (5) وقال الحميري: "إنهم سبعون ألف"، (6) وذكر ابن خلدون (7): "أربعين ألفاً من المقاتلين"، (8) لما سمع طارق بزحف ملك

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 4/ 267.

(2) راجع: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 9. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 4/ 122. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 9.

(3) راجع: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 35. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 4/ 122. النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 24/ 46-47. ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس، 2/ 8.

(4) المقرئ التلمساني، نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب، 1/ 240. الحجى، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ص 52.

(5) راجع: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 4/ 268. المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 231.

(6) الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 10.

(7) هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون أبو زيد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، ولد سنة 732هـ/ 1332م بإشبيلية ونشأ بتونس، ثم رحل إلى الأندلس وطم إلى مصر، وتولى له عدة مناصب، منها قضاء المالكية بمصر، وهو صاحب التاريخ المعروف، وتوفي في القاهرة سنة 808هـ/ 1406م. (الزركلي: خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي الدمشقي (ت: 1396هـ)، الأعلام، ط 5، دار العلم للملايين - بيروت، عام 2002م، 4/ 106).

(8) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، 4/ 117.

القوط إليه كتب إلى موسى بن نصير وطلب منه المدد، فأرسل موسى بن نصير إلى طارق بن زياد خمسة آلاف من الجنود بقيادة طريف بن مالك، فبلغت قوة المسلمين بوصول هذه الدفعة الثانية إثني عشر ألفاً⁽¹⁾ "ولن يغلب اثني عشر ألفاً من قلة"⁽²⁾ ومعهم يوليان صاحب سبته يدلهم على عورة البلاد ويتجسس لهم الأخبار.⁽³⁾

فالتقى الجيشان على واد لكة⁽⁴⁾ من أعمال شذونة⁽⁵⁾ في يوم الأحد 28 رمضان سنة 92هـ الموافق 19 يوليو سنة 711م أي بعد ثلاث وثمانين يوماً من عبور للمضيق، بدأت المعركة واستمرت ثمانية أيام، وقتل خلق عظيم من جيش لذريق، كان في جيشه أبناء ملك غيطشة الذي كان قبله واتفقوا على الهزيمة بغضاً لذريق،⁽⁶⁾ وقالوا: "إذا امتلأت أيديهم من الغنيمة عادوا إلى بلادهم وبقي الملك لنا فانهموا"، وهزم الله لذريق ومن معه وغرق لذريق في النهر.⁽⁷⁾

تعد معركة وداي لكة إحدى معارك الفاصلة في فتح الأندلس، القوط بذلوا جهدهم لوقف الزحف الإسلامي وحاربوا بشجاعة، لكن الخيانة أدت دوراً مهماً في إضعاف قواته التي لم تعرف الانسجام أصلاً، ودمرت القوة الميدانية

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 6/ 408.

(2) جزء من حديث وهو قول رسول الله ﷺ: "خير الصحابة أربعة، وخير السرايا أربعمائة، وخير الجيوش أربعة آلاف ولن يغلب اثنا عشرة ألفاً من قلة". (الإمام أحمد: أبي عبد الله أحمد بن حنبل (ت: 241هـ/ 856م)، المسند المشهور بـ مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وغيره، ط 1، مؤسسة الرسالة، عام 1421هـ/ 2001م، 1/ 299. أبو داود، سنن أبو داود، تعليق: عزت العباس، ط 1، عام 1391هـ، 3/ 82 كتاب الجهاد، وقد صححه الشيخ ناصر الدين الألباني في سلسلة الحديث الصحيحة، 2/ 719، رقم: 986).

(3) راجع: المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 232-233. طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص 38. دوزي، المسلمون في الأندلس، 1/ 44.

(4) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، 2/ 34.

(5) شذونة: مدينة بالأندلس من أعمال إشبيلية وقريبة منها، ذات تراب خصب كثير جداً ومرافق عظيمة المنافع في البر والبحر ولها مدن كثيرة ومعقل لا ترام لمنعها. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، 3/ 229. مؤلف مجهول، جغرافية وتاريخ الأندلس، تحقيق: الدكتور عبد القادر بويابة، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، عام 1971م، ص 152).

(6) أبناء غيطشة هم المند، وارطباش، ووقلة وكانوا على جناحي الجيش الإسباني، وكان معظم رجالهما من العبيد الذين استجابوا لأوامر سادتهم. (راجع: دوزي، المسلمون في الأندلس، 1/ 45. المقرئ التلمساني، نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب، 1/ 266)

(7) راجع: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 4/ 268-269. المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 233، 243. ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 11. مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، ص

للجيش القوطي وأفقد القدرة على دفاع المدن الكبرى، أما بالنسبة للمسلمين كانت فتح معركة وادي لكة بمثابة الباب الواسع الذي دخل منه المسلمون إلى الأندلس، استشهد فيها من المسلمين حوالي ثلاثة آلاف وأما قتلى القوط كانوا أضعاف ذلك لأن الذين نجوا من المعركة وفروا كان عددهم قليل، وغنم منهم الأموال والمؤون والمتاع في معسكرهم، فأصاب كلاً منهم مائتان وخمسون ديناراً. (1)

بعد هذا النصر العظيم وجد طارق بن زياد أبواب الأندلس قد فتحت أمامه ولا يتركه دون الفتح، فقد استمر في الفتح حيث توجه بجيشه إلى مدينة استجة، (2) لأن هناك تجمعت الجيش القوطي الهارب ومعهم أهلها، (3) وكانت استجة مدينة حصينة، هاجم عليها طارق بن زياد وظفر بها صلحاً. (4)

لما أدرك الإسبان أن المسلمين قد جاءوا فاتحين مستقرين في البلاد فهربوا إلى الحصون والمعازل، ولجأ كبارهم إلى العاصمة طليطلة، فقد وزع طارق جيشه على أربع فرق تتولى كل فرقة فتح منطقة، فتوجه فرقة إلى قرطبة (5) والفرقة إلى مالقة (6) وقرفة إلى كورة إلبيرة (7)، وسار طارق بمعظم الجيش إلى طليطلة عاصمة القوط، حتى لا يتمكن العدو من استرداد قوتهم، ففتحت وأمنت كل هذه الفرق الجهات التي وجهت إليها ثم لحقت بطارق في طليطلة. (8)

جيش طارق بن زياد كان يتوجس من مهاجمة طليطلة عاصمة الدولة القوطية، ولا بد أن تكون مليئة بالجيش

(1) انظر: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 8. المقرئ التلمساني، نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب، 1/ 243.

(2) استجة: كورة بالأندلس تبعد عن قرطبة عشرة فراسخ وهي تقع غرب قرطبة. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، 1/ 174).

(3) حتاملة: الدكتور محمد عبده حتاملة، موسوعة الديار الأندلسية، عمان، عام 1999م، 1/ 56.

(4) راجع: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 4/ 268. المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 244. ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 8-9. مؤلف مجهول، أخبار المجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم، ص 9.

(5) قرطبة: هي مدينة عظيمة بالأندلس وسط البلاد، وعاصمة ملكها من سنة 97هـ/ 716م وحتى نهاية الحكم الأموي في الأندلس سنة 422هـ/ 1031م، وكانت معدن الفضلاء ومنبع النبلاء بينها وبين البحر خمسة أيام. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4/ 324).

(6) مالقة: هي مدينة في الأندلس من أعمال رية، ومتصلة بالجزيرة الخضراء. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، 5/ 43).

(7) إلبيرة: كورة كبيرة بالأندلس تشمل عدة مدن، وتقع شرقي قرطبة تبعد عنها تسعين ميلاً. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، 1/ 244).

(8) راجع: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس، 2/ 9. النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 24/ 48. المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 260-264. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 4/ 122-123. جرجي زيدان، فتح الأندلس، ص 168-169.

والعدة العسكرية، وعندما فتحت بدون مقاومة وجدها خالية ولا يوجد أهلها أيضا. (1) ثم سار حتى وصل إلى وادي الحجارة (2) ففتح تلك المناطق ثم رجع إلى طليطلة. (3) بهذه الطريقة قد كسر طارق جموع الكفر والظلم والعدوان وشق قوتهم من وسطها. كتب طارق بن زياد إلى موسى بن نصير وأخبره بالفتح، فأمره موسى بعد أن أعلم الخليفة الوليد بن عبد الملك بذلك ألا يجاوز قرطبة. (4)

حملة موسى بن نصير (93-95هـ / 712-714م):

توقفت الفتوحات حسب أوامر الخليفة، لكن لا تزال أمام طارق بن زياد بلاد واسعة وأمم كثيرة لم تفتح، وإن سقطت العاصمة القوطي وتفرقت قوتهم، لذلك جاء الدفعة الثالثة بقيادة موسى بن نصير إلى الأندلس، (5) فعبر بجيش ضخم عدده حوالي ثمانية عشر ألفاً في شهر رمضان سنة 93هـ / 712م، وقال عبد الواحد المراكشي: "حدثت في شهر رجب"، (6) كان مؤلفاً من وجوه العرب والموالي وعرفاء البربر وكان فيه عدد من كبار التابعين، (7) وحل بالجزيرة الخضراء ووضع القاعدة هناك، فأمر ببناء أول مسجد في مكان الاجتماع وسمي بمسجد الرايات ليظل شاهداً على اجتماع المسلمين وقادة الجيش على فتح ما تبقى من الأندلس بقيادته. (8)

(1) راجع: المقري التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 264. النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 24 / 48. ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2 / 12.

(2) وادي الحجارة بلد بالأندلس تقع شمال طليطلة. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، 5 / 343).

(3) انظر: مؤلف مجهول، أخبار المجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم، ص 15. ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2 / 12.

(4) حتملة، الأندلس التاريخ والحضارة والحنة، ص 79-80. ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص 48.

(5) البلاذري: أبو الحسين أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري (ت: 279هـ / 892م)، فتوح البلدان، تحقيق: شوقي أبو خليل، منشورات وزارة الثقافة دمشق- سوريا، عام 1997م، ص 319.

(6) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 42.

(7) راجع: المقري التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1 / 269. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 25. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 4 / 123. ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص 49.

(8) راجع: ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، 4 / 150-151. ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2 / 13. المقري التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1 / 269. مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، ص 24.

جهز جيشه على معاقل القوطية الهامة التي بقيت خارج السيطرة،⁽¹⁾ لذلك سلك الطريق الغربي الذي لم تسلكه طارق بن زياد، قال: "ما كنت لأسلك طريقه، وسلك طريق غير الذي سلكه طارق"،⁽²⁾ فاختر جهة غربي الأندلس ففتح مدينة شذونة ومدينة قرمونة⁽³⁾ وهي مدينة حصينة فتحها عنوة،⁽⁴⁾ حتى وصل إلى ماردة⁽⁵⁾ فصالح أهلها بعد حرب. فأرسل موسى ابنه عبد العزيز إلى جهة الشرقي للأندلس، ففتح لبله⁽⁶⁾ وصالح أهل تدمير⁽⁷⁾.

توجه موسى بن نصير مدينة إشبيلية وهي من أعرق مدن الأندلس وأكبرها، ولم تسقط بيد موسى إلا بعد حصار دام عدة أشهر بمساعدة الأساقفة.⁽⁸⁾ ترك بعض الجند مع ضم يهود إشبيلية لحفاظ المدينة، ومضى مع معظم الجيش نحو مدينة ماردة ودخلوها صلحاً في عام 94هـ/713م، لكن أثناء حصار ماردة ثار أهل إشبيلية على الحامية التي تركها موسى، فأرسل ابنه عبد العزيز بن موسى على رأس الجيش فتمكن من استرجاعها.

سار موسى بن نصير إلى طليطلة لأحوال الجيش بعد أمن جنوب غرب الأندلس، إلتقى بطارق بن زياد وقال له معجباً بما صنع من إخضاع أمم الكفر: "يا طارق إنه لن يجازيك الوليد بن عبد الملك على بلائك بأكثر من أن يمنحك الأندلس فاستجه هنيئاً مريئاً،⁽⁹⁾ فقال طارق: أيها الأمير: والله لا أرجع عن قصدي هذا ما لم أنته إلى البحر

(1) العدوي: إبراهيم العدوي، موسى بن نصير مؤسس المغرب العربي، القاهرة (بدون تاريخ وطبع)، ص 92.

(2) مؤلف مجهول، أخبار المجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم، ص 206.

(3) قرمونة: كورة بالأندلس تقع بين قرطبة وإشبيلية، وهي في مقاطعة إشبيلية على بعد 35 كم إلى الشمال الشرقي منها. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4/ 33. ابن حيان: أبو مروان حيان بن خلف القرطبي (ت: 469هـ/1076م)، المقتبس من أبناء أهل الأندلس، تحقيق: محمود علي مكي، لجنة إحياء التراث الإسلامي القاهرة- مصر، عام 1410هـ/1989م، ص 255).

(4) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، 1/ 52.

(5) ماردة: كورة كبيرة بالأندلس تقع غرب إشبيلية وتبعد عن قرطبة مسيرة ستة أيام. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، 5- 38).

(6) لبله: هي كورة بالأندلس غرب قرطبة، وبينهما عن طريق أربعة وأربعون فرسخاً، وهي طيبة بكثرة الخيرات. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، 5/ 10).

(7) تدمير: هي كورة شرقي قرطبة، وهي كورة كثيرة الخيرات وبها عدة مدن منها: لوقة، ومرسية. كل صقع يشتمل على عدة قرى ولا بد لذلك القرى من قصبة أو مدينة تجمع اسمها، وأصلها يوناني، والتي سميت بإسم صاحبها الملك القوطي تدمير. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، 1/ 540. ابن غالب: محمد بن أيوب بن غالب الأندلسي (ت: 571هـ/1175م)، فرحة الأندلس في تاريخ الأندلس، تحقيق: الدكتور عبد البديع لطفي، مطبعة مصر- القاهرة، عام 1956م، ص 15).

(8) دوزي، المسلمون في الأندلس، 1/ 274، 275.

(9) هذا يدل على التقدير والمحبة التي كانت بين موسى وطارق خلافاً للروايات التاريخية التي تقول: إن موسى حسد طارقاً. (ابن الأثير، الكامل في التاريخ،

المحيط أخوض فيه بفرسي ولم يزل طارق يفتح موسى معه إلى أن بلغ جليقية".⁽¹⁾

حملة موسى وطارق معاً:

بعد لقاء موسى بن نصير وطارق في طليطلة ومعرفة أحوال المسلمين توجهوا من طليطلة إلى شمال البلاد، وسلك موسى طريق الذي إختار طارق بن زياد، ألقى الله في قلوب أهل الكفر الرعب ولا يستطيعوا أن يعارضوا الجيش الإسلامي إلا بطلب الصلح، حيث افتتح عدداً من المدن، وافتتح ما حولها من الحصون والمعقل، وتوغل موسى بن نصير في الشمال حتى وصل إلى جنوب فرنسا،⁽²⁾ وكان طارق بن زياد في هذه الفتوحات يتقدم على موسى، وموسى يجيء على أثره ويكمل ابتداءه، ويوثق للناس ما عاهدوه عليه.⁽³⁾

عزم موسى بن نصير أن يفتح كل من أوروبا حتى يأتي إلى دار الخلافة عن طريق القسطنطينية،⁽⁴⁾ لكن الخليفة الوليد بن عبد الملك قطعه خوفاً على المسلمين وقتلهم مع موسى بن نصير في بلد بعيد، وطلب الخليفة موسى إلى دار الخلافة، ورجع موسى مع طارق سنة 95هـ/714م متوجهاً إلى المشرق حسب أوامر الخليفة ومر في طريق رجوعه بالمدن التي فتحها طارق ليطمئن على أحوال المسلمين ويتفقد إدارتها.⁽⁵⁾ واستخلف ابنه عبد العزيز بن موسى والياً على الأندلس،⁽¹⁾ وجعل له مدينة إشبيلية⁽²⁾ مركزاً لحكمه. ولم يكن في الأندلس بلد إلا أن يصل

558 /4).

(1) المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 242.

(2) موسى بن نصير وطارق بن زياد فتحا سرقسطة وما جاورها، واستولى على أماية واستورفة، وفتح حصن بارو واشتورين، وفتح برشلونه وطركونة ولادة ووشقة، وأنه فتح قروموشة، وأربونه وغيرها من المدن.

(3) راجع: ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، 4/ 117. المقرئ التلمساني، نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب، 1/ 273-274. ذنون طه، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، ص 181-182. النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 24/ 51.

(4) أراد موسى بن نصير أن يخترق بجيشه جميع أوروبا وأن يصل إلى الشام عن طريق قسطنطينية، وأن يفتح في طريقه أمم النصرانية والفرنجية كلها، كما يجمله ابن خلدون في تلك العبارة القوية: "وجمع أن يأتي المشرق على القسطنطينية، ويتجاوز إلى الشام ودروب الأندلس، ويخوض ما بينها من بلاد الأعاجم أمم النصرانية مجاهداً فيهم، مستلحماً لهم إلى أن يلحق بدار الخلافة". (ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، 4/ 117. المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 13).

(5) راجع: مؤنس، فجر الأندلس، ص 106. مؤلف مجهول، أخبار المجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم، ص 21.

الإسلام إليه، إلا بعض الأماكن الوعرة، والأماكن غير مفتوحة في الشمال فليس لديها أي ملك يدبر أمورها. (3)

أما عبد العزيز بن موسى بن نصير بدأ تحركاته لإخضاع مناطق جنوب شرق الأندلس، التي لم يصل إليها أحد من المسلمين حتى ذلك الحين، فابتدأ بفتح مالقة بعد أن سلمها بدون المقاومة، (4) وقد تركزت المقاومة الإسبانية خلال هذه الفترة في كورة تدمير، وقد سار عبد العزيز بن موسى مع جنوده وأتباعه قاصداً بلاد تدمير سنة 95هـ / 713م (5) بعد أن صد هجمات المسلمين عن بلاده مرتين. (6) لكن في النهاية تدمير يفاوض المسلمين على الصلح على أساس التسليم لهم، حتى حصل على شروط صلح مرضية وأصبحت كورة تدمير كلها صلحاً ليس فيها شيء من العنوة. (7)

توقفت الفتوحات بعد إعادة موسى بن نصير وطارق بن زياد إلى الشام، لكن حدثت بعض الغارات بين القبائل مع المسلمين في سنة 100 - 102هـ / 719 - 721م، ثم حملة أخرى في عام 106هـ / 725م. وانتهت آخر حملة كبيرة قام بها الوالي عبد الرحمن الغافقي الذي استشهد أثناء المعركة بمزيمة المسلمين في موقع يسميها المسلمون بلاط الشهداء تسمى لدى الغرب معركة بواتيه، وهي معركة وقعت في رمضان سنة 114هـ الموافق سنة 732م. (8)

(1) الحميدي: أبو عبد الله محمد بن أبي نصر بن عبد الله الأذوي الحميدي (ت: 488هـ / 1095م)، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، تحقيق: صلاح الدين خوارى، ط 1، المكتبة العصرية بيروت- لبنان، عام 2004م، ص 20.

(2) إشبيلية: مدينة بالأندلس قرب لبة كبيرة تباينت بلاد الأندلس بكل فضيلة وامتازت عنها بكل من طيب. (القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص 434).

(3) راجع: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 16. دوزي، المسلمون في الأندلس، 1/ 46.

(4) الجيوسي، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، 1/ 62. فروخ، العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر المتوسط، ص 103.

(5) مؤلف مجهول، أخبار المجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بها بينهم، ص 13.

(6) مؤنس، فجر الأندلس، ص 113.

(7) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 11.

(8) كولان، الأندلس، ص 111 - 112. السويدان: الدكتور طارق السويدان، الأندلس التاريخ المصور، ط 1، مطابع المجموعة الدولية الكويت وشركة الإبداع الفكري، عام 1426هـ / 2005م، ص 67.

الخلاصة والتعليق:

الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس ليس كما كان إبان غزو القبائل الجرمانية من نهب كثير وإحراق المدن وشنق الأشراف وقتل النساء والأطفال، والخوف في قلوب أهل الأندلس من التحول، لكن تغيرت الأحوال بسلامة الإسلام وقابل الشعب في هدوء والطمأنينة. وخطة فتح الأندلس كانت معدة سلفاً ومدبرة محكماً بين موسى بن نصير وطارق بن زياد، وهي خطة حربية تمت بتفكير والتدبر عميق، وحققت القادة المسلمون بحكمة وتضحية.

فتوحات المسلمين أمام القوات القوطية ليست متساوية على العدد والعدة، لأن الجيش القوطي جيش مدرب وقوي في جميع الجوانب، وكانوا يعرفون أرضهم ومواسمهم وأسلحتهم، بينما كان جيش المسلمين الفاتح يحارب في أرض مجهولة، كثيرة الشعاب، وعرة المسالك، إلا أنه كان مسلحاً بعقيدة يفتديها بالنفس، ويتحلى بقيم إنسانية، وروح جهادية ليس هدفها القتل والتدمير، وإنما نشر الإسلام وإعلاء كلمة الله، لذلك استطاع المسلمون فتح الأندلس في فترة وجيزة مع قلة عدد وعدة، ففضى على قيادتهم وتفرقت كلمتهم، وأصبحت بلاد الأندلس بلداً إسلامياً تحكم المسلمون، لأن الجهاد في سبيل الله وسيلة من وسائل الدعوة الإسلامية.

ومن مراحل نشر الدعوة في الأندلس هي مرحلة الدفاع عن الأراضي المسلمين ومنع تسلط القوط على إفريقية، وكذلك منعهم عن البحر والجزر البحرية، وقطع جميع اتصالات النصارى إفريقية بأوروبا، وحملة طارق بن زياد كانت لأجل نشر الدعوة الإسلامية وتوحيد صفوف المسلمين أمام الأعداء، لأن الكفر ملة واحدة وهناك أهل الأندلس قسم تحت قيادة الملك وقسم كان معاد له، لكن اتحداً لمحاربة المسلمين، بعد انتصار المسلمين تشتت وحدتهم واستسلم جانب آخر للمسلمين، وفتح أبواب الأندلس لنشر الدعوة الإسلامية وترفرت راية الإسلام فيها.

إن الفتح لبلاد الأندلس كان فتحاً عظيماً لسرعته وكثرة إنجازه الدعوي، أهل هذه البلاد دخلت تحت حكم المسلمين وقدموا لهم الإسلام أو الجزية أو الحرب وإلى أيهم أجابوهم قبلوا منهم، وفي أول الأمر اختاروا الحرب لكن توالى عليهم الهزائم، بعد ذلك أكثرهم اعتنقوا الإسلام وأصبحوا من المسلمين، وبعضهم اختاروا لأنفسهم دفع الجزية للمسلمين فقبل منهم حتى لو كان أسيراً من أسرى الحرب، وتركوا لكل الناس حرية الاعتقاد.

المبحث الثاني

الجهود الدعوية للقادة والجيش في الأندلس

فتح المسلمون جميع بلاد الأندلس في فترة قصيرة لا تزيد ثلاث سنوات،⁽¹⁾ ووضع فيها قواعد وأسس دولة عظيمة،⁽²⁾ وأصبحت منارة العلم والعلماء ومنبع الحضارة في أوروبا كلها، وكان فتح الأندلس من أعظم الفتوحات الإسلامية في سرعته وإنجازاته العظيمة ودخول الناس في دين الله أفواجاً، تغيرت أحوال أهل الأندلس من الأسوء إلى الأحسن، وأصبح تحولهم إلى الإسلام حتى يشكل الأندلسيون في الجيش الإسلامي.⁽³⁾

الجيش الإسلامي الذي فتح الأندلس كان عدده حوالي ثلاثين ألفاً، اثنى عشر مع طارق وقد استشهد ربعهم في معركة وادي لكة، وثمانية عشر ألفاً مع موسى، وأقل تقدير أن ربع هذا الجيش قد استشهد في المعارك، والربع الآخر وزعوا في المدن لحمايتها وتعليم الناس فيها، وعدد آخر رجع مع موسى وطارق إلى المشرق ولم يبق منهم إلى عدد قليل، وفوق ذلك جهاد المسلمين في الأندلس ومحاولاتهم لفتح أوروبا كانت مستمرة، وكان عدد الجيش الإسلامي كانت يزيد يوماً بعد يوم،⁽⁴⁾ لأن أهل الأندلس الأصليين الذين دخلوا في الإسلام بكثرة وحماس.

الجهود التي بذلها قادة المسلمين والجيش لنجاح نشر الدعوة الإسلامية عن عدة طرق، منها:

أولاً: الأحوال التي كانت تجري في الأندلس وحياتها قبل الفتح:

الأحوال التي كانت تجري في الأندلس وقت الفتح الإسلامي وهو تسلط الكنيسة الكاثوليكية في الأندلس والطبقة الاجتماعية في البلاد.

(1) يقول مؤرخ أمريكي معاصر يدعى سكوت سرعة الفتوحات في الأندلس: "في أقل من أربعة عشر شهراً قضى على مملكة القوط قضاء تاماً، وفي عامين فقط وطدت سلطة المسلمين فيما بين البحر المتوسط وجبال البرينة، ولا يقدم لنا التاريخ مثلاً آخر اجتمعت فيه السرعة والكمال والرسوخ بمثل ما اجتمعت في هذا الفتح". (عنان، دولة الإسلام في الأندلس، 64/1).

(2) تأسس موسى بن نصير قواعد الدولة في الأندلس، إنه ضرب عملة إسلامية في طليطلة ليصرف منها رواتب الجند. (انظر: مؤنس، فجر الأندلس، ص 100).

(3) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، 64/1.

(4) راجع: منى حسين محمود، المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة (92-206هـ/714-815م)، دار الفكر العربي القاهرة- مصر، عام 1407هـ/1986م، ص 11. عنان، دولة الإسلام في الأندلس، 97/1.

إصدار قوانين الكاثوليكية المسيحية تحرم على الناس أن تدين بغير المذهب الكاثوليكي، وقد نفذوا هذه القوانين بالقوة، لذلك الشعب الأندلسي يكرهون رجال الكنيسة والطبقات العليا المتسلطين عليهم، لا شك أن هذه الأحوال كانت تجعل الناس يساعدون إلى من يخلصهم منها، لأنها تقضي على الضمير والإنسانية، والكنيسة لا تحترم أي ضمير ولا الإنسانية حتى يومنا هذا، فعندما دخل الإسلام إلى الأندلس كان أول من بادر لنصرته أو الإيمان به هم هذه الطبقات المضطهدة، فاليهود هم من أول ناصر المسلمين ورحب بهم في الأندلس، لأن الكنيسة أصدرت قانوناً في الحياة الشخصية ضد اليهود، وهي: "أن العبد اليهودي لا يتزوج إلا أمة نصرانية، ولا تتزوج الجارية اليهودية إلا عبداً مسيحياً". (1) وقام اليهود بالثورة على الإسبان وراحوا يعاونون المسلمين، وأيضاً أصدرت الأمر بإجبار أن يجند كل مالك قوطياً كان أم رومانياً عشرة عبيده في الجيش. لذلك زاد عدد العبيد في الجيش على عدد الأحرار، وكانوا يفضلون الإتفاق مع العدو على الدفاع عن مضطهديهم. (2)

أما المسيحيين الذين كانوا يحاربون الكنيسة الكاثوليكية وجدوا في الإسلام مخلصاً ومعيناً لأنفسهم، ووجدوا في المسلمين من حسن المعاملة وحرية الديانة، لذلك كثير منهم قد دخلوا في الإسلام حتى من كبار أساقفتهم، (3) لأن الكنيسة أدت إلى نفور الناس منها ودخولهم في الإسلام لأنه دين الرحمة والعدالة.

أما الأحوال الاجتماعية فهي تقوم باستدلال الإنسان للإنسان، فهناك النبلاء ورجال الدين يتمتعون بأعلى السلطات وبأيديهم اقتصاد البلاد، وهناك العبيد الذين كان لسيدهم أعظم سلطة عليهم حتى الحكم بالموت، وهناك طبقة الزراع وأصحاب الحرف البسيطة الذين تقع عليهم أعظم التكاليف والضرائب وغيره. (4)

فأغلبية من هذه الطبقات قد دخلت في الإسلام من جميع الفئات، لأنها وجدت في الإسلام أسمى معاني الإنسانية، فطبقة العبيد أصبحوا أحراراً وتصرفهم فيها، (5) حتى النبلاء وإن ذهب سلطانهم في الحكم فهم أصبحوا

(1) المقرئ التلمساني، نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب، 1/ 263، 264. دوزي، المسلمون في الأندلس، 1/ 39، 40.

(2) دوزي، المسلمون في الأندلس، 1/ 40، 45.

(3) ومن الأمثلة التي تؤيد الكلام الرجل الإغريقي ثيود سكلوس (Thiodisclus) الذي خلف القديس إيزيدور (Isidpre) في المنصب رئيس أساقفة إشبيلية، فقد اتهم بالإلحاد لقوله بأن المسيح لم يكن إلهاً بل اتحاداً بالله وبروح القدس، وإنما كان ابن الله عن طريق التبني، لهذا قضى المجمع الديني بعزله من منصبه وبجرمانه من حقوقه الكنسية، فلجأ إلى العرب ودان بالإسلام بين ظهرانيهم. (أرنولد: توماس أرنولد عاش بين (1864-1930م)، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: الدكتور حسن إبراهيم والدكتور عبد المجيد عابدين، ط 3، مكتبة النهضة المصرية، عام 1390هـ/ 1970م، ص 157).

(4) انظر: دوزي، المسلمون في الأندلس، 1/ 37-40.

(5) كان هؤلاء الأرقاء الذين وصلوا إلى الإذلال أول من تدين بالإسلام في إسبانيا، كما اعتنقت هذا الدين الجديد كثير من أشراف المسيحيين عن عقيدة

أحراراً في أملاكهم الخاصة (1) وفي ديارهم مما رغبهم في الإسلام، وتحمسوا لنشره والجهاد في سبيل ذلك، وساعدوا إلى تحول كثير من الناس إلى الإسلام.

ثانياً: حسن التعامل والوفاء بالعهد مع أهل الأندلس:

إن المسلمين لما فتحوا بلاد الأندلس عاملوا أهلها معاملة حسنة، لأن هذه هي طبيعة المسلمين في كل البلاد التي فتحوها، وكان له أثر كبير في ترغيب الناس إلى الإسلام، ومن أوامر الإسلام وأسسها الثابتة منها الوفاء بالعهد، قال الله ﷻ: ﴿كَيْفَ كَفَرَ كَيْفًا﴾، (2) وكذلك أمر الرسول ﷺ الوفاء بالعهد، قال: "من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقده، ولا يجلها، حتى ينقضي أمدها"، (3) وقد وعد النبي ﷺ عدم الوفاء بالعهد من كبائر الذنوب التي لا ينفع منها أي إعتذار ولا حجة يوم القيامة، فقال: "ومن نكث العهد ومات ناكثاً للعهد جاء يوم القيامة لا حجة له"، (4) وإن الغادر يفضحه الله يوم القيامة بين الخلائق، كما قال رسول الله ﷺ: "إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة، فيقال: هذه غدرة فلان ابن فلان"، (5) وقد أمر النبي ﷺ أن من لم يف بعهد أهل الذمة ويراعي حقهم بأنه ليس من أمة محمد ﷺ، فقال: "لا يفني لذي عهد بعهد فليس من أمتي"، (6) وعدم الوفاء بالعهد صفة من صفات المنافقين فقال النبي ﷺ في خصال المنافقين: "أربع من كن فيه منافقاً خالصاً، ومن كان فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا أئتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر"، (7) هذه

راسخة، وكذلك عدد كبير من أهالي الطبقات الوسطى دخلوا في الإسلام، وبعد أن تحول هؤلاء الإسبان إلى الإسلام ظهروا بمظهر الغيور لدينهم الجديد. (أرنولد، الدعوة إلى الإسلام في الأندلس، ص 155).

(1) عبد الحميد العبادي، الجمل في تاريخ الأندلس، ط 2، دار القلم، عام 1964م، ص 51.

(2) سورة النحل، رقم من الآية: 91.

(3) أبو داود، سنن أبو داود، كتاب الجهاد، باب في الامام يكون بينه وبين العدو عهد فيسير إليه، رقم الحديث: 2579، 3/ 190. الإمام الترمذي، سنن الترمذي، في كتاب السير، باب ماجاء أن لكل غادر لواء يوم القيامة، 5/ 205. وقال تحفة لأحوزي للمباركفوري هذا الحديث حسن صحيح.

(4) الإمام أحمد، مسند أحمد بن حنبل، 3/ 445-446.

(5) الإمام البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجزية، باب اثم الغادر، 4/ 71. أبو داود، سنن أبو داود، كتاب الجهاد، باب الوفاء بالعهد، 3/ 188.

(6) الإمام أحمد، مسند أحمد بن حنبل، 2/ 306. وسلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ ناصر الدين الألباني، 2/ 715.

(7) الإمام البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، 1/ 14. الإمام مسلم: أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت: 261هـ/ 875م)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر وتوزيع إدارات البحوث العلمية- الرياض، عام 1400هـ، 4/ 1994، كتاب الإيمان، باب خصال المنافق، 2/ 46. مع شرح النووي.

التعليمات الإسلام إهتم القادة والجيش الوفاء بالعهود، واعتبر نقض العهد والغدر بالمعاهد من الكبائر ومخاصمة للشارع.

اتبع المسلمون تعليمات الإسلام وهو الوفاء بالعهد وعدم نقضها في البلاد الذين فتحوا، كما فعل المسلمون في الأندلس عند الفتح الإسلامي الوفاء بالمعاهدة مع أبناء الملك غيطشة،⁽¹⁾ ومنها الوفاء بالعهد مع أهل استجة بعد قتال شديد، حين أسر أمير المدينة.⁽²⁾

ويدل هذه المعاهدات والوفاء بهم على حسن معاملة القادة والجيش لأهل البلاد المفتوحة، وأنهم ما جاءوا ليتسلطوا على الناس وإنما جاءوا هداية الناس إلى الإسلام الذين ارتضاه الله أن يكون دين البشرية الوحيد الذي لا يقبل الله ديناً غيره، فالدعوة إلى الإسلام أو الجزية أو القتال كانت تلازم كل الفتوحات الإسلامية، لأنها منهج الإسلام.

وكانت هذه المعاهدات ضمان كل الحريات لأهل البلاد، كما يوجد في نص كتاب الصلح الذي عقده عبد العزيز بن موسى بن نصير لأهل تدمير،⁽³⁾ وكان خطابه يتضمن الحقوق التي ضمنها المسلمون لأهل البلاد وهي

(1) قبل معركة وادي لكة جاء أبناء غيطشة إلى طارق، ويطلبون الأمان وأن يرد إليهم أموال والدم، فأجابهم طارق وعاقدهم عليه، ولما انتصر طارق فأرسلوا مع كتاب العهد إلى موسى بن نصير في إفريقية وهو في طريقه إلى الأندلس، فوجههم موسى إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك بالشام، فلما وصلوا إليه أكرمهم وأنفذ لهم العهد، بل وعقد لكل واحد منهم سجلاً. (انظر: المقرئ التلمساني، نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب، 1/ 258، 265. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 30).

(2) عندما حاصر طارق بن زياد أهل استجة ومعهم عساكر لذريق وهم في قوة، فقاتلوا قتالاً شديداً، واستطاع أهل المدينة على الإمتناع المسلمين إلى أن ظفر طارق بقبض أمير المدينة وأتى به معسكر المسلمين، ولما كشف اعترف بأنه أمير المدينة، فصالحه طارق على ما أحب، وضرب عليه الجزية وخلي سبيله فوفى بما عاهد عليه. (انظر: المقرئ التلمساني، نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب، 1/ 260).

(3) كتاب الصلح مع أهل تدمير: (بسم الله الرحمن الرحيم. كتاب من عبد العزيز بن موسى بن نصير لتدمير بن عبدوش، إنه نزل على الصلح، وأنه له عهد الله وذمة وذمة نبيه ﷺ، ألا يقدم له ولا أحد من أصحابه ولا يؤخر ولا ينازع عن ملكه، وأنهم لا يقتلون، ولا يسبون، ولا يفرق بينهم وبين أولادهم، ولا نسائهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا تحرق كنائسهم، ولا ينزع عن ملكه ما تعهد ونصح وأدى الذي اشترونا عليه، وأنه صالح على سبع مئتان أربولة، وبلتنة، ولقنت، ومولة، وبلانة، ولورقة، وألة. وأنه لا يؤوى لنا آبقاً، ولا يؤوي لنا عدواً ولا يخيف لنا أمناً، ولا يكتم خبر عدو علمه، وأن عليه وعلى أصحابه ديناراً كل سنة، وأربعة أمداد قمح، وأربعة أمداد شعير، وأربعة أقساط الطلا (عصير العنب إذا طبخ حتى ذهب ثلاثاً. ابن منظور: أبو الفضل محمد بن مكرم (ت: 711هـ/ 1311م)، لسان العرب، دار صادر- بيروت، 15/ 11)، وأربعة أقساط خل، وقسطي عسل، وقسطي زيت وعلى العبد نصف ذلك. شهد على ذلك عثمان بن أبي عبدة القرشي، وحبيب بن أبي عبدة بن ميسرة، وأبو قائم الهذلي) وكتب في رجب سنة 94هـ/ نيسان 713م، وقيل: في محرم سنة 96هـ/ أيلول 714م. (الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ص 259. سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي وحتى سقوط الخلافة بقرطبة، ص 116).

الحفاظ على أملاكهم وأرواحهم وعدم إخافتهم وتفريقهم، وإحترام دينهم وعدم إجبارهم على الإسلام، وعدم التعرض لدور عبادتهم، كل هذه الشروط تدل على أن المسلمين لم يجبروا أحداً من أجل الدخول في الإسلام. (1)

يقول توماس آرنولد (2): "أما عن حمل الناس على الدخول في الإسلام أو اضطهادهم بأي وسيلة من وسائل الاضطهاد في الأيام الأولى التي أعقبت الفتح العربي، فإننا لا نسمع عن ذلك شيئاً". (3)

الأعداء يشهدون ويعترفون بحسن معاملة المسلمين لأهل الأندلس، فالمسلمون تركوا الناس أحراراً في عباداتهم ولم يتعرضوا لهم بأي أذى لأنفسهم ودينهم وكنائسهم بل اكتفوا بعرض الإسلام وبيان محاسنه دعوة وعملاً.

أما تعيين مقدار الجزية في عهد عبد العزيز بن موسى بن نصير لسنة واحدة وأنها قليلة وسهلة خاصة على هؤلاء القوط الذين كان يستذلهم النبلاء قبل الفتح الإسلامي، وخففوا الجزية على أهل الأندلس وأعفوا منها النساء والأطفال والرقيق والرهبان وكل أصحاب العاهات والمعوقين، وجعلوا جمع الجزية من أهل الأندلس على يد موظفين من النصارى أنفسهم، هذا يدل على أن الجزية سهلة جداً، يقول توماس آرنولد: "إن سياسة التسامح الديني التي أظهرها هؤلاء الفاتحون نحو الديانة المسيحية كان لها أكبر الأثر في تسهيل استيلائهم على هذه البلاد. وقد فرض عليه أداء جزية الرؤوس المعتادة وهي ثمان وأربعون درهماً عن الأغنياء، وأربعة وعشرين درهماً عن أهل الطبقة الوسطى، واثنا عشرة درهماً عن العمال لإعفائهم من الخدمة العسكرية، على أن هذه الجزية لم تفرض إلا على القادرين من الرجال، على حين أعفي منها النساء والأطفال والرهبان والمقعدون والعميان والمرضى والمساكين والأرقاء، هذا إلى أن جمع هذه الضرائب قد قام به الموظفون المسيحيون أنفسهم مما خفف وطأتها على الناس". (4)

لما فتح المسلمون البلاد كانوا دعاة خير ويمثلون سماحة الإسلام، الذين يؤثر في القلوب ويأسرها بقوة وحنونة واستقامة محجته، وسهولة تكاليفه وموافقته للفطر الإنسانية، يقول أحد النصارى: "إن الجم الغفير من أهل البلاد

(1) راجع: الضبي، بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ص 259. سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي وحتى سقوط الخلافة بقرطبة، ص 116.

(2) هو توماس آرنولد مؤرخ إنجليزي شهير، عاش بين (1864-1930م)، وكان من أعظم المستشرقين البريطانيين، وكان عميداً لمدرسة اللغات الشرقية بلندن سنة 1904م، ومن أشهر أعماله كتاب الدعوة إلى الإسلام.

(3) آرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص 157.

(4) آرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص 157.

المتفوحة كانوا ينظرون إلى سماحة الإسلام وقوة حجته واستقامة مجته، فيسلمون طواعية دون إكراه".⁽¹⁾

ثالثاً: نصره المظلوم:

نصرة المظلوم والتواضع من أهم أسس ومميزات المسلمين، لأن الإسلام دين العدل، فلا يسمح لأحد أن يظلم على الآخر، ولا يقرون بين ظهرائهم مظلوماً حتى يأخذوا له الحق ولا ظالماً حتى يأخذوا منه الحق، حيث قال رسول الله ﷺ: "أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً".⁽²⁾

المسلمون في الأندلس كغيرهم يقيمون العدل في جميع أفراد المجتمع، لأن المسلمين قد دخلوا فاتحين إلى الأندلس لإقامة العدل ومحو الظلم وأنواعه، كما عين للنصارى قضاة الخاصة، لو أن المسلمين إذا رأوا ظلماً من قضاة النصارى تدخلوا من أجل إقامة العدل، أمثلة الاعتداءات والظلم في الأندلس كثيرة كما أحد اعتدى على تركة أخيه وله أولاد، فتدخل المسلمون لمنعه،⁽³⁾ وقصة قاضي مع الأمراء في مسألة رجل اليهودي⁽⁴⁾ وغيرها من الأمثلة.

إن المسلمين لما فتحوا الأندلس لم يكونوا منعزلين عن المجتمع الأندلسي بل كانوا انضموا فيه وجعلهم أمة واحدة، كما كان الحاكم المسلم كغيره من أفراد المجتمع لا يفضل عنهم بشيء، بل انضموا القادة والجيش الفاتح بمصاهرات مع أهل البلاد المفتوحة، هذا الإندماج في المصاهرات جعل المسلمين قدوة لغيرهم في حسن المعاملة، ولا فرق بين الغالب والمغلوب لكن الأخلاق الحميدة يكون كفوؤاً له.

يقول رينهات دوزي⁽⁵⁾: "لم تكن حال النصارى في ظل الحكم الإسلامي مما يدعو إلى كثير من الشكوى بالنسبة لما كانت عليه من قبل. وأن العرب كانوا يتحلون بكثير من التسامح. فلم يرهقوا أحداً في شئون الدين، بل

(1) الطهطاوي: محمد عزت الطهطاوي، في الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين، مكتبة دار التراث بالقاهرة، عام 1399هـ، ص 23.

(2) الإمام البخاري، صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب أعن أخاك، 3/ 98.

(3) قصة سارة القوطية التي اعتدى عليها اربطاش على تركة أبيها فضمها إلى أملاكه. (انظر: المقري التلمساني، نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب، 1/ 267. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 31).

(4) حدثت هذه القصة في زمن الأمير عبد الرحمن بن الحكم، راجع كتاب: (النباهي: أبو الحسن عبد الله بن الحسن المالقي (ت: 792هـ/ 1390م)، تاريخ قضاة الأندلس - المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، ط 5، دار الأفاق الجديدة بيروت - لبنان، عام 1983م، ص 56).

(5) هو المستشرق الفرنسي رينهات دوزي وهو من أسرة اشتهرت بحب الإستشراق وله عدة كتب، منها: (المسلمون في الأندلس).

الجهود الدعوية التي بذلها أكثرهم التابعون، كما دخلت مجموعة التابعين إلى الأندلس في الجيش، (1) من حيث الدعاة لتعليم الناس أمور الدين. وكذلك عامة من المسلمين أيضاً كانوا قدوة حسنة للآخرين في تطبيقهم للإسلام، وكان أهل البلاد ينظرون إليهم نظرة إحترام وإجلال، حيث يقول أحد القساوسة: "وكان يحبهم في الإسلام ما يرون عليه أهله من الاستقامة والمنهج القويم، وإن علماءه لا يدعون أنهم أقرب إلى الله من أحد عباده، كما يزعمه علماء غيرهم من الأديان، وإن القرب من الله أو البعد عنه راجع إلى عمل العبد، لا إلى سبب آخر. وإن مصير العباد لا يتحكم فيه نبي مرسل ولا ملك مقرب، ولا عالم عامل، وأنه لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى". (2)

الخلاصة والتعليق:

عامل القادة والجيش الإسلامي في الأندلس التعامل الحسن مع أهل الأندلس، وكان للتعامل الحسن مع المغلوب أثر كبير في نشر الإسلام، عندما يرى الناس الفاتحين عليهم يعاملهم معاملة حسنة وينزل على مستواه ويدافع عن حقوقه ويكرمهم، هكذا كان المسلمون فتحوا قلوب الناس لهذا الدين بالمعاملة الحسنة وتطبيقهم العملي، وللعدالة الإنسانية حماية الحقوق للجميع مما جعل الناس يقتدون بهم، حتى أقنعوا الناس بأفعالهم قبل أقوالهم، فدخلوا في دين الله أفواجاً، حتى ظهر منهم الدعاة والعلماء والقادة بارزون في علوم الإسلام في فترات وجيزة.

فيجب على الأمراء أن يختاروا الجيش والقادة كالدعاة، حتى يكونوا مقاتلين وقت القتال، ويكونوا الدعاة مساعمين وقت النصر، وبجهود القادة والجيش كدعاة قد دخلت في الإسلام أغلبية طبقات الأندلس، لأنهم وجدوا فيهم الإسلام الحقيقي، فطبقة العبيد والنبلاء وجميع الناس أصبحوا أحراراً في تصرفاتهم الدينية والاقتصادية والاجتماعية.

وقادة الجيش الإسلامي عاملوا أهلها معاملة حسنة، ولهذا التعامل أثر كبير في ترغيب الناس إلى الإسلام،

(1) حنش بن عبد الله السبائي الصنعائي المتوفي سنة 100هـ / 718م في سرقسطة. أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المعافري الحلبلي المتوفي سنة 100هـ / 718م. أبو ثمامة بكر بن سواد الجذامي المتوفي سنة 128هـ / 745م في الأندلس. أبو يحيى عياض بن عقبة بن نافع الفهري المتوفي سنة 100هـ / 718م. علي بن رباح بن قصير اللخمي المتوفي سنة 114هـ / 732م. حبان بن أبي جبلة. أبو سعيد عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي أمير الأندلس استشهد في موقعة بلاد الشهداء سنة 114هـ / 732م. (راجع: المقرئ التلمساني، فتح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، 3/ 8، 9، 10، 15، 64، 75. الدباغ: أبي زيد عبد الرحمن الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ط 2، مكتبة الخانجي بمصر، عام: 1388هـ، 1/ 180، 189. الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ص 45، 274. ابن الأبار: أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بإبن الأبار (ت: 658هـ / 1260م)، التكملة لكتاب الصلة، مكتب نشر الثقافة الإسلامية بمصر، عام 1375هـ، 1/ 33، 1/ 354).

(2) الطهطاوي، في الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين، ص 24.

الفصل الثاني

الجهود الدعوية في إقامة الدولة ونشر الإسلام في الأندلس

استقر الحكم الإسلامي في الأندلس ثمانية قرون، وقد مرت في هذه القرون بعدة عهود، تقلبت خلالها بين القوة والضعف، والنصر والهزيمة، وكان لكل عهد مميزات وجهود في إقامة الدولة ونشر الإسلام، وهنا أذكر ثلاثة عهود استمرت في الأندلس بعد الفتح حتى عام 366هـ / 976م، أما الفتح الإسلامي للأندلس فقد تم في أربع سنوات 91-95هـ / 710-714م وقد سبق ذكره. والعهد الثلاثة هي على النحو التالي بالإجمال:

1- عهد الولاة (95-138هـ / 713-755م): استمر حوالي (43) سنة، وحكم فيها عشرون والياً تابعين للخلافة الأموية في دمشق.

2- عهد الإمارة (138-316هـ / 755-929م): يبدأ منذ أن دخل عبد الرحمن بن معاوية إلى الأندلس وأسس إمارة مستقلة عن الخلافة العباسية، وانتهت هذه الإمارة بإعلان الخلافة في حكم عبد الرحمن الناصر سنة 316هـ / 929م.

3- عهد الخلافة (316-422هـ / 929-1031م): الفترة التي حكم فيها عبد الرحمن الناصر تحت اسم الإمارة سنة (300-316هـ / 912-929م) ثم أعلن الخلافة في سنة 316هـ / 929م وحكم إلى سنة 350هـ / 961م، مدة حكم عبد الرحمن الناصر هي حوالي نصف قرن، ثم خلف ولده الحكم المستنصر بالله (350-366هـ / 961-976م).

خلال خلافة في الأندلس وبعد وفاة الحكم المستنصر بالله بسنتين ظهرت الدولة العامرية في سنة (368-399هـ / 978-1009م) وتحكم قبيلة بني عامر.

بعد سقوط الخلافة في الأندلس سنة 422هـ / 1031م جاء عهد ملوك الطوائف واستمرت حوالي اثنتين وستين سنة، وثم عهد المرابطين وانتهى بعد خمس وخمسين سنة من حكمهم، ثم قام عهد الموحديين في سنة 539-620هـ / 1144-1223م، وفي الأخير مملكة غرناطة أو عصر دولة بني نصر أو بني الأحمر (629-897هـ / 1232-1492م) حيث استمرت هذه الدولة أكثر من قرنين ونصف، ويمثل سقوطها نهاية الحكم الإسلامي في الأندلس.

المبحث الأول

الجهود الدعوية في توحيد القبائل وتحقيق الاستقرار

الإسلام يأمر إلى توحيد الأمة، ويحارب جميع ألوان الخلاف والتفرقة، كما هاجر النبي ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ودعا المهاجرين والأنصار إلى الأخوة فيما بينهم، لأن الإسلام أقام أساساً جديداً وهي الأخوة في الدين، ونفى التفرقة والعصبية والدعوة لها، وعن أهمية الخطاب الدعوي في توحيد الأمة، قال الله ﷻ: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (1) وقال عز وجل: ﴿لَا يَأْتِيكُمُ الْإِسْلَامُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَالْحَقُّ أَجْمَلٌ﴾ (2) وقال سبحانه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا ضَلَّتْ سَبِيلَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (3) وقال أيضاً: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (4)

أما الذين اختلفوا من الأمة وحاولوا أن يضعفها فحذرهم بهذه الآية، قال الله ﷻ: ﴿لَا يَأْتِيكُمُ الْإِسْلَامُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَالْحَقُّ أَجْمَلٌ﴾ (5)

شهدت الأندلس من بداية القرن الثاني حتى القرن الرابع الهجري جملة من التحولات في المجال السياسي والعسكري والاجتماعي، وكانت لهذه التحولات أثر كبير على الأفراد والمجتمع، الأندلس بعد فتحها تابعة كإحدى ولايات الدولة الأموية في دمشق، وظلت تحت حكمها نحو أربعين عاماً حتى سقوط الدولة الأموية في المشرق عام 132هـ/749م، الدولة الأموية إحدى القوى الكبرى، ولها دور سياسي وعسكري وثقافي واجتماعي ودعوي، كما أن الجيش الإسلامي حين دخل الأندلس ونشروا فيها مبادئ الإسلام وعاملوا الناس معاملة حسنة، وقد تأثروا من أخلاق المسلمين لذلك اعتنقوا الإسلام بأعداد كبيرة بكل حماس. (6)

(1) سورة آل عمران، رقم من الآية: 103.

(2) سورة المؤمنون، رقم الآية: 52.

(3) سورة الحجرات، رقم الآية: 10.

(4) سورة الحجرات، رقم الآية: 13.

(5) سورة آل عمران، رقم الآية: 105.

(6) سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي وحتى سقوط الخلافة بقرطبة، ص 127.

عناصر القبائل في الأندلس بعد الفتح:

1- المسلمون:

عناصر السكان في الأندلس بعد أن تم فتحها، واستقر المسلمون فيها وتنوعت من حيث الجنس والثقافة والعادات والتقاليد وانتشروا في أقاليمها المختلفة، كما ذكر عن العيش بقوله: "وكان من طبيعة الأشياء أن يتصل بعضها ببعض، سواء بالمصاهرة أو بالعشرة أو بالمجاورة، وأن يأخذ كل منها عن الآخر ويعطيه، مما كان له أثر في طبيعة الحضارة الأندلسية، بحيث كانت أشبه ببوتقة انصهرت فيها عقليات شتى، وثمرات ثقافات متباينة".⁽¹⁾

فتوالت الوفود من مختلف الأجناس منهم العرب والبربر والموالي وغيرهم، الوفود اللاجئين إلى الأندلس كانت تعرف بالطوابع، الطالعة مع طارق بن زياد وتم إرسال المدد إليه وتم الدفعة الثالثة بقيادة موسى بن نصير في عام 93هـ/712م، واكتمل فتح شبة الجزيرة الإيبيرية في عام 95هـ/714م.⁽²⁾

وقد ظلت على الأندلس ثلاثة عصور تحت حكم الأمويين، منهم عصر الولاة، وعصر الإمارة الأموية وعصر الخلافة الأموية، ولكل واحد منهم جهود في توحيد القبائل تحت راية واحدة ونشر الإسلام والدعوة إليه.

أ- العرب:

العرب قد دخلوا على موجات متتابعة من بداية الفتح الإسلامي حتى القرون،⁽³⁾ واستقروا في المناطق الخصبة التي تفيض بالخيرات.⁽⁴⁾ ويرى الباحثون أن العرب الذين أتوا إلى الأندلس من شمال إفريقيا والشام وصل إلى

(1) لطفي: عبد البديع لطفي، الإسلام في إسبانيا، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة، عام 1958م، ص 17.

(2) مني حسين محمود، المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة (92-206هـ/711-822م)، ص 11.

(3) ومن طوابع العرب الذين دخلوا الأندلس واستقروا فيها، طالعة طارق بن زياد وموسى بن نصير التي دخل معها ثلاثين ألفاً، وكانوا من العرب اليمانية والفهرية والموالي وعرفاء البربر، وعرفوا بالبلديين. وتم طالعة بلج بن بشر القشتيري في سنة 124هـ/741م من قيسيين وعرفوا بالشاميين. في عصر الإمارة زادت موجات اللاجئين من المشرق إلى الأندلس. وفي عصر الخلافة في الأندلس شجعت العرب بمجيء إلى الأندلس. (راجع: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 31. المقري التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 243، 269، 271. ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت: 456هـ/1063م)، جمهرة أنساب العرب، ط 1، دار كتب العلمية بيروت، عام 1403هـ/1983م، ص 84. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 15، 19، 29. فيلالي: عبد العزيز فيلالي، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر، عام 1982م، ص 40).

(4) التوزيع الجغرافي للقبائل العربية في الأندلس: القبائل العربية استقروا في المناطق الخصبة على طول السواحل الجنوبية والجنوبية الغربية والشرقية من البلاد،

ما يقارب من ثلاثين ألفاً، وزادت هذه النسمة وأصبحت نحو ثلاثمائة ألف بعد سنوات. (1)

لما كان العرب حكام البلاد فإن نخباء القبائل كانوا على المناصب العليا في الدولة، ومن بقية قبائل العرب كانوا يقومون بالزراعة والتجارة والصناعة، وكان العرب امتزجوا بالمصاهرات مع أهل البلد الأصليين، وهذه المصاهرات سبب دخول معظم الناس في الإسلام. (2)

ب- البربر:

أما قبائل البربر فلهم دور هام في فتح الأندلس، لأن جيش طارق بن زياد يتألف أكثره من البربر، والبربر دخلوا إلى الأندلس واستقروا في المناطق الجبلية في الشمال الغربي ووسط الأندلس، (3) لأن هذه المناطق مشابهة لمواطنهم الأصلية، كان عددهم كبيراً واشتغلوا بالزراعة وغرس الأشجار وتربية المواشي، وكانوا يعيشون مستقلين متعصبين غير خاضعين للعرب، (4) لما لقي موسى بن نصير مع البربر في الأندلس وصفهم: "بأنهم أشبه العجم بالعرب لقاءً ونجدةً وصبراً وفروسية غير أنهم أغدر الناس، لا وفاء لهم ولا عهد". (5)

فالقيسيون استقروا حول طليطلة شرق الأندلس، والهذليون في أربونة، والتميميين والقيسيين استقروا في منطقة إشبيلية وبلنسية، القحطانيون واليمنيون استقروا في قرطبة وبطليوس وإشبيلية والبيرة، العرب الشاميين نزلوا في كورة إلبيرة وفي كورة جيان، وجند مصر في كورة باجة وتدمير. أما بقية العرب فقد خالطوا بعد ذلك وانتشروا أيضاً بمرسية وغيرها من البلاد. (راجع: المقري التلمساني، فتح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 233-235. ابن الخطيب: لسان الدين محمد بن عبد الله بن الخطيب الأندلسي (776هـ/ 1374م)، الإحاطة في أخبار غرناطة، حقق نصه ووضع مقدمته وحواشيه: محمد عبد الله عنان، ط 2، مكتبة الخانجي القاهرة- مصر، عام 1973م، 1/ 103-105. فيلاي: عبد العزيز فيلاي، المظاهر الكبرى لعصر الولاة ببلاد المغرب والأندلس، دار المعارف للطباعة والنشر- تونس، ص 33-34).

(1) راجع: هيكل: الدكتور أحمد هيكل مقصود، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، ط 10، دار المعارف- القاهرة، عام 1986م، ص 32.
(2) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بما بينهم، ص 39. شحلان: أحمد شحلان، مكونات المجتمع الأندلسي ومكانة أهل الذمة فيه، مجلة التاريخ العربي- المغرب، العدد 1، ص 4.

(3) قبائل البربر الذين دخلوا في جيش طارق بن زياد إلى الأندلس من القبائل مطغرة ومديونة ومكناسة وهوارة ومغيلة وملزورة ونفزة وأورية ومصمودة، هؤلاء استقروا في وادي الحجارة وإشبيلية ورندة وبين نهر دويرة وتاجة وشننت ورية وخاصة في المناطق الجبلية، اختلطوا من المولدين والعرب في سرقسطة وبريشتر ووشقة وتطيلة وأمار وادي الحجارة. (راجع: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص 498-503. مؤنس، فجر الأندلس، ص 398).

(4) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 30. القيرواني: أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق: عبد الله العلي الزيدان وعز الدين عمر موسى، ط 1، دار الغرب الإسلامي بيروت- لبنان، عام 1990م، ص 42.

(5) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 31-33.

ج- الموالي:

العصر الآخر من سكان المسلمين في الأندلس عبارة عن الموالي، وهم مجموعة من عناصر مختلفة الموالين لأسيادهم، أصلهم مختلف، منهم من اصطحبوا الشاميين الذين دخلوا الأندلس وعرفوا بـ موالي الشاميين. وبعضهم الذين أسلموا ودخلوا مع سادة البربر إلى الأندلس فسموا بـ الموالي البلديين. وكذلك الموالي من الصقلية (1) وكان عددهم في قرطبة وحدها حوالي 3750 فتى صقلبياً، وبعض الموالي الإيبانيين وهم أحرار الذين دخلوا في ولاء بني أمية بعد الفتح الإسلامي فأصبحوا موالي النعمة، فلهم دور هام في تاريخ الأندلس، إعتد عليهم الأمويون وأعطوهم المناصب العليا في الدولة لأجل إخلاصهم للدولة، فكان منهم الوزراء والكتاب والقواد والقضاة وغيرها من المناصب العالية. (2)

د- الأسلمة والمولدون:

الأسلمة أو المولدون (3) هم الإيبان القوط الذين أسلموا عند الفتح، وأصبحوا جزءاً من المجتمع الإسلامي في الأندلس، اندمج المولدون في المجتمع الإسلامي جيل بعد جيل، وصاروا عنصراً من أهم عناصر السكان من حيث الكثرة والمستوى الحضاري. (4)

2- غير المسلمين:

(1) الصقلية: تجار اليهود يجلبون من الأمم المسيحية والعرب يطلقونها على الأرقاء ويستخدموهم في القصور أو الجيش ويدربون برعاية إسلامية، وأول من استجاب الصقلية إلى الأندلس الأمير عبد الرحمن الداخل. (راجع: المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 1/ 305. ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 28).

(2) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص 502-503. ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 232-259. المقرئ التلمساني، نوح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 2/ 193. ابن حيان: أبو مروان حيان بن خلف القرطبي (ت: 469هـ/ 1076م)، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: الدكتور عبد الرحمن علي الحججي، نشر وتوزيع دار الثقافة بيروت- لبنان، عام 1983م، ص 48. E Levi Provincial: Espagne Musulmane Aux 10 siecle-op-cit- P: 29, Note 10.

(3) يرى بعض المؤرخين أنهم جيل جديد ولدوا من آباء مسلمين سواء كانوا عرباً أو بربر، وأمهات أعجميات من أهل البلد، ونشأوا على الإسلام ثم تنامى عددهم نتيجة كثرة إعتناق أهل البلاد الإسلام. (راجع: سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي وحتى سقوط الخلافة بقرطبة، ص 128. دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (138-422هـ/ 755-1030م)، ص 41).

(4) كحيلة، تاريخ النصارى في الأندلس، ص 39-40. عنان، دولة الإسلام في الأندلس 1/ 206.

أ- النصارى:

النصارى يُعرفون في الأندلس بعدد من التسميات، ⁽¹⁾ وأن المجتمع الأندلسي مكون من عدة الاجناس، ومن بينهم غير المسلمين النصارى الإسبان الذين يعاشرون المسلمين ويتكلمون العربية مع احتفاظ بدينهم، وكان المسلمون يسموهم بعجم الذمة، ومن كان لهم عهد منهم فقد سموا بالمعاهدين، عاملهم المسلمون معاملة طيبة وتمتعوا بنعمة الإنصاف والعدل. ⁽²⁾

ب- اليهود:

أن اليهود استوطنوا بعدد كبير في الأندلس، وأنهم واجهوا كثيراً من اضطهاد الرومان والقوط قبل الفتح، وفي ظل الإسلام قد تمتعوا بحرية وتعلموا العربية وتقاليده المسلمين، ولهم نشاط كبير في نقل التأثيرات الحضارية بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في جميع مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وشاركوا في مناصب الدولة منهم الوزارة والكتاب والسفراء، وتعلم عدد كبير منهم في مجالات الطب والفلسفة والفلك والرياضيات. ⁽³⁾

أولاً: الجهود الدعوية في توحيد القبائل وتحقيق الإستقرار في عصر الولاة (95-138هـ/ 714-756م):

لقد دام حكم الولاة في الأندلس من سنة 95-138هـ/ 714-756م، وتوالى على الحكم عشرون والياً

⁽¹⁾ التسميات التي يعرف بها النصارى في الأندلس هي: العلوج: أي زعماء الكفار وكبارهم. النصارى والنصارى المعاهدين: وهي اسم تطلق على النصارى الباقين من الروم وعلى نصارى الشمال. أهل الذمة: وهم المواطنون غير المسلمين، وفي الأندلس المسيحيون خضعوا لأحكام الذمة. المعاهدون: يطلق على النصارى الذين كانت له موثيق وعهود مع الفاتحين. المستعربون: وتطلق على نصارى الأندلس لأنهم تعلموا العربية. (راجع: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، ص 54-59. ابن عذاري، البيان المغرب ف أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 11-12، 102. المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 202-210، 216-217).

⁽²⁾ راجع: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 5، 38. سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي وحتى سقوط الخلافة بقرطبة، ص 130-131. الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ص 284.

⁽³⁾ راجع: صاعد الأندلسي: أبو القاسم صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن الأندلسي (ت: 462هـ/ 1070م)، طبقات الأمم، مطبعة الكاثوليكية لآباء اليسوعيين- بيروت، عام 1912م، ص 87-90. ابن سعيد: أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد الغرناطي المغربي (ت: 685هـ/ 1286م)، المغرب في حلى المغرب، تحقيق وتعليق: شوقي ضيف، ط 2، دار المعارف مصر، عام 1964م، 2/ 441-444.

كانوا تابعين للخلافة الأموية في دمشق، (1) وحكمها وإل عرف بالأمير أو الوالي، وأطلق هذا اللفظ على الفترة التاريخية فأصبحت تعرف بفترة عصر الولاة، في ذلك الحين أن الأندلس كان قسماً من ولاية إفريقية وفي بعض الأحيان ولاية الأندلس قد عينوا من قبل الخليفة. (2)

أكثر المصادر التاريخية تجمع على أن عصر الولاة بدأ عام 95هـ/714م منذ ولاية عبد العزيز بن موسى بن نصير على الأندلس، لأن موسى بن نصير وطارق بن زياد كانا على مهمة الفتح والاستقرار في الأندلس، لذلك ولاية عبد العزيز بن موسى بن نصير هي ميلاد عصر الولاة، (3) شارك عبد العزيز أباه في إخماد الثورة التي قامت بها سكان إشبيلية ومدينة ليلية عام 94هـ/712م بعد أن فتحها المسلمون واتخذ له مدينة إشبيلية قاعدة حكمه. (4)

قتل عبد العزيز بن موسى بن نصير في سنة 97هـ/715م في مدينة إشبيلية أثناء صلاة الصبح، (5) وبالرغم من قصر مدة ولايته كان من أعظم ولاة الأندلس وكان له دور مشهود في تثبيت دعائم الإسلام فيها، وافتتح مدن كثيرة ولا يغفل جهوده وجهود أبيه في الفتح ونشر الإسلام في الأندلس. (6)

بقيت الأندلس فترة طويلة بلا وإل وفقدت استقرارها وعمتها الفوضى والاضطرابات بسبب عدم الاتفاق

(1) المقرئ التلمساني، فتح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 249. الإشتيوي: أشرف يعقوب أحمد الإشتيوي، الأندلس في عصر الولاة (91-138 / 710-756م)، إشراف: الدكتور هشام أبو رميلة، جامعة النجاح الوطنية نابلس- فلسطين، عام 2004م، ص 176.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 26. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، 39، 40. الحجى، التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، ص 131. نعنعي، تاريخ الدولة الأموية في الأندلس، ص 86.

(3) راجع: ابن قتيبة الدينوري: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ/889م)، الإمامة والسياسة- المعروف بتاريخ الخلفاء، تحقيق: طه محمد الزيني، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، عام 1387هـ/1967م، 2/ 67. ابن الفرضي: أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي (ت: 403هـ/1013م)، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: إبراهيم اليباري، ط 2، دار الكتاب المصري القاهرة- مصر، دار الكتاب اللبناني بيروت- لبنان، عام 1410هـ/1989م، 1/ 468. الحجى، التاريخ الأندلسي من الفتح الأندلسي حتى سقوط غرناطة، ص 131.

(4) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 15. المقرئ التلمساني، فتح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 276.

(5) راجع: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 1/ 27. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص 138، 266. النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 24/ 55، 56.

(6) راجع: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 25. ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، 4/ 118. مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، ص 21.

على تعيين والٍ، ولوقف هذه الفوضى قرر أهل الأندلس وقادة جندها على اختيار أيوب بن حبيب اللخمي (1) سنة 97هـ/ 715م كما اختاروه ليؤمهم في صلاتهم لما علموا بصلاحيه، وأخذ قراراً صائباً في نقل العاصمة من إشبيلية إلى مدينة قرطبة. (2)

أرسل سليمان بن عبد الملك الحر بن عبد الرحمن الثقفي (3) والي الأندلس ولتحقيق مقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير، لكنه لم ينجح في مهمته ثم عزل، (4) ثم أرسل عمر بن عبد العزيز (5) السمع بن مالك الخولاني (6) إلى الأندلس على رأس سنة 100هـ/ 718م، وتعيينه من الخلافة مباشرة وهي الخطوة الأولى لفصل الأندلس عن ولاية شمال إفريقية لفترة قصيرة، وأوصاه: "بأن يسير في حكمه طريق الحق والفضيلة وأن يترحم ويفرق بالناس". (7) وأمره: "بأن يحمل الناس على طريق الحق، ولا يعدل بهم عن منهج الرفق، وأن يخمس ما غلب عليه من أرضها

(1) أيوب بن حبيب اللخمي هو ابن أخت موسى بن نصير، دخل الأندلس سنة 97هـ/ 715م واتفقت وجوه القبائل على أيوب أميراً. وفترة حكمه لم تتجاوز ستة أشهر ثم عزل. (راجع: الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، ص 161. ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 25. المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 234).

(2) راجع: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 25. مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بما بينهم، ص 21. الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، ص 6، 161. المقرئ التلمساني، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 1/ 234.

(3) الحر بن عبد الرحمن الثقفي أصبح والياً من قبل سليمان بن عبد الملك سنة 97هـ/ 715م، وبقي في منصبه حتى وفاة سليمان بن عبد الملك سنة 99هـ/ 717م، وليس له أي أعمال البارزة في مدة ولايته. (راجع: ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد أبي بكر بن خلكان (ت 681هـ/ 1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان بن عباس، دار الثقافة بيروت، عام 1977م، 2/ 420. المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 235).

(4) راجع: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 25. المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 2/ 671. ذنون طه، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقية والأندلس، ص 338.

(5) عمر بن عبد العزيز تولى الخلافة سنة 99هـ/ 717م، وتوفي سنة 101هـ/ 719م.

(6) السمع بن مالك الخولاني، وقيل الحياوي ولى على الأندلس سنة 100هـ/ 718م، واستشهد في بلاد الفرنجة سنة 102هـ/ 720م. (راجع: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 39. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص 418. الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، ص 220).

(7) راجع: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 26. مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بما بينهم، ص 23. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 39. الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، ص 191.

وعقارها، ويكتب إليه بصفة الأندلس وأتقارها، ورأيه نقل المسلمين منها وإخراجهم عنها". (1) (2)

وأمر الخليفة له أن يسير الجنود المسلمين للغزو في بلاد غالة (3) لكن هزم الجيش الإسلامي واستشهد السمع بن مالك الخولاني في موقعة دوق اكينانيا (4) في سنة 102هـ / 720م، وانسحب الجيش الإسلامي المنهزم بقيادة عبد الرحمن الغافقي الذي عين والياً على الأندلس فيما بعد. (5)

الخليفة يزيد بن عبد الملك (6) أرسل عنبسة بن سحيم الكلبي (7) والي الأندلس، وكانت البلاد تموج بالفوضى والاضطرابات والنزاعات والخلافات الداخلية بين العصابات العربية آنذاك، أثناء هذه المشاكل غزا الفرنجة وتوغلوا في بلادهم، واستولى على كثير من المناطق بالحرب والصلح، فأراد أن يرجع إلى الأندلس تصددت له فرقة عسكرية من جيوش الفرنجة واستشهد على أثر هذه الحملة في سنة 107هـ / 725م. (8)

(1) اختلف المؤرخون بأسباب وبواعث إخراج المسلمين عن الأندلس، لأن الخليفة عمر بن عبد العزيز خشي من تغلب العدو عليهم وكان حريصاً على حفظ رعيته، فلما جاءت الإجابة من السمع بن مالك الخولاني مطمئنة عدل تلك الفكرة، ففصل الأندلس من شمال إفريقيا كي يزيد اهتمامه به.

(2) راجع: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 26. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 39.

(3) بلاد غالة هي البلاد التي تشمل ذلك الأقاليم التي تحدها جنوباً جبال البرت وسماها المسلمون باسم الأرض الكبيرة، وهي الآن بلد فرنسا. (المقري التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 258. مرسي: الشيخ محمد مرسي، دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس حتى أواخر القرن العاشر الميلادي، مؤسسة الثقافة الجامعية، عام 1401هـ / 1981م، ص 15).

(4) هذه المنطقة شرطانية من جبال البرت وكان تابعاً لشار مارتل. فأتحد معه ضد عبد الرحمن الغافقي في معركة بلاد الشهداء سنة 114هـ / 732م. (ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 26. سيد أمير علي، مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي، ترجمة: رياض رأفت، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة، عام 1938م، ص 148).

(5) راجع: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 26. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 39. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 1/ 436. أرسلان: الأمير شكيب أرسلان، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، دار الكتب العلمسة بيروت - لبنان، ص 64.

(6) يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ولى الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز في سنة 101هـ / 719م، وتوفى سنة 105هـ / 723م.

(7) عنبسة بن سحيم الكلبي تولى أمر الأندلس بعد مقتل السمع بن مالك الخولاني وقد جاء إلى الأندلس سنة 103هـ / 721م، واستشهد في سنة 107هـ / 725م. (ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 27. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 5/ 136).

(8) راجع: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، ص 24. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 39. المقري التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 235. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 5/ 136. ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 26-27. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلامي السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل بيروت ومكتبة النهضة

بعد ذلك تولى حكم الأندلس ستة ولاية (1) وكانت فترة ولاية كل منهم قصيرة جداً، وهذا يدل على وجود الفتن والقلاقل والاضطرابات، لذلك توقفت فتوحات عبر جبال البرت.

تولى ولاية الأندلس عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي سنة 112هـ / 731م، كان معروفاً بحسن تديبره وقيادته وشجاعته، وقد شارك عدة معارك، لكن أمامه مشكلتين الرئيسيتين منهما الأوضاع الداخلية السيئة، ولا بد له أن ينظم شعوب ولايته أولاً، ثم يتوجه إلى المشكلة الخارجية لأن الأعداء كانوا ينظمون الجيوش ضد المسلمين، لذلك قام بمحو جميع المشاكل الداخلية وبدأ بالإنطلاق في غزواته وحروبه الخارجية ضد الأعداء. (2)

قام الحاكم البربري منوسة (3) بالتمرد على عبد الرحمن الغافقي، وسار إليه الغافقي مع جيشه وقبض عليه وقتل، وقد تم تجهيز الجيش بطريقة ذكية ثم توجه في عام 114هـ / 732م على رأس الجيش ضخم متحمس للجهاد معظمهم البربر نحو الفرنجة، فاخترق به جبال البرت وفتح برديل (4) حتى سقطت منطقة أكينايا بيد المسلمين. (5)

المصرية القاهرة، 1/ 261.

(1) تولى حكم الأندلس يحيى بن سلمة الكلبي سنة 107هـ / 725م، واستمرت ولايته قرابة سنتين وستة أشهر. ثم تولى عثمان بن أبي نسعة الخنعمي واستمرت ولايته قرابة خمسة أو ستة أشهر. ثم حذيفة بن الأحوص الأشجعي أو حذيفة بن الأحوص القيسي وقيل العتيبي في سنة 110هـ / 728م. ثم الهيثم بن عبيد الكناني سنة 111هـ / 729م. ثم تولى ولاية الأندلس إلى محمد بن عبد الله الأشجعي مؤقتاً، وفترة ولايته حوالي شهرين. (راجع: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بما بينهم، ص 24. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 39-40. ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 27، 28. المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 235).

(2) انظر: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 26. الغنيمي: عبد الفتاح مقلد الغنيمي، معركة بلاط الشهداء في التاريخ الإسلامي والأوروبي، ط 1، عالم الكتب القاهرة، عام 1416هـ / 1996م، ص 59. الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، ص 6. ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص 216-217.

(3) أرض منوسة أو مونوسة هناك اختلاف بشأن هذه التسمية فالبعض يعرفها أنها أرض ماسون من بلاد فرنسا، والبعض يذكر أن منوسة تحريف لاسم عثمان بن أبي نسعة الخنعمي البربري، ولا يوجد عنه وعن شخصيته في المصادر. (راجع: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 27-28. ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، 4/ 119).

(4) برديل من بلاد جليقية وهي من أحسن أقاليمها، كثيرة الكروم والحبوب، تقع على نهر يقال له نهر عجاج. (الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 90).

(5) راجع: جاسم بن محمد القاسمي، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مؤسسة الشباب الجامعة، عام 1421هـ / 2000م، ص 16. الغنيمي، معركة بلاط الشهداء في التاريخ الإسلامي والأوروبي، ص 60. سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي وحتى سقوط الخلافة بقرطبة، ص 142.

اتحد الأعداء ضد المسلمين لمعركة فاصلة، وتقدموا نحو المسلمين حتى التقى الجمعان في رمضان سنة 114هـ/732م، بدأت المعركة الحاسمة وكان النصر في بدايتها لصالح المسلمين، في أثناء معركة هاجم جيوش الفرنجة على الأموال والغنائم والنساء والأطفال المسلمين، حتى ترك المسلمون الخطوط الدفاعية الأمامية وهبوا للدفاع عن نسائهم وممتلكاتهم، فوقعت الهزيمة بالمسلمين وكثر فيهم القتل والجراح حتى استشهد عبد الرحمن الغافقي وجمع كبير من جيشه سنة 114هـ/732م. وانسحب باقي الجيش الإسلامي لاستفاد من الظلام دون أن يشعر العدو بهم. (1)

وسميت هذه المعركة عند المسلمين ببلاط الشهداء ولها أسماء أخرى عند الغرب، (2) وهي أعظم معركة حدثت بين الفرنجة والمسلمين، هذه المحاولة الأخيرة لفتح أوروبا لو انتصروا فيها لربما استطاعوا السيطرة على مناطق واسعة من أوروبا، (3) وللأسف أن معركة بلاط الشهداء الفاصلة حددت مصير الصراع بين المسلمين والمسيحيين آنذاك، وبعدها لم يتجاوز النفوذ الإسلامي خلف جبال البرت. (4)

بعد هذه الحادثة الأليمة التي أصابت المسلمين آثارها السيئة في الأندلس، بدأ الفوضى والتمرد على الدولة في المقاطعات الشمالية، فتوجه والي الجديد عبد الملك بن قطن (5) على رأس الجيش لإخضاع هذا التمرد، وانتصر على

(1) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 28. المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 236. العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص 84، 85. الغنيمي، معركة بلاط الشهداء في التاريخ الإسلامي والأوروبي، ص 64، 76. الحجى، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ص 193. 261.

(2) سميت هذه المعركة عند المسلمين ببلاط الشهداء لكثرة من استشهد فيها من المسلمين، وسميت أيضاً وقعة البلاط أو غزوة البلاط، فمعنى كلمة البلاط القصر أو المر بين صفى أعمدة، وهي تعني الطريق المرصوف، والساحة الفسيحة أو الأرض المستوية. أما عند الغرب فقد يسمونها معركة تور- بواتية لوقوعها في السهل بين بلدي تور وبواتية. (مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بما بينهم، ص 25. المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 236).

(3) المؤرخين الغربيين أهم ترفع شأن شارل مارتل قائد قوات الفرنجة ويعظمونه الذي أصبح بمثابة منقذ ومخلص لكل أوروبا من المسلمين، لو أن المسلمين انتصروا في هذه المعركة لأصبح الإسلام والقرآن يدرسان في جامعات أوروبا وأن تصبح باريس مركز إشعاع علمي وحضاري. (راجع: العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص 84. غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعتير، ط 3، دار إحياء الكتب العربية- القاهرة، عام 1956م، ص 83).

(4) راجع: العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص 84. الفقي: عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نضرة الشرق، جامعة القاهرة، ص 52. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والاجتماعي، 1/ 262.

(5) عبد الملك بن قطن بن نفيل بن عبد الله بن نشهل الفهري تولى ولاية الأندلس من قبل والي إفريقية سنة 115هـ/733م. (راجع: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 1/ 458. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص 179. الضبي، بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ص 382).

المتمردين في سنة 1115هـ/733م، ثم سار في بلاد الفرنجة ووقع في هجومهم قرب جبال البرت، وعاد مع خسارة كبيرة، بعد عودته عزل في سنة 1116هـ/734م. (1)

تولى عقبة بن الحجاج السلوي (2) الأندلس لأجل إعادة تنظيم البلاد والقضاء على مخالقات والتمرد، وتأكيد على إنضمام الأندلس إدارياً مع ولاية شمال إفريقيا. فبدأ بتعديل نظام الضرائب ومعاقبة المسؤولين عن عدم تطبيق القانون، وبحث عن مصادر مالية لبيت المال المسلمين في الأندلس. وكان عقبة بن الحجاج آخر الولاة الأندلس الذين قاموا بالجهاد وراء جبال البرت. (3)

زادت الاضطرابات والفتن في صفوف المسلمين وخلافاتهم الجنسية والعصبية، فاستغل الأعداء هذه الخلافات والفوضى، وقاموا بتخطيط لإسترداد الأندلس رويداً، وأن البربر قد تركوا تلك المناطق التي كانوا استقروا فيها وانحدروا نحو الجنوب، تقدم القوط واستولوا على مساحات شاسعة جداً. (4) وقد سميت هذه الحركة في التاريخ الإسباني حركة "لاريكونكيستا" أي - حركة استرداد الأراضي التي وقعت من إسبانيا في أيدي المسلمين- وسيطرة الإسبان على المناطق الشمالية تسميها بصخرة بلاي (5) في جبال كنتيرية القاحلة، واستصغر شأن العرب والمسلمين واحتقروها

(1) راجع: ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص 217. مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، ص 25. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 39، 40. ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 28. المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 236.

(2) عقبة بن الحجاج السلوي هو مولى الحجاج وتولى أمر الأندلس من سنة 1116-1121هـ/734-738م، كان رجلاً مخلصاً ومجاهداً وداعياً حتى أسلم على يديه ألف رجل، وتوفي في الأندلس مدينة سرقسطة سنة 1123هـ/740م. (راجع: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 29. ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص 217. الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ص 301).

(3) راجع: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 40. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 1/ 458. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص 179، 290. ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 230. المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 236. النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 24/ 59-61. ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص 218.

(4) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، ص 61-62. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 63. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 5/ 337.

(5) بلاي هو ابن أمير قوطي يسمى برمودو وابن أخ للذريق، وأنه اختلف مع عمه، فنفاه عن طليطة قبيل دخول المسلمين البلاد، فذهب إلى جيليقية وأقام نفسه أميراً عليها ومات فيها سنة 1119هـ/737م. (مؤنس: الدكتور حسين مؤنس، بلاي وميلاد اشتوريش وقيام حركة المقاومة النصرانية في شمال إسبانيا، مجلة كلية الأداب، المجلد الحادي عشر، مطبعة جامعة فؤاد الأول، عام 1949م، 1/ 58-59، 62).

فقرروا أن يتركوها كما هي. (1)

وأما بلاي قوطي حمل سيف لذريق وهرب إلى جيليقية وقام يجمع الناس لحرب المسلمين، فلما اكتملت مهمته وانتصر على المسلمين فعظم شأنه ونصبوه عليهم أميراً، وعندما عظم خطر بلاي تجاه أمن وسلام الدولة الإسلامية أرسل له جيشاً كبيراً بقيادة علقمة بن عبد الرحمن بن علقمة اللخمي، (2) وحين سمع بلاي بجيش المسلمين تحصن في مغارة القديسة (مريم أو ماري المقدسة)، فحاصروه وهاجموه وقتل معظم جنودهم، ولكن استشهد القائد علقمة. (3)

صار الأندلس من بعده متعصباً الجنسية والقومية وكان سيئ السياسة في الحكم، فساءت الأمور واشتعلت نيران الثورة البربرية في الأندلس، وهذا الصراع أحد عوامل الهامة التي لعبت دوراً حاسماً في إضعاف الوجود الإسلامي، وتفرقت كلمة المسلمين في الأندلس، إذ سرعان ما قامت في البلد حروب العصبية اليمينية والقيسية أو المضرية، ومن آخر الولاة يوسف بن عبد الرحمن الفهري، تولاها سنة 129هـ/746م، وقد ناوأه اليمينية والبربرية وثاروا عليه، وكان وزيره المتحكم في جميع أموره الصميل بن حاتم، (4) وأنها قادا الحرب ضد اليمينية وانتصروا عليهم في الأندلس، زادت الفتن والاضطرابات والضعف بين المسلمين في الأندلس حتى قيام الإمارة الأموية في سنة 138هـ/755م. (5)

(1) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بما بينهم، ص 28. ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 29. نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 275-276.

(2) علقمة بن عبد الرحمن بن علقمة اللخمي كان عامل عقبة بن الحجاج السلولي على منطقة جيليقية، واستشهد في معركة معركة المغارة. (راجع: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 28-30. المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 236).

(3) راجع: ذنون طه، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، ص 340. مكّي: محمود علي مكّي، تاريخ الأندلس السياسي (92هـ-897هـ/711-1492م)، دراسة شاملة، ط 1، ص 68. مؤنس، بلاي وميلاد اشتوريش وقيام حركة المقاومة النصرانية في شمال إسبانيا، 1/ 63.

(4) الصميل بن حاتم بن شمر بن ذي الجوشن الكلابي الضبائي، أبو جوشن، وكان زعيماً للمضرية في الأندلس، وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، ولكن كان صاحب خبرة في الحياة، توفي في سجن عبد الرحمن الداخل سنة 142هـ/759م. (ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص 287، 288. ابن الأبار: أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بإبن الأبار (ت: 658هـ/1260م)، الحلة السراء، تحقيق: حسين مؤنس، ط 2، دار المعارف- القاهرة، عام 1985م، 1/ 68. ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 34).

(5) راجع: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 29، 34. المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 236-238. ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، 4/ 120. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 45. حمود: الدكتور سوزي حمود، الأندلس في عصر الذهبي منذ حملة طارق بن زياد إلى وفاة عبد الرحمن الثالث "الناصر لدين الله" (91-961هـ/710-961م)، ط 1، دار النهضة العربية بيروت- لبنان، عام: 1430هـ/2009م، ص 60-61.

ثانياً: الجهود الدعوية في توحيد القبائل وتحقيق الإستقرار في عصر الإمارة (138-316هـ/ 755-929م)

ضعفت الدولة الأموية بدمشق، وتأثرت من ضعفها المناطق تحت حكمها حتى انتهت من قبيل العباسيين، والخلافة العباسية ولدت في الكوفة في ربيع الأول سنة 132هـ/ يونيو 749م، وتحقق نصر ساحق على الجيش الأموي في معركة نهر الزاب أحد فروع دجلة في 11 جمادي الأول سنة 132هـ/ 749م. (1) وأراد الخليفة الأموي المهزوم أن يلتجئ إلى المغرب العربي وارسل المراسلات (2) قد تمت بينه وبين عبد الرحمن بن حبيب الفهري (3) والي المغرب، وقبل اللجوء إليه استطاع العباسيون القبض عليه، وتم أعداموه. (4)

وقد تعقب العباسيون بعنف بالغ أفراد الأسرة الأموية في مختلف أرجاء البلاد، ولعبت سياسة القسوة التي مارسها العباسيون ضد الأمويين دوراً كبيراً في تفرقهم، لذلك تفرق الأمويون في البلاد للنجاة بأرواحهم وأموالهم من بطش العباسيين، وأن الأمويين لم يثقوا بما كان يعلنه العباسيون من منح الأمان لكل من يستسلم من بني أمية وما جرى لهم في الواقعة بنهر أبي فطرس، (5) إلا أن هناك من استطاع الفرار من هذا البطش والنجاة بروحه. (6)

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 9/ 13.

(2) انظر عن هذه المراسلات: مطلوب: ناطق صالح مطلوب، إمارة الفهريين في المغرب العربي، صدى التاريخ- بغداد، العدد الثامن تموز 2001م، ص 72.

(3) عبد الرحمن بن حبيب الفهري أحد زعماء الفهرية، كان مشهوراً بالصقلي لطوله، وشقرته، وزرق عينيه، وكان متغلباً على إفريقية في بداية حكم العباسيين وقتل بما سنة 140هـ. وهو ليس والد يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب الفهري. (الزركلي، الأعلام، 4/ 74).

(4) راجع، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 7/ 432-442. مؤلف مجهول، فتح الأندلس، نشر دون خواكين دي كوتنالت- الجزائر، عام 1889م، ص 44. خزعل: ياسين مصطفى خزعل، بنوا أمية ودورهم في الحياة العامة (138-422هـ/ 755-1030م)، أطروحة دكتوراه، تحت إشراف: الدكتور ناطق صالح مطلوب، جامعة الموصل- العراق، عام 1424هـ/ 2004م، ص 13.

(5) نهر أبي فطرس على بعد اثني عشر ميلاً من الرملة، وكان عبد الله بن علي قام بحيلة لإخراج الأمويين من أماكنهم الذين اختفوا فيها، وشاع لبني أمية الأمان، وكان عبد الرحمن بن معاوية بن هشام وأخوه يحيى بن معاوية لم يطمئنوا وظلا محتفيين عن الأنظار، فجاء له الخبر لأن العباسيين قد أذرعوا القتل في الأمويين وهذا في سنة 132هـ/ 749م. (راجع: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 5/ 315. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 4/ 362).

(6) راجع: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 40. يوليوس فنهازون، تاريخ الدولة العربية، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة وحسين مؤنس، القاهرة، عام 1968م، ص 522 وما بعدها. أبا الخليل: محمد بن إبراهيم أبا الخليل، الأندلس في الربع الأخير من القرن الخامس الهجري (275-300هـ/ 888-912م، ط 1، مكتبة الملك عبد العزيز العامة- السعودية، عام 1416هـ/ 1995م، ص 41.

وكان نفر قليل الذين نجوا من سيوف العباسيين من أمراء بني أمية، منهم أمير شاب عرف بالطموح والجرأة والشجاعة هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام الملقب بالداخل (1) الذي اتجه إلى إفريقية لأنها بعيدة عن أنظار العباسيين، وهناك وجود أخواله ومعظم كبار بني أمية وأمرائهم، فزاد ضيق على الأمويين من الوالي، ففر عبد الرحمن بن معاوية وعاش في بلاد المغرب وقضى خمس سنوات منذ فراره من دمشق، حتى وصل شاطئ البحر، وارسل مولاه بدر كرسول إلى مواليه في الأندلس ويعلمهم بقدمه إليهم ويدعوهم إلى نفسه في سنة 137هـ/754م. (2) وخاطبهم بدر بقوله: "لو وجدتم بيت الخلافة كنتم تبايعونه؟ وقالوا: وكيف لنا بذلك، فقال: هذا عبد الرحمن بن معاوية فبايعوه". (3)

بعد سقوط الدولة الأموية في المشرق انفرد يوسف الفهري بحكم الأندلس، وكان ينشغل في تثبيت أمور البلاد، لكن زادت الفتن وأصبحت مهمة توحيد القبائل من المهام الصعبة، أما الإسبانيين قد سيطروا على بعض المدن في الشمال، وفي الجانب الاقتصادي واجهت الأندلس القحط والجفاف والفقر، ففي ذلك الحين دخل عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس، وبايع جميع الذين اجتمعوا على نصرته وتحقيق غايته. (4)

كان يوسف الفهري حريصاً على حكمه في الأندلس، لكن البلاد في عهده عاشت في الفتن والحروب والقحط، فاستغل عبد الرحمن بن معاوية هذه الأجواء، فاجتمع موالي المروانيين وأشياعهم وبثوا له في الأندلس دعوة، وبايعه كثير من القبائل، (5) أما يوسف الفهري والصميل قد زحفوا على عبد الرحمن بن معاوية بجيشهم وناجزهم

(1) عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ولد سنة 113هـ/731م في إحدى قرى قنسرين، كنيته أبو المطرف وأمه بربرية من سبي المغرب اسمها راح، ولقب عبد الرحمن بالداخل لأنه دخل الأندلس مفرداً في سنة 138هـ/755م، ودام حكمه ثلاثاً وثلاثين عاماً، وتوفي في سنة 172هـ/ ودفن في قصر قرطبة، وكان عمره تسع وخمسون سنة. (النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ص 196. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص 4. الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ص 928).

(2) راجع: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 40-61. المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 3/ 29، 328. الشطشاط: علي حسين الشطشاط، تاريخ الإسلام في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة، دار قباء للنشر والتوزيع القاهرة- مصر، عام 2001م، ص 90.

(3) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بما بينهم، ص 66.

(4) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بما بينهم، ص 58-62. ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص 55. ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 30-42. ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة- المعروف بتاريخ الخلفاء، 2/ 86. المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 3/ 23.

(5) راجع: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بما بينهم، ص 80. الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، ص

الحرب في معركة المسارة أو المصاراة حاسمة في طرف قرطبة الغربي عند الوادي الكبير في التاسع من ذي الحجة سنة 138هـ/756م، فهزم يوسف الفهري وفر إلى غرناطة، ثم رغب إليه في الصلح، فعقد له على أن يسكن قرطبة، ثم نقض يوسف الفهري عهده وخرج في سنة 142هـ/760م ولحق بطليطلة واجتمع إليه زهاء عشرين ألفاً من البربر، فحاصر يوسف وأبعد المفر، ثم اغتيل من أصحابه فاستقام الأمر لعبد الرحمن بن معاوية وثبت نظامه، وكان يعرف بالداخل لأنه أول من دخل من بني مروان إلى الأندلس حاكماً. (1)

حين حقق عبد الرحمن الداخل هذا الإنجاز كان عمره لا يتجاوز السادسة والعشرين، لكنه كان رجل الموقف كما وصفه شيخ المؤرخين الأندلسيين ابن حيان (ت: 469هـ/1077م) على: "أن عبد الرحمن الداخل راجح الحلم، فاسح العلم، ثاقب الفهم، كثير الحزم، ناقد العزم، بريئاً من العجز، سريع النهضة، متصل الحركة، لا يخلد إلى راحة، ولا يسكن إلى دعة، ولا يكل الأمور إلى غيره، ثم لا ينفرد في إبرامها برأيه، شجاعاً مقداماً، بعيد الغور، شديد الحدّة، قليل الطمأنينة، بليغ مفوّهاً، شاعراً محسنّاً، سمحاً سخياً، طلق اللسان، وكان قد أعطي هبة من وليه وعدوه، وكان يحضر الجنائز، ويصلي عليها، ويصلي بالناس -إذا كان حاضراً- الجُمُع والأعياد، ويعود المرضى ويكثر مباشرة الناس والمشى بينهم". (2) وبهذا التعامل أصبح عبد الرحمن الداخل حاكماً وأميراً على الأندلس، وأنه قد بذل الجهد الكبير في تأسيس الدولة، وذكر المقرئ التلمساني عنه: "ألفى الداخل الأندلس ثغراء، قاصياً غفراً من حلية الملك عاطلاً، فأرهق أهلها بالطاعة السلطانية ومكنهم بالسيرة الملوكية، وأخذهم بالآداب، فأكسبهم عما قليل المروءة وأقامهم على الطريقة، فبدأ فدون الدواوين، ورفع الأواوين، وفرض الأعطية، وعقد الأولوية، وجند الأجناد ورفع العماد، وأوثق الأوتاد فأقام للملك آتته، واخذ للسلطان عدته، فاعترف له بذلك أكابر الملوك وحذروا جانبته، وتحاموا حوزته، فلم يلبث أن دانت له بلاد الأندلس واستقل له الأمر فيه". (3)

اعتمد عبد الرحمن الداخل على العرب اليمينيين والبربر، فنشروا الفوضى الفتن وأشغلوا نار العصبية القبلية كما كان، لكن عبد الرحمن الداخل أثبت أنه لا يفرق بين القبائل فجميعهم يضمهم وطن واحد، لذلك اليمينيون لم يرضوا

62. مؤلف مجهول (عاش في قرن 4هـ/10م)، ذكر بلاد الأندلس، تحقيق وترجمة: لويس مولينا- مدريد، عام: 1983م، ص 110.

(1) راجع: المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 228-230. ابن عذاري، البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب، 2/ 40-47. سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي وحتى سقوط الخلافة بقرطبة، ص 179-196.

(2) المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 3/ 37.

(3) المصدر السابق، 1/ 331.

بمذه السياسة الجديدة، فقاموا بالعدوان وثورات على عبد الرحمن الداخل، لكنه تمكن من قمع هذه الثورات على مقاتلي بني أمية وحشود البربر وأهل البلاد. (1)

ومن أخطر الثورات التي قامت ضده في البلاد هي ثورة العلاء بن مغيث (2) وثورة شقيا بن عبد الواحد (3) وتمكن عليهما بالشجاعة وحسن تدبيره، وكذلك المؤامرات الداخلية من البيت الأموي على عبد الرحمن الداخل، وكان يسعى إلى استقرار بني أمية إليه ويدعوهم ليكونوا له عوناً ويظلمهم برعايته، لكن دبرت مؤامراتان (4) على عبد الرحمن الداخل، وانتهت مؤامرات ضد عبد الرحمن الداخل من أسرته بسبب شدته وبصيرته السياسية.

كل هذه الجهود الناجحة التي بذلها عبد الرحمن الداخل لإخماد الثورات في الأندلس وتأسيس الدولة القوية فيها، وقضى كل مدة حكمه من أجل إقامة الدولة وفي حروب مستمرة وعمل جهود لإعادة أجماد المسلمين، وأسس دولة ووضع معالم حضارتها الإسلامية وضبط سلطانتها ونظام سياستها، ومات سنة 172هـ / 788م.

خلف عبد الرحمن الداخل ابنه هشام على حكم الأندلس سنة 172هـ / 788م، وكان هشام بن عبد الرحمن يذهب بسيرته إلى عمر بن عبد العزيز، وكان يبعث بقوم ثقات إلى الكور فيسألون الناس عن سير عماله، ويخبرونه

(1) راجع: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 53-54. مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، ص 101.

(2) ثورة العلاء بن مغيث اليحصبي قائد شجاع في إفريقية، كتب إليه أبو جعفر المنصور كتاباً يدعو فيه إلى الخروج على عبد الرحمن الداخل، فلبى دعوته، وثار في باجة غرب الأندلس سنة 146هـ، رفع راية العباسيين وجمع حوله جنود كثر، فخرج إليه الداخل ودارت الحرب بينهم قتل العلاء وهزم جيشه.. (راجع: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 51-52. المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 332. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 54).

(3) ثورة شقيا بن عبد الواحد المكناسي البربري في منطقة شنتيرية، وكانت من أخطر وأطول الثورات التي هددت عبد الرحمن الداخل، إذا استمرت بين 151-160هـ / 768-777م، وامتدت ما بين ماردة وقورية غرباً، وإلى ثغور وادي الحجارة وكونكة شرقاً، وقد سير عبد الرحمن الداخل جيوشاً كثيرة لمحاربتة، ولم يتمكن القضاء عليه إلا أن دبر له مؤامرة فاغتالوه في سنة 160هـ / 777م. (ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 54-55. مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، ص 111. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 5/ 200. مكّي: الدكتور محمود علي مكّي، التشيع في الأندلس، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمديرد، عام 1954م، 2/ 98-99. 167).

(4) كانت لبعض بني أمية روح من الحقد والحسد لعبد الرحمن الداخل، فدبرت مؤامراتان خطيرتان أولاهما قام بها إثنان من أقطاب بني أمية هما: عبد السلام بن يزيد بن هشام وهو ابن عم الأمير، وعبيد الله بن أبان بن معاوية وهو ابن أخ الأمير، ولما كشف أمرهما قتلا كل منهما وذلك في سنة 163هـ. ومحاولة أخرى لسحق الأمير عبد الرحمن الداخل، وكان دبرها ابن أخ الأمير هو المغيرة بن الوليد بن معاوية بمعاونة هذيل بن الصميل بن حاتم، ولما علم الأمير عليهم قتلها ومن سعى معهما، ونفى أخاه الوليد إلى إفريقية مع أسرته، وذلك في سنة 168هـ. (عنان، دولة الإسلام في الأندلس، 1/ 189).

بحقائقها، فإذا انتهى إليه حيف من أحدهم أوقع به وأسقطه وأنصف منه، ولم يستعمله بعد. "كان بسط البنان، فصيح اللسان، وسيع الجنب، حاكماً بالكتاب والسنة، قبض الزكوات من طرقها، ووضعها في حقها، لم يأخذ في الله لوم، ولا تعلق به ظلم".⁽¹⁾

قامت في عهده عدة ثورات منها ثورة إخوته حول الحكم،⁽²⁾ وقد تمكن عليهم بحسن تدبيره. بعد هذه الفتن الداخلية نفرغ هشام لجهاد الأعداء، حتى توفي سنة 180هـ/796م، وحكم حوالي ثمانية أعوام.

تولى الإمارة الحكم بن هشام (الحكم الأول) المعروف بالريضي⁽³⁾ سنة 180هـ/796م، وقامت ثورات كثيرة ضد الحكم بن هشام، وعلى الأغلب ثورات كانت اجتماعية أو إقليمية لا فتن عشائرية أو قبائلية بغية خلع طاعة الأمير والتخلص من النظام، وكانت الثورات التي واجهها الحكم بن هشام هي ثورة عميه سليمان وعبد الله أبناء عبد الرحمن الداخل الذين نفيا إلى إفريقيا سابقاً، وانتهت بقتل سليمان بعد حرب دامية واستسلام أخيه عبد الله مطالب بالأمان.⁽⁴⁾ وكذلك فتنة المولدين في طليطلة،⁽⁵⁾ ووقعة هيج الرض الأولى، وهيج الرض الثاني المسمى

(1) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 65-66. المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 336-337.

(2) ثورة سليمان بن عبد الرحمن الداخل على أخيه الأصغر، حشد الحشود وجند الأجناد، وبايعه أهل طليطلة وما جاورها، ثم زحف نحو قرطبة، والتقى الجيشان فهزم سليمان وعاد إلى طليطلة، ثم انضم إليه أخوه عبد الله البلنسي، فخرج على رأس جيش كثيف لمحاربة أخويه، ففر منها سليمان ثم طلب الأمان، فاشترط عليه الأمير الرحيل عن الأندلس وأعطاه ستين ألف دينار، فنزل بأولادهما وأهلها ببلاد المغرب. (راجع: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 61، 70. المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 334).

(3) الرض كلمة تطلق على ماحول المدينة، وقيل: هو الفضاء حول المدينة. وتطلق على الضاحية أو الحي. وجمعها أرياض. وقد بلغت مدينة قرطبة من الاتساع إلى أن كانت أرياضها إحدى وعشرين ريضاً كل ريض منها يعد مدينة من المدائن، الحكم بن هشام قام بصلب اثنين وسبعين رجلاً من أهل قرطبة سنة 189هـ/805م لأنهم أرادوا خلع الحكم بن هشام، وسميت هذه الحادثة بهيج الرض الأول. أما هيج الرض الثاني المسمى ررض شقندة وقعت في 13 رمضان 202هـ/25 مارس 818م في الرض الجنوبي من قرطبة، ثار الناس بسبب قسوة الحكم بن هشام على عامة الناس وأدت إلى قتلهم، فقد أرسل بعض أعوانه وقبضوا منهم ثلاثمائة فصلبوا على نحر الوادي الكبير صفاً واحداً. هيج الرض سبب في تلقيب الحكم بن هشام بـالريضي. (راجع: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 71-77. المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 339. ابن الخطيب: لسان الدين محمد بن عبد الله بن الخطيب الأندلسي (ت: 776هـ/1373م)، أعمال الأعلام في من بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، ط 2، دار المكشوف- بيروت، عام: 1956م، ص 15-16، 103).

(4) راجع: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 70. عنان، دولة الإسلام في الأندلس، 1/ 231-233. مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 273.

(5) فتنة المولدين في طليطلة سنة 181هـ/797م وكانت هذه المدينة مركزاً لإثارة الفتن منذ عهد عبد الرحمن الداخل، وكان أهلها يحاولون استقلال عن حكم الإمارة، فأرسل الأمير الحكم قائده عمروس بن يوسف لمحاربتهم، لكن أنهم استعملوا مؤامرة ضد الثائر عبيدة بن حميد وأعتيل وأخذت الثورة إلى حين، ثم

ريض شقنذة جنوب قرطبة، ومن الثورات والفتن الصغرى التي واجهت الإمارة في الأندلس قد كثرت، وتغلب الحكم بن هشام في إخماد هذه الفتن والثورات بالشدة والقسوة وتوحد جميع الأندلس تحت إمرته.

توفي الحكم بن هشام وخلف ابنه عبد الرحمن الأوسط سنة 206هـ / 822م، ض وبدأ عصرًا جديدًا وملكاً عظيماً على أسس أسلافه الذين سبقوه، وكان طبيعته وسطاً بين اللين والشدة، وكان على مستوى العالية من الثقافة والعلم، متبحراً في علوم الشريعة والأدب واللغة، وكان يجب العلماء لذلك استقدم كثيراً منهم من المشرق، كان في حكمه الأمن والاستقرار، كثر فيها الأموال وازدهرت فيها حضارة الأندلس بجميع فنونها،⁽¹⁾ وحدث في إمارته نزاعات قليلة مثل ثورة عبد الله بن عبد الرحمن عم أبيه،⁽²⁾ وفتنة بين المضرية واليمينية في مدينة تدمير،⁽³⁾ وثورة أهل ماردة،⁽⁴⁾ وفتنة المستعربين النصرارى بقرطبة،⁽⁵⁾ وكان عبد الرحمن الأوسط قمع ثورات الثائرين وتصدى لهجوم الآخرين، وخاض عدة معارك ضد النصرارى، وأفاد من الأحداث وتعلم من التجارب، فأوصل الأندلس في عهده إلى

عادت طليطلة إلى الثورة أخرى، فعيين عمرو بن يوسف من مولدين حاكماً لها، وأظهر طاعة الحكم ودعا له. (راجع: ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 69-70. ابن الخطيب، أعمال الأعلام في من بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، ص 14-15. عنان، دولة الإسلام في الأندلس، 1/ 239-240. سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي وحتى سقوط الخلافة بقرطبة، ص 222).

(1) المقري التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 347-348. ابن الخطيب، أعمال الأعلام في من بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، ص 20.

(2) قام عبد الله بن عبد الرحمن عم الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بثورة في كورة تدمير سنة 207هـ / 823م، ولكنه مات قبل البدء زحفه، وانتهت هذه الفتنة بوفاته. (عنان، دولة الإسلام في الأندلس، 1/ 255).

(3) فتنة بين المضرية واليمينية في مدينة تدمير دامت سبع سنين، بدايتها من سنة 207هـ / 823م إلى سنة 213هـ / 828م، ولم تهدأ إلا في سنة 213هـ / 828م، وحضع الزعماء وطلبوا الأمان وعادوا إلى الطاعة. (راجع: ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 81. عنان، دولة الإسلام في الأندلس، 1/ 255).

(4) ثورة أهل ماردة في سنة 213هـ / 828م قادها محمود بن عبد الجبار من البربر وسليمان بن مارتين من المولدين ويعرف بإبن قعنب، وانضم إليهم النصرارى المعاهدون، وقد توالى الحملات العسكرية على ماردة حتى تمكنت من إخماد ثورتها وقتل زعيم الثورة سنة 219هـ / 834م. (راجع: ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 83).

(5) قامت فتنة المستعربين النصرارى في قرطبة، ويتحدث عنها المؤرخون الأوروبيين وليس في المصادر الإسلامية، وهي أن جماعة من غلاة النصرارى كانوا يسبون رسول الله ﷺ وينكرون نبوته ويطعنون في دين الإسلام، ويفعلون علناً عند أبواب المساجد والطرق العامة، لذلك أمر عبد الرحمن بن الحكم بعقد مجمع ديني كنيسي في سنة 238هـ / 852م يحضره أساقفة الأندلس وتحدث فيه المستعربون إلى التزام الهدوء والطاعة، وانتهت هذه الفتنة بإصدار قرار كنيسي يجرم على النصرارى قذف الإسلام أو النبي، والتعرض للموت في غير مبرر. (مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 283. كحيلة، تاريخ النصرارى في الأندلس، ص 208. سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي وحتى سقوط الخلافة بقرطبة، ص 241-242).

قمة الإزدहार. وتوفي عبد الرحمن بن الحكم سنة 238هـ / 852م. (1)

تولى أمر الأندلس محمد بن عبد الرحمن الأوسط، (2) فاختار لنفسه سيرة والده في العدل، لقد كان: "متزهاً عن القبيح، ويؤثر الحق وأهله، لا يسمع من باغ، ولا يلتفت إلى قول زائع"، (3) وكان: "مكرماً لأعلام الناس من أهل العلم والموالي والأجناد متخيراً لعماله"، (4) وكان أيضاً: "حليماً عفيفاً كاظماً لغيظه، محتملاً حسن الأدب، بصيراً بالحساب". (5)

شهدت عهده ثورات خطيرة مثل ثورة طليطلة (6) وثورة ابن الجليقي (7) وثورة عمر بن حفصون (8)

(1) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، 4 / 167. المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1 / 347. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 5 / 292.

(2) أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الأوسط ولد في سنة 207هـ / 822م، وتولى حكم الأندلس وكان عمره آنذاك ثلاثين سنة، توفي سنة 273هـ / 886م. (ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2 / 93، 94. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 5 / 293. ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، 4 / 167. المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1 / 350).

(3) راجع: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2 / 107. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 92.

(4) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 92.

(5) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بما بينهم، ص 141.

(6) ثار أهل طليطلة المولدين وسجنوا عامل المدينة، فأرسل الأمير محمد أخاه على رأس الجيش في سنة 239هـ / 853م، ولكن لم يهدأ، فخرج الأمير محمد بن عبد الرحمن في سنة 240هـ / 854م، فطلب الثائرين العون من ملك حليقية أردن بن إذفونش ومالك البشكنس فأرسل جيشاً كبيراً، فدارت الحرب بينهم، وانتصر الأمير محمد بحسن تدبيره. واستولى الأمير محمد بن عبد الرحمن على طليطلة سنة 245هـ / 859م. (راجع: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2 / 94 - 96. المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1 / 350).

(7) ثورة عبد الرحمن بن مروان بن يونس الجليقي في ماردة سنة 254هـ / 868م، وهو من أصل الغرب من المولدين، في عهد الأمير محمد قام بعضيانه فخرج إليه الأمير محمد فحاصروهم، دارت بين الطرفين مناوشات واستسلم، ثم هرب من قرطبة إلى قلعة خنش حصينة لأمر محمد حاصر القلعة، حتى طلب الأمان فأمنه على أن يرحل عن القلعة. ثم قام بعضيانه مرة أخرى حتى اشتد خطره، فأرسل الأمير محمد أبنة المنذر حتى أنه دخل في طاعة الأمير محمد طوال ما تبقى من عهده. (راجع: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2 / 100 - 103. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 107 - 109. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 5 / 339).

(8) ثورة عمر بن حفصون هو عمر بن حفص بن عمر بن جعفر بن شتيم بن ذبيان بن فرغلوش بن إذفونش من كورة تاكرنا من عمل رندة، وكان الذي أسلم منهم جعفر بن شتيم ففتنا نسله في الإسلام. ثورة عمر بن حفصون من أخطر الثورات التي شهدتها الأندلس وأطولها مدة، فقد بأت في سنة 267هـ / 880م في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن وامتدت حتى سنة 316هـ / 928م، وكان عمر بن حفصون يحكم بين الجزيرة الخضراء ومرسية، حيث تمكن الخليفة عبد الرحمن الناصر من إخادها والقضاء على آخر رفع لواءها من آل حفصون. (راجع: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2 /

وهجوم النورمان المجوس⁽¹⁾ وغيرها من الثورات، لكن تمكن من إخماد بعضها واستمر بعضها زمناً طويلاً، وأعد جيشاً ضخماً لمواجهة المخاطر وبلغ عدده مائة ألف فارس إضافة إلى أسطول حربي من سبعمائة قطعة.⁽²⁾

في عهده خرج الأمير محمد بن عبد الرحمن للجهاد مراراً وفتح كثيراً من القلاع والحصون، وتوفي سنة 273هـ/886م، وخلف ابنه المنذر⁽³⁾ على الإمارة الأندلس.⁽⁴⁾

قاد المنذر في حياة أبيه الجيوش حتى وصل إلى بلاد النصرى، وكان من أبطال الرجال الذين خرجوا لإخماد الفتن والثورات في إمارة أبيه، وخرج الأمير المنذر لمحاصرة ابن حفصون وأصيب بمرض شديد حتى توفي في سنة 275هـ/888م.⁽⁵⁾ وبعده تولى الإمارة أخوه عبد الله بن محمد،⁽⁶⁾ وكان تحت أخطار من المتربصين بكرسي إمارة الأندلس، ففي كل جهة ثائر،⁽⁷⁾ وكل هؤلاء طامعون بكرسيه، وقد شعر الأمير عبد الله بن محمد بذلك منذ أول

104-106. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 6/36. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 109، 112).

(1) هجوم النورمان المجوس في سنة 245هـ/859م، وفيه اثنين وستين مركباً، خرجوا فيها إلى ساحل المحيط الأطلسي فتقدم في بعض كور باجة وتم إلى مصب نهر إشبيلية وتم إلى الجزيرة الخضراء ومرسية وأريولة ثم توجهوا شمالاً، وبلاد الغالة في الجنوب، فأرسل الأمير محمد مراكب فلقيتهم ودارت الحرب في البحر، وأسر ملكها غرسية بن ونقة في عاصمة نيرة وافتداء نفسه بمبلغ كبير. (راجع: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/67، 96-97. ابن حيان: أبو مروان حيان بن خلف القرطبي (ت: 469هـ/1079م)، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: شالميتا، المعهد الإسباني للثقافة مدريد، وكلية الأدب- الرباط، عام 1979م، 2/307، 308، 309).

(2) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص 57.

(3) أبو الحكم المنذر بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط، ولد في سنة 229هـ/843م، وتولى إمارة الأندلس بعد وفاة أبيه في سنة 273هـ/886م، ومات في سنة 275هـ/888م. (ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/113).

(4) راجع: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/94، 106. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 6/61. المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/352.

(5) راجع: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/1180، 119. ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، 4/169. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 119، 120. المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/352.

(6) عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ولد في سنة 229هـ/843م، ومن أبرز صفاته كان حافظاً للقرآن الكريم وكثير التلاوة له، وتوفي سنة 300هـ/912م. (راجع: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/121، 152، 153. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 120. مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، ص 150).

(7) كثرت الثورات في عهد الأمير عبد الله منهم ثورة عمر بن حفصون تمت ذكرها سابقاً، وثورة بني الحجاج بإشبيلية وتحالف مع عدد من الثوار الآخرين

يوم، ففي أيامه زادت الفتن وصار في كل جهة متغلب. اضطربت أحوال الأندلس في عهده وتمزقت وحدة الأندلس، وقامت الثورات في سائر أنحاء الأندلس، وكسرت شوكة أمراء ونفوذهم في الأندلس ولا يتعدى حكم الأمراء عن قرطبة ونواحيها، وكذلك أتيحت الفرصة لممالك النصارى في الشمال لأن تتوسع أرضهم نحو المسلمين. (1)

توفي الأمير عبد الله في سنة 300هـ / 912م، بعد وفاته ولى الإمارة إلى حفيده عبد الرحمن الناصر (2) الذي بدأ به عصراً جديداً في الأندلس.

المسلمون قد شغلوا وقتاً طويلاً في الفتن الداخلية حتى تولى الأمير عبد الرحمن الناصر وقام في إخماد الفتن والثورات في الأندلس، فكانت ثورة عمر بن حفصون من أعتنى وأشدّها في الأندلس، فأرسل جيشاً في جمادي الأولى سنة 300هـ / 912م، وأخذ من يده كثير من القلاع والحصون حتى طلب الأمان في سنة 303هـ / 915م، فأجاب طلبه واستقرت الأمور في الأندلس، لكن بعد وفاة ابن حفصون قام ابنه الأصغر على التمرد، فلم يمهل طويلاً حتى استسلم في سنة 316هـ / 928م وعينه على منصب رفيع في الجيش. (3).

موجز الثورات التي واجه الأمير عبد الرحمن الناصر في إمارته ثورة عمر بن حفصون وأولاده من بعده، وثورة بنو حجاج وبنو خلدون في إشبيلية وماجاوروها سنة 301هـ / 914م، وثورة عبد الرحمن بن مروان الجليقي من المولدين في غرب الأندلس في منطقة ماردة وبطليوس، وثورة بنو قسي أصحاب تطيلة بالثغر الأعلى من سنة 303-312هـ / 916-925م، وكذلك الأمير عبد الرحمن الناصر يتبع في سياسته مع أعدائه من الثوار الترغيب والملاينة قبل التهديد

تحت يد كريب بن عثمان بن خلدون وهم: سليمان بن محمد بن عبد الملك الثائر بكورة شذونة، وعثمان بن عمرو الثائر بكورة لبلة، وجنيد بن وهب القرموني الثائر بقرمونة وهو من البربر، وغيرهم من الثائرين على الإمارة في هذه التحالف، والثورة من المولدين والثورة من العرب والثورة من البربر.

(1) راجع: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 6/ 65. مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، ص 150. سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي وحتى سقوط الخلافة بقرطبة، ص 241-242.

(2) هو أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، ولقبه الناصر لدين الله وأيضاً يدعى عبد الرحمن الثالث، ولد سنة 277هـ / 890م، ولى عبد الرحمن الناصر إمارة الأندلس في اليوم الذي توفي فيه جده الأمير عبد الله، وكان عمره حينئذ ثلاثاً وعشرين سنة، وأول من بايعه أعمامه وهم: أبان، والعاصي، وعبد الرحمن، ومحمد، وأحمد، وتلاههم إخوة جده: العاصي وسليمان وسعيد وأحمد، ثم بايعه عامة الناس. (راجع: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 122، 156، 157. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 6/ 143. المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 353).

(3) راجع: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 160-163، 171، 193. ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخير في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، 4/ 179. ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: شاملتا، 5/ 67، 112، 138. ابن الخطيب، أعمال الأعلام في من بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، ص 23.

وشن القتال، وأنه لا يبدأ بحرب العصاة حتى يستخدم جميع الوسائل السلمية وهذا ما جعله محل إحترام بين أتباعه وأعدائه.

ثالثاً: الجهود الدعوية في توحيد القبائل وتحقيق الإستقرار في عصر الخلفاء (316-366هـ/ 928-976م):

تغلب عبد الرحمن الناصر على الاضطرابات والفتن الداخلية وتوحد الأندلس الإسلامية تحت حكم واحد إنجاز كبير، ولم يصل إلى هذا الهدف عن طريق القوة فحسب، بل تمكن على كل هذه العوائق عن طريق الأخلاق القويمة والسياسة الرشيدة التي اتبعها، وقد تمت هذه الفتن في الوقت الذي أصبحت فيه الخلافة العباسية على حافة الانهيار، والدولة الفاطمية في شمال إفريقيا تمد يدها إلى المغرب والأندلس، اتخذ عبد الرحمن الناصر قراراً وأعلن الخلافة في ذي الحجة سنة 316هـ/928م، وأصدر الناصر مرسوماً بأن تكون الخطبة يوم الجمعة بإسمه في المسجد بجامع قرطبة، وأرسل الرسالة⁽¹⁾ في جميع أنحاء الأندلس يأمرهم بأن يدعى له بأمر المؤمنين.⁽²⁾

لقد زادت التحديات من الداخل والخارج أمام عبد الرحمن الناصر مرة أخرى، ثار بعض الناس داخل الأندلس⁽³⁾ فخرج الخليفة الناصر لإخمادها، وتمكن عليه جميعاً بحسن تديره وسياسته.

(1) وردت في الرسالة إلى عماله في الأندلس: "بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد، فإننا أحق من استقى حقه، وأجدر من استكمل حظه، ولبس من كرامة الله ما ألبسه، الذي فضلنا الله به، وأظهر أئرتنا فيه، ورفع سلطاننا إليه، ويسر على أيدينا إدراكه، وسهل بدولتنا مرامه، والذي أشاد في الآفاق من ذكرنا، وعلو أمرنا، وأعلن من رجاء العالمين بنا، وأعاد من انحرافهم إلينا، واستبشارهم بدولتنا. والحمد لله ولي النعمة والإنعام بما أنعم، وأهل افضل بما تفضل علينا فيه. وقد رأينا أن تكون الدعوة لنا بأمر المؤمنين، وخروج الكتب عنا وورودها علينا بذلك، إذ كل مدعو بهذا الإسم غيرنا منتحل له، ودخيل فيه، ومتسم بما لا يستحقه. وعلمنا أن التمادي على ترك الواجب لنا من ذلك حق أضعناه، واسم ثابت أسقطناه. فأمر الخطيب بموضعك أن يقول به، وأجر مخاطباتك لنا عليه، إن شاء الله، والله المستعان". وكتب يوم الخميس لليلتين خلتا من ذي الحجة سنة 316هـ. (ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 198-199).

(2) راجع: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 6/ 124 وما بعدها. ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: الحجي، 5/ 241-242. ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 198-199.

(3) ثار كثير من الناس على الخليفة عبد الرحمن الناصر، فخرج لحرب هؤلاء الثوار في ربيع الثاني سنة 317هـ/929م، وبدأ من غربي الأندلس، فدارت بينه وبين الثوار الحرب حتى طلبوا الأمان، فأجابه الخليفة. ثم توجه نحو مدينة باجة وطلبوا الأمان بعد حرب، فأمنهم الخليفة. ثم قدم إلى أكشونبة وطلبوا أهلها الأمان فأجابه. فأما مدينة طليطلة منذ البداية كانت مركز للثوار، فأراد الناصر أن يخضعها، وسيطر عليها وطلبوا الثائرين الأمان من الخليفة، وأجابه. بهذه الطريقة اتمدت الثورات في عهده. (راجع: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 198-207. ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: شالميتا، 5/ 241-318).

التحديات التي واجهت الخليفة عبد الرحمن الناصر من الخارج وهي الصراع مع الفاطميين في المغرب، فأراد الخليفة الناصر أن يكون معركة مع الفاطميين بعيداً عن بلاده، ف جذب بعض قبائل المغرب إلى جانبه من خلال الترحيب بالأمر، وجهاز الخليفة الناصر هذه القبائل ضد الفاطميين واستولوا على مدينة مليلة⁽¹⁾ في سنة 314هـ/ 927م وحصن أسوارها ثم على سبته سنة 319هـ/ 931م، وكان الناصر حريصاً على تحصين هذه المدينة ووضع حامية عسكرية فيها، أن الفاطميين أدركوا أهمية مدينة سبته فأرسلوا جيشاً قوياً لكن هزموا أمام قوات الناصر، ثم توجه جيش الخليفة الناصر نحو المغرب الأوسط واستولوا عليهم.⁽²⁾

حكم عبد الرحمن الناصر الأندلس ما يزيد على نصف قرن، بدأ عهده بالإمارة وحكم منهم ستة عشر سنة التي ورثت من أجداده، ثم أعلن الخلافة في سنة 316هـ/ 928م وحكم حتى توفي في سنة 350هـ/ 961م وبلغ عمره ثلاثاً وسبعين سنة، حقق خلالها إنجازات كثيرة على جميع المستويات.

ولى الخلافة إلى ابنه الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر الذي درب والده على تحمل مسؤوليات الحكم والنهوض بالمشاكل الثقيلة، وقد تسلم له والده دولة مستقرة وقوية مهية الجانب وموحدة، وكانت سياسة الخليفة الحكم المستنصر بالله كأبيه بوجه عام، بلغت الأندلس عصرها الذهبي في الحضارة والعلوم ليس لها مثل في العالم في ذلك الوقت.⁽³⁾

وقد كان الأمن والاستقرار والهدوء والرفق أحد السمات البارزة في عهد الخليفة الحكم المستنصر، واستمرت وحدة الأندلس كما ترك له والده، وكان حريصاً وشديداً على إقامة شرع الله بين رعيته واهتمامه بأحوالهم، وكان يحرص القضاة في الحكم بالعدل وإعطاء كل ذي حق حقه.⁽⁴⁾

الخلاصة والتعليق:

(1) مدينة مليلة قريبة من سبته على ساحل البحر المتوسط الجنوبي. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، 5/ 197).

(2) راجع: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 1/ 266، 269، 282، 284، 288. ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: شالميتا، 5/ 162.

(3) راجع: ابن الخطيب، أعمال الأعلام من بوع قبيل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، ص 41. عنان، دولة الإسلام في الأندلس، 2/ 509.

(4) المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 382.

وانتشرت الفتنة بين المسلمين وضعف قوتهم ونمى النصراني ويحتلون البلاد بسهولة، والمسلمون تركوا لهم البلاد دون أي مقاومة بسبب هذه الفتنة، وأن النصراني استطاعوا أن يفرقوا وحدة المسلمين بمحاولات التدخل في صفوفهم ومحاولة ضرب المسلمين بعضهم ببعض.

لما اشتدت الفتنة تعطلت حركة الجهاد ضد الأعداء، مما شجع الأعداء للإغارات على بلاد المسلمين، وكذلك تعطلت الدعوة الإسلامية في كثير من الأماكن، وأدت هذه الفتنة إلى آثار سيئة جداً في جميع النواحي الحياة، وقد هلك فيها كثير من المسلمين وفقدت الأندلس الحروب الأهلية كثيراً من أبطالها الذين كانوا له دور كبير في الفتوحات وحماية الثغور.

وكذلك انقطعت طرق التجارة وانتهت الزراعة وهجر كثير من الناس عن أماكنهم، حتى زادت المشاكل الاقتصادية وكثرت المجاعات والأمراض التي كانت تذهب بحياة كثير من الناس، واهدمت الحصون والقرى أثناء هذه الفتنة.

توقفت الدعوة في الأندلس بسبب هذه الفتنة، لأن المسلمين وعلماء يقومون بتعليم الناس وتوجيههم وإرشادهم فعندما تقوم الحروب في أماكنهم، فلهم أن ينتقلوا إلى مكان آخر أو أن يموتوا، وفي كلا الحالتين توقفت الدعوة، ولا شك أن رحيل العلماء والدعاة كان لهم أثر سيئ في الأماكن التي كانوا يرحلون منها، وقتل كثير من العلماء والدعاة أثناء هذه الفتنة وهدمت فيها المساجد، هدم المساجد من أشد مضار الدعوة الإسلامية لأن المساجد مدرسة المسلمين الأولى، وإن العلماء الذين قتلوا أو شردوا تركوا فراغاً كبيراً في التعليم، وأن في الأندلس أعظم العلماء وكانت له آثار بارزة في الدعوة.

وفي أثناء هذه الفتنة والثورات كان الدعاة والعلماء لهم دور مهم ولهم جهود التي يبذلها لإخماد الفتنة والثورات ومحو كل آثارها لتكون كلمة المسلمين واحدة.

المبحث الثاني

مراحل الجهود لإقامة الدولة في الأندلس

قسم الأندلس إدارياً إلى أقاليم كبرى على تقسيم القديم زمن الرومان والقوط، وتشكل كل إقليم عدداً من المدن، في البداية أربع أقاليم كبيرة على رأس كل منهم حاكم محلي يعين الوالي العام.

المرحلة الأولى: الجهود لإقامة الدولة في عصر الولاة:

لم أجد المصادر الوافية عن النظم الإداري في الأندلس لكن معلومات قليلة جداً، لأن المصادر الأندلسية تركز على الأحداث السياسية والعسكرية، وبالرغم من ذلك نستطيع من خلال المعلومات المتوفرة لدينا الربط فيما بينها لمعرفة كيفية النظام الإداري في الأندلس.

كان عصر الولاة بعد الفتح على هيئة إدارية محلية تحت حكم الوالي وقادة الجيش وتتبع إدارياً وعسكرياً الوالي في شمال إفريقية، وكان الوالي في معظم الأحوال هو قائد الجيش العام في المنطقة، وتقسيم ولاية الأندلس على خمس مقاطعات يعين لها حاكم من قبل والي الأندلس، وهو مسئول أمام الوالي عن إدارة شئون مقاطعته. (1)

وهذه المقاطعات عبارة عن:

- 1- إقليم الجنوب تمتد بين نهر الوادي الكبير الذي يلي حتى وادي آنة أو يانة والبحر المتوسط، وفيه عدداً من المدن منه قرطبة وإشبيلية ومالقة وجيان وغيرها.
- 2- إقليم وسط الأندلس من البحر المتوسط شرقاً على حدود لوزيتانيا (البرتغال القديم) غرباً، ومن جهة الشمال تصل إلى نهر دويرة أو دورو، وتضم مدينة طليطلة وتونقا وبلنسية ومرسية ولورقة وبسطة ووادي الحجارة وقرطاجنة ولارقة ودانية.
- 3- إقليم جليقية لوزيتانيا (البرتغال القديم) ومن مدنه ماردة وباجه وأشبونة وقللمرية وشلمنقة وأسترفة وسمورة...
- 4- الإقليم الرابع تمتد من نهر دويرة إلى جبال البرت أو البرت إضافة على نهر إيبرو، ومن مدنه سرقسطة وطرطوشة وطركونة وبرشلونة ووشقة وببشتر وتطيلة وغيرها.

(1) الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ص 11.

5- الإقليم الخامس من الأندلس حين اتسع نطاق الفتح الإسلامي شمالاً أنشأ هذا الإقليم الخامس شمال جبال البرت مكون من أربونة وقرقشونة وبزييه وأجدة وماجويلون أو مقلون ولوديف وغيرها. (1)

هذا التقسيم لتنظيم الحكومة وإدارتها وحل الأمور الاجتماعية والاقتصادية، لذلك تفرقت في الأندلس القبائل والعشائر المختلفة من المسلمين بعد فتحها، وقد أهتمهم الانضمام في المجتمع الأندلسي والدعوة إلى الإسلام بينهم، فكل من دخل الإسلام فهو أخوهم في الدين. (2)

عبد العزيز بن موسى افتتح المناطق والحصون ثم قام في تنظيم الحكومة وإدارتها، حيث أنشأ ديواناً لتطبيق الأحكام الشرعية وتنسيقها، (3) بعد أن أعتيل عبد العزيز بن موسى لم يقم أحد من الولاة أن ينظم الأندلس إدارياً حتى زمن عمر بن عبد العزيز الذي فصل الأندلس من ولاية شمال إفريقية، وعين السمح بن مالك الخولاني والياً عليها، وأنه نظر في أراضي الأندلس وعمل حصراً شاملاً لها، وميز أراضي ما فتح صلحاً مما فتح بالقوة، ومُخمس جميع أراضي الأندلس أن قرر عليها الخراج بنسبة الخمس، ووزع الأراضي على المزارعين على أساس المزارعة، وبنا قنطرة قرطبة على نهر الوادي الكبير، وبأتمها من أعظم آثار الأندلس وأعجبها، وفي مجال الاقتصادي ألغى نظام عبيد الأرض وقد تم تحرير هؤلاء من العبودية، وصاروا يستأجرون الأراضي ويعملون فيها مقابل إخراج جزء من الغلة للمسلمين. (4)

ومن آخر ولاة الأندلس يوسف الفهري قام بالإصلاح الإداري وتحرير الجهاز الحكومي من الفساد، ويتجول في الأندلس ويتفقد أحوال سكانها، وعزل بعض الحكام لغفلتهم ويقضى على المظالم والفوضى، لأن تكون للإدارة المركزية أداة تنفيذية قوية تحقق لها المكانة، لكن جهده دون نتيجة لأنه كان ضعيفاً بسبب النزاعات الداخلية.

وكان الأندلس البلد الإسلامي ظل تابعاً لمركز الخلافة في دمشق خلال أربعين سنة، ولم يذكر في المصادر من

(1) راجع: الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 246. عنان، دولة الإسلام في الأندلس، 1/ 70.

(2) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، 1/ 62. سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي وحتى سقوط الخلافة بقرطبة، ص 119-130.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 23-24. عنان، دولة الإسلام في الأندلس، 1/ 71. الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ص 136.

(4) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 26، 62. المقري التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 480. فتحي: الدكتور عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، التاريخ والمؤرخون في مصر والأندلس في القرن الرابع الهجري- العاشر الميلادي، ط 1، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، عام 1424هـ/ 2004م، 1/ 213.

مقدار جزية أو خراج، ولا نعرف إنشاء الديوان المالي وعلى أي أساس وزعت أرضه بين الفاتحين والدولة المركزية، وكذلك حاول بعض الولاة أن ينشؤوا ديواناً للمال وديواناً للجيش لكن لم يستطيعوا أن يحصوا أموال الخراج والجزية.

المرحلة الثانية: الجهود لإقامة الدولة في عصر الإمارة:

اعتمدت الإمارة الإسلامية في الأندلس على التقسيم الإداري الرئيسي وهي تشتمل على متوسط وشرق وغرب، وكل قسم له مدن وحصون وقرى حتى أن كل مدينة منها مملكة مستقلة لها عمال والجنود والرواتب وغيرها من الأعمال. أما هذه ثلاثة قواعد رئيسية كلها تحت حكم الأمير في الأندلس، وهذه القواعد عبارة عن:

- 1- قسم الأندلس المتوسط: هذا القسم يحتوي على ستة قواعد كبيرة عبارة عن مدن تتبعها أعمال صغيرة، وهي: قرطبة، وطليطلة، وجيان، وغرناطة، والمرية، ومالقة. (1)
- 2- قسم شرق الأندلس: فليده من القواعد مرسية، وبلنسية، ودانية، والسهلة أو شنتمرية، والثغر الأعلى وبعض المدن الجديدة بنيت في عصر الإمارة. (2)
- 3- قسم غرب الأندلس: ففيه مدينة إشبيلية، وماردة، وأشبونة، وشلب وأضاف في هذا التقسيم بعض الجزر البحرية. (3)

في عصر الإمارة أسست بعض المدن وضمت إلى هذا التقسيم الثلاثي، وطوّرت التنظيم الإداري الإقليمي وجددت فيها بعض الثغور وعرفت بإمارة الثغور مقرها سرقسطة، وكذلك المناطق الساحلية عرفت بإمارة البحر ومقرها

(1) راجع: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 5/ 119، 177. المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 165-167. الحميري: أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري (ت: 866هـ/ 1461م)، صفة جزيرة الأندلس من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، اعتنى بنشرها وتصحيحها وتعليق حواشيتها: أ. ليفي بروفنسال (بدون تاريخ وطبع)، ص 23، 59.

(2) راجع: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 1/ 199، 320، 321، 5/ 17. أبو الفداء، تقويم البلدان، ص 168، 181. ابن غالب: محمد بن أيوب بن غالب الأندلسي (ت: 571هـ/ 1175م)، فرحة الأنفس عن كور الأندلس ومدننا بعد الأربعمائة، نشر وتحقيق: الدكتور عبد البديع لطفي، مجلة معهد المخطوطات العربية جامعة الدول العربية- مصر، عام 1375هـ/ 1955م، 1/ 287. العذري: أحمد بن عمر المعروف بابن الدلائمي العذري (ت: 478هـ/ 1085م)، ترسيخ الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق: عبد العزيز الأهواني، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية- مدريد، عام 1965م، ص 10.

(3) المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 2/ 114-115.

في المرية. (1) وهذه الأقاليم مرتبطة إرتباطاً وثيقاً بالعاصمة قرطبة، وجميع الأخبار يرسلون إلى العاصمة في أسرع وقت وكل يوم الجمعة، وكانت مدينة قرطبة يتبع خمسة عشرة إقليمياً وكل إقليم منها يحتوي على حصون وقرى وبروج. (2)

وجدير بالذكر أن التقسيم الإداري في الأندلس يميل نحو الأقسام الإدارية الصغيرة لضبط الأمن وربط المال، وكل كورة تتبعها مدن وكل مدينة تتبعها أقاليمها أو زماماتها، فالإدارة المركزية يتبعها عمال الكور وعمال الكور يتبعهم عمال المدن وهم المسؤولون عن زمامات المدن، وكان لكل كورة أمين مسؤول عن الناحية المالية للكورة، وكذلك لكل كورة من الكور قاضي يعين من قبل الأمير، وكذلك لها والٍ للصلاة. (3)

حين دخل عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس فقد اتبع منهج أسلافه بالمشرق في تبسيط الرسوم والنظم، وأنشأ منصب الحجابة عوض الوزارة، وله أهل الشورى في عهده، واختار لهذه المنصب أعوانه المخلصين، وقطع الخطبة للعباسيين. (4)

وكان عبد الرحمن الداخل يمتاز بمواهب إدارية باهرة، واستطاع خلال الاضطرابات في البلد أن يؤسس دعائم الحكم والإدارة ويقاوم أثناء هذه الأحوال الفساد والبغي، وقد قدم للشعب هيئة القانون والنظام، حتى استطاعت الأندلس أن تتمتع في ظل حكومته بأمن وطمأنينه ورخاء لم تعرفها منذ زمن، وفوق ذلك حاول أن تتفوق دولته في جميع الجوانب، كما: "أنه دون الدواوين، ورفع الأواوين، وفرض الأعطية، وعقد الألوية، وجند الأجناد، رفع العماد، وأوثق الأوتاد، فأقام للملك آتته، وأخذ للسلطان عدته". (5)

(1) الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ص 315-316.

(2) ابن حوقل، صورة الأرض، ص 111. مؤلف مجهول، وصف جديد لقرطبة الإسلامية، تحقيق: حسين مؤنس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية- مدريد، عام 1966م، 13/ 170-171. المقدسي: محمد بن أحمد المقدسي (ت: 380هـ/990م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط 2، مطبعة بريل- لندن، مكتبة المثنى بغداد، عام 1906م، ص 234-235.

(3) راجع: الخشني: أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد القيرواني الخشني (ت: 361هـ/971م)، قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط 1، دار الكتب الإسلامية- القاهرة، بيروت، عام 1402هـ، ص 63. النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص 56، 57، 60. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 2/ 59، 355، 356، 455، 468، 784، 787، 796. ابن الأبار، الحلة السيرة، 1/ 241.

(4) ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت: 456هـ/1063م)، نطق العروس، تحقيق: الدكتور شوقي ضيف، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، المجلد 13، العدد 2، عام 1951م، ص 75.

(5) المقري التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 155.

رسائله إليهم بأمره ونهيه، فينظرون فيما يصدر إليهم من عزائمه. (1)

إن هذا التقسيم في مناصب الوزراء لا يوجد في نظام الوزارة بالمشرق، لأن هناك وزير أو وزيران، أما في الأندلس لكل ناحية من نواحي الإدارة العامة وزير مختص بها، كما أن وزراء عبد الرحمن الأوسط كانوا تسعة ولهم رواتب كان مقدارها ثلاثمائة دينار، ثم الرئاسة العامة وهي الحجابة أو رئيس الوزراء، الحاجب في الأندلس يخلف الأمير أو الخليفة عند خروجه للغزو. (2)

فرواتب الولاية على الثغر الأعلى مائتي دينار في الشهر، إضافة إلى ألف دينار في المحنة عن مال الجباية، لأجل أهمية الثغر الأعلى وقربة من العدو. (3)

الأمرأء قد اهتموا بالأمن الداخلي ومشاكله في جميع البلاد وخاصة في عاصمة قرطبة، فذلك قسمت المناصب الأمنية على خمسة أشخاص، منهم: صاحب السوق وكان عمله مراقبة الأسواق والنظر في مشاكلها، وصاحب الشرطة العليا وكان ينظر في قضايا الخاصة وهي أصحاب المناصب والجاه، وكذلك صاحب الشرطة السفلى وهو ينظر في قضايا عامة الناس، ثم صاحب المدينة وكان يشرف على المرافق العامة في المدينة وهو الذي يشرف على إقامة الحدود الشرعية، وصاحب الليل وكان وظيفته يطوف بالليل ويحفظ أموال الناس عن اللصوص. وأنه أنشأ في قرطبة داراً جديدة للسكة أو العملة، وهو أول من ضرب نقوداً أندلسية مستقلة وثابتة. (4)

ولا بد من الإشارة إلى أن عصر الأمير عبد الله بن محمد لم تعد كما كان قبله، في عصره زادت الإضطرابات والفتن الداخلية والخارجية حيث كان كثير من الثوار استقلوا منه بكورة أو مدن، كما ذكرنا في المبحث السابق.

وعلاوة على ذلك أن نظام القضاء في الأندلس وعناية الأمرء بها ليس لها مثيل، وقد حرصوا على أن يكون

(1) ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: الحجي، ص 196.

(2) راجع: ابن الأبار، الحلة السيرة، 1/ 120. ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 121. المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 216. العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص 145-149.

(3) ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: الحجي، ص 6، 7. العذري، ترسيخ الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، ص 29.

(4) المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 219. ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 91. العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص 150.

لعبد الرحمن الناصر، وأما الذين بقوا من الثوار على العصيان فخرج الناصر بحملة كبيرة للقضاء عليهم، وتمكن الناصر على جميع الثائرين والعصاة في داخل الأندلس. كما تقدم ذكره.

توجه الناصر إلى الأخطار الخارجية التي تعرضت الممالك النصرانية في الشمال قبل أن يتولى عبد الرحمن الناصر، أرسل الجيوش إلى الشمال في سنة 304هـ/ 916م ثم تابعت هذه الجيوش سنة بعد أخرى وقاد هو بعضها بنفسه، وقد نجح في أكثر حملاته وأحرز بها انتصارات عظيمة، حتى اخضع أعداؤه بالطاعة، وسعوا إليه بالسفارات يقدمون بين يديه في قرطبة الولاء والخضوع.⁽¹⁾

تطلع الفاطميون للسيطرة على المغرب الأوسط والأقصى تمهيداً للعبور إلى الأندلس، تأكد عبد الرحمن الناصر هذا الخطر الشديد والتهديد لدولته، فقام عبد الرحمن الناصر بخطوات إيجابية لمحاربة النفوذ الفاطمي وأعلن نفسه خليفة وتلقب بالناصر لدين الله، لذلك اعتبر الفاطميون هذا العمل تعدياً على حق من حقوق أئمتهم.⁽²⁾

اهتم الخليفة الناصر منذ بداية حكمه بإعداد أسطول بحري قوى كامل الإعداد، لأجل الدفاع عن سواحل الأندلس ضد أي هجوم يقوم به أعداؤه، وقام بتحسين الثغور الأندلسية الجنوبية المواجهة للمغرب وأشرف بنفسه على الأعمال الدفاعية، واستولى على بعض ثغور الساحل المغربي المواجهة لساحل الأندلس، وبنى كثيراً من الحصون وأسوار المدن في هذه المنطقة، ثم وسع نفوذاً بين شمال المغرب الأقصى والمناطق الجبلية الشمالية، وجميع سادة هذه المناطق دعا للناصر في البلاد التي خضعت له.⁽³⁾ وبهذه السياسة انصرف الفاطميون عن غزو الأندلس.

سار عبد الرحمن الناصر بسياسته في محاربة الأعداء واستطاع أن يؤمن الأندلس من الخارج كما وحدها من الداخل، وأقام في قرطبة أعظم حكومة عرفتها الأندلس طوال عهده.⁽⁴⁾

(1) راجع: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 169، 213، 215. المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 371-363/1.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 198. العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص 178.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 204، 212، 214. البكري: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري (ت: 487هـ/ 1094م)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب (جزء من كتاب المسالك والممالك)، الناشر يطلب من مكتبة المثنى - بغداد، عام 2017م، ص 104.

(4) هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، ص 179.

قام الخليفة عبد الرحمن الناصر بأعمال الإنشاء العظيمة حتى أن في عهده ازدهرت الزراعة والتجارة والصناعة العلوم والأدب، وشمل الأمن سائر أنحاء البلد، وقد اهتم بتنظيم إدارات الدولة والتدقيق في اختيار المسؤولين حتى أن الأندلس في نظم إدارية ليس لها مثيل، والناصر كان شديد الحرص على تحقيق العدل واهتم بخطة ديوان المظالم وتولية القادة وتوجيههم. (1)

فالإدارة الإقليمية في عصر الخلافة كلها بيد الخليفة، وعندما يولي الولاة كان يكتب سجلاً للشخص الذي يوليه منطقة، وهذا يدل على أن زمام الأمور كلها كانت بيد الخليفة، وحتى دخلت معظم الكور في طاعة الخلافة في شرق وغرب ووسط الأندلس ولم يبق إلا القليل منها، عزل الناصر عدد كبير من الولاة وتولية آخرين مكانهم في سنتي 329-330هـ/ 940-941م، وكل هذا يدل على أن زمام الأمور صارت بيده. (2)

بعد وفاة الناصر خلف ابنه الحكم المستنصر وسارت الأمور على النحو الذي رتبته الناصر، وكان يعهد إلى الولاة على الكور يكتب يمين له المنهج الذي ينبغي أن يسيروا عليه في إدارتهم لمناطقهم، وأوصاه بالرعية خيراً وبالرفق في معاملتهم، ويحرضهم على أن يبذل أقصى جهد ممكن في إدارتهم بصورة عادلة. (3)

الخليفة الحكم المستنصر دائماً يرسل بعض الناس لمطالعة أحوال الكور والكشف عن سير العمال فيها، وأحياناً يبعث بعض القضاة للنظر في الشكاوى المرفوعة ضد بعض الولاة، ويفحص عليه ما نسبوه من مظالمهم. (4)

كل هذا يوضح لنا أن الخليفة عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر كان حريصان على متابعة ولائهما ومعرفة ما يجري في بلده، وكانا يبعثان عمالهما لمراقبة ومتابعة سير هؤلاء الولاة والنظر في الشكاوى المقدمة ضدهم، وكان يستقبلا بنفسهما وجوه أهل المدن والتغور والوفود الخارجية إظهار عظمة الخلافة ليسمعوا منهم رأيهم في ولائهما، لتطبيق حديث رسول الله ﷺ أنه قال: "آلا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته". (5)

(1) الراجحي: الدكتور التهامي الراجحي، نظم وإدارة بني أمية في الأندلس من خلال المقتبس لابن حيان، مجلة المناهل - الرباط، العدد 20 / 1984م.

(2) راجع: العذري، ترسيخ الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، ص 43، 44، 47، 50، 69، 71، 73.

(3) راجع: ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: الحجى، ص 77-78. الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 279-280. ابن غالب، فرحة الأنفس عن كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمائة، ص 294.

(4) راجع: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 1/ 466. ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: الحجى، ص 86، 100.

(5) الإمام البخاري، صحيح البخاري، باب المرأة راعية في بيت زوجها، رقم الحديث: 2409.

نظام الدواوين أو الخطط في الأندلس:

النظام الإداري في الأندلس لم يعرف الدواوين كإدارات حكومية بمعناها في المشرق، وعرف بالمقابل نظام الخُطط، والخُطط في الاصطلاح الأندلسي نظم الحكم والإدارة وما يرتبط بها من تشريعات وأحكام، مما يحث للإنسان الأمن والعدالة والحكم الصالح، (1) أما لفظ الديوان في الأندلس عندما خرج الأمير محمد للغزو في سنة 260هـ/ 873م وفي أثناء غزوة بلغت شكوى ضد قاضيه بقرطبة، فأمر صاحب المدينة أن يبعث إليه أربعة من عدول قرطبة، يقبضون الديوان منه، ثم يجعل في بيت الوزراء. (2)

ويتضح من هذا أن الديوان في الأندلس كان يختص بالسجلات القضائية التي تحفظ فيها أموال الأوقاف والوصايا والتركات وغير ذلك، ويكون القاضي مسؤول عنه.

وكان في الأندلس ديوان المتطبين أي ديواناً للأطباء مختصاً بهم، ويشرف وينظم مهنة الطب، والذي لا يبدي كفاءة مالية كان يسقط اسمه من الديوان، (3) وهذه هي بعض الأحوال التي وردت فيها ذكر الديوان، ونظراً لعدم وجود الدواوين كمسمى للنظم الإدارية في الأندلس فسيكون الحديث منصوص على الخطط فقط.

عرفت الدولة الأموية في الأندلس عدداً كبيراً من الخطط الإدارية التي تبلورت عبر عصور الدولة المختلفة، ويرجع هذا التنظيم الإدارية إلى الأمير عبد الرحمن الأوسط، فهو أول من أُلزم على الوزراء أن يحضروا إلى قصره كل يوم للتحدث والتشاور معهم في شؤون الدولة. (4)

عصر عبد الرحمن الناصر أصبح مثلاً للتعرف على خطط الدولة، فعصره استقرت فيه خطط الدولة وتنظيماتها، وأن الخطط في عصره هي خطة الحجابة والوزارة، والخيل، والبريد، والكتابة، والمدينة، والقيادة، والشرطة العليا والصغرى، والخزانة، والمعرض، وخزانة السلاح، والسوق، والموايرث، والسكة، والقضاء. (5) وكانت لهذه الخطط

(1) العبادي وآخرون، دراسات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ط 1، منشورات ذات السلاسل - الكويت، عام 1405هـ/ 1985م، ص 122.

(2) الخنشي، قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، ص 169، 200.

(3) ابن جلجل: أبو داود سليمان بن حسان بن جلجل الأندلسي (توفي في القرن الرابع الهجري)، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، مطبة المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية - القاهرة، عام 1955م، ص 110.

(4) ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: الحجي، ص 29.

(5) راجع: ابن الأبار، الحلة السيرة، 1/ 232. ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 166، 167، 185 - 198.

الحكومية المركزية مكاتب مقامه بداخل القصر عند باب العدة بالقرب من قنطرة نهر قرطبة، وكلهم يجتمعون في بيت الذي في قصر قرطبة مع الأمير أو الخليفة للتشاور والتفاوض في أمور الدولة. (1)

1- خطة الكتابة:

تطورت الكتابة في الدولة الإسلامية عبر عصورها المختلفة، وقد شمل هذا التطور الدولة الأموية في الأندلس، وكانت الكتابة في الأندلس على نوعين الكتابة العليا أو كاتب الرسائل، وكان وظيفته الكتابات الرسمية في الدولة، وكان اختيار الكاتب من عدة مواصفاته منها: أن له معرفة في الأدب والثقافة والبلاغة والذكاء وله الفصاحة والملكة البيانية، لأنه كان لسان الأمير أو الخليفة. (2) أما النوع الآخر هو كاتب الزمام ومهمته أن يشرف على إدارة الأموال العامة والبيعات وإحصاء الجند وتقدير أرزاقهم. (3)

لقد اهتم الأمراء والخلفاء في الأندلس بالكتابة اهتماماً كبيراً، لأن خطة الكتابة من أهم الخطط التي أولاهها عبد الرحمن الداخل عناية خاصة في عهده، وولّى خطة الكتابة إلى من اعتمد عليه، وكذلك هشام بن عبد الرحمن اهتم كأبيه بالكتابة ومن بعده ابنه الحكم بن هشام، أما عبد الرحمن الأوسط فاجمع الكتابة مع الحجابة وولّى كليهما لشخص واحد. (4)

وبناء على ذلك أن محمد بن عبد الرحمن حين مرض كاتبه فقام بالكتابة أحد من النصاري، فلما توفي كاتب الأمير قال: "لو أن هذا النصراني كان مسلماً ما استبدلناه، فلما بلغه الخبر أشهد على إسلامه فولاه الكتابة". (5)

(1) مؤنس: الدكتور حسين مؤنس، رحلة الأندلس، ط 2، الدار السعودية للنشر والتوزيع، عام 1405هـ / 1985م، ص 108.

(2) راجع: ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص 307. القيسي: فايز فلاح القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ط 1، دار البشير للنشر والتوزيع- عمان، الأردن، عام 1409هـ / 1989م، ص 92، 94. الشنتري: أبو الحسن ابن بسام علي الشنتري (ت: 542هـ)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، ط 1، دار الثقافة- بيروت، عام 1417هـ / 1997م، مجموعة المجلدين، ص 243.

(3) راجع: المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 217. دراج: الدكتور أحمد السيد دراج، صناعة الكتابة وتطورها في العصور الإسلامية، منشورات رابطة العالم الإسلامي، السنة الأولى 1401هـ، العدد 8، ص 51.

(4) ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: الحججي، ص 31- 35. ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 1/ 71- 72. دراج، صناعة الكتابة وتطورها في العصور الإسلامية، ص 52- 53.

(5) راجع: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 95- 97. ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: الحججي، ص 142.

تطورت خطة الكتابة في عصر الخلافة تطوراً كبيراً، واتسعت مسؤوليات الكتاب، وأصبحت من أمور الخدمة السلطانية. (1) وجدير بالذكر قد تولت بعض النساء الكتابة الخاصة في عصر الخلافة، حيث أن عبد الرحمن الناصر ولى أذكى النساء، (2) وكذلك الحكم المستنصر مشى على نفس النمط وولى بعض النساء مهمة الكتابة. (3) وهذه أول مرة في تاريخ الدولة الأموية في الأندلس تتولى المرأة منصباً إدارياً.

2- خطة البريد:

خطة البريد (4) في الأندلس مهم للغاية بسبب الأحداث التي كانت تجري فيها، وكانت الأحداث تتطلب بريدة منتظمة لنقل الأخبار من أقاليم الدولة إلى العاصمة، والدولة في الأندلس قد إهتمت بنظام البريد منذ وقت مبكر من تأسيسها، وأنشأ عبد الرحمن الداخل داراً للبريد تقع بغربي قصر قرطبة وفي صدر سوقها، وجعل له محطات وفسانها تختص به، وأصلح طرق المواصلات الرومانية القديمة لتيسير مهمته، وكانت هذه الدار قد أحرقت في عهد عبد الرحمن الناصر سنة 324هـ/ 935م ضمن الحريق الذي أصاب سوق قرطبة، فأمر الناصر بإعادة بناء دار البريد على رسم جديد، ونصبت أبوابها ورفعت فوقها ويؤمنها من الأضرار. (5)

نظام البريد في الأندلس له دور بارز في إخماد الثورات والفتن الداخلية والخارجية، فالأمير الحكم بن هشام له

(1) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 220.

(2) تولت عبد الرحمن الناصر مزنة الكتابة، وهي ذكية جداً، وتوفيت في سنة 358هـ/ 968م، وكذلك الحكم المستنصر إهتم بالنساء في أمور الكتابة وأخذت منهن أذكى وأحسن بالكتابة والخطاطة، نحوية وشاعرة وعارفة بالحساب، لم يكن في قومها أنبل منها. (راجع: ابن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، 2/ 692. الضبي، بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ص 546).

(3) راجع: ابن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، 2/ 692. الضبي، بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ص 546.

(4) البريد كلمة فارسية معناها "بريدة ذنب" وعربت الكلمة فسمى البغل بريداً، والرسول الذي يركبه بريداً، والمسافة التي بعدها بريداً. أما في الإصطلاح: هو جعل خيل مضمرات في عدة أماكن لإيصال الخبر المسرع. (راجع: الخوارزمي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي (ت: 387هـ/ 997م)، مفاتيح العلوم، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ص 42. ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت: 456هـ/ 1063م)، شذرات من كتاب السياسة، مستخرجة من مخطوطة الشعب اللامعة في السياسة النافعة، المعروف بسياسة ابن رضوان، نشره محمد إبراهيم الكتاني في مجلة تطوان المغربية، عام 1963م، العدد 8، ص 102).

(5) ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: شاليتا، 5/ 383. الدوري: إبراهيم ياسر الدوري، عبد الرحمن الداخل في الأندلس، دار الرشيد- بغداد، عام 1982م، ص 272.

ألف فرس معدة بجانب القصر، فكلما حمل إليه البريد خيراً بأمر داخلي أو خارجي يأمر عاجله قبل علمه، فلا يشعر إلا وقد أحيط به، (1) انتقل دار البريد في عهد الحكم المستنصر سنة 361هـ/ 971م إلى دار الزوامل التي بالمصارة، لأن الدار السابق كانت غير مناسب للاتساع في المباني. (2) أن في كل مدينة من المدن مسؤول عن البريد ويقال له مخلف. (3)

فالأمر والخلفاء لهم جهود في تنظيم نظام البريد، حيث كانوا أولوها العناية البالغة في هذه المهمة، وكانت هناك شبكة بريدية منظمة وقوية، استخدموها عبر عصورها المختلفة لنقل المعلومات بين أقاليم الدولة إلى العاصمة قرطبة.

3- خطة الشرطة والمدينة:

صاحب الشرطة والمدينة له سلطة في إصدار الأحكام في الأندلس، ففي البداية صاحب الشرطة وهو صاحب المدينة نفسه، ولكن عبد الرحمن الأوسط ميز خطة الشرطة من المدينة، (4)

أما اختيار صاحب الشرطة من عدة صفات، وهي: أن يكون رجلاً خيراً عفيفاً، غنياً، عالماً، متحنكاً في علوم الوثائق ووجوه الخصومات، ويجري في حكمه وأمره إلى الحق والاعتدال، ولا يخاف في الله لومة لائم، ويكون أكثر جدية في حكمه إلى الإصلاح بين الناس. (5)

وظيفة هذه الخطة وهي حفظ الأمن والنظام والطواف بالليل، الذين يطوفون بالليل يعرفون بالداريين، وكل

(1) ابن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بوع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، ص 14.

(2) ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: الحجى، ص 66.

(3) راجع: ابن الأبار، الحلة السيرة، 1/ 252. ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 159. ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص 93، 102-103. ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: الحجى، ص 63، 119، 173.

(4) راجع: ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: الحجى، ص 81. خلاف: الدكتور عبد الوهاب خلاف خلاف، صاحب الشرطة في الأندلس، مقال بمجلة أوراق- المعهد الإسباني العربي- مدريد، العدد الثالث، عام 1980م، ص 72.

(5) التجيبي: محمد بن أحمد بن عبدون التجيبي الإشبيلي (المتوفى في قرن الخامس الهجري)، ثلاث رسائل أندلسية في آداب القضاء والحسبة والمحتسب، تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية- القاهرة، عام 1955م، ص 11.

مدينة كانت تنور بسراج معلق، وكل درب معد بسلاح، وذلك لأمن عامة الناس وأموالهم من اللصوص. (1)

وأنواع الشرطة تنقسم إلى قسمين شرطة كبرى وشرطة صغرى، والصغرى أنها استحدثت في عصر الحكم بن هشام، (2) ثم زادت فيها الشرطة الوسطى في عهد الناصر سنة 317هـ / 929م، وأعطى لصاحب الشرطة المهام العسكرية. وكانت من طوائف الشرطة العليا القبض على كبار رجالات الدولة الذين توجه إليه بعض التهم. (3)

أما صاحب المدينة هو حاكمها، وكان بمثابة الحاكم والمشرف على الأمن العام فيها، وكانت الشرطة الثلاث العليا والوسطى والصغرى تآتمر بأمره وتخضع له، وهذا تمييز واضح بين اختصاصات صاحب المدينة وأصحاب الشرطات المذكورة. (4)

نلاحظ على أن مهام صاحب الشرطة غير مهام صاحب المدينة، لأن صاحب المدينة يتمتع بصلاحيات أوسع مما كان يتمتع به صاحب الشرطة الذي كان يخضع له من الناحية الإدارية.

4- خطة الجيش:

أصل الجيش في الأندلس هم العرب والبربر وغير ذلك من المسلمين الذين جاءوا بعد الفتح الإسلامي، فعمل عبد الرحمن الداخل على ترتيب الجيش القوي وخاصة من المؤيدين من الموالي بني أمية في أول الأمر، وحاول منذ البداية أن يستفيد من هذا الجند، فقام عبد الرحمن الداخل أن يجند عناصر أخرى حتى تكونت منهم في قرطبة طائفة هامة. ودخل في الجيش عناصر جديدة من الموالي والعبيد والعجم ولم يعتمد على العنصر العربي فقط، واتخذ المنازل

(1) المقري التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 219.

(2) راجع: ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص 251. ابن عياض: القاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت: 544هـ / 1149م)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: محمد تاويت الطبخي، ط 2، وزارة الأوقاف المغربية، عام 1983م، 3/ 22. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص 110.

(3) راجع: ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: شالميتا، 5/ 252. ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 202، 241. الونشريسي: أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي (ت: 914هـ / 1508م)، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، ترجمة: محمد علي الحجري، دار الغرب الإسلامي بيروت- لبنان، عام 1401هـ / 1981م، 2/ 231-232. ابن عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، 3/ 39، 40.

(4) راجع: ابن الأبار، الحلة السيرة، ص 223. ابن حيان، المقتبس من أبناء أهل الأندلس، تحقيق: مكّي، ص 275-276، حاشية 126. التنجيني، ثلاث رسائل أندلسية في آداب القضاء والحسبة والمحتسب، ص 16.

لجندة، وكان يحرص على تدريبهم تدريباً منظماً مستمراً، وكان ينظم إلى الجيش الراغبين في الجهاد في سبيل الله دون أجر، وقاموا بتنظيم الجيوش وتدعيمها وتقويتها بالأسلحة والرجال، والجند العربي في العهد الأموي يشكل القوة الأساسية، وبلغ عدد حرسه الخاص ما يزيد عن الأربعين ألف جندي، وجميع الجيش بلغ عدده مائة ألف مقاتل، وفوق ذلك اهتم في أواخر عهده بالقوات البحرية فأقام عدة قواعد لبناء السفن في بعض الثغور النهرية والبحرية. (1)

وفي عصر الحكم بن هشام كان له أقوى جيش منهم ألف فرس مرتبطة بباب قصره على جانب النهر، عليها عشرة من العرفاء تحت يد كل عريف مائة فرس، (2) وفي عهد محمد بن عبد الرحمن زاد عدد الجيش حتى بلغ مائة ألف فارس، (3) واهتم عبد الرحمن الناصر بالجيش عناية خاصة وقسم تقسيماً جديداً منهم تعرف بالخميس وهو يتكون من أربع آلاف إلى إثني عشر ألف من العساكر، والجيش الفليق هو من ألف إلى أربعة آلاف، والكتيبة هي خمسة آلاف، والسرية من خمسين إلى أربعمئة، وكان على كل ثماني من الجند ناظر، وعلى كل خمسة نظار عريف، وعلى كل خمسة قواد أمير، وعلى كل خمسة نقباء قائد. (4)

النظم والمناصب السياسية في الأندلس:

الإمارة والخلافة: عندما دخل عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس تلقب نفسه بالأمير، وبعده جميع الأمراء يلقبون أنفسهم بالأمير، لما تولى أمر الأندلس لعبد الرحمن الناصر ورأى وقت مناسب فأعلن نفسه الخليفة وأمر بأن تكون له الدعوة في خطبات والدعاء له على المنابر بأمر المؤمنين.

الوزارة: كانت قاعدة الوزارة في الأندلس مشتركة بين جماعة يعينهم لإعانة ومشاورة الأمير والخليفة في شئون الدولة، ولم يكن إطلاقاً لفظ الوزير في بداية الإمارة، ثم قسم خطة الوزير أقساماً وأفرد لكل قسم وزيراً.

الحجابة: مهمة الحاجب في عهد الإمارة والخلافة واسعة، تشتمل على الشئون المدنية والعسكرية بالإضافة

(1) المقري التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 67/2، 74. الشطشاط، تاريخ الإسلام في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة، ص 101. فكري: أحمد فكري، قرطبة في العصر الإسلامي - تاريخ وحضارة، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع الإسكندرية - مصر، عام 1983م، ص 32، 308، 309. السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص 109.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 1/ 79.

(3) زيتون: محمد محمد زيتون، المسلمون في المغرب والأندلس، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، عام 1411هـ/ 1990م، ص 314.

(4) فكري، قرطبة في العصر الإسلامي، ص 60 - 61.

واسطة بين الأمير أو الخليفة ووزرائه، لذلك هذه الخطة من أهم الخطط قدراً.

القضاء: خطة القضاء في الأندلس أعظم الخطط عند الخاصة والعامة لتعلقها بأمور الدين واستقلالها عن الإمارة والخلافة، ولا يقوم بأعباء هذه الخطة إلا من ولى القضاء الشرعي في المدن الكبرى.

صاحب الشرطة: المسائل السياسية والجرائم وغيرها تسند لصاحب الشرطة، فكان مسؤوليته حفظ الأمن وتنفيذ الأحكام التي يصدرها القاضي والتي يصدرها هو، وفوق ذلك يتولى الاتهام والتحقيق ويقيم الحد دون أن يتدخل القاضي في أحكامه، وهو قاضي الجنايات الشخصية في عصرنا الحاضر.

صاحب المدينة: كان يجمع بين يديه سلطة كبرى عند غياب الأمير والخليفة، وسلطته في هذه الحالة مطلقة، ويشبه مهمته المحافظ في عصر الحاضر.

صاحب المظالم: هذه وظيفة ممتزجة من سطوة السلطنة ونصفه القضاء، وتحتاج إلى يد قوي وعظيم في مساعدته، فهي تقع المظالم من الخصمين وتزجر المعتدين، وكان صاحب المظالم يمضي ما عجز القضاة عنه، لأن سلطته تفوق سلطة القاضي، وتشبه وظيفة صاحب المظالم وظيفة قاضي الاستئناف في وقتنا الحاضر.

المحتسب: هي وظيفة ملحقة بالقضاء لأن فيها حكماً، وتشمل وظيفته التجول في الأسواق لمراقبة الموازين والأكيال، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويمنعون الناس من الغش والتدليس.

الجيش: كان الجيش الأندلسي ينقسم إلى فرق، ولكل منها أمير يحمل راية، وكل الفرق تنقسم بدورها إلى كتائب، على كل منها قائد يحمل علماً، وتنقسم إلى أقسام أخرى فرعية، وكان ينقسم من حيث الأسلحة ثلاثة أقسام: مشاة ويتسلحون بالرمح الطويلة والتراس والسيوف ورماة ويحملون القسي والسهام، وفرسان يتسلحون بالمزاريق والسيوف ويلبسون الدروع. الفرسان في الجيش أهم من حيث القوة، ويعدون القوة الضاربة السريعة الحركة التي تقوم بالحصار والتطويق، وفوق ذلك عندهم قوة عسكرية بحرية، وأسسوا أسطولاً بحرياً وكانوا يصنعون السفن الحربية في جميع اتجاهات الأندلس. (1)

الخلاصة والتعليق:

(1) راجع: سالم: السيد عبد العزيز سالم، محاضرات في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع - إسكندرية، عام 1985م، ص 323-332. مؤنس، فجر الأندلس، ص 367-372.

إن الدعوة إلى الله تعالى هي الأساس الذي قام عليه الأمم والشعوب، لو ننظر في تاريخ الإسلامى منذ عهد النبي ﷺ وجدنا أنها تسير ضمن الأمور الإدارية المحكّمة في تخطيطها وتنظيمها وترتيبها، ومن مراحل الدولة الإسلامية التي قام بها النبي ﷺ مرت على عدة مراحل، منها مرحلة الدعوة السرية، والظروف في مكة المكرمة كانت صعبة، وكان يعرض بدعوته إلى من يثق به، وثم الدعوة الجهرية التي واجه خلالها مزيداً من الصعوبات والابتلاء والتعذيب من قبل المشركين، بعد هذا الضيق فتحت عليهم الطرق ليكون لهم دولة ونظام، هاجر رسول الله ﷺ وأسس الدولة القوية المتينة في المدينة المنورة، واتخذ مسجداً مركزاً للحكم والإدارة، وبيّن للجميع حقوق الأفراد وواجباتهم، لأن الإنسان أرسل ليكون خليفة في الأرض، وركز النبي ﷺ على التنظيم الإداري للدولة كالكتابة والكتاب وشجع الناس للعلم والتعلم، وأرسل البعثات التعليمية والمعلمين إلى القبائل لتعريفها بتعاليم الإسلام، وأيضاً اختار في جانب السفارة الرسول والبريد والساعي، سفراء الدولة والممثلين له في عقد المعاهدات والاتفاقيات وربط القبائل مع الدولة.

ولو ننظر إلى إقامة الدولة في الأندلس فقد مرت على عدة مراحل، منها مرحلة الفتح، وثم عصر الولاة، وثم عصر الإمارة وبعدها عصر الخلافة، القادة الذين فتحوا الأندلس وبذلوا جهداً في نشر الإسلام، وثم عصر الولاة وجهودهم في تقوية النظام، لكن بسبب كثرة القلاقل لم يستطيعوا أن يكون لهم دولة قوية في الأندلس.

أما الأمراء في الأندلس فلهم جهود كثيرة في إقامة الدولة ونشر الإسلام فيها، وأسسوا جميع نظم الدولة، وكذلك عصر الخلافة هي ثمرة الجهود التي بذلها الولاة والأمراء والخلفاء لإقامة الدولة حتى وصلت إلى أعلى ارتفاعها في جميع الجوانب. والدولة لها اهيمه كبيرة في الدعوة، لأن الدعوة دون الدولة أو القوة ضعيفة، والقوة دون الدعوة والحق طاغوتية، أما الدعوة والحق مع القوة والدولة فهي تصل إلى الهدف.

ومهمة الدولة هي تطبيق شرائع الدين وإصدار القوانين تحت سيطرة الإسلام، ومن أهم المهام التي تتعلق بالدولة هي الدعوة إلى الإسلام، سواء من حيث السلمي وغير السلمي، وتوفير الأجواء المناسبة للدعاة والرعية كي يكون مستريحين في مهمتهم.

واستفدنا من هذا المبحث أن الدولة تقام على الدين والشدة، وتحتاج إلى الخبرة والمعرفة التامة بأمورها، فحكام المسلمين في الأندلس بذلوا جهداً عظيماً في إقامة الدولة القوية الممتازة، فاختاروا مهمة الحجابة والوزارة، ونظم الدواوين والخطط، وثم المناصب الحكومية الرسمية وتوجه إليهم، فأصبحت الأندلس ليس لها مثيل في تلك الزمن.

جاء في عهد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- إلى أهل إيلياء (القدس): "هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان: أعطاهم أماناً لأنفسهم، وأموالهم، وكنائسهم، وصلبانهم، وسقيمتها، وبريئها وسائر ملتها، لا تسكن كنائسهم، ولا تهدم، ولا ينتقص منها، ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود".⁽¹⁾

المؤلف الأمريكي غوستاف لوبون يقول: "كان الخليفة عمر-رضي الله عنه- يرمى حرمة الأماكن المقدسة النصرانية بما رعاية، وقد سار خلفاؤه من بعده على آثاره، فما ضيقوا على النصارى، وما نالوا بمساءة طوائف الحجاج (النصارى) الوافدين كل عام إلى بيت المقدس من كل فج من فجاج العالم النصراني".⁽²⁾

وقد حافظ المسلمون على مشاعر وكنائس النصارى، يقول البطريق النسطوري ياف الثالث في رسالته: "وإن العرب الذين منحهم الله سلطان الدنيا يشاهدون ما أنتم عليه، وهم بينكم، كما تعلمون ذلك حق العلم، ومع ذلك فهم لا يحاربون العقيدة المسيحية، بل على العكس يعطفون على ديننا، ويكرمون قسنا وقديسي الرب، يوجدون بالفضل على الكنائس والأديار".⁽³⁾

وقد اعترف المنصفون من الغربيين لدين الإسلام بهذا التسامح العظيم في مجال حرية الاعتقاد لغير المسلمين، يقول: "إن مساحمة محمد لليهود والنصارى كانت عظيمة إلى الغاية، وإنه لم يقل بمثلها مؤسسوا الأديان التي ظهرت قبله كاليهودية والنصرانية على وجه الخصوص، وسار خلفاؤه على سننه، وقد اعترف بذلك التسامح بعض علماء أوروبا المرتابون أو المؤمنون القليلون الذين أنعموا النظر في تاريخ العرب".⁽⁴⁾

ارتبط السكان الأصليين للأندلس بعقد الذمة وعرفوا بالمعاهدين، وهذا العقد يربطهم بالدولة التي يعيشون في إطارها، فأعطى لهم الحرية الدينية سواء في المدن الصغرى أو الكبرى، كما جاء في معاهدة عبد العزيز بن موسى بن نصير مع أهل تدمير: "ولا تحرق كنائسهم ولا ينزع عن ملكه ما تعبد ونصح"، وكذلك عبد الرحمن الداخل أعاد بناء

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 3/ 159.

(2) لوثرود ستودارد، حاضر العالم الإسلامي، ترجمة: عجاج نويهضي، ط 3، دار الفكر- بيروت، عام 1971م، 13/ 1-14.

(3) أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص 102.

(4) غوستاف لوبون، حضارة العرب، ص 128.

كنيسة القديس (Sancus-Acisclus) في آخر عهده بسبب ما لحقها من تخريب. (1)

لما استولى المسلمون على قرطبة عنوة فشارك النصارى كنيستهم إياها، وعندما انتشر الإسلام في البلد وضاق نصف الكنيسة بالمصلين اشترى عبد الرحمن الداخل النصف الآخر من النصارى وأذن لهم في بناء كنيسة أخرى خارج أسوار قرطبة بدل الكنيسة القديمة التي أصبحت كلها مسجد قرطبة الجامع لتوسيع المسجد، واحتفظ غير المسلمين في ظل الحكم الإسلامي في الأندلس بكنائسهم وبحق ممارسة شعائرهم الدينية بكل حرية، وكان أهم تغيير في النظام العام للنصرانية بالأندلس هو نقل مركز الثقل الديني من طليطلة إلى قرطبة، ولم ينقل المسلمون كرسي المطرانية الكبرى من طليطلة إلى قرطبة لمراعاة مشاعر النصارى، لكنهم حرصوا على أن يكون المطران قريباً منهم في العاصمة قرطبة، حيث عقدت مجامع طليطلة. (2) وهذا لم يكن التأثير في أحوال النصارى بل حرص المسلمين على أن يكون رجال الدين مقربة من مركز السلطة في قرطبة، ومعرفة عن أحوالهم وشؤونهم.

فالكنائس والأديرة كانت مبدأ حرية التعبد محفوظاً في الأندلس، ودائماً النصارى يستطيعون أن يقوموا بشعائرهم الدينية حتى في بيوتهم، ولم تشرد السلطة الإسلامية أي قس أو رجال الكنيسة من البلد، بل يمكنهم العيش في دار الإسلام ولم يضيق عليهم أحد في أداء شعائرهم الدينية.

أما الكنائس أيام القوط كانت عددها ثلاث مطرانيات، منها في طليطلة وفي إشبيلية وفي ماردة، وفي ظل الحكم الإسلامي بالأندلس يمكن إحصاء أكثر من عشر كنائس في قرطبة لوحدها، وتسع في طليطلة وأربع في ماردة وغيرها من المدن. وفوق ذلك مدينة طليطلة قد ظلت محتفظة تحت سيطرة الحكم الإسلامي بمكانتها كحاضرة دينية، وكانت المقر الدائم لمطران مسيحي الأندلس حتى القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. وظلت الكنائس تؤدي وظائفها الاجتماعية مع الدينية، وكان القساوسة يعقدون حفل الزواج والموليد، ويختارون لهم الأسماء حسب ثقافتهم وتقاليدهم، بالإضافة إلى قيامهم بتسجيل المبيعات والعقود الجارية بين أبناء طائفاتهم. (3)

ومما لاشك أن بلاد الأندلس قد عرفت في ظل هذه المجالات تسامحاً غير عادياً مع الأديان، كما عاش النصارى حالة من الحرية والإزدهار ليس لها نظير في ذلك الحين، حيث سمح المسلمون للنصارى لممارسات شعائرهم

(1) الونشريسي، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، 2/ 214، 145، 146.

(2) راجع: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 229. المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 516. مؤنس، فجر الأندلس، ص 492.

(3) مؤنس، فجر الأندلس، ص 81، 105.

وطقوسهم الدينية كل الحرية، كما أن سماع أجراس الكنائس في الأندلس يعتبر تساهلاً في التعامل مع غير المسلمين في حرية اعتقادهم. (1)

أما رجال الدين في الأندلس أعطى لهم اهتمام كبير وتعامل حسن من قبل السلطة الإسلامية، لأن غير المسلمين بحاجة إليهم في أمور الدينية. (2)

ثالثاً: تعامل الحكام والأنظمة مع غير المسلمين وإعطاء حقهم في العدل وإستقلاليتهم في القضاء:

الإسلام دين العدل، وقد جعل له الموازين الدقيقة ليقوم الناس بالقسط والعدل، وحذر الناس من الوقوع في الجور والظلم، قال الله ﷻ: ﴿ زُرُّوا كُرْكُرًا كَرِيهًا كَرِيهًا كَرِيهًا كَرِيهًا ﴾ (3) وقال أيضاً: ﴿ أَلْبَسُوا بَدِينًا ﴾ (4).

العدل والقسط في كل الأحوال حتى لو كان القيام بالقسط فيه ضرر على النفس أو على أقربائه، قال الله ﷻ: ﴿ بَدِينًا ﴾ (5) وكذلك الإسلام خيرهم بالتحاكم إلى شرائعهم وأكد على المساواة بين المسلمين وغيرهم في حق الحصول على العدل لما تحاكموا إلى شريعة الإسلام، قال الله ﷻ: ﴿ بَدِينًا ﴾ (6).

وحذر النبي ﷺ الذي اعتدى على من تحت حكمه، قال: "ألا من ظلم معاهداً، أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة". (7)

(1) التجيبي، ثلاث رسائل أندلسية في آداب القضاء والحسبة والمحاسب، ص 55.

(2) ابن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن يبيع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، ص 38.

(3) سورة الرحمن، رقم الآيات: 7-9.

(4) سورة الحديد، رقم من الآية: 25.

(5) سورة النساء، رقم الآية: 135.

(6) سورة المائدة، رقم من الآية: 42.

(7) أبي داود، سنن أبي داود، كتاب الخراج والإمارة والفقه، 3/ 437.

وقد سجلت في صفحات التاريخ روايات كثيرة من صور العدل الذي قام به المسلمون مع غير المسلمين، وما لم يكن له مثيل في الديانات الأخرى، وقد اعترف كثير من علماء الأديان الأخرى على عظمة تعامل الإسلام العادل مع غير المسلمين.

سمح المسلمون لغير المسلمين في الأندلس باستقلالية القضاء، فوجد فيها عدد كبير من قضاة أحرار لغير المسلمين، ويوجد نظام القضاء بشكل خاص لغير المسلمين في مدن الأندلس، وكان لهم دور إيجابي على المستوى الاستقلالي الذاتي في تسيير شؤونهم القضائية تحت سلطة رؤسائهم. (1)

القضاة العجم يسمون في البداية "يودكس Judex"، (2) ثم حلت محلها لفظ "القاضي" العربية، وصارت هذا الاسم على ألسنة الناس، ثم تحول هذا الإسم إلى "الكالد Alcalde" على لغة القشتالية، فغير المسلمين تمتعوا في الأندلس باستقلالية النظام القضائي، ويختارون لأنفسهم قضاة يتفق السلطة الإسلامية ويسمونهم (قاضي العجم أو قاضي الذمة)، (3) وكان على رأس هذه الإدارة رئيسها المسؤول يعرف بـ (Depesar) يشرف على إصدار الأحكام الشرعي الخاصة بهم في محكمته، وهو منصب حديث في ذلك الحين، فهو يعمل بجانب القومس وصاحب المدينة أو حارسها. (4)

إن أكثر عناصر من سكان الأندلس هم أهل الذمة، ولهم قضاة المختصين بهم، كما أن في الأندلس للنصارى قضاة كانوا يقضون في خصوماتهم بأنفسهم، وأنهم لم يكونوا يلجأون للقاضي -أي القاضي المسلمين- إلا

(1) ابن عساکر: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساکر (٥٧١ هـ)، تاريخ دمشق، تحقيق: محب الدين العمري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام 1415هـ/ 1995م، 45/ 358. الجيوسي، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، 2/ 1050-1051. ابن حوقل، صورة الأرض، ص 106.

(2) يستعمل إسم "يودكس Judex" في الدستور القوطي استعمالاً واسعاً، فيطلق على القاضي وعلى الموظف بصورة عامة، ويطلق في بعض الأحيان على حاكم الناحية بدلاً من Comes، وكان يشترط في اليودكس أن يكون من القوط من أهل البلاد، وقد انتقل هذا إلى قضاة العجم في الأندلس الإسلامي، ففي بعض الأحيان هم يسمونه الوزير القاضي. (MANUEL TORRES Y RAMON PRIETO BANCES: ibidem.) (And PEDRO AGUADO BLEYE, Manuel de Historia de Espana, tomo I, Madrid, 1947, p. 368.

(3) كحيلة، تاريخ النصارى في الأندلس، ص 140. مؤنس، فجر الأندلس، ص 368.

(4) ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: الحجى، ص 64. دوزي، المسلمون في الأندلس، 2/ 62. ليفي بروفنسال، حضارة العرب في الأندلس، ترجمة: ذوقان قرقوط، دار مكتبة الحياة بيروت- لبنان، ص 71.

في مسائل القتل... (1)

فقضاء أهل الذمة في الأندلس لها حرية: "أما النصراني واليهود فقد سمح لهم، كما كانت الحال في بلدان أخرى فتحها المسلمون أن يظلوا خاضعين في مسائل القضاء لرؤسائهم الروحيين ينظرون في قضاياهم إلا إذا كانت في القضية مساس بحق المسلم، فإن هذه القضايا كانت ترد إلى المحاكم الإسلامية". (2)

وبناءً على ذلك فإن في حال وقوع نزاع بين مسلم وذمي كان الفصل في القضية يتم أمام محكمة إسلامية لتطبيق العدالة، لأن قضاة المسلمين يرفعون القضايا التي تختص بأهل الذمة إلى أهل الشورى والفقهاء لاستشارتهم فيها، ولم يكن يتم حكم في قضايا أهل الذمة على ما يبدو، إلا بعد عرضها على أهل الشورى والفقهاء وأخذ رأيهم فيها. وهناك أحوال يرجع في القضايا إلى القاضي المسلم، منها: إذا رغب المتخاصمان بأن الحكم لم يرد في شريعتهم وإلا ردوا إلى أهل دينهم، ففي هذه الحالة ترجع القضية إلى القاضي المسلم، لكن أن تكون له دراية بعجمية أهل الأندلس أو اتخاذ مساعد مسلم موثق له لو لم يعرف لغتهم. والحالة الثانية هي وقوع الخلاف بينهم وبين المسلمين أو ما تتعلق بالقصاص أو التعزير ونحوها، أما الزنا إن حدثت بين نصرانيين فيترك لأهل دينهم، ويجب على القاضي أن يكون مكان الحكم في رحاب المسجد الخارجة عنه، ليصل جميع الناس من النصراني واليهود والضعفاء وغيرهم. (3)

وجاء في بعض نوازل القضاة: "أن صبياً جاء لم يبلغ فأسلم، وصار عنده رجل ضمه ابتغاء ثواب الله فيه فتردد عليه أبواه، يريدان رده إلى دينها، والگلام يأبى، فلما كان البارحة أتى والده إلى القاضي وأخبره بأن يريد أبنه الرجوع إلى والديه ودينها فكتبوه إلى بما يجب في ذلك، ففهم القاضي وكان الغلام قد عقل مثل أن يكون ابن عشر سنين أو ما زاد، فليشدد عليه، ويهدد ويوعد عليه، فإن لج في الرجوع إلى دينه يرد به إلى أبويه، ولم يبلغ به القتل، ولا يكون هذا معجلاً حتى يبلغ، ثم يكون الفتى على ما مضى في الجواب وأسأل الله التوفيق". (4)

(1) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة، 1/ 95.

(2) فيليب: الدكتور فيليب حتي، صانعو التاريخ العربي، ترجمة: الدكتور أنيس فريحة، ط 2، نشر وتوزيع دار الثقافة بيروت- لبنان، عام 1400هـ/ 1980م، ص 99.

(3) راجع: ابن فرحون: أبو الوفاء برهان الدين إبراهيم بن الإمام شمس الدين بن فرحون اليعمري المالكي (ت: 799هـ/ 1396م)، تبصرة الحكام في أصول الأفضية ومناهج الأحكام، خرج أحاديثه وعلق عليه وكتب حواشيه الشيخ جمال مرعشلي، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، 1/ 238. النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص 56-57.

(4) أبو الأصبغ: القاضي أبو الأصبغ عيسى بن سهل الأسدي (ت: 486هـ/ 1093م)، وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس، مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى، تحقيق: محمد عبد الوهاب خلاف، مراجعة وتقديم: مكّي، المركز العربي للدول للإعلام القاهرة- مصر، عام 1980م، ومخطوط

وقد برزت مظاهر التعايش الاجتماعي التي كانت تربط بين الطرفين، وجلب أيضاً بعض القضاة والأعلام المسلمين في الأندلس محبة المجتمع لحسن سيرتهم وسعيهم في تحقيق العدالة حسب مقتضيات الشريعة، وكل هذا ما جعل غير المسلمين يعتقدون الإسلام، وبلغت العلاقة الاجتماعية على مستوى في قيام بعض الكنائس بتقديم الأطعمة للمسافرين، وكان المسلمون يأتون بهم للبيوت، لأن القساوسة يخل بتقديم الضيافة، فأصبحت ضريبة لازمة على القساوسة، وكان المسلمون قد شاركوا في أعياد أهل الأندلس كاحتفال نصارى بلنسية بعيد القديس والذي يسميه العرب عيد العنصرة، ومن مظاهر هذا الإحتفال سباق الخيل، وإنشاد الشعراء لشعرهم، ومشاركة في هذا الإحتفال حتى الخليفة الناصر بحضور خيل الحلبة. (1)

الفقهاء والدعاة لكانوا لهم نفوذ وسلطان كبير في التعامل مع غير المسلمين في الأندلس، وجميع الأمراء والخلفاء يخضعون لهم ويطبّقون عليهم الشرائع دون خوف منهم ويظهر موقفهم بوضوح، أما موقفهم مع غير المسلمين ليس فيهم تضييقاً عليهم، ولكن في بعض الأحيان عندما تولى غير المسلمين المناصب العليا في الجيش يقومون بتدخل في هذا الأمر، كما تولى قيادة حرس الحكم الرضي أو قائد غلمانه النصراني لهم، وقد فوضه في فرض الجباية على المسلمين، وأهل الذمة فثاروا عليه بثورتهم المعروفة ب هيج الريض بقرطبة ضد الحكم عام 202هـ/ 817م، فخربت تلك الضاحية وتم نفي ما تبقى منهم وصلب القائد الحرس النصراني، بعد هذه الحادثة اشتد الفقهاء على الأمراء في أن لا يستخدم النصارى في المناصب العليا إلا بعد إسلامهم، فكانت هذه السياسة السمحة أحد ميزات الحكم بالأندلس، رغم ما صدر عن الفقهاء بأن هذه السياسة في نظرهم ستضعفهم أمام الأعداء. (2)

ولا شك أن غير المسلمين استفادوا من أجواء التسامح في الأندلس واشتغلوا في الحياة العامة، وذلك أنهم لم يكونوا ما يميزهم عن المسلمين باللباس المفروض عليهم تمييزاً لهم عن المسلمين، وهذا تسامح وتعامل من قبل الحكام وأنظمة المسلمين مع غيرهم، حتى أنهم يبعثون بأولادهم إلى من يحفظهم القرآن، حتى أن المسلم كان يعلم أولاد

(1) الإدريسي: أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الإدريسي (ت: 560هـ/ 1164م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط 1، عالم الكتب بيروت- لبنان، عام 1409هـ/ 1989م، 2/ 544. أبو مصطفى: كمال السيد أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية الإسلامية في العصر الإسلامي (95- 490هـ/ 714- 1102م)، دراسة التاريخ السياسي والحضاري، ص 245.

(2) راجع: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 51- 52، ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 1/ 41- 43. ، الأعلام الأعمال فيمن ببيع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، 2/ 75- 76. الخنشي، قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، ص 75- 77. رجب: محمد رجب عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصري بني أمية وملوك الطوائف، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ص 71، 72.

النصارى القرآن الكريم. (1)

الخلاصة والتعليق:

فكل هذا التعامل من جانب الحكام وأنظمة المسلمين مع غيرهم على أنهم قد تسامحوا تسامحاً تاماً تحت ظل الشريعة الإسلامية، فالأمراء والحكام قد حافظوا كرامة الإنسانية وعاملوا المعاملة الحسنة مع أهل البلد، لأن الداعي المسلم يكون رحيماً حليماً، كما قال الله عز وجل للنبي ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (2).

إن الإسلام دين الفطرة وأن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان من أجل عبادته وجهزه بكل ما يحتاج إليه، وجعله خليفة في الأرض وأرسل له شرعاً وديناً موافقاً بالفطرة الإنسانية، ولهذا قال ﷺ: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة الإسلام فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"، (3) فالإسلام دين الفطرة ويوافق طبائع الإنسان، لذلك يجب على المسلم أو الداعي أن يحافظ كرامة الإنسانية.

وكذلك كان المسلمون في الأندلس عاملوا أهل البلد معاملة حسنة فأقاموا العدل وأمحو أنواع الظلم، وأعطوا الحرية العقديّة والثقافية والاجتماعية للجميع ولم يجبروا أحد للدخول في الإسلام، لما رأى أهل الأندلس حسن معاملة المسلمين واستقامتهم على دينهم تحول كثير منهم إلى الإسلام، ومن صفات الدعاة المسلمين في دعوتهم إلى الإسلام أن يحترم الآخرين، ويحترم دينهم وعقيدتهم وشعائهم، لذلك استمر مرحلة دخول غير المسلمين إلى الإسلام فترة طويلة.

نظام القضاء في الإسلام لتحقيق العدل، والعدل في الإسلام له أهمية كبيرة، ويجب على الداعي المسلم أن يكون عادلاً في دعوته وحياته، كما أن المسلمين في الأندلس أسسوا نظام القضاء العادلة وقد عاملوا مع غير المسلمين في الأندلس معاملة عادلة، وقد تأثر منهم غير المسلمين واعتنقوا الإسلام.

أما الجانب الاجتماعي في الأندلس فقد أدرك المسلمون المشاكل الاجتماعية ووفروا لها أمورها، حيث أعطي لأهل الأندلس الفكرة أن يكونوا مثلنا وقاموا بتزويج النساء من أهل البلد، وشاركوا معهم بالتجارة والزراعة، حتى أن

(1) الونشريسي، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، 11 / 96. المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1 / 166.

(2) سورة آل عمران، رقم الآية: 159.

(3) الإمام البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلي عليه، 2 / 96.

أهل الذمة الفقراء الذين لم يستطيعوا أن يدفعوا الجزية قد أسقطوا منهم، ومن صفات الداعي أن يكون أدرى في أمور الأولوية، وخبير بأمور المجتمع، وله خطط لمحو المشاكل الاجتماعية، كما فعل الحكام والقضاة والفقهاء والدعاة وجميع المسلمين مع أهل الأندلس، وانضموا فيما بينهم حتى وصل الأندلس إلى منزلة ليس لها مثيل في ذلك الحين.

ومن أمور سلبية عند حكام المسلمين في الأندلس هو تعيين غير المسلمين من حيث المحافظين في قصورهم وأماكن حساسة، لذلك بدأت ثورات من القصر وانتشرت في قرطبة، وتسمى تلك الثورات بهيج الأرباض، وهي سبب قتل كثير من الناس من المسلمين وغيرهم.

العدل والإصلاح في الأرض.

لو نظر في تاريخ العمارة الإسلامية من عهد الرسول ﷺ فقد أسس مسجداً في المدينة المنورة بعد هجرته إليها، ثم تطور هذا المسجد بمرور الزمن وانتهى عمله النهائي في عام 26هـ/ 646م، فأصبح نموذجاً للمسلمين في تأسيس وتشبيد المساجد في جميع أنحاء الدولة الإسلامية، كما أنشئت قبة الصخرة في أيام عبد الملك بن مروان وابنه الوليد، وكذلك لم تقف الدولة الأموية عند هذا الحد بل أسسوا المساجد الكثيرة واهتموا أيضاً بعمارة البلاد وتأسيس المباني والقصور والمدن وغيرها، فعمران البلاد من أهم وظائف الدولة، لذلك قام الأمويون بتأسيس كثير من المساجد والجامعات والمدارس والمدن في جميع أنحاء الدولة، وثم تابع العباسيون هذه المهمة.

والأمراء والخلفاء في الأندلس لهم فضل في العمران على جميع الحكام فيها، لأن العمران له أثر كبير في نشر الدعوة الإسلامية، فتأسست المراكز الدينية ملتزمة بتعاليم الإسلام والعادات الاجتماعية، فوق ذلك أسست المدن بطرق خاصة، وتأثر منهم غير المسلمين في مجال العمران والتقدم، حتى أن العمران أصبح سبباً لغير المسلمين إلى اعتناق الإسلام.

المبحث الأول

جهود الحكام والأمراء في تقديم الخدمات العمرانية

كان المسلمون ينعمون تحت ظل الحضارة الإسلامية التي قدمت كل أنواع الخير وأبعدتهم عن أنواع الشر والفتن، فكان أهل أوروبا يعيشون في جهالة وضلالة عمياء بعيدين كل البعد عن كل مظاهر التقدم والحضارة.

ففي آواخر القرن الأول الهجري قد فتح المسلمون الأندلس وغرسوا فيها لواء الأمن ونور المعرفة، وأقاموا فيها قواعد حكم عادل، الذي يسوي بين الجميع في المعاملات، ويكفل الحرية لكل فرد في المجتمع، ويعمل للمصالح العام، فبدأ انتشار الحضارة الإسلامية حتى يصل إلى أوروبا عن طريق الأندلس، وكان العمران الذي عمّر بلاد الأندلس فنشر المسيحيون بذلك في أوروبا ونبهوا أذهان أهلها إلى النهضة الحضارية التي قام بها المسلمون في الأندلس، حتى أن عاصمة الخلافة قرطبة يضرب بها المثل في بنائها، وكانت من أكبر وأجمل عواصم العالم آنذاك. (1)

العمران هو تعمير الإنسان لأي بقعة يستقر فيها للاستفادة من مواردها، ومن أقسام العمران العمران الريفي والعمران الحضاري، فالعمران الريفي هو تجمع سكاني أو انتاجي صغير نسبياً كالضاحية والقرية والهجرة، وتجمعات سكانية صغيرة ونشاطهم وانتاجهم محدود مثل الضاحية والقرية والهجرة. وأما العمران الحضري وهي أوسع من الريفي هو تجمع سكاني كبير تمارس فيه أنشطة متنوعة ويتميز بتوفر خدمات كثيرة، وتجمعات سكانية كبيرة ونشاط وإنتاج متنوع مثل المدينة والبلد.

فحركة العمران وإنشاء المدن الإسلامية والمنشآت العمرانية الأخرى من السمات البارزة في الدولة الإسلامية بالأندلس، والخدمات العمرانية التي قدم الأمراء والخلفاء والحكام في الأندلس لا تحصى، وكانوا يبتدعون خلال عصرهم المجهود في بناء المساجد والقصور وبجثوا عن مظاهر الفخامة والترف، حيث شجعوا بناء الأسواق والأرياض بشكل واسع، (2) وقد توسعوا في طرق التخطيط والتنظيم الحضري للمدن الأندلسي، وجمع بين خصائص المدن الإسلامية والأندلسية سواء من البيئة الطبيعية أو الاجتماعية التي تميزت بالتنوع العرقي والديني، وقد كانوا استخدموا في تشييد القصور والمساجد والمسكن والمنشآت العامة كالحمامات والمدارس وغيرها تخطيط وتنظيم مع أشكال

(1) ابن حوقل، صورة الأرض، ص 107.

(2) سالم: السيد عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر- الإسكندرية، عام 1984م، ص 17. فكري: أحمد فكري، الآثار الإسلامية في الأندلس، مجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة لإتحاد المؤرخين العرب- بغداد، عام 1978م، العدد: 8، ص 27-32.

ففي عهد الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين- حينما فتحوا بلداً يقيمون فيه مسجداً لعبادة الله وحده، وتعليم الناس ومدرسة لتحصيل العلم، وكان داراً للحكم يقام فيها العدل، وكذلك كان مسجد قصر السياسة توجه إليه الناس في جميع شؤونها، وبهذا الترتيب حتى فتحوا بلاد الأندلس فقام القادة بتأسيس المساجد، حيث اهتمت الدولة الأموية بالأندلس بإنشاء المساجد اهتماماً كبيراً منذ أن تأسست كما ذكر: "أن مساجد قرطبة بلغت في أيام عبد الرحمن الداخل أربعمائة وتسعين مسجداً ثم زادت بعد ذلك كثيراً".⁽¹⁾

فدور القادة والولاة والأمراء والخلفاء في الأندلس واهتمامهم وحرصهم على بناء المساجد موضع عجاب، كما أن طارق بن زياد بعد حملته أنشأ مسجداً في الجزيرة الخضراء، ومسجد في إلبيرة وقرطبة وطليلطة.⁽²⁾

فلما عبر موسى بن نصير إلى الأندلس فأول عمل هو بدأ بإنشاء مسجد في المكان الذي نزل فيه وتجمعت فيه ألوية جيشه، فسمي مسجده بمسجد الرايات، وكان جيشه يشتمل على مجموعة كبيرة من التابعين، فكانوا يتولون تأسيس المساجد وتحديد مواضع قبلتها، وكثير من المساجد تقع من أجزاء كنائس النصراني أو بجوارها.⁽³⁾

ولما افتتح إشبيلية جعل موسى بن نصير نصف كنيستها مسجداً للمسلمين، وسمي المسجد بمسجد رفينة، فتتابع الولاة في إنشاء المساجد أو إما بتوسعة ما ضاق منها.⁽⁴⁾

أ- جامع قرطبة:

إن الولاة والأمراء كانوا ينفقون من أموالهم الخاصة على المساجد وفقاً في سبيل الله تعالى وإقامة الصلوات فيها، والنساء لم تتخلفن عن الرجال في تأسيس المساجد،⁽⁵⁾ ومن أهم وأعظم آثار والمنشآت العمرانية التي أنفق

(1) راجع: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 2/ 488. المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 540. اللميلم: الدكتور عبد العزيز محمد اللميلم، رسالة المسجد في الإسلام، ط 2، مؤسسة الرسالة، عام 1411هـ، ص 185، 202، 226. معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، 1/ 7.

(2) المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 3/ 8. الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 75.

(3) راجع: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 229.

(4) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، 1/ 137. المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 560. مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بما بينهم، ص 42. الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 178.

(5) المساجد التي بنيت على أموال وأملاك الشخصية منها المسجد المنسوب إلى (طروب) جارية عبد الرحمن بن الحكم بالبريظ الغربي من قرطبة. ومسجد الجارية (فجر) بقرطبة. ومسجد البهاء في ريبض الرصافة ويعود إلى (البهاء) أم الوليد بن بشر بن عبد الرحمن بن الحكم الأديب، وهي من نساء بني أمية عرفت بأنها زاهدة عابدة، وتوفيت سنة 305هـ/ 917م. ومسجد مرجان أم الخليفة الحكم المستنصر وهو من المساجد الواسعة الحسنة البناء لكثرة الأموال

عليها الأمويون الأندلسيون أموالاً ضخمة منها الجامع قرطبة،⁽¹⁾ أسس المسجد الجامع بقرطبة الذي لا يزال قائماً حتى اليوم، يحكي للأجيال عظمة الدولة الإسلامية في الأندلس أيام عظمتها، وتاريخ بناء هذا المسجد الجامع بعد فتحهم لمدينة قرطبة، وأسسوا مسجداً في جوار كنيسة النصرى المعروفة بـ (San Vicente)، فلما كثر عدد المسلمين في قرطبة وضاق عليهم المسجد علقوا سقائف متتابعة، حتى أن عبد الرحمن الداخل دخل الأندلس واستولى على مقاليد الأمور، فنظر في أمر المسجد الجامع، كما يقول: "أنه لما دخل عبد الرحمن بن معاوية الأندلس وسكن قرطبة نظر في أمر المسجد الجامع وتوسيعه وإتقان بنائه فأحضر أعاجم قرطبة وسألهم بيع الجزء المتبقى من كنيستهم الملاصقة للمسجد، وأومع لهم البذل فيه وفاء بالعهد الذي صولحوا عليه، وكان المسلمون قد شاطروهم كنيستهم عند فتح الأندلس، وأباح لهم الداخل بناء كنائسهم التي كانت هدمت عليهم وقت الفتح بخارج قرطبة، فخرجوا عن هذا الشطر، فشرع عبد الرحمن بن معاوية في هدم الكنيسة وبناء المسجد في سنة 169هـ / 785م، واكتمل بناؤه في سنة 170هـ / 786م وكان جملة ما أنفقه عليه ثمانين ألف دينار"،⁽²⁾ وذكر: "أنه اشترى موضع الكنيسة بمائة ألف دينار".⁽³⁾

فهذا حسن معاملة حكام المسلمين مع النصرى حتى يدفعهم هذا المبلغ الكبير من أجل إرضائهم، ثم يسمحوا لهم ببناء كنيسة جديدة.

وكان جامع قرطبة شاهد صدق على هذه الحركة المعمارية الكبرى في البناء والتشييد، ومن أروع هذه الأمثلة العمارة الإسلامية بل عالمية في العصر الوسيط، وأن عناصره المعمارية والزخرفية تؤلف البذور الأولى للفن الأندلسي

التي أنفقت على بنائها والتفنن في زخارفها. وكان فتح بن إبراهيم الأموي المعروف بإبن القشاري من سكنة طليطلة قد بنى مسجدين أحدهما في الجبل بضواحي طليطلة والثاني في حي الدباغين، وكان يلزم الصلاة فيها. (راجع: ابن حزم، طوق الحمامة في الألفة والألاف، ص 48. ابن حيان، المقتبس من أبناء أهل الأندلس، تحقيق: مكّي، 8، 10، 113، 15، 431، 432. ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 171. ابن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، 2/ 460. فكري، الآثار الإسلامية في الأندلس، ص 29).

(1) كان جامع قرطبة من الوجهة الفنية أروع أمثلة العمارة الإسلامية والمسيحية على السواء في العصر الوسيط، ومن الجانب العلمية أكبر جامعة إسلامية تدرس فيها العلوم الدينية واللغوية، ويفد إليها طلاب المسلمين والعجم للدرس والتحصيل. وأن الجامع قرطبة المثل في العظمة والإتساع وفي كثرة الزخارف والجمال، وكتبوا في تاريخه ووصفه فصلاً طويلاً.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 229. المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس، 1/ 560-561. سالم، محاضرات في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص 162.

(3) المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 546.

والمغربي، وقد أخذت زخارفه تشع في المشرق والمغرب، فأثر في الزخرفة المسيحية والإسلامية على سواء. (1)

ولما جاء عهد هشام بن عبد الرحمن الداخل زاد في المسجد الجامع وجدده وتم عمله الباقي من عهد والده، وأنفق على زيادته من خمس فئ أربونة، حتى بلغ خمسة وأربعين ألفاً دينار في سنة 177هـ/ 793م، وزاد في المسجد حتى بلغ ارتفاعها أربعين ذراعاً إلى موضع الأذان، وأضاف آخر المسجد لصلاة النساء، وأنشأ به منارته الأولى. (2)

فمسجد الجامع قرطبة ليس له مثل في بلاد المسلمين، يقول الإدريسي: "وفيها المسجد الجامع الذي ليس بمسجد المسلمين مثله بنية وتنسيقاً وطولاً وعرضاً". (3) وكان جامع قرطبة بلغ من إجلال أهل الأندلس وتعظيمهم لمسجدهم بقرطبة أن جعلوه مركزاً دينياً هاماً يحج الناس إليه.

كان عبد الرحمن بن الحكم من أعظم المهتمين ببناء المساجد وعمارتها، فهو الذي زاد في جامع قرطبة وولى مهمته لشخصين (4) وأسس له محرابه، وقد احتفظ الأمير عبد الرحمن بن الحكم بهذا المحراب النفيس عند زيادته لبيت الصلاة، فنقله من موضعه القديم، وبعده كل أمير يأتي إلى الحكم يزيد في توسعة المسجد، حتى جاء عصر عبد الرحمن الناصر وأنفق عليه في زيادة المسجد، فتوسعته سبعة أمداد وكيلين ونصف من الدراهم القاسمية. (5) وهدم المنارة القديمة وأنشأ مكانها منارة أخرى أرفع وأفخم في سنة 340هـ/ 951م، وكانت المنارة التي أنشأ عبد الرحمن الناصر مربعة الواجهات، لها أربعة عشر شباكاً ذات عقود، وتحتوي على سلمين أحدهما للصعود وأخرى للنزول، وفي أعلاها ثلاث تفاحات إثنان منها من الذهب والثالثة من الفضة، إذا وصلت شعاع الشمس إليه تكاد تحطف الأبصار من كثرة الضياء. (6)

(1) سالم: السيد عبد العزيز سالم، المساجد والقصور في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة - الإسكندرية، عام 1986م، ص 50.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 229. المقري التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 561. عنان: محمد عبد الله عنان، الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال - دراسة تاريخية أثرية، ط 2، مكتبة الخانجي - القاهرة، عام 1417هـ/ 1997م، ص 20.

(3) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، 2/ 253.

(4) يرجع هذا التعظيم والإجلال لجامع قرطبة إلى حنش بن عبد الله الصنعاني وأبا عبد الرحمن الحبلي التابعين، هما بذلا جهداً في ترميم جامع قرطبة. (سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، ص 378).

(5) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 230 - 231. مؤنس: الدكتور حسين مؤنس، موسوعة في تاريخ الأندلس - تاريخ وفكر وحضارة وتراث، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، عام 1416هـ/ 1996م، 1/ 94.

(6) ابن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، ص 38.

ففي عصر الحكم المستنصر أول شيء استفتح به خلافته هو النظر في توسعة المسجد الجامع بقرطبة، لأن المسجد الجامع قد ضاق بالمصلين فسارع إلى توسعته، وأنفق على توسعة المسجد مائتين وواحد وستين ألفاً وخمسمائة وسبعة وثلاثين ديناراً ودرهم كلها من الأخماس، فمنبر المسجد قد بلغت تكلفته خمسة وثلاثين ألفاً وسبعمائة وخمسة دنانير وكان إتمامه في خمسة أعوام. ورواتب الأئمة والخطباء وغيرهم بلغت ثمانمائة دينار شهرياً. (1)

كما أن الحكم المستنصر أنشأ أنابيب لجلب الماء إلى سقايات المسجد الجامع قرطبة والميضأتين اللتين إلى جانبه، وجلب له الماء العذب من عين بجبل قرطبة. (2)

طريقة البناء بعقود مزدوجة متراكبة مما يضيف على مسجد قرطبة جمالاً أصيلاً وطابعاً فريداً في عمارة القرون الوسطى لا نجدتها في أي مسجد آخر، فكان الحكام في قرطبة يضيفون على المسجد سقائف كلما ضاق بهم وكثر فيه المصلون. (3)

ب- مسجد الزهراء:

عهد عبد الرحمن الناصر بارز في هذا المجال حيث بنى مسجد الزهراء (4) وكان يعمل فيه حين بدأ في بناءة من متخصصين للعمل ألف شخص كل يوم، منهم ثلاثمائة بناء، ومائتا نجار، وخمسمائة من الأجراء من سائر الصنائع، وقد كمل بنيانه في ثمانية وأربعين يوماً. (5)

ومخطط المسجد الزهراء على (74، 253 × 03، 34 م) هو صورة طبق الأصل للمسجد القرطبي الذي

(1) ابن غالب، فرحة الأنفس عن كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمائة، ص 299. ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 234، 241، 250. المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 547، 562.

(2) راجع: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 240. زيتون، المسلمون في المغرب والأندلس، ص 301.

(3) المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 560. كولان، الأندلس، ص 155.

(4) يرجع تاريخ مسجد الزهراء إلى الحوليات العربية إلى عام 941-942م، لكنه طبقاً لنقوش كتابية على المنذنة يرجع لعام 945-946م، وهو العام الذي انتهى فيه بناء المسجد، وهذا ما لا يتفق مع الرواية القائلة بأن عملية بناء المسجد الزهراء استغرقت ثمانية وأربعين يوماً. (باسيليون: باسيليون بابون مالدونادو، العمارة الإسلامية في الأندلس - عمارة القصور، ترجمة: علي إبراهيم المنوفي، ومراجعتها: محمد حمزة الحداد، ط 1، المركز القومي للترجمة - القاهرة، عام 2010م، 1/ 139-140).

(5) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ص 100. لكن صاحب كتاب العمارة الإسلامية في الأندلس لا يوافق مع الرواية التي كانت أخذت عملية بناء المسجد استغرقت ثمانية وأربعين يوماً. (باسيليون، العمارة الإسلامية في الأندلس - عمارة القصور، ص 139-140).

يتكون من صحن محاط ببيوتك ثلاث، وأن العقود المركزية أوسع من كل باقي العقود، والمئذنة والمنطقة المسقوفة المكونة من خمسة أروقة أو بلاطات متعامدة على حائط القبلة، وقد جرى وضع أعمدة هذه الروقة الخمسة على أساسات متصلة، وتخطيط أبواب جانبية متقابلة على إضلاع كل من الصحن والمنطقة المسقوفة كما في الصحن باباً في الجهة الشمالية أقيمت إلى جواره مئذنة، وقد تم بناء المسجد وكأنه على شاكلة حصن، وأضيفت ثمانية عشرة دعامة إلى الحوائط الكائنة في الأضلاع، إضافة إلى خمس دعائم في حائط القبلة من الخارج، وفي جانب تحسين المسجد استخدم فيه الزخارف الغربي الخاص. (1) وبلغت فيها عظمة الخلافة الأندلسية وسلطانها حوالي أربعون عاماً.

ج- مساجد أخرى في الأندلس:

أما المساجد الأخرى في الأندلس التي بنيت إبان عصر الولاة والأمراء والخلفاء كثيرة جداً، ولا أذكرها على الحصر، ولما فتح المسلمون بلاد غالة أنشأوا هناك مساجد ومعاهد للتعليم، وعندما سقطت مدينة أربونة على يد الإفرنجية سنة 142هـ/760م ففتكوا بسكانها المسلمين أيما فتك، وخرّبوا مساجدها ومعاهدها ودورها. (2)

المسجد الجامع بإشبيلية الذي بني في عصر عبد الرحمن بن الحكم، ومسجد جيان أيضاً في عصره على يد عامله عليها سنة 210هـ/825م، وجامع عمر بن عبدس سنة 214هـ/829م، (3) وخلفت قرطبة بطائفة من المساجد والقصور والقناطير والمنشآت المختلفة، ومسجد الجامع بألبيرة أسس في عصر محمد بن عبد الرحمن بن الحكم على يد عامله عليها في ذي القعدة سنة 250هـ/864م، ومسجد بطليوس الذي بني في عصر الأمير عبد الله. (4)

وكان جامع طرطوشة قد بني في عصر عبد الرحمن الناصر في سنة 345هـ/، وقد وصف ابن حوقل مساجد الأندلس: "فإن جميع الكور والمدن الأندلسية بها مساجد حسنة تقام فيها الصلوة الخمس وليس بجميع مدنها مساجد خراب". (5)

(1) باسيلون، العمارة الإسلامية في الأندلس - عمارة القصور، ص 139 - 140.

(2) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، 1/ 137.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 82، 230.

(4) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص 20، 46، 71. الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، ص 104.

(5) ابن حوقل، صورة الأرض، ص 111.

فاهتمام الحكام في الأندلس ببناء المساجد كان كبيراً وكانت لهم جهود عظيمة، وكانوا ينفقون عليها بسخاء من أموالهم الشخصية ومن بيت مال المسلمين، وقد شهد ذلك العصر حركة إنشاء واسعة للمساجد في كل المدن والكور الأندلسية ولا نجد مدينة ليس فيها مسجد، وأن بخارج قرطبة وحدها ثلاثة آلاف قرية في كل منها منبر يخطب عليه فقيه مشاور. (1)

فهذا دليل على مدى الاهتمام الكبير بإنشاء المساجد وعمارتها خلال هذه الفترة الذهبية.

ثانياً: تأسيس المدن والحصون والقصور في الأندلس:

تميز عصر الفتوحات الإسلامية بإنشاء مراكز عمرانية إسلامية، وأنشأوا المدن الإسلامية في سائر أنحاء العالم الإسلامي، وفوق ذلك في الأندلس أنشأوا وجددوا المباني القديمة كالجسور الرومانية وأقواس النصر والملاعب والأسوار، ومن أساس العمران هو المسجد وقد سبق ذكره.

وبعد فتح الأندلس بدأ عصر الولاة التابعين للخلافة في دمشق، وشهدت الأندلس الفتن والاضطرابات السياسية والقبلية حتى انتهت بتغلب الأمير عبد الرحمن الداخل على جميع الفوضى والفتن سنة 138هـ/755م.

وكان الأمراء والخلفاء يشيدون قصورهم بجوار المساجد الجامع، وكانت هذه القصور تتخذ مظهراً عمرانياً شديد الشبه بالمدن الصغيرة، وكانت تتألف هذه القصور من قصر الأمير وأفراد حاشيته وخاصته، وفيها أسواق وحمامات وفنادق ودور للصناعة ومساجد وغير ذلك من الأشياء الضرورية.

أ- مدينة قرطبة:

كان عبد الرحمن الداخل يستقر بقرطبة ويقيم أمره بها حتى بنى المسجد الجامع والقصر بقرطبة، وأنفق فيه ثمانين ألف دينار، ومنذ ذلك العهد بدأ فن العمارة يتلمس طريقة في الأبنية الدينية والمدنية ونبت فيه الفن الإسلامي بالأندلس.

مدينة قرطبة ترجع إلى العصر الروماني وهي تقع على سفح جبال قرطبة الجنوبي، على منحني الضفة الشمالية لنهر الوادي الكبير، وهي عاصمة الولاية الأندلسية، حيث تقدم ذكرها.

(1) مؤلف مجهول، وصف جديد لقرطبة الإسلامية، 13/ 170.

وتعد المنشآت المعمارية مظهراً متقدماً من مظاهر الحضارة، وهي تدل على الرخاء الاقتصادي، كما تصبح العاصمة قرطبة صورة حقيقية لمظاهر ازدهار ذلك العصر، وكانت من أكبر وأجمل عواصم العالم آنذاك، وبلغ عدد دار قرطبة ما يقارب مائة ألف دار، وتنتشر في أرياض المدينة الواحد والعشرين أو ثمانية وعشرين، واشتهرت قرطبة بحماماتها البالغة ثلاثمائة أو سبعمائة أو تسعمائة حمام، وبفنادقها وساحاتها وحدائقها. (1)

ومدينة قرطبة القنطرة التي علت القناطر فحراً في بنائها واتقانها، وعدد قسيها سبع عشر قوساً، ومسافة بين القوس والقوس خمسون شبراً، وسعة القوس خمسون شبراً. وسعة ظهرها المعبور عليه ثلاثون شبراً، وارتفاع القنطرة من موضع المشي إلى وجه الماء في أيام جفاف الماء ثلاثون ذراعاً، وتحت القنطرة يعترض الوادي رصيف سد مصنوع من الأحجار القبطية والعمد الجافية من الرخام، على هذا السد ثلاثة بيوت أرضاء، في كل بيت منها أربع مطاحن، ولهذه القنطرة أهمية سوقية حيث تصل جنوبي الأندلس بقرطبة والشمال الإفريقي. (2)

وما زالت هذه القنطرة تحتفظ بكثير من معالمها الأندلسية الإسلامية وبقي روض المدينة شرقي قرطبة، الذي يتألف من مجموعة أرياض المركز العمراني في عهد الخلافة، وتقوم المدينة الوسطى في القسم الغربي. (3)

وكان الأمراء والحكام يستقرون في قرطبة وأنها مقر للدولة، منذ أن دخل عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس استقر فيها وعمد إلى تجديد ما طمس لبني أمية بالمشرق من معالم الخلافة وآثارها، فبنى الجامع بقرطبة وبنى مساجد أخرى، وأدار السور بقرطبة بعد أن هدمه السمرقند بن مالك الخولاني والي الأندلس في عصر الولاة، وتوسعت قرطبة العربية إلى الشرق والغرب، أما أبواب لسور قرطبة فعددها سبعة أبواب هي: باب القنطرة وتقع في الجنوب، وبابان في الشرق هما باب الحديد وباب عبد الجبار، وفي الشمال باب ليون، وفي الغرب ثلاثة أبواب هي باب عامر والجوز وإشبيلية. (4)

المنشآت الدولة في الأندلس كثيرة، وكل حاكم كان يقوم بعمارة الأرض، وكان عبد الرحمن بن الحكم اهتم

(1) راجع: المقرئ التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 540، 465. ابن حوقل، صورة الأرض، ص 107، 108. ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 232.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 26. عنان، دولة الإسلام في الأندلس، 1/ 75.

(3) سالم: السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة- الإسكندرية، عام 1997م، ص 41.

(4) المقرئ التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 466.

أكثر عن الآخرين بالناحية المعمارية فأنشأ القصور والمنتزهات وجلب إليها المياه من الجبال وجعل لقصره حوضاً يجتمع فيه ماء المطر وأقام الجسور وعبر الطرق وبنى كثيراً من المساجد الجامعة في جميع أنحاء الأندلس. (1)

ففي عهد عبد الرحمن الناصر إسهام في إرساء حضارة العرب في إسبانيا وأوروبا وعلى امتداد القرون التالية وقد أصبحت في زمن الخليفين عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر بالله مركزاً حضارياً من ناحيتين السياسية والاجتماعية فقد اجتذبت إليها العلماء والسفراء والأدباء والتجار والصناع من مختلف البلاد وزاد ازدهارها حتى كان ضوء المصايح المدينة يصل إلى عشر أميال ويستطيع أحد أن يمشي فيها بضوء المصايح وقت الليل. (2)

ب- مدينة الزهراء:

ولعل من أهم آثار الحكام المعمارية مدينة الزهراء، وبنيت على مسافة ثمانية كيلو متر شمال غربي العاصمة قرطبة، وكان يريد أنها مقراً للخلافة الجديدة، وابتعاداً عن قرطبة لأجل كثرة سكانها التي تزداد سنوياً، وتكون هذه المدينة من مظاهر الخلفاء والسلاطين العظماء في عصورهم المجيدة، وأن عبد الرحمن الناصر بنى هذه المدينة وقد أنفق عليها أموال بنفسه والاعتناء بها لتكون وليس لها مثيل. (3)

ومن أهم المدن التي بنيت في هذا العصر وكلفت خزانة الدولة أموالاً طائلة فهي هذه المدينة الزهراء التي بدأ بنائها سنة 325هـ/936م، وأشرف عليها ابنه الحكم المستنصر على بنائها، (4) وتقع على سطح جبل يعرف بجبل بطلش وخطط فيها الأسواق والحمامات والخانات والقصور.. واجتلب إليها عامة الناس الذي يرغب أن يبني داراً، وأمر الخليفة مناديه أن ينادي في جميع أنحاء دولته من يريد أن يتخذ داراً بجوار الخليفة فله من المعونة أربعمئة درهم، فتسارع الناس إلى العمارة بها. (5) وخطط لها جميع الضروريات (6) واستخدم ماهري العمل في تعمير المدينة كل يوم

(1) زيتون، المسلمون في المغرب والأندلس، ص 301.

(2) العميد: الدكتور طاهر مظفر العميد، آثار المغرب والأندلس، بيت الحكمة للنشر والترجمة والتوزيع- بغداد، عام 1989م، ص 192.

(3) راجع: المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 540. النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص 69، 72. نجلة العزي، قصر الزهراء في الأندلس، بغداد، عام 1977م، ص 32-33.

(4) راجع: المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 540. ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 231. نجلة العزي، قصر الزهراء في الأندلس، ص 33.

(5) ابن حوقل، صورة الأرض، ص 107.

(6) بدأ عبد الرحمن الناصر ببناء الزهراء أول سنة 325هـ/، وكان مبلغ ما ينفق فيها كل يوم من الصخر المنحوت المنجور المعدل ستة آلاف صخرة سوى

عشرة آلاف رجل، ويدفعون لهم أجرة منهم من له درهم ونصف ومن له الدرهمان والثلاثة. (1)

فاهتمام عبد الرحمن الناصر ببناء مدينة الزهراء كثير، وكان يصرف فيها كل يوم من الصخر المنجور ستة آلاف صخرة "وجلب الرخام إليها من قرطاجنة إفريقية ومن تونس"، (2) وكان الناصر يصل الأمناء الذين جلبوه على كل رخامة ثلاثة دنانير وعلى كل سارية ثمانية دنانير سجلماسية، وكان عدد السواري أربعة آلاف وثلاثمائة وثلاثة عشرة سارية، وجلب من إفريقية ألف وثلاثة عشر سارية. (3) وجلب لها الرخام من مدن اشتهرت بالرخام، فمنه جلب من مدينة المرية وربة وأصناف منه من المغرب العربي، وبعض اللوازم من الشام والقسطنطينية، وينفق على مدينة الزهراء كل عام بثلاثمائة ألف دينار مدة خمسة وعشرين عاماً التي بقيت من خلافته من حين ابتدائها. (4) وانتقل إليها عبد الرحمن الناصر بحاشيته وخواصه وخدمه في سنة 336هـ/947م. (5)

وقد خص من خزانة الدولة مبلغاً كبيراً لبناء المدينة، وكان ينفق ثلث الجباية على بناء مدينة الزهراء، وأن جملة ما أنفقه الناصر على بنائها بلغ خمسة وثمانين مداً من الدراهم القاسمية، ومبلغ النفقة من الدراهم القاسمية بالكيل القرطبي ثمانون مدياً وستة أقفزة إضافة إلى بعض الأكيال والمدى القرطبي زنته ثمانية قناطير والستة أقفزة هي نصف مدى زنته أربعة قناطير. (6)

الصخر المصرف في التبليط، فانه لم يدخل في هذا العدد، وكان يخدم في الزهراء كل يوم ألف وأربعمائة بغل وقيل أكثر، منها أربعمائة زوامل الناصر لدين الله، ومن دواب الأكرباء الرتبة للخدمة ألف بغل لكل بغل منها ثلاثة مثاقيل في الشهر، يجب لها في الشهر ثلاثة آلاف مثقال، وكان يرد الزهراء من الخيار والحصص في كل ثالث من الأيام ألف ومائة حمل. (راجع: المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 567، 568. ابن غالب، فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، ص 300).

(1) المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 526.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 230.

(3) راجع: ابن غالب، فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، ص 300. ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 231. ابن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، ص 38.

(4) راجع: المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 568. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، 3/ 4. ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 231.

(5) العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص 206. وانظر عن الخدم والجواري والحرس الخاص ومقدارها ما كان يدخل الزهراء يومياً من المواد والتموينية. ابن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام.

(6) ابن غالب، فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، ص 301.

في تقسيم أطلال مدينة الزهراء أنها تنقسم بصفة عامة إلى ثلاث مجموعات، وكلها من أعلى إلى أسفل، وتشتمل المجموعة الأولى مواقع القصر الخلفي والمقام الخاص، وتشمل الثانية فيما يبدو مساكن الحاشية والحرس، وتشمل المجموعة الثالثة وهي الواقعة أسفل الربوة في بسيط معتدل من الأرض. (1)

وكذلك في خلافة عبد الرحمن الناصر شيد بها قصوراً كثيرة، منها: قصر المؤنس وقصر الخلافة وقصر الزهراء، وكانت أسقف هذه القصور من القراميد المذهبة، عمدتها من الرخام والمرمر، وجدرانها مكسوة بلوحات الرخام والمذهبة والفسيفساء، ولم يتم بناء هذه المدينة في عهد الناصر بل أتمها ابنه الحكم المستنصر من بعده في عام 976م، وظلت الزهراء في إزدهارها حتى ظهرت مدينة الزاهرة في الوجود. (2)

فأنواع القصور في هذه المدينة على نوعين: الأول قصر الذي وسطه فراغ هو الصحن التي تتوزع حوله كل الغرف، والآخر هو القصر الذي يتألف من بلاطات متوازية تفصلها فيما بينها أعمدة تقوم عليها عقود كما هو الحال في المساجد الأندلسية. (3)

لقد وصف أحد المستشرقين المدينة الزهراء يقول: "إنه خلافاً للقرآن جعل لها تمثالاً جميلاً من المرمر نصبه على باب القصر، وكان يشغل في بناء القصر عشرة آلاف رجل وثلاثون ألف دابة، وأن له خمسة عشر ألفاً وأربعة آلاف سارية -جلبت من اليونان وإيطاليا وإفريقيا وغيرها- والإيوان الأوسط كانت سواريه من المرمر والحجر الشفاف، وكانت رؤوسها مرصعة باللؤلؤ والياقوت، وكان جريد سقفه من الذهب والفضة، وكانت جدرانها وقبته من العقيق اليماني، وكان به ثمانية أبواب من الأبانوس والعاج مرصعة بالجواهر، وكان في القصر ثلاثمائة حمام مستجمع لشروط النعمة، وكانت الحدائق واسعة جداً حتى أن الحيتان التي كانت في حياضها وكانت كلها من نوع السمك الذهبي كان قوتها اليومي اثني عشر ألف رغيف من الخبز، وحوله كانت مساكن جميلة لخاصة الخليفة ورجال دولته المقربين وأرباب المناصب العالية، وهكذا كانت مدينة الزهراء مدينة تسي الألباب وتسحر العقول بجمالها". (4)

(1) راجع: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، 2/ 443. نجلة العزي، قصر الزهراء في الأندلس، ص 84. السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص 184.

(2) سالم، المساجد والقصور في الأندلس، ص 55.

(3) سالم، المساجد والقصور في الأندلس، ص 55.

(4) جوزيف كيب، مدينة المسلمين في إسبانيا، ترجمة: محمد تقي الدين الهلالي، ط 1، ص 69-72.

فمدينة الزهراء لم تعمر طويلاً فقد ظلت مقلماً للخلافة في عهد الناصر وولده الحكم، ثم فقدت أهميتها لأن بدأ النزاع على السلطة وتعرضت هذه المدينة إلى الدمار والحرق.

ج- المنشآت أخرى:

وقد أسهم الولاة والأمراء والخلفاء في بناء إعمار المدن والقلاع والحصون والأبراج التابعة لها، كما في عصر الولاة طلب والي الأندلس السملح بن مالك الخولاني من الخليفة عمر بن عبد العزيز أن قنطرة قرطبة خربت وأريد أن أصلحها، فأمر له بترميم قنطرة قرطبة سنة 101هـ/719م. (1)

بنى عبد الرحمن الداخل مدينة الرصافة شمالي غرب قرطبة لنزهة وسكنها أكثر أوقاته، فاتخذ بها قصرًا حسنًا وجنابًا واسعة، ونقل إليه غرائب الغروس وأكارم الشجر من كل ناحية وسماه بإسم رصافة جده هشام خارج دمشق بأرض الشام، (2) واسم الرصافة معناها المدينة الجانبية بجوار العاصمة. (3) وهي بنى على طراز المعماري الأموي في الشمال الغربي من قرطبة للنزهة والسكني، وكان فيها قصر يحيط به سور وينفتح فيه أبواب، وكانت لمدينة الرصافة باب في باطن الأرض يصل إلى قرطبة، وأن هذا الطريق يرتاده الأمير عبد الرحمن الداخل متى شاء لنفسه الراحة بعيداً عن أنظار رعيته. (4) ولا يقل أهمية جامع قرطبة عن قصر الرصافة، فقد بناه الأمير عبد الرحمن الداخل في سنة 169هـ/785م. (5)

أما القلاع والحصون والمدن كانت تتعرض للتخريب من جانب المتمردين والخارجين على السلطة طوال عهد الإمارة والخلافة، لأن القلاع والحصون والتحصينات الدفاعية مهم للوقوف بوجه الأخطار، لذلك بنى عبد الرحمن الأوسط مدينة مرسية في سنة 216هـ/831م لتصبح الحاضرة الجديدة لكورة تدمير، (6) فبعد أن إخدمت الثورة في طليطلة سنة 222هـ/836م وكثر الدمار والتخريب في المدينة فقام القادة بإعادة بناء السور وإعمار ما دمر نتيجة

(1) سالم، المساجد والقصور في الأندلس، ص 53.

(2) راجع: المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 2/ 190. سالم، المساجد والقصور في الأندلس، ص 53.

(3) شبارو، الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود، ص 116.

(4) سالم، قرطبة حاضر الخلافة في الأندلس، 1/ 48-49.

(5) سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي وحتى سقوط الخلافة بقرطبة، ص 209.

(6) الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 181.

تلك الحرب، وأيضاً وأسس مدينة مجريط -مدريد الحالي- في عام 240هـ / 855م. (1)

وكثير من المدن عمرت في عهد عبد الرحمن الأوسط وزاد الخير في الريف، وازدهرت المدن الأندلسية وظلت سمة هذه المدن طوال العصور الإسلامية.

ولما زار الحكم بن عبد الرحمن الثغور وجد آثار الخراب بادية من مدينة سرقسطة وأسوارها، فقام بإعمار ما وجد من الخراب، ومن ذلك إصلاح قنطرة المدينة، (2) فإعمار المدن والثغور وإصلاح حصونها جزء أساسي مهم من سياسة الأمراء لتقوية الدفاعات للوقوف بوجه الممالك الشمالية أو بوجه الخارجين على السلطة.

وفي سنة 239هـ / 853م تعرضت قلعة رباح (3) إلى هجمات الخارجين من أهل طليطلة وهدمت أسوارها، وهجرها أهلها، وهي على موقع دفاعي محصن ضد المخاطر التي يوجهها الخارجون من أهل طليطلة بدعم من الممالك الشمالية، (4) فتمكن الحكم بن عبد الرحمن عليها وقام بتحصين القلعة وأعاد أهل مدينتها إليها، وقام أيضاً بتحصين الحصون الأخرى القريبة من المدينة للدفاع عنها ومنها حصن شندلة على الطريق إلى قلعة رباح الواقعة رافد نهر الوادي الكبير من الشمال وعلى مقربة من اندوجر. (5)

خرج أهل حصن نبريشة على السلطة فتصدى جنود السلطة ودخلوا المدينة، فقاموا بإصلاح ما دمر من القلاع والحصون، تمرد أهل لوشة على السلطة واستطاع جيش السلطة على المدينة، فقاموا أيضاً بإصلاح ما دمر وبني حصونها وأسكن أهلها بالأمن، وكل ذلك في سنة 282هـ / 895م.

وإضافة إلى ذلك من نفقات التي قامت الدولة بصرفها على المنشآت الأخرى كتجديد القنوات والترع للري والإصلاح الزراعي وتعمير الأراضي، كما قامت بإنشاء قنطرة قرطبة في عصر الأمير هشام، وأشرف على بنائها بنفسه

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 5/ 245. بروكلمان: كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: بنيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، ص 158.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 85.

(3) قلعة رباح هي مدينة في إقليم جيان تقع بين قرطبة وطليطلة كانت محصنة محدثة من قبل أمراء الأندلس. (ابن حوقل، صورة الأرض، ص 111).

(4) الحيري، صفة الجزيرة، ص 163. ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، 4/ 283.

(5) راجع: ابن حيان، المقتبس من أنباء بلد الأندلس، تحقيق: مكي، ص 293. ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 85. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 5/ 245.

وأنفق عليها أموالاً كبيراً، فلما بلغ له أن الناس قالوا أنه إنما بناها ليعبر عليها للصيد والنزهة، فأقسم الأمير هشام أن لا يجوز عليها إلا لغزو في سبيل الله أو مصلحة. (1)

وقد أسهم حكام الأندلس في بناء إعمار المدن والقلاع والحصون التابعة لها، وأيضاً اعتنوا ببناء عدد من المدن الجديدة مثل مدينة تطيلة التي تمت تخطيطها في عصر الحكم بن هشام بن عبد الرحمن. (2) ومدينة مرسية التي بنيت في أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم واتخذت داراً للعمال وقراراً للقواد في سنة 210هـ/ 825م، (3) وقد اهتم أكثر عن الآخرين بالناحية المعمارية فأنشأ القصور والمنتزهات وجلب المياه من الجبال وجعل لقصره في قرطبة حوضاً يجتمع فيه ماء المطر وأقام الجسور وعبد الطرق وبنى كثيراً من المساجد الجامعة في جميع أنحاء الأندلس، وأقام دار صناعة بإشبيلية وأنشأ المراكب لتكون أسطول بحرية لحماية سواحل الأندلس وأمدته بالآلات والنفط. (4)

وأمر الحكم المستنصر ببناء مدينة بثغر طليطلة وتشبيدها وتوثيق أمورها وأرسل لبناء هذه المدينة أموال كثيرة وذلك في سنة 352هـ/ 964م. (5)

أما في مجال العمارة فقد أسسوا مدينة تطوان وجددوا مراكش وأعادوا تعمير مدينة رباط الفتح، وبنوا الدور والقصور والمرافق، وتميزوا بطريقة خاصة في عمارة الدور من حيث التصميم والزخرفة، وشكل البوابات وهو الشكل الذي استمر مفضلاً في القصور القديمة في رباط الفتح وسلا وتطوان. (6)

وأما في مجال الزراعة وإحياء الأرض فأهل الأندلس معهم خبرات وعلوم في مجالات الصناعة والزراعة، وكانوا يمثلون حينما نزلوا قطعة من الأندلس وكانت عليهم دائماً مسحة أندلسية تمتاز بالدوق وتدل على الأصالة في

(1) ابن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلال من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، ص 12. سيد أمير علي، مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي، ص 469-470.

(2) ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2/ 33.

(3) العذري، ترسيخ الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، ص 7.

(4) زيتون، المسلمون في المغرب والأندلس، ص 301.

(5) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 236.

(6) راجع: المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 2/ 617.

التمدن. (1)

فالتقدم في مجال الزراعة طور الأندلسيون الزراعة في أقطار المغرب وغرسوا الزيتون والكروم وغرائب الفواكة والثمار وحفروا القنوات وصنعوا العجلات ومهدوا الطرق وشيدوا الجسور وعمروا أكثر من عشرين بلداً.

أما في جانب الصناعة فأهل الأندلس لهم مهارة عالية وعندهم خبرة في صناعة المنسوجات الحريرية والصياغة وصناعة الجوارب والحصر والقلائس الحمر، غير أن أهم الصناعات التي أنشأوا مراكز الصناعات الحريرية وغيرها.

الخلاصة والتعليق:

إن الإسلام اعتنى بعمارة الأرض ورعايته عناية خاصة، وهي مقصد من مقاصد الإسلام الكبرى، لأنها يشمل الصلاح والخير في جميع الحياة المادي والمعنوي، ومن أسس العمران في القرآن الكريم ثلاثة وهي الإنسان والأرض والرسالة السماوية، فحسب ذلك الإنسان مستخلف في الأرض ومكلف بعمارته وفق هذه الأسس.

والعمران له أهمية خاصة حيث اهتم به النبي -صلى الله عليه وسلم- ومن بعد الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين- وثم الخلفاء والأمراء المسلمون من بعدهم، فوصلت هذه الفكرة العمرانية إلى الأندلس بعد فتحها، وتتابع الولاة وثم الأمراء والخلفاء الذين يحكمون بلاد الأندلس، فقاموا بتعمير الأرض لأنهم يفهمون كلمة استخلاف في الأرض، فعمروا الأرض وحضر الناس وطبق الرسالة السماوية فيها.

أما ما ذكرنا هنا فهي معلومة مختصرة وقصيرة، لأن العمران في بلاد الأندلس موضوع بالغ الإتساع، وكذلك نظراً للمساحة الكبيرة من الأرض التي انتشر فيها وعلى الفترة الزمنية الطويلة التي استغرقتها تطوراته أكثر من قرنين ونصف قرن، ولكن هدف من ذكر المختصر فقد أتيحت الفرصة لمن يكون له رغبة بتاريخ العمارة في الأندلس وأهميتها.

لما دخل المسلمون الأندلس واستطاعوا أن يقوموا بتأسيس حكومة قوية تقوم على الشريعة الإسلامية، فعصر الإمارة والخلافة كلاهما نموذج فريد في جميع الجوانب وخاصة في جانب العمران، فأنشأوا المساجد والجامعات والمكتبات والمدن والقصور وغير ذلك التي تتعلق بالعمران.

لقد اهتم جميع المسلمين في الأندلس ببناء المساجد والقصور والحمامات والحصون والقباب والقناطر المائية

(1) أرسلان: الأمير شكيب أرسلان، خلاصة تاريخ الأندلس، دار مكتبة الحياة بيروت- لبنان، عام 1402هـ / 1983م، ص 306.

التي زينوها بالزخارف والنقوش، واستفاد أهل الأندلس مما حملوه معهم من فن العمارة الإسلامية من المشرق، ومزجوه مع ما وجدوه في الأندلس من عمارة رومانية وقوطية، فانتجوا خليطاً متميزاً من فن العمارة الأندلسية.

فحركة العمران التي بدأت في الأندلس بعد الفتح الإسلامي وإنشاء المدن والمنشآت الأخرى حيث أبدع الولاة والأمراء والخلفاء خلال عصورهم في بناء القصور والمساجد والجامعات وبخثوا عن مظاهر الفخامة والترف، وشجعوا بناء الأسواق والارياض بشكل واسع، (1) فالتوسع في العمران عند علماء المسلمين، ليس مظهراً حضارياً فحسب، بل هو أساس التقدم والازدهار في سائر مجالات سواء الحياة العلمية، والفنية، والاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والعسكرية.. فكلما كان العمران متيناً وواسعاً وشامخاً وجميلاً سيكون نتيجته إيجابية.

أنشأ العرب حكومة قرطبة التي كانت أعجوبة العصور الوسطى، بينما كانت أوروبا تتخبط في ظلمات الجهل، فلم يكن سوى المسلمين من أقام بها منابر العلم والمدنية، وما كان المسلمون كالبرابرة من القوط أو الوندال، يتركون وراءهم الخراب والموت، حاشا، فإن الأندلس لم تشهد قط عدل وأصلح من حكمهم. (2)

دور العمران في نشر الدعوة في الأندلس:

دور العمران في نشر الدعوة إلى الإسلام والعمل على نشره في الأندلس بعد استقرار الحكم، بل انتشر الإسلام بعد فتحها في البلاد واتبع الفاتحون الذين عبروا البحر نحوها، وشرحوه بسلوكهم خطة لنشره، وبدلوا جهداً كبيراً في بيانه والدعوة إليه، فأتقنوا مهمتهم وحسنت مقدرتهم في إظهار الدعوة الإسلامية قولاً وعملاً، فأقبل أهل الأندلس ودخلوا في دين الله تعالى مختارين وحريصين، حتى أن من لم يُسلم منهم مارس بعض العادات الإسلامية وتسموا بأسماء المسلمين وتكلموا لغتهم. (3)

أصبحت الأندلس مركزاً من مراكز الحضارة الإسلامية، والمسلمون عمروا البلاد روحياً ومادياً، يقول غوستاف لوبون عن جهود وحضارة المسلمين في الأندلس: "واستطاع العرب أن يحولوا إسبانيا مادياً وثقافياً في بضعة قرون، وأن يجعلوها على رأس جميع الممالك الأوروبية، ولم يقتصر تحويل العرب لإسبانيا على هذين الأمرين، بل أثروا في أخلاق الناس أيضاً، فهم الذين عملوا الشعوب النصرانية، وإن شئت فقل حاولوا أن يعلموها التسامح الذي هو أتمن صفات الإنسان وبلغ حلم عرب إسبانيا نحو الأهلين المغلوبين مبلغاً كانوا يسمحون به لأساقفتهم أن يعقدوا مؤتمراتهم الدينية كمؤتمر إشبيلية النصرانية الذي عقد في سنة 165هـ/ 782م ومؤتمر قرطبة النصرانية الذي عقد في سنة 237هـ/

(1) راجع: فكري، الآثار الإسلامية في الأندلس، ص 27-32. سالم، تاريخ مدينة المرية الإسلامية، ص 17.

(2) Lane- Poole. The Moore in Spain V. I) المنقول من كتاب: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، 1/ 64.

(3) الحجى، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ص 156.

852م، وتعد كنائس النصارى الكثيرة التي بنوها أيام الحكم العربي من الأدلة على احترام العرب لمعتقدات الأمم التي خضعت لسلطانهم". (1)

حكّام الأندلس أسسوا حضارة أندلسية متوقفة التي تنافسها الشرق والغرب بها، وعمّر البلاد كانت ليس لها مثيل، فالمساجد هو المدرسة للتعليم التي يتلقي فيها المسلمون، وكان مسجد قرطبة المدرسة الكبرى ومقر العلماء، فكان فيه حلقات العلم كالتفسير والحديث، والفقه واللغة، إضافة على العلوم والأدب والفنون وغيرها، حتى أصبح من أشهر مراكز العلم في العالم. (2)

جميع المساجد توجد فيها حلقات كما ذكرت، وكذلك حلقات الحفظ لكتاب الله، حتى أن غير المسلمين يبعثون بأولادهم إلى حلقات حفظ القرآن الكريم، وأن المسلم كان يعلم أولاد النصارى القرآن الكريم. (3)

ففي نفس الوقت المسجد داراً للعدل تقام فيه المحاكم ويجلس القاضي فيه بين الناس، وكان الناس يأتون إلى المسجد من جميع فئاتهم، ويسمعون حكم القاضي. (4)

وكانت المساجد في الأندلس تعتبر وزارة الإعلام الحالية، تعلن فيها أوامر الدولة وإعلان الحرب والنفير إلى الجهاد، وكذلك أخبار النصر والهزيمة، وفوق ذلك القرارات الإدارية والسياسية، ولما أصدر عبد الرحمن الناصر أمراً بتحويل الإمارة إلى الخلافة قرأ للناس يوم الجمعة على المنابر المساجد. (5)

فالأمر والخلفاء في الأندلس وفروا فرصة خاصة لعمران البلد، فأسسوا المراكز الدينية ملتزمة بتعاليم الإسلام والأخلاق الإسلامية والعادات الاجتماعية، فوق ذلك أسسوا المدن بطرق خاصة، لأن العمران له أثر كبير في نشر الدعوة الإسلامية، لذلك تأثر على غير المسلمين من هذا العمران والتقدم، كما زار وفد من بيزنطة الشرقية لتطوير العلاقات في صفر سنة 338هـ/ 949م، فلما وصل ونزل في أحد قصور قرطبة في احتفال كبير ورأوا من عظمة

(1) غوستاف لوبون، حضارة العرب، ص 276-277.

(2) الشيخ طه الولي، المساجد في الإسلام، نشر دار العلم للملايين، عام 1988م، ص 631.

(3) الونشريسي، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، 11/ 96. المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 166.

(4) الخشني، قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، ص 119، 138.

(5) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 214. ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: الحجي، ص 458.

الأندلس ورفيها، فزاد عليهم الأثر حتى أنهم لا يستطيعون أن يتكلموا بسبب عظمة المباني والقصور وفي العموم جميع العمران، (1) والتقى عبد الرحمن الناصر هذا الوفد في قصر الزهراء أو في بهو المجلس الزاهر - وهو أروع قاعات قصر الخلافة بقرطبة - وذلك في يوم السبت 11 ربيع الأول 338هـ / 949م، أي بعد شهر من قدومها. (2)

وكان ملوك المسيحية بأوروبا يرسلون رسلهم إلى حكام الأندلس رغبة من كسب ودهم، وخطب مرضاتهم، كما أن ملك القسطنطينية بعث إلى الأمير عبد الرحمن الأوسط سنة 225هـ / 840م، ووفد إلى قرطبة في عهد عبد الرحمن الناصر رسل من القسطنطينية، وثم رسول من ملك الصقالبة، ورسول من ملك الألمان، ورسول من المفرنجة، وفي عهد الحكم المستنصر وفد إلى قرطبة ملك الجلالقة وغيرهم من الرسل الذين جاءوا إلى الأندلس.

فالزيارة هذه الوفود للأندلس قد زاد في نظرهم عظمة المسلمين وحكامهم، وهذه العزة والعظمة تكون وسيلة للدعوة إلى الإسلام، كما أن الممالك النصرانية قد إحترموا المسلمين بسبب تقدمهم في جميع مجالات وخاصة في جانب العمراني، لما زار أردونيو الرابع من أحد حكام الممالك النصرانية الأندلس في بداية عهد الخليفة الحكم المستنصر، سأل عن قبر عبد الرحمن الناصر وتوجه إليه حيث ركع في خشوع إحتراماً لذكراه. (3)

الخلاصة والتعليق:

المساجد من أهم وسائل نشر الدعوة الإسلامية قديماً وحديثاً، وخاصة في المجتمعات التي تعيش فيها الشعوب الإسلامية وغير إسلامية، كما كان في المجتمع الأندلسي، فعندما يرى غير المسلم الوعي تردد المسلمين إلى المسجد خمس مرات في اليوم والليل، يجعله يبحث عن الإسلام وعن معرفة مبادئه. فكان غير المسلمين متأثرين بالمسلمين ويجوبون تقليدهم في كل شيء، حتى أطفال غير المسلمين كانوا يجوبون تقليد المسلمين، ولعل هذا هو السر في إعلان بعض الأطفال إسلامهم أمام القضاة.

فالمسجد هو مقر العلماء والدعاة وطلاب العلم الذين ينشرون الإسلام، ومحل الوعظ والإرشاد، فهو من أهم وسائل الدعوة، فمنهج الدعوة يقوم على ثلاثة أركان، ولكل ركن خصائصه وأنواعه وأهدافه، وهذه الأركان الثلاثة

(1) راجع: المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 364. ابن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن يبيع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، ص 37.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 313، 315.

(3) العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص 209.

عبارة عن مبادئ أو مفاهيم أو قضايا يراد نشرها وتبليغها. وصياغة هذه القضايا والمفاهيم في حروف وكلمات وجمل وعبارات تؤلف الأساليب. والأخير تقديم هذه الأساليب وعرضها عن طريق كتاب أو صحيفة أو داعية أو بيعة أو هجرة أو مسجد أو جهاد. وهذه هي الوسائل. (1)

أما المدن والقصور والحصون وجميع العمران لهم أثر كبير في نشر الدعوة الإسلامية، كما زار الحكام البيزنطية والنصرانية وغيرهم أخذوا من الأندلس آثاراً أو فكراً إيجابياً من الدولة الإسلامية ومن المسلمين، وزاد عزة المسلمين أمامهم، كما قام أحد النصارى على قبر الخليفة عبد الرحمن الناصر احتراماً وعزّة له. وهذه العزة والعظمة تكون وسيلة للدعوة إلى الإسلام.

فالعلاقات مع ملوك غير المسلمين وأمراء الأندلس كانت سبباً في تغلغل تأثيرات العمارة الأندلسية في العمائر المستعربة بشمالي إسبانيا، والعمارة الرومانية بإسبانيا وفرنسا.

(1) المخلف: الدكتور محمد بن خلف بن صالح المخلف، الحرب النفسية في صدر الإسلام - العهد المدني -، رسالة الدكتوراه في المكتبة المركزية بجامعة الإمام، عام 1408هـ، ص 275.

الباب الثاني

الجهود الدعوية في مجال الثقافة ومعالجة القضايا الاجتماعية ووسائلها في الأندلس

الإسلام دين العلم والمعرفة كما كانت أول آية نزلت على رسول الله ﷺ وهي قول الله ﷻ: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ﴾، (1) وأمر النبي ﷺ بالتعليم وجعله مقابل المال في الفدية مع أسرى بدر، فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: "كان ناس من الأسرى لم يكن لهم مال، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة". (2)

يعد العلم والتعليم مهماً في حركة التنقيف للبلاد، فهو يمنح الإنسان الوسيلة في فهم الدين ومعرفة شرائعه وتنظيم حياته على ضوء تلك المعطيات، وبالتعليم يرقى الإنسان في المجتمع ويحتل المكانة المرموقة بمشاركة في بناء مجتمعه والتأثير في المجتمعات الأخرى.

وكان المسلمون في الأندلس قد اهتموا بالعلم والتعليم منذ بداية الفتح، حتى أصبحت الأندلس منبع العلم ومأوى أفئدة طلاب العلم، لدرجة أن نسبة الأميين الذين لا يقرأون ولا يكتبون قد اختفت جداً، كما قال أحد المؤرخين: "لقد أسس الحكام في كل البلاد المدارس المجانية وجعل التعليم العام بطريقة تسمح بالقول بأنه قليلاً جداً أو نادر ما نجد في الأندلس من لا يعرف القراءة والكتابة". (3)

ومن جانب معالجة القضايا الاجتماعية فإن بلاد الأندلس أصبحت بلد العلم والإنتاج العلمي في جميع الجوانب العلمية، ففي العلوم الشرعية بلغت أعلى المستويات، وفي العلوم التطبيقية كالهندسة، والحساب، والرياضيات، والجغرافية، والطب، والمخترعات فكانت منبع كل العلوم، وأنهم عالجوا المشاكل الاجتماعية فيما بينهم على هذه العلوم، حتى صارت بلاد الأندلس مركز العلوم والثقافة والحضارة، وانتقلت منها إلى أوروبا وكان عليها قيام أسس الحضارة الأوروبية المعاصرة. (4)

كان حكام الأندلس يحترمون أصحاب العلوم والفنون والمهارات، لذلك أسسوا جيلاً متميزاً لمعالجة الأمور الاجتماعية، ففي هذا الباب سأتناول الجهود الدعوية في مجال الثقافة ووسائلها، وثم معالجة القضايا الاجتماعية وفي الآخر نتكلم عن القضاء ودور القضاة في الأندلس.

(1) سورة العلق، رقم الآية: 1.

(2) الإمام أحمد، مسند أحمد بن حنبل، 1/ 247.

(3) اجيليرا، تاريخ إسبانيا- تاريخ التعليم في الأندلس، ص 190.

(4) فراج: الدكتور عز الدين فراج، فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية، دار الفكر، عام 1987م، ص 153 وما بعدها.

الفصل الأول

الجهود الدعوية في مجال الثقافة ووسائلها في نشر الدعوة في الأندلس

تعريف الثقافة لغة واصطلاحاً:

أ- الثقافة لغة:

أصل كلمة الثقافة في المعاجم العربية يعود إلى الفعل الثلاثي (ثَقَفَ)، وهو إقامة درء الشيء، وجاءت الثقافة على عدة معانٍ، منها: "ثَقَّفَتِ القَنَاةُ إذا أقمت عوجها. وثَقَّفْتُهُ بالثَّقِيلِ أقمت المعوج منه".⁽¹⁾

قال ابن منظور: "ثَقَفَ الشيء ثَقْفًا، وثَقَافًا، وثَقُوفَةً: حَذَقَهُ، وثَقَفْتَ الشيء: حَذَقْتَهُ، وثَقَفْتَهُ إذا ظَفَرْتَ بِهِ. وثَقَفَ الرَّجُلُ ثَقَافَةً أَيْ: صَارَ حَادِقًا خَفِيفًا مِثْلَ ضَخْمٍ، وَغِلَامٍ لَقِنَ ثَقْفَ أَيْ: ذُو فِطْنَةٍ وَذَكَاةٍ، وَالْمُرَادُ أَنَّهُ ثَابِتُ الْمَعْرِفَةِ بِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ".⁽²⁾ فالثقافة في اللغة هي: الفهم، وسرعة التعلم، وضبط المعرفة المكتسبة في مهارة، وحذق، وفطنة.

ب- الثقافة اصطلاحاً:

أما في الاصطلاح هي: "الراقي في الأفكار النظرية، وذلك يشمل الرقي في القانون، والسياسة، والإحاطة بقضايا التاريخ المهمة، والراقي كذلك في الأخلاق، أو السلوك، وأمثال ذلك من الاتجاهات النظرية".⁽³⁾

وعرفها أيضاً هي: "جملة العلوم، والمعارف، والفنون التي يطلب الحذق بها".⁽⁴⁾ وتعريف آخر هو: "العلم الذي يبحث كليات الدين في مختلف شعبون الحياة"،⁽⁵⁾ فإذا وصفت بدين معين اختصت بكليات ذلك الدين، فالثقافة الإسلامية هي: "علم كليات الإسلام في نظم الحياة كلها بترابطها".⁽⁶⁾

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة: ثقف، 1/ 382.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 9/ 19.

(3) نادية العمري: نادية شريف العمري، أضواء على الثقافة الإسلامية، ط 1، مؤسسة الرسالة، عام 2009م، ص 9.

(4) القوسي: مفرح بن سليمان القوسي، مقدمات في الثقافة الإسلامية، ط 3، الرياض، عام 1424هـ، ص 36.

(5) العنزي: غزوي العنزي، الثقافة الإسلامية وصلتها بالعلوم الأخرى، إشراف: أ. د. عبد الله الوصيف، قسم الثقافة الإسلامية، بكلية الشريعة جامعة الإمام محمد بن سعود بالمملكة العربية السعودية، ص 4.

(6) مجموعة من العلماء: المدخل إلى الثقافة الإسلامية، ط 16، محار الوطن للنشر - السعودية، عام 1433هـ/ 2012م، ص 89.

وكانت مهمة هؤلاء التابعين هي تعليم الناس الدين الإسلامي، ومن هنا قد بدأ التعليم في الأندلس مع الفتح مباشرة، وفي هذه الفترة كان التعليم في بعض المساجد بقلّة الأساتذة، "ولم تتجاوز حلقات في بعض المساجد، التي كانت قليلة جداً حينذاك، كما كان الأساتذة قليلين بطبيعة الحال". (1)

فالمراحل التعليمية الأساسية بدأت من المنزل، قبل الاشتراك الأطفال في مجالس العلماء وفي الجامعات والمساجد، حيث اهتمت الأسر بتعليم أبنائها في بيوتهم وتصدر الآباء والأمهات التعليم الأساسي كالقراءة والكتابة والقرآن الكريم. (2)

ثم ينتقل إلى المرحلة الأخرى وهي الاشتراك في المساجد وحلقات العلم، أما المساجد في الأندلس مكاناً يمتلئ بحلقات العلم والتعليم، لأن المسجد مدرسة ذو أهمية في الإسلام، وكانت المدارس تعينهم على طلب العلم بل يقرأون جميع العلوم في المساجد. (3) فوضع طريقة الآباء تجاه أبنائهم في التعليم والتربية، حيث ذكر ابن حزم (4): "فالواجب على من ساس صغار ولدانه، أو غيرهم أن يبدوا منذ أول اشتدادهم وفهمهم ما يخاطبون به، وقوتهم على رجوع الجواب، وذلك يكون في خمس سنين ونحوها من مولد الصبي، فيسلمهم إلى المؤدّب". (5)

فالآباء يدفعون أجور التعليم بعد انتقال الأبناء إلى حلقات العلم، والآباء يتابعون الأبناء في المنازل بعد

النظامية- الهند، عام 1908م، 3/ 57، 58، 6/ 81، 195. الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ص 7. ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص 49. المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 8.

(1) أحمد عبد المقصود هيكال، الأدب الأندلسي، ص 65.

(2) القابسي: أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القابسي (ت: 403هـ/ 1012م)، الرسالة المفصلة في أحوال المعلمين والمتعلمين، تحقيق: أحمد فؤاد الأهواني، القاهرة، عام 1955م، ص 92. عيسى: الدكتور محمد عبد الحميد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس، ط 1، دار الفكر العربي، عام 1982م، ص 215.

(3) الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، 1/ 73.

(4) ابن حزم الظاهري هو علي بن أحمد بن سعيد أصله من الفرس وجده مولى يزيد بن أبي سفيان، وأخذ العلم كثير من العلماء في الحديث والمنطق والأدب، وله جهود في ميدان التأليف والتصنيف، وتوفي سنة 456هـ/ 1064م. (الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ص 308. صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص 102. ابن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، 2/ 416).

(5) ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت: 456هـ/ 1063م)، رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية لدراسات والنشر، عام 1987م، 4/ 65.

عودتهم من حلقات العلم. (1) أما الأمراء والقواد والطبقات الغنية كانوا يهتمون بتعليم أبنائهم في القصور من أجل إعداد أبنائهم ويفردون لهم غرفاً خاصةً يعلمون بها أبناءهم. (2)

فالحكام كانوا ينشؤون الكتاتيب (3) في الأمصار التي فتحوها، وكانت قليلة العدد وشم نظراً لحاجة المسلمين لتعلم أمور دينهم، وأيضاً استحدثوا الكتاتيب في بيوت المعلمين وفي المساجد، كي يعلموا صبيانهم القرآن وأحكام الدين، لانشغال الآباء في أمور أخرى عن تعليم أبنائهم، (4) فالمكتب يتكون من غرفة أو أكثر، وكان عادة ما يقام بالقرب من المسجد وربما بداخله، وكان بعض المعلمين اتخذوا المساجد مكاناً لتعليم الصبيان، وبعضهم خصصوا كل المنزل لتعليم الصبيان والبنات. (5)

وانتشرت الكتاتيب في كافة أنحاء الأندلس لكثرة ضرورة الناس في القرن الثاني الهجري، حتى أصبح بكل قرية كُتاب واحد أو أكثر، وقسمت في تلك الفترة إلى كتاتيب أهلية ورسمية، فأما الأهلية فتلك التي قامت على النفقة الشخصية، وأما الرسمية فهي تلك التي أنشأتها الدولة، وجعلت فيها لأولاد الفقراء وتعهدت بالإنفاق عليها وكل ما تحتاج إليه من نفقات. (6)

واختلف علماء التربية في الأندلس حول السن التي يجب أن يلتحق بها الصبي بالكتاب، ابن حزم يرى: "أن سن الخامسة أو نحوها مناسب لذهاب الصبي إلى الكتاتيب"، (7) فأما ابن خلدون يرى: "أن التعليم في الصغر أشد

(1) القابسي، الرسالة المفصلة في أحوال المعلمين والمتعلمين، ص 92.

(2) عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس، ص 429. أبو صالح: وائل فؤاد، التربية اللغوية في الأندلس: عصر سيادة قرطبة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإسكندرية، عام 1979م، ص 1.

(3) الكتاب لغة هو موضع تعليم الكتاب، والجمع الكتاتيب أو مكاتب، والمكتب موضع التعليم، وأما في الإصطلاح فالمكان الذي يتعلم فيه الصغار القرآن الكريم والدين ومبادئ القراءة والكتابة والخط والحساب، والمعلم هو من يتولى التعليم فيه. (ابن منظور، لسان العرب، 1/ 699).

(4) أبو صالح، التربية اللغوية في الأندلس: عصر سيادة قرطبة، ص 9، 10.

(5) ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، 1/ 287. ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 240. الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ص 152.

(6) أبو صالح، التربية اللغوية في الأندلس: عصر سيادة قرطبة، ص 11. خلفي خنفر، تاريخ الحضارة الإسلامية، ط 1، عام 1991م، ص 329.

(7) ابن حزم، رسائل ابن حزم الأندلسي، 4/ 65.

رسوخاً وعليه يبني علمه في المراحل الأخرى"، (1) وقال العلماء الآخرون: "أن الصغير منهم إذا عقل، بعثوه إلى الكتاب". (2)

في من رأي الأفضل أن يرسل الصبيان في سن صغير، لأن التعليم في صغرهم يكون أرسخ في الذهن، وخاصة بقراءة القرآن وحفظه، ومن هذا السن الصغير يتوسع أذهانهم ويتفتح للفهم.

فيستمر الصبيان في الكتاب حتى سن الثالث عشرة أو الرابعة عشرة. (3) وتعليم البنات في الأندلس بالكثير من الاهتمام، وكانت كثير منهن يتعلمن في التعليم في الكتاتيب، ولم يخلطنهن الغلمان في الكتاتيب. (4)

وبعد أن ينهى الطالب المواد الدراسية المقررة عليه في المكتب يحتفل بتخرجه لإنتقاله إلى مرحلة جديدة، ويطلق هذا اليوم "يوم الحذاقة"، ثم يلتحق إلى المستوى العليا. (5)

ففي هذه المرحلة العليا اهتم طلاب الأندلس بتوسع مداركهم العلمية والفكرية، وهم أحرار في اختيار الأساتذة، وكانوا يأخذون العلم على عدد من الأساتذة والعلماء في أماكن مختلفة، فكثير من الطلاب كانوا يتوجهون إلى الجامعات، كانت أكثرها في المساجد، (6) وكما ذكرت أن المساجد لها دور كبير في نشر العلوم.

ومن أشهر الجامعات جامع قرطبة منذ بنائه، وكثير من العلماء كانت لهم حلقات علمية فيها، فكان العالم يجلس في الجامع ومن حوله الطلاب، ويطلقون على هذه الحلقات "المجلس" وينسبونه إلى اسم العالم، وكانت حلقات العلم في جامع قرطبة تكبر وتصغر تبعاً لمنزلة العالم وشهرته العلمية، وكان الجامع قرطبة يضم أكثر من حلقة في وقت

(1) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخير في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، 1/ 740.

(2) ابن العربي: أبو بكر العربي الأندلس (ت: 543هـ/ 1148م)، أحكام القرآن، دار الكتب العلمية، عام 1424هـ/ 2003م، 4/ 1895.

(3) عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس، ص 227.

(4) سحنون: أبو سعيد عبد السلام بن سحنون التنوخي (ت: 240هـ/ 854م)، آداب المعلمين، تحقيق: حسني عبد الوهاب، تونس، عام 1972م، ص 41. ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلاة، 4/ 242. القاسبي، الرسالة المفصلة في أحوال المعلمين والمتعلمين، ص 131.

(5) المغراوي: أبو عبد الله محمد الوهراني المغراوي (ت: 917هـ/ 1511م)، جامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان، تحقيق: أحمد جلولي البدوي ورايح بونار، الجزائر، ص 8.

(6) ريبيرا: خوليان ريبيرا، التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية، ترجمة: الطاهر أحمد مكي، دار المعارف- القاهرة، ص 135. العكش: إبراهيم العكش، التربية والتعليم في الأندلس، ط 1، دار الفيحاء، دار عمار- عمان، عام 1986م، ص 168.

واحد، وكل حلقة تصدرها عالم. (1)

نستنتج من ذلك أن التعليم في الجامعات وخاصة في جامع قرطبة لم يكن كله على مستوى واحد، فكان التعليم فيها أعلى مستوى من التعليم عن بقية الجامعات في الأندلس، وفوق ذلك أن الطالب في المدن الأندلسية يرتحل إلى قرطبة للدراسة في جامع قرطبة، وكان كل مسجد يختلف عن المساجد الأخرى في أنماط وطرائق التعليم.

يتولى كبار الشيوخ والعلماء مهمة التدريس في الحلقات، لو مات الشيخ أو هاجر من البلد فإن أهل المدينة كانوا يسعون لإحضار شيخ آخر ليحل مكانه، فالطلاب كانوا يجلسون حول الشيخ على حسب المستوى العلمي، وكانوا يبعدون عن الشيخ على قدر قوس، وأيضاً كانوا يحضرون إلى بيوت الشيخ للاستفادة من علمهم، وكثير من العلماء كانوا يدرسون العلوم التطبيقية في بيوتهم، لأن هذه العلوم تحتاج إلى أدوات كثيرة يصعب نقلها إلى المسجد. (2) والطلاب عندما يكملون دراستهم مع الشيخ تمنح لهم الشهادات، وتسجل على وثيقة من الجلد الرقيق، أو على إحدى صفحات الكتب التي درسها منه بخط الأستاذ نفسه، ولم تكن هذه الشهادة مقتصرة على الرجال فقط بل نالتها النساء أيضاً. (3)

ففي جانب تأسيس المدارس ومراكز العلم أنشأ الحكم المستنصر سبعاً وعشرين مدرسة ودفع من ماله الخاص أجور معلميهما، وأقام للعلم سوقاً نافقاً جلبت إليها بضائعه من كل قطر، وأنفق الثروات الضخمة على الأبحاث العلمية وشراء الكتب. (4)

فوصلت إلى أن المدارس والجامعات انتشرت في جميع أنحاء الأندلس، وتدرس فيها العلوم الدينية مثل القرآن، والقراءات، والتفسير، والحديث، والفقه، وعلوم اللغة العربية وفنونها، وهي أكثر العلوم التي تداولها أهل الأمصار تحصيلاً وتعليماً، وفوق ذلك العلوم التجريبية مثل الرياضيات، والفلك، والكيمياء، والطب والصيدلة، والمنطق، والفلسفة وغير ذلك، وكذلك اهتمام القادة بالتعليم لا تحصى، وكانوا يهتمون بالتعليم، وينشأون المدارس والحلقات العلمية في القصور

(1) ريبيرا، التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية، ص 137. أبو صالح، التربية اللغوية في الأندلس: عصر سيادة قرطبة، ص 55.

(2) ابن عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، 5/ 174-175. عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس، ص 273. أبو صالح، التربية اللغوية في الأندلس: عصر سيادة قرطبة، ص 56، 64.

(3) دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (138-422هـ/755-1030م)، ص 397-404.

(4) دياب: الدكتور حامد الشافعي دياب، الكتب والمكتبات في الأندلس، ط 1، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة، عام 1998م، ص 110.

وفي بعض الأحيان يرسلون أولادهم إلى جامعة أو إلى حلقات الشيوخ، وجهاز جيلاً مميزاً لنشر الإسلام وخدمته في جميع الجوانب العلمية.

أما المراحل العلمية حسب مكان الدراسة على ثلاثة مراحل، المرحلة التعليمية الأولى هي المنزل والمكتب الابتدائي، والمرحلة التعليمية الثانية هي المسجد وبيت الأستاذ، وأما المرحلة التعليمية الثالثة عبارة عن المكتبات والمساجد ومجالس المناظرات، والمدارس، وبيوت الأساتذة وأماكن أخرى.

ثانياً: المكتبات:

أصبحت الأندلس مركزاً حضارياً فريداً من نوعه عمرانياً وعلمياً وأديباً وفنياً، ومرت بمراحل عديدة في انتشار الفكر العلمي، فالمكتبات في الأندلس كانت تعتبر دعامة من دعائم الحضارة الإسلامية، وفي هذا المجال أذكر عن المكتبات ونشأتها وتطورها وعدد نوعيتها، ونظم إدارتها.. مختصراً، وثم ذكر عن مكتبة قرطبة كنموذج مميز لهذه المكتبات في ذلك الوقت.

وازهرت الحضارة الإسلامية في الأندلس خلال عصري الإمارة والخلافة، وكان أهل الأندلس يحبون العلم والعلماء، فسار الأندلس في عنايتهم مركز الثقافة الإسلامية، وأثمرت سياستهم جهود علمية بزيادة المدارس والجامعات وحب الكتب وجمعها، ونما لدرجة جديرة بالاعجاب، حتى بدأت المنافسة بين أهل الأندلس وأصبحت كل الناس يؤسسون مكتبة في بيته حتى وإن لم يكن على قدر مناسب من المعرفة، ويفتخرون على المكتبات التي كانت عندهم في بيوتهم، ويقول الناس فيما بينهم: "فلان عنده خزانة كتب، والكتاب الفلاني ليس عند أحد غيره، والكتاب الذي هو بخط فلان قد حصله وظفر به".⁽¹⁾

وازدادت هذه المنافسة، حتى الخلفاء كانوا ينافسون فيما بينهم على حصول الكتب، وكان عبد الرحمن الناصر يهتم بها اهتماماً خاصاً للنهضة العلمية والأدبية التي عرفتها قرطبة في عهده، وكان: "قرطبة يومئذ في أوج مجدها، واقتناء الكتب فيها من لوازم الحياة وضرورات الحضارة، لأن الخليفة نفسه كان محباً للعلم ومقرباً للعلماء، وقد شب أولاده على ذلك، ولا سيما الحكم ولي العهد وأخاه عبد الله، واقتدى بهم سائر أهل الدولة، والناس على دين

(1) راجع: المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 463. ريبيرا، التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية، 1/ 71. الحلوجي: عبد الستار الحلوجي، لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات، ط 1، دار الفجر للنشر والتوزيع، عام 1905م، ص 40-41. زغروت: محمد إبراهيم زغروت، مكتبة الأمويين الإسلامية في قرطبة وتأثيرها الفكري في شعوب غرب أوروبا، مجلة البحوث الإسلامية، عام 1406هـ، عدد: 17، ص 338-339.

ملوكهم، فأصبحت تجارة الكتب من أروج التجارات، فكثرت الوراقون اللذين يشتغلون ببيع الكتب ونسخها".⁽¹⁾ والخليفة الحكم المستنصر يملك مكتبة خاصة به، وكان مستعد لدفع مبلغ كبير للحصول على أي كتاب هام فور نسخه، وكان ينافس أخاه على سبق أخذ كتاب جديد، وذلك فخراً له.⁽²⁾

وعدد المكتبات في الأندلس زاد زيادة كبيرة، والمصادر تشير إلى عددها في المدن المختلفة، ولكنها تتحدث عنها جملة لا تفصيلاً.

بعض الكتب تشير إلى أنه: "خلال الازدهار للثقافة الإسلامية في الأندلس كان هناك سبعين مكتبة عامة وكثير من المكتبات الخاصة"،⁽³⁾ وتشير المستشرق الألمانية زيغريد هونكه إلى أن: "يوجد في قرطبة وحدها عشرون مكتبة".⁽⁴⁾ فعدد المكتبات الخاصة بالأفراد كثيرة لأنها توجد في كل بيت من بيوت الأندلس مكتبة خاصة.

والمكتبات في الأندلس على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: مكتبات المساجد والجوامع: بعض الناس نسخوا القرآن والكتب الدينية لفائدة المطالعين من المصلين والطلاب في حلقات الجوامع، ولا يوجد في المصادر عن معرفة مكان وتاريخ أول مكتبة مسجدية التي أنشئت في الأندلس، ولكن ظهرت منذ اتخذ المسلمون المساجد مكاناً للدراسة، فلا دراسة بدون كتب، حتى أصبحت المكتبات من إحدى من وسائل نشر الدين والعلم.

ومن أشهر مكتبات المساجد في الأندلس مكتبة جامع قرطبة ومكتبة جامع طليطلة، وقد كان لحلقات الدرس التي تعقد في جامع طليطلة شهرتها وأهميتها ومكانتها التي جذبت الطلاب من كل مكان، واحتفظت بهذه المكانة حتى سقوطها على يد الإسبان، حيث وجد فيها مكتبة غنية عامرة حافلة بالكتب، وبلغت شهرة هذه المكتبة

(1) جرجي زيدان (ت: 1332هـ/1914م): عبد الرحمن الناصر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- مصر، عام 2012م، ص 11، 12.

(2) جرجي زيدان، عبد الرحمن الناصر، ص 15، 16.

(3) راجع: وجدي: محمد فريد وجدي، دائرة المعارف القرن العشرين، الرابع عشر- العشرين، دار الفكر- بيروت، عام 1979م، ص 62. أمان: محمد محمد أمان، الكتب الإسلامية، ترجمة: سعد بن عبد الله الضبيعان، مكتبة الملك فهد الوطنية- الرياض، عام 1990م، ص 66.

(4) زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب: أثر الحضارة العربية في أوروبا، ترجمة: فاروق بيضون وكمال دسوقي، مراجعة ووضع حواشيه: مارون عيسى الخوري، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، عام 1964م، ص 499.

من حيث هي مركز للثقافة أقصى البلاد النصرانية في الشمال. (1)

فمكتبة قرطبة أنشئت خارج العاصمة، في بيت على ضفة الوادي الكبير وبينهما النهر، وهي: "أشبه بنادي مطالعة منها بمستودع كتب أو دار نسخ، فكان أدباء قرطبة يتوافدون إليها للمطالعة والشراء أو النسخ". (2)

النوع الثاني: المكتبات الخاصة: هذا النوع من المكتبات تخص الأفراد الشخصية، أنشأوها على نفقتهم الخاصة ولفائدتهم ولمصلحتهم الشخصية، وكل هذا يدل على حب العلم والمعرفة، ويرجع بعضهم إلى أن: "حب التملك غريزة فطرية في الإنسان، وحيثما توجد كتابة وكتب تجد تلك الغريزة مجالها للانطلاق، ومن أجل ذلك ظهرت المكتبات الخاصة في الدولة الإسلامية منذ وقت مبكر"، (3) وساعد على هذا النمو بصورة كبيرة بين الناس هو: "انتشار استعمال الورق ورخص ثمنه وهبوط أثمان الكتب نتيجة لرخص المواد التي تصنع منها ولرخص أجور النسخ والتجليد". (4)

فكثير من المكتبات كانت الخاصة لدى الناس في الأندلس، وكانوا ينفقون الأموال الكثيرة في شراء الكتب، منهم مكتبة خاصة للقاضي أبو المطرف عبد الرحمن بن فطيس (5) وغيرهم، أما النساء لم تقل في هذه المناسبة عن الرجال، فلهن أيضاً مكتبات خاصة اهتمن بجمع الكتب، فمن هؤلاء عائشة بنت أحمد بن محمد بن قادم (6) وهي قرطبية. وكانت هذه المكتبات خاصة بالأفراد، إلا أنهم كان يباح دخول جل هذه المكتبات للناس جميعاً للقراءة

(1) دي بور: ت. ج دي بور تاريخ الفلسفة في الإسلام، تعريب عبد الهادي أبو ريذة، ط 2، لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة، عام 1957م، ص 417.

(2) جرجي زيدان، عبد الرحمن الناصر، ص 12.

(3) الحلوجي، لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات، ص 39.

(4) حمادة: محمد ماهر حمادة، المكتبات في الإسلام: نشأتها وتطورها ومصادرها، مؤسسة الرسالة- بيروت، عام 1970م، ص 86.

(5) القاضي أبو المطرف عبد الرحمن كان حسن الخط، جيد الضبط، جمع من الكتب في أنواع العلم ما لم يجمعه أحد من أهل عصره بالأندلس، وكان له ستة وراقين ينسخون دائماً، وبلغ مكتبته أن أهل قرطبة اجتمعوا لبيع كتبه مدة عام كامل في مسجده، وجتمع فيها من الثمن أربعون ألف دينار قاسمية، وتوفي 402هـ. (ابن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، 1/ 298-299).

(6) عائشة بنت أحمد بن محمد بن قادم لم تكن في جزائر الأندلس من زمانها من يعادلها فهماً وعلماً.. وكان حسنة الخط تكتب المصاحف.. لها خزنة الكتب كبيرة، ولها غني وثروة تعينها على المروءة، وتوفيت سنة 400هـ. (ابن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، 2/ 654).

والبحث والاطلاع والتتقيف.

النوع الثالث: المكتبات العامة والأكاديمية: المكتبات العامة تدل على النوعية لم يكن بينها فرق فاصل بين كل نوع من الأنواع الأخرى، فهي تشمل كثرة المؤلفات وازدهار الحركة الفكرية في البلاد، وكانت تفتح لجميع المطالعين فيها.

فالمكتبات الأكاديمية تدل على التخصص للبحث والدرس في الدراسات العليا الملحقة بمختلف معاهد التعليم العالي، حيث ظهرت هذه المكتبات منذ القرن الثاني الهجري، لذلك أذكر مكتبة قرطبة أو مكتبة الحكم - كما تسميها بعض المصادر - كنموذج للمكتبات في الأندلس نظراً لكثرة عدد الكتب وتنوعها، وهي في المرتبة الأولى على مستوى العالم الإسلامي وقتئذ، لأن الأندلس كان حكامها وأهلها يهتمون باقتناء الكتب تأليفاً ونشراً وتوزيعاً لتنشيط الحركة العلمية والأدبية في البلاد.

فنشأة مكتبة قرطبة يرجع تاريخها إلى عصر محمد الأول (238 - 273هـ)، وكان معروف بحب الكتب والعلم، كما أن في عصر الأمير محمد ليس لها مثيل لمكتبة الملكية في مدينة قرطبة،⁽¹⁾ فبعده عبد الرحمن الناصر عمل على نشر حركة العلمية في عهده، وأصبحت قرطبة عاصمة علمية في العلم والتعليم، وبدأ بتعليم ولديه الحكم ومحمد دراستهما تحت إشراف الأساتذة من أهل البلاد وخارجها، وهم لا يرضيان بمكتبة أبيهما، بل يتنافسان في طلب العلم وجمع الكتب، وأبيهما يستطيع أن يكون عنده مكتبة غنية عدداً.⁽²⁾

أما الحكم المستنصر كان حريصاً على نشر العلم والكتب في جميع أنحاء بلاده، لذلك وجه جميع اهتمامه في بناء وتنمية مكتبته الخاصة، فنشر رجاله في جميع مراكز الثقافة الإسلامية يبحثون عن النادر من الكتب والمخطوطات ويدفعون أعلى الأثمان بغية الحصول عليها، وكان يحصل خبر من تجار الكتب في كل مكان ليدلوهم عن الكتب ويشترؤا أيضاً الكتب من مؤلفيها لتصدر في الأندلس، وكان حريصاً على أن يقرأ أول ما يصدر من الأبحاث الجديدة، وأنشأ من ماله الخاص سبعاً وعشرين مدرسة جديدة يتعلم فيها أبناء الشعب، فحب الحكم المستنصر للعلم والكتب لا تحصى، "كان محباً للعلوم مكرماً لأهلها جماعاً للكتب في أنواعها بما لم يجمعه أحد الملوك قبله".⁽³⁾

(1) ريبيرا، التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية، 1/ 54.

(2) ابن الأبار، الحلة السيرة، ص 206.

(3) راجع: المقري التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 386، 395. زيفريد هونكه، شمس العرب تسطع على العرب، ص 500-501. ريبيرا، التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية، 1/ 85-86.

وتكونت مكتبة الحكم المستنصر من ثلاث مكاتب، وهي مكتبة القصر مكونة على ما جمعه أسلافه، ومكتبة أخيه التي ورثها بعد وفاته، ومكتبته الخاصة حتى بلغ عددها 400 ألف مجلد. (1) فالمصادر في تنمية مجموعات المكتبة التي اعتمدت عليها في بناءها وهي:

الشراء: لأن الحكم كان حريص في شراء الكتب ونوادير المخطوطات بمبلغ عالية. (2)

النسخ: وكان هناك مجموعة من نساخين يعملون دائماً في نسخ الكتب لتنمية المكتبات، وعند الحكم المستنصر جماعة من نساخين يعملون لحاجات المكتبة. (3) وفي قصره دار خاص للنساخ والوراقين تسمى (بيت المقابلة والنسخ). (4)

الوقف: فكانت مجموعة من الناس لديهم الرغبة في وقف الكتب لينالوا الأجر والثواب وفائدة طلاب العلم، وهذا الوقف لم يقتصر على عدد من الكتب بل شمل جميع المكتبة، ووقف الكتب للمدارس والجامعات والمعاهد وكل مؤسسات. (5)

الهبات والهدايا: الشعب كانوا حريصين في الأندلس على إهداء الكتب النادرة للآخرين، وشاع في الأندلس أن أفضل وسيلة للحصول على عمل هي تقديم كتب للمسؤولين لا توجد عندهم، كما أن أحداً من الأساقفة المسيحيين أهدى إلى الحكم المستنصر تقويماً للأعياد المسيحية الإسبانية، وكان العلماء يعطون الكتب على سبيل الهبة حتى مخطوطاً أصلياً نادراً، (6) وكذلك تأتي كتب أجنبية من البلدان الأخرى هدية إلى حكام المسلمين، كما أرسل

(1) المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 395.

(2) ابن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثهم وفقهائهم وأدبائهم، 1/ 298-299.

(3) أشار ريبيرا في كتابه التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية إلى أسماء كثيرة من النساخين والنساخات الذين يعملون في مكتبة الحكم المستنصر. (ريبيرا، التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية، 1/ 87-89، 90).

(4) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 61. ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخير في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، 4/ 316. المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 3/ 111.

(5) المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 2/ 543. ساعاتي: يحيى محمود ساعاتي، الوقف وبنية المكتبة العربية، استنباط للموروث الثقافي- الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، عام 1988م، ص 33.

(6) ريبيرا، التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية، 1/ 88.

أرمانبوس إمبراطور الروم هدية كتاب الحشانس المصورة لديسقوريدس وكتاب هرموسيوس صاحب القصص إلى عبد الرحمن الناصر. (1)

وأشار زيغريد هونكه: "أن تلك المكتبة ضمت نصف مليون من الكتب القديمة"، (2) وقال أحد كتاب الغربيين وليم درابر: "مكتبة بني أمية بقرطبة اشتملت على ستمائة ألف مجلد، وأن فهرس أسماء تلك الكتب يتألف من أربعة وأربعين مجلد". (3)

نتيجة لهذا الازدهار العلمي في الأندلس كانت منافسات علمية بين المدن الأندلسية، وأيها أكثر علماً ومعرفة، حتى قامت مناظرات في التفضيل بين تلك المدن، (4) ومن كل هذا يتضح لنا أن العناية بالكتب واقتنائها لم يكن محدوداً على قرطبة بل تعداها إلى جميع المدن في الأندلس، وهذا الاهتمام لم يكن فقط للمسلمين في الأندلس بل أثر على المسيحيين ويهتم بهم أهل البلاد، كما كتب مطران قرطبة الغارو في القرن الثالث الهجري: "أن جميع المسيحيين المميزين بالذكاء كانوا يعرفون لغة العرب وآدابهم، ويقرأون ويطالعون كتب العرب بولع، ويجمعون مكتبات كبيرة من تلك الكتب بنفقات باهظة". (5)

ثالثاً: الرحلات العلمية:

تعد الرحلات العلمية من مراحل المتقدمة لدى المسلمين، يقول ابن خلدون: "ان الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم، فلقاء أهل العلوم وتعدد المشايخ يفيد تمييزاً لاصطلاحاتهم.. فالرحلة لا بد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد"، (6) فالرحلات العلمية جزء من اكتساب العلم وتوفر لدى الطلاب فرصة أن يشارك في حلقات العلمية متعددة.

(1) ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص 22.

(2) زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ص 353.

(3) كحالة: عمر رضا كحالة، مقدمات ومباحث في حضارة العرب والإسلام، مطبعة الحجاز بدمشق، عام 1394هـ / 1974م، ص 243 - 244.

(4) المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 155. ليفي بروفنسال، حضارة العرب في الأندلس، ص 65.

(5) روبرت بريغانت، أثر الثقافة الإسلامية في تكوين الإنسانية، ترجمة: أبو نصر أحمد الحسيني، ط 1، مطبعة البابي الحلبي وشركاه، عام 1957م، ص 145.

(6) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص 541.

الحب في طلب العلم عند أهل الأندلس لم يقف في وجههم أي شيء، فرحلوا نحو المشرق العربي وعملوا بشكل فعال في نقل العلوم والكتب من المراكز العلمية في المشرق إلى الأندلس، حتى أن في أحد مساجد إشبيلية حلقة يدرس فيها موطأ الإمام مالك. (1)

أما الأمراء والخلفاء كانوا يعاقدون المجالس الخاصة في قصرهم، ويشهدوا خيرة علماء الأندلس الذي رجعوا من الرحلات العلمية من المشرق وجلبوا معهم أمهات الكتب في العلوم المختلفة، وكان الحكام ينفقون على طلاب العلم ووفرت لهم جميع الضروريات في الرحلات، وإعطاء الأموال لشراء الكتب بأي ثمن ومن أي مكان وأي مكتبة. (2)

استفاد أهل الأندلس من الرحلات العلمية وأصبحت منافسة بين الناس، وأذكر بعض نماذج من الرحلات العلمية خارج البلاد لنقل العلوم المختلفة إلى الأندلس، وعن طريق هذه الرحلات حصل أهل الأندلس مؤلفات مشرقية لم تعرف في حينها لدى المشاركة قبل الأندلسيين مثل كتاب (الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني). (3)

ورحل من أسرة بني أمية حبيب بن الوليد بن حبيب بن عبد الملك بن عمر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان إلى المشرق في عهد عبد الرحمن بن الحكم الذي عرف بالفقه والأدب، وكان من شعراء بني أمية، لقي خلالها علماء الحديث وأخذ عنهم، فلما قدم الأندلس ينشر ما حصل في المشرق في حلقة بالمسجد الجامع بقرطبة. (4)

ومن هذه الأسرة ابن الأحمر محمد بن معاوية بن عبد الرحمن بن معاوية بن اسحاق الذي رحل إلى المشرق قبل عام 300هـ / 912م ودخل العراق ومصر، وسمع كثيراً من العلماء (5) وحمل منهم العلوم وعاد إلى الأندلس

(1) كان شيخ أبي عمر عثمان بن أحمد له حلقة في أحد مساجد إشبيلية ودرس فيه موطأ الإمام مالك. (ابن خير: أبو بكر محمد بن خير (ت: 575هـ)، فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف، ط 2، دار الآفاق الجديدة- بيروت، عام 1399هـ / 1979م، ص 78).

(2) الضبي، بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ص 18.

(3) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، 4 / 316. ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 186 / 1.

(4) ابن حيان، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق: مكّي، ص 94. ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 1 / 62. وحسب رواية ابن حيان سماه بشر بن حبيب.

(5) دخل العراق وسمع من خيرة العلماء مثل محمد بن عبد العزيز البغوي ومحمد بن يحيى بن سليمان المرزوي والخباب الجمحي وأحمد بن شعيب النسائي وهو أول من أدخل مصنفة السنن إلى الأندلس.

وتوفي سنة (347هـ/ 958م).⁽¹⁾ ورحل محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عتبة بن جميل بن أبي عتبة بن أبي سفيان إلى المغرب ومصر وغيرها من المدن، وكان حافظاً للمسائل الفقهية، ومن خلال سماعه من الشيوخ جمع المسائل الفقهية في كتاب "المستخرجة عن المسائل الفقهية الغريبة" وأصبح أهم الكتب الفقهية في الأندلس، وتوفي سنة 255هـ/ 868م.⁽²⁾ وكذلك رحل عبد الرحمن بن محمد بن عثمان بن أبي إسماعيل الأموي إلى المشرق سنة 304هـ/ 916م، وكان ماهراً بالعلوم العربية شاعراً بليغاً وتوفي سنة 335هـ/ 946م.⁽³⁾ فكثير من علماء الأسرة الأموية في الأندلس قد رحلوا إلى المشرق لطلب العلم وسماعة من الشيوخ، حتى أصبحت الرحلة العلمية لديهم عنواناً للتخصص في العلوم.⁽⁴⁾

وفوق ذلك كان علماء الأندلس أكثر الناس رحلة إلى المشرق لتحصيل العلم والمعرفة، ثم يعودون إلى بلادهم ينشرون ما اكتسبوه تشريفاً وفخراً بين علماء بلدهم،⁽⁵⁾ وأما العلماء لم تكن لهم رحلة وصفوه بالاعتزال عن لقاء الناس، ويذكرون في ترجمة أحد العلماء⁽⁶⁾ بقوله: "وكان ملتزماً للانقباض عن أهل زمانه لم تكن له رحلة".⁽⁷⁾

فلذلك العالم إذا لم تكن له رحلة كان يعاب لديهم، كأنه قد لحقه نقص كبير في شخصيته العلمية، فكل هذا يدل على أن من لم تكن له رحلة علمية لم يعد عالماً أو صاحب معرفة بالعلم الذي اختص به.

وفي هذه الرحلات كان أداء فريضة الحج هدفاً دينياً من جهة وطلب العلم بعده من جهة أخرى، فكان

(1) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 2/ 70. الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ص 88. ابن خير، فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف، ص 110.

(2) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 2/ 8.

(3) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 1/ 304.

(4) من العلماء الذين رحلوا إلى المشرق في القرن الثالث والرابع الهجري منهم: محمد بن قاسم الأموي، وإبراهيم بن محمد الأموي، وعبد الرحمن بن محمد الأموي، ومحمد بن مسرور الأموي المعروف بالجداء، وعبد الله بن إبراهيم الأموي المعروف بالأصيلي وغيرهم. (ابن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، 1/ 98، 308، 2/ 479، 490. الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ص 257).

(5) إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، دار الشروق - بيروت، عام 1997م، ص 38-39.

(6) الذين لم يكن له رحلة علمية هو عبد الرحمن بن إبراهيم الزيادي الوشقي، نسبة إلى مدينة وشقة بينها وبين سرقسطة خمسون ميلاً. (الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 194-195).

(7) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 1/ 56.

العلماء الأندلس بعد أداء الحج يتجهون إلى المراكز العملية كمكة المكرمة ومدينة المنورة وبغداد ومصر وغيرها للقاء شيوخها وعلمائها، ويأخذون عنهم العلم، لأن هذه المدن منبع العلوم الدينية والتطبيقية، وكان المشرق في ذلك الوقت يمثل في نظر أهل الأندلس مصدر الحضارة، وفرض على أنفسهم الرحلات العلمية إلى مراكز العلم في المشرق. (1)

فلا بد لهذه الرحلات من نتائج وآثار إيجابية في نشر الدعوة إلى الإسلام، لأن العلماء عندما رجعوا من هذه الرحلات إلى الأندلس قاموا بنشر العلم والمعرفة، وهذه الرحلات تقوّي الاتصال بين المجتمع الإسلامي والمراكز العلمية المنتشرة في العالم الإسلامي، أما العلماء الذين يعودون بعد رحلة طويلة هم أكثر علماً وأوسع معرفة فيفيدون في بناء كيانه العلمي، وكثير من العلماء تحملوا أعباء السفر في سبيل العلم، والمدة الزمنية للرحال هي على حسب طاقتهم، فمنهم من قضى أربعة أعوام، ومنهم استغرق في رحلاتهم العلمية ستة وإلى اثني عشرة عاماً، وأثمرت الرحلات العلمية بعلم واسع ومعرفة غزيرة، وقدم لأهل الأندلس الخدمات النفيسة لاتحصى في جميع المجالات، (2) ولا شك أن التأثير العلمي للمشرق في الأندلس في عصر الإمارة الذي كان يمثل مرحلة الإقتباس والنقل وبعد فترة من الزمن أخذت الأندلس طريقها نحو استقلال الشخصية العلمية والمشاركة في بناء الحضارة الإسلامية.

ففي عصر الخلافة في الأندلس بدأ الأندلسيون ببناء كيانهم العلمي، لأن انتقال الكتب والعلوم كانت تتم إلى الأندلس، وتغيرت الأحوال وبدأ عهداً جديداً في الأندلس، وهو الرحلات من علماء المشرق إلى الأندلس لنشاط علمي لمشاركة في نهوض الحركة العلمية، وأبرز علماء المشرق الوافدين إلى الأندلس كما يقول المقرئ التلمساني: "اعلم أن الداخلين للأندلس من المشرق قوم كثيرون لا تحصر الأعيان منهم فضلاً عن غيرهم ومنهم من اتخذها وطناً،

(1) عواطف يوسف، الرحلات المغربية والأندلسية، مكتبة الملك فهد الوطنية- الرياض، عام 1996م، ص 71.

(2) ومن هؤلاء العلماء الذين يعودون بعد رحلة طويلة وغريبة مديدة منهم الفقيه إبراهيم بن هارون المصمودي، أنه قام أربعين سنة في قرطبة لطلب العلم، وكان هذا الفقيه من أهل أشبونة. والعلامة الوليد بن بكر بن مخلد ضرب المثل في تحمل أعباء السفر في طلب العلم، وتوفي سنة (393هـ). ومن هذه العلماء الذين قدموا لأهل الأندلس الخدمات العلمية في عصر الإمارة العلامة زياد بن عبد الرحمن اللخمي (ت: 192هـ / 807م). وبعده الفقيه يحيى بن يحيى الليثي نشر المذهب المالكي في الأندلس. والفقيه صعصعة بن سلام الشامي، ومحمد بن وضاح وأبا سعيد عبد الرحمن بن إبراهيم (ت: 245هـ / 859م)، وثم الفقيه بقي بن مخلد (ت: 276هـ). وثم الأديب قاسم بن ثابت (ت: 302هـ / 914م). ودخل فرج بن سلام إلى الأندلس ببعض الكتب للأديب أبو عثمان عمرو بن بحر المعروف بالجاحظ المتوفي سنة 255هـ / 869م. (راجع: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 1 / 17-18، 278، 350، 360، 64 / 2. الحشني: أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد القيرواني الحشني (ت: 361هـ / 971م)، أخبار الفقهاء والمحدثين، تحقيق: ماريا لويسا ولويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث معهد التعاون مع العالم العربي- مدريد، عام 1999م، ص 49، 301. ابن تغري بردي: أبو المحاسن جمال الدين يوسف (ت: 874هـ / 1470م)، النجوم الزاهرة في محاسن ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة- القاهرة، عام 1963م، 4 / 206. الذهبي، سير أعلام النبلاء، 515 / 11).

وصيرها سكناً إلى أن وافته منيته، ومنهم من عاد إلى المشرق بعد أن قضيت بالأندلس منيته".⁽¹⁾

النهضة العلمية في الأندلس آنذاك لا تقل نظيرتها في المشرق للأعداد الهائلة لعلماء الأندلس في شتى حقول المعرفة ومن نفائس الكتب، لذلك برزت الشخصية العلمية للأندلس التي استقلت إلى حد كبير. ⁽²⁾ وفي هذا الإطار بدأت المنافسة العلمية بين المشرق والأندلس في عصر الحكم المستنصر الذي كان يفاخر بعلماء بلده، فيقول أحد علماء الأندلس: "إذا فاخرنا أهل المشرق بحبي بن معين فاخرنا بخالد بن سعيد".⁽³⁾

أصبحت الأندلس منارة العلم والأخلاق والتربية، وقد نشطت حركة السفراء بين الأندلس وأوروبا، وفتحت كل أبواب العلم أمام النصارى وغيرهم، وأنبتت هذه العلوم ثمارها ودخل كثير من النصارى في الإسلام، منهم الأديب قومس بن انتينان الذي تولى الكتابة في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن، واعتنق أسرته الإسلام أيضاً،⁽⁴⁾ وفي عهد الخلافة تحول كثير من النصارى إلى الإسلام، لأن عصر الخلافة هي أزهى من عصور الأندلس العلمية.

فالتأثير العلمي لم يكن قاصراً داخل الأندلس فقط بل وصل إلى أوروبا كلها، فكان من طلاب العلم من أوروبا يأتون إلى مراكز العلم والمعرفة في الأندلس، واشتهرت مجموعة منهم بعلوم المسلمين التي اقتبسوها من الأندلس، ومنهم الراهب الفرنسي (جربرت دي أورياك)⁽⁵⁾ الذي زار الأندلس في عهد الحكم المستنصر واهتم خاصة بالعلوم الرياضية وبرع فيها، بعد رجوعه خيلاً أهل فرنسا إنه ساحر.⁽⁶⁾

وهناك بعثات علمية أخرى التي أرسلت من أوروبا إلى الأندلس بصفة رسمية لتلقي العلوم من المسلمين، ففي عصر عبد الرحمن الناصر أرسل ملوك أوروبا عدة بعثات، وخاصة في عام 312هـ/ 925م زهاء سبعمائة طالب وطالبة، هي إحدى بعثة من فرنسا برئاسة بنت خال الملك الفرنسي لويس السادس تدعى (إليزابيت)، وكذلك أرسل الملك جورج الثاني ملك إنجلترا ابنة أخيه الأميرة (دوبانت) ورئيس ديوانه على رأس بعثة مكونة من ثماني عشرة فتاة من

(1) المقري التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 3/ 5.

(2) هيكل، الأدب الأندلسي، ص 190.

(3) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، 3/ 11.

(4) ابن حيان، المقتبس من أبناء أهل الأندلس، تحقيق: مكّي، ص 142.

(5) جربرت دي أورياك هو الذي أصبح بابا روما فيما بين سنوات 390-394هـ/ 1000-1004م.

(6) السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص 475.

بنات الأمراء والأشراف إلى إشبيلية لدراسة نظام الدولة والحكم وآداب والسلوك الإسلامي وكل ما يؤدي إلى تهذيب المرأة، ولقد أرسل رسالة معها إلى هشام الثالث حاكم الأندلس، واعترف في رسالته بأن الأندلس منارة العلم والمعرفة، وطلب منه أن بعثة التي أرسلت إليه سيتوافرون لمنحة التعليم والتربية والأخلاق وتعلم اللغة العربية. (1)

ويبين لنا هذه الرحلات العلمية من آثار ونتائج علمية كبيرة، ومن هذه النتائج هو التبادل العلمي بين الأندلس والمدن الإسلامية الأخرى مثل مكة المكرمة، والمدينة المنورة، ومصر والعراق وغيرها، والتواصل بين المسلمين في جميع أنحاء العالم الإسلامي، وعن طريق الرحلات في البداية الأندلسيون كانوا ينقلون العلوم عن المشرق، وبمرور الوقت أخذوا نشاطهم العلمي ورأوا أن تكون لوطنهم شخصية علمية مستقلة يثبتون من خلالها أنهم أقدر على صنع حضارتهم وبناء كيانهم العلمي بأنفسهم، وكان عصر الخلافة دور مضيء في تاريخ الأندلس.

رابعاً: دور اللغة والتأليف:

اللغة هي أهم الوسيلة في توصيل الرسالة، فيجب على الداعي أن يتكلم على لغة المدعوين، كما قال الله ﷻ: **كَلِمَاتٍ لَّيْسَ لَكَ بِهَا قُوَّةٌ**، (2) فهذه الآية الكريمة تدل على توافق اللغة بين جانبيين في الرسالة، وكذلك أرسل الله جميع رسل بلسان قومه ليحسن تبليغ رسالته.

أما اللغة العربية فهي لغة القرآن ولغة النبي ﷺ ولغة القوم والتأليف والتعليم، ولأهمية هذه اللغة في حياة المسلمين حرص على اختيار المؤدبين والمعلمين لأبناءهم في الأندلس، (3) وكان انتشار اللغة العربية في الأندلس هي إحدى وسائل التي قامت عليها النهضة العلمية، وأصبحت اللغة الرسمية في المكتبات ومعاملات والمخاطبات الرسمية، وفوق ذلك أنها لغة التعليم في المؤسسات التعليمية، وفي انتشار اللغة العربية جهد مجموعة العلماء القادمين من المشرق، (4) ومن أهم المؤلفات الأندلسية في اللغة العربية العقد الفريد لإبن عبد ربه الأندلسي (ت: 328هـ/

(1) ذكرت هذه الرسالة في العديد من المراجع التاريخية العربية والإنجليزية والألمانية والفرنسية منها: (جون دونبورت: المؤرخ الإنجليزي السيد جون دونبورت، العرب وعصر القيادة في القرون الوسطى، دراسة وترجمة: أبو الحسن شاكرين شيهون، ط 1، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر - جدة، عام 1432هـ/ 2010م، ص 90).

(2) سورة إبراهيم، رقم من الآية: 4.

(3) ابن حيان، المقتبس من أبناء أهل الأندلس، تحقيق: مكي، 15.

(4) علماء اللغة الذين دخلوا الأندلس منهم أبو علي القالي البغدادي كما سبق ذكره، وهو الذي قاد في الأندلس نهضة لغوية ونحوية، وخلفه جيل ذروة الشهرة من أمثال أبي بكر بن القوطية ومحمد بن الحسن الزبيدي صاحب كتاب "طبقات النحويين واللغويين" وهما من تلاميذ القالي. (بدر: الدكتور أحمد

940م)، الذي جمع فيه أنماطاً من الأخبار والنوادر ومن روائع الشعر والنثر، وكتاب الأماي لأبي علي القالي (ت: 356هـ/967م) وهو من بغداد وبلغت شهرته الخليفة عبد الرحمن الناصر حتى استدعاه الأندلس، وقد أحسن الأندلسيون استقباله واستفادوا من علمه في اللغة، لأن المسلمين قد ركزوا على علوم الدين واللغة بعد فتح بلاد الأندلس. (1)

إن انتشار اللغة العربية في الأندلس عن عدة طرق، وقامت عليها النهضة العلمية في الأندلس، وقد بذل الخلفاء والأمراء جهداً في نشر اللغة العربية بمختلف مناطق البلاد، حيث أن هشام بن عبد الرحمن الداخل ألزم على غير العرب من الديانات الأخرى بتعلم اللغة العربية. (2) وانتشرت العربية بصورة إيجابية واندفع النصارى وغيرهم من أهل الأندلس على تعلم اللغة العربية على حساب أنها وسيلة للألفة والتألف مع ساكنيهم من العرب والمسلمين. (3) وكانت اللغة العربية تعد ضرورة لغير المسلمين في الأندلس، وقد قام النصارى في مجالات مهمة كالترجمة والتأليف في اللغة العربية، حتى أن الكنيسة قد تأثرت باللغة العربية وقامت بترجمة الإنجيل وترجمة الصلوات الكنسية إلى العربية. (4)

أما الرحلات العلمية لدى علماء الأندلس إلى المشرق الذين لقوا مشاهير اللغويين وأخذوا منهم علوم اللغة العربية، كان عددهم كثير ولكني أذكر بعض أولئك الأعلام نموذجاً منهم: جودي النحوي (ت: 198هـ/814م) لقي الكسائي والفراء وغيرهم. والغازي بن قيس (ت: 199هـ/815م) لقي الأصمعي ونظراءه. ومحمد بن عبد الله بن سوار لقي أبا حاتم والرياشي. (5) وقاسم بن أصبغ لقي ابن قتيبة والمبرد وثعلباً. (1) ومحمد عبد الله الغازي لقي

بدر، تاريخ الأندلس في القرن الرابع الهجري: عصر الخلافة، دمشق، عام 1974م، ص 159).

(1) صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص 62. دياب، الكتب والمكتبات في الأندلس، ص 35

(2) أبو دياك: صالح محمد فياض أبو دياك، الوجيز في تاريخ المغرب والأندلس من الفتح إلى بداية عصر المرابطين وملوك الطوائف، دراسة سياسية وحضارية، ط 1، مكتبة الكتاني- أربد، عام 1988م، ص 316.

(3) ليفي برونفسال، الحضارة العربية في إسبانيا، ترجمة: الطاهر أحمد مكي، ط 3، دار المعارف- القاهرة، عام 1994م، ص 88. كحيلية: الدكتور عبادة بن عبد الرحمن رضا كحيلية، الخصوصية الأندلسية وأصولها الجغرافية، ط 1، مركز عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية- القاهرة، عام 1995م، ص 25.

(4) دوروثي لورد، إسبانيا شعبها وأرضها، ترجمة: طارق فودة، مكتبة النهضة، عام 1965م، ص 51. كرد: محمد كرد علي، غابر الأندلس وحاضرها، ط 1، مطبعة الرحمانية- القاهرة، عام 1923م، ص 38.

(5) الزبيدي: أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي (ت: 379هـ/989م)، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 2، دار المعارف-

الرياشي وأبا حاتم. ومحمد بن عبد السلام الخشني⁽²⁾ لقي المازني وأبا حاتم والرياشي. والاقشتين (ت: 307هـ/920م) لقي أبا جعفر الدينوري والمازني، وانتسخ عن نسخة الأول كتاب سيبويه وأخذه عن الثاني. ومنذر بن سعيد البلوطي لقي ابن ولاد بمصر.⁽³⁾

والأندلسيون قد اشتغلوا باللغة وفنونها وكانوا يعتمدون على قراءة كتب الأدب والنصوص الأدبية والمراعاة النحوية، وكانوا حريصين على تكلم ألفاظهم، والذين رحلوا إلى المشرق فكتبوا كتباً قيمة من المعاجم والشروح اللغوية في الصرف والنحو، فأول ما انتشر بينهم كتاب الكسائي،⁽⁴⁾ وكتاب سيبويه،⁽⁵⁾ وكتاب الجمل للزجاجي⁽⁶⁾ الذي بلغت شهرته الآفاق، وكان جودي بن عثمان أول نخاة الأندلس الذين رحلوا إلى المشرق، ودرس النحو العربي، وله تأليف في النحو،⁽⁷⁾ ثم عبد الملك بن حبيب السلمي⁽⁸⁾ كان من كبار علماء النحو واللغة في الأندلس، قال عنه: "إنه كان فقيهاً مفتياً، نحوياً لغوياً نساباً إخبارياً عروضياً فائماً شاعراً محسناً مترسلاً حازماً"،⁽⁹⁾ وله عدة مؤلفات

القاهرة، عام 1984م، ص 277، 278، 282.

(1) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 1/ 405.

(2) هو أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن ثعلبة بن يزيد بن الحسن الخشني من أهل قرطبة، رحل إلى المشرق فحج، وتلقى العلم بالحجاز والبصرة وبغداد ومصر، ورجع الأندلس بعلم وافر، وأصبح يعلم الناس، توفي سنة 286هـ/899م. (ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 2/ 16).

(3) الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص 289، 290، 305، 319.

(4) عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس، ص 314.

(5) سيبويه: هو أبو بشر عمرو بن عثمان أصله من بلاد فارس، وكان أعلم الناس بالنحو، أخذه من الخليل بن أحمد، ومن أهم آثاره كتابه الشهير في النحو، وتوفي سنة 177هـ/793م. (ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 3/ 463).

(6) الزجاجي: أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، أخذ النحو عن محمد بن العباس، وكان إماماً في علم النحو، وصنف فيه كتاب الجمل الكبرى، وسكن في دمشق وانتفع الناس بعلمه، وتوفي سنة 337هـ/949م. (ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 3/ 136).

(7) القفطي: أبو الحسن جمال الدين علي بن يوسف القفطي (ت: 646هـ/1248م)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 1، دار الكتب المصرية- القاهرة، عام 1371هـ/1952م، 1/ 306. الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص 256-257. السيوطي: أبو بكر جلال الدين عبد الرحمن بن محمد السيوطي (ت: 911هـ/1505م)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 2، دار الفكر، عام 1399هـ/1979م، 1/ 490.

(8) هو أبو مروان عبد الملك بن حبيب بن سليمان السلمي (ت: 238هـ/852م)، ألف كتاب طب العرب. (جرار: صلاح جرار، دراسات في النفاصل الحضاري والثقافي في الأندلس، وزارة الثقافة- عمان، عام 2009م، ص 157).

(9) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 1/ 362.

لغوية وكتاب في إعراب القرآن وفي شرح الحديث.

وكذلك مفرج بن مالك النحوي (1) قد وضع شرحاً على كتاب الكسائي، (2) وأبو عبد الله محمد بن إسماعيل (3) حيث برع في اللغة والنحو وقال القفطي عنه: "إنه كان على علم كبير باللغة والحساب، ولم يكن لأحد ممن عاصروه مثل علمه، وتلمذ على يديه ممن أصبحوا مؤدبين وكتاب". (4)

ففي أواخر القرن الثالث الهجري ظهر كتاب سيبويه في مجالس الدرس النحوي في الأندلس، وكان محمد بن موسى بن هاشم (5) المشهور بـ الافشنيق حين رحل إلى المشرق لقي أبا جعفر الدينوري (6) وانتسخ كتاب سيبويه من نسخته وأخذ منه رواية. (7) ولهذا الكتاب فضل على باقي الكتب، وغيرهم من العلماء الذين بذلوا جهداً في نشر اللغة العربية في الأندلس.

وجدير بالذكر أن النشاط الشفوي في جانب اللغة غلب النشاط التأليفي، وكان النشاط الشفوي مصدراً كبيراً للمعرفة اللغوية، وكانت لها أهمية كبيرة في نشر الدعوة، لأن أهل الأندلس تعلموا اللغة العربية، ففي البداية كان علماء اللغة قليلين، والتأليف اللغوي غير متوفر في قرطبة، لذلك لما يسأل الأمير عن مسألة لغوية يجري الاختلاف

(1) مفرج بن مالك النحوي كان ذا فضل وصلاح في تأديب المتعلمين، وأخذ عنه الكثير من أهل عصره. (الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص 273).

(2) الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص 273.

(3) محمد بن إسماعيل كان من علماء الحساب والمنطق، كما نبغ في الأدب، وتلمذ على يديه عدد من الشعراء والكتاب، وتوفي سنة 331هـ/943م. (الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص 276-277).

(4) القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، 3/65. السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، 1/55.

(5) محمد بن موسى بن هاشم مولى للمنذر بن محمد، وكان على علم كبير في الأدب، وله كتب مؤلفة، منها كتاب طبقات الكتاب، وتوفي سنة 307هـ/919م. (الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص 281-282).

(6) أبو جعفر الدينوري أصله من الدينور، وأخذ علمه عن المازني (ت: 247هـ/861م)، وحمل منه كتاب سيبويه ثم رحل إلى بغداد وقرأ على أبي العباس المرير (ت: 285هـ/898م) كتاب سيبويه، ثم نزل مصر، وكان له كتاب مختصر ضمائر القرآن استخرجه من كتاب المعاني للفراء. وتوفي سنة 289هـ/902م. (الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص 215).

(7) القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، 3/216. الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص 281-282.

فيها بين علماء اللغة في العاصمة يرسل البريد إلى عالم لغوي يعيش في منطقة نائية. (1)

ومن أئمة علماء اللغة ومؤلفاتهم في الأندلس أذكر أسماء بعضهم، منهم أبو بكر الزبيدي (2) الذي كان له جهود في اللغة العربية وعلومها، لأنه كان واحد عصره في علم النحو وحفظ اللغة والمعاني وعلم السير، ولم يكن في فنه مثله في زمانه وله مؤلفات كثيرة. ومن مؤلفات للزبيدي في النحو واللغة لم يصلنا منها لأطلع عليه، ولكن أذكر من كتابه الهام:

كتاب مختصر العين: (3) لكتاب العين للفراهيدي، وكان هذا الكتاب من الكتب التي يتنافس فيها أهل المغرب لأنه "أتمه باختصاره وزاد فيه ما عساه كان مفتقراً إليه"، (4) وقد وصف السيوطي: "أن مختصر العين للزبيدي بين المختصرات الأربعة المفضلة". (5) وألف كتاب "الواضح" في النحو، وكتاب "الحن العامة"، وكتاب "طبقات النحويين واللغويين بالمشرك والأندلس من زمن أبي الأسود الدؤلي إلى زمن أبي عبد الله النحوي الرباعي" وغيرها.

(1) البير حبيب مطلق، الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف، المكتبة العصرية صيدا- بيروت، عام 1967م، ص 67.

(2) هو أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي عربي الأصل يرجع إلى يمن، ونسبته إلى زبيد وهي قبيلة كبيرة في يمن، هاجر أهله من الشام إلى الأندلس وأقاموا في إشبيلية، ودرس بداية في بلده ثم ارتحل إلى قرطبة فدرس فيها كثير من العلماء، وأصبح من علماء المتميزين في اللغة، وتولى له القضاء في عهد الحكم المستنصر وتوفي سنة 379هـ/989م. (راجع: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 4/7، 8، 9. الصفدي: أبو الصفاء صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت: 764هـ/1363م)، الوافي بالوفيات، مخطوطة بمكتبة أحمد الثالث، رقم: 660، بعناية هلموت ريتز وآخرون، 2/351. الثعالبي: أبو منصور عبد الملك بن محمد النيسابوري الثعالبي (ت: 429هـ/1038م)، بئيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، القاهرة، عام 1956م، 2/71. ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي (ت: 626هـ/1228م)، معجم الأدباء، مكتبة عيسى البابي الحلبي، عام 1938م، 7/30).

(3) هذا الكتاب نسخة في مجلد واحد في الرق بخزانة القرويين بفأس عامين 1246-1247 (مجلة معهد المخطوطات، 5/15). ونسخة في القاهرة (386، 406، 597 لغة). ونسخة بمكتبة فيض الله رقم: 2098. ونسخة في برلين، 6950-52. ونسخة في باريس 5347. ونسخة في مدريد ثالث، 49. ونسخة في كوبرلي، 1574. (انظر: بروكلمان: كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة: عبد الحليم النجار- القاهرة، عام 1959-1962م، 2/133).

(4) ابن خاقان: أبو نصر الفتح بن محمد بن خاقان الإشبيلي (ت: 529هـ/1135م)، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق: محمد علي شوابكة، ط 1، مؤسسة الرسالة- بيروت، عام 1983م، ومطبعة الجوائب- القسطنطينية، عام 1302هـ، ص 54. المقرئ التلمساني، نفع الطبيب من غصن الأندلس الرطيب، 9، 250.

(5) السيوطي: أبو بكر جلال الدين عبد الرحمن بن محمد السيوطي (ت: 911هـ/1505م)، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، ط 1، دار الكتاب العلمية- بيروت، عام 1418هـ/1998م، 1/44.

ومن العلماء اللغويين محمد بن القوطية (1) وله جهود في تأليف، فكان "من أعلم أهل زمانه باللغة والعربية، وحافظاً للحديث والفقه، والخبر والنوادر، وروى الناس للأشعار، وأدركهم للآثار، لا يلحق شأوه ولا يشق غباره، وكان مضطرباً بأخبار الأندلس، ملياً برواية سير أمرائها، وأحوال فقهاءها وشعرائها، يملي ذلك عن ظهر قلبه"، (2) وله كتاب "تاريخ افتتاح الأندلس". (3) ومن أهم المؤلفات اللغوية لابن القوطية: كتاب "شرح رسالة أدب الكتاب" وسماه ابن خيبر كتاب شرح صدر أدب الكتاب، وكتاب "المقصود والممدود" ووصف كتابه بأن "جمع فيه مال يجد ولا يوصف، ولقد عجز من يأتي بعده وفاق من تقدمه". (4) وكتاب "الأفعال" ويسمى في بعض المراجع "تصريف الأفعال". (5) واشتهر هذا الكتاب ومدحه أصحاب التراجم والمؤرخون كما جاء في كتاب أنباه الرواة: "وله كتاب في الأفعال لم يؤلف مثله". (6)

ولا بد من الإشارة إلى جهود العالم أبو علي القالي، (7) التي كانت طفولته غير واضحة غير أنه قال:

(1) أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم بن عيسى بن مزاحم، المعروف بابن القوطية، وهو لقب يرى بعض أصحاب التراجم أنه ورثه عن جده إسبانية من أهل الأندلس الأصليين. وأصله من إشبيلية وأنه قرطبي، ولعله ولد في إشبيلية ونشأ بها، لأن له أساتذة كثيرين من الإشبيلية. وتوفي سنة 367هـ/978م. (راجع: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 2/ 78. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، 18/ 272، 273. ابن فرحون: أبو الوفاء برهان الدين إبراهيم بن الإمام شمس الدين بن فرحون اليعمري المالكي (ت: 799هـ/1387م)، الديباج الذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ط 1، القاهرة، عام 1351هـ، 1/ 262. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 4/ 4، 5-6).

(2) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 2/ 79. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 4/ 4. ابن فرحون، الديباج الذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، 1/ 262. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، 18، 273. السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ص 84.

(3) نشره جايانجوس في مدريد سنة 1868م، وترجمه خوليان ريبيرا عام 1926م، وشك في أنه من تأليفه وذهب إلى أن الكتاب لأحد تلامذته، وطبع بيروت عام 1957م. (ابن فرحون، الديباج الذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، 1/ 263).

(4) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 2/ 79. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 4/ 4. السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ص 84. ابن فرحون، الديباج الذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، 1/ 262. ابن خير، فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف، ص 344. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، 18/ 275.

(5) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 4/ 4. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، 18/ 275.

(6) القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، 3/ 178. الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ص 72. الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ص 74.

(7) هو إسماعيل بن القاسم بن عيدون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سليمان، وأنه ليس من أصل عربي صريح، فجدده سليمان كان مولى عبد الملك بن مروان، ولد سنة 279هـ/893م في منازل من أعمال أرمينية، وقالي قلا بأرمينية العظمى من نواحي خلاط. (راجع: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص 202-205. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 1/ 83. القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، 1/ 204، 207. ابن خلكان، وفيات الأعيان

"ورحلت إلى بغداد سنة ثلاث وثلاثمائة للهجرة 916م"، (1) ترك بلده في سنة 303هـ/ 916م ورحل إلى عدة مدن لطلب العلم، حيث دخل العراق وكان عمره آنذاك ثلاث وعشرين سنة، وهو يقول: "فلما دخلت بغداد انتسبت إلى قاليقلا، ورجوت أن ينفعني ذلك عند العلماء، فلم انتفع بذلك، وعرفت بالقالي"، (2) وسمع كثيراً من العلماء في مختلف العلوم واستغرق في رحلته العلمية سبعة وعشرين سنة ودخل إلى الأندلس في سنة 330هـ/ 942م، وأمضى الأيام في التأليف والتدريس بقرطبة والزهراء وحوله أعلام قرطبة وطلاب الثقافة فيها، (3) واستفاد الناس من علمه ومؤلفاته، وله مؤلفات كثيرة منها:

كتاب "الممدود والمقصور" وقال الحميدي: "المقصور والممدود والمهموز"، (4) وهو في عشرة أجزاء، قال ابن خير: "بناه على التفعيل ومخارج الحروف من الحلق، مستقصى في بابه لا يشذ عنه شيء من معناه". (5)

وكتاب "فعلت وأفعلت"، و"كتاب في الإبل وتناجها وما تصرف منها ومعها" وأنه في خمسة أجزاء، وكتاب "مقاتل الفرسان" وقد سماه السيوطي "مقاتل العرب"، وكتاب "في حلى الإنسان والخيول وشياتها"، وكتاب في "تفسير القصائد والمعلقات وتفسير أعرابها ومعانيها"، وكتاب في "تفسير السبع الطوال"، وكتاب "فهرسة أبي علي البغدادي"، وكتاب "الأمثال"، وكتاب "الأمالي" وغير ذلك من المؤلفات. (6)

وباختصار أذكر بعض أسماء العلماء الذين بذلوا جهوداً في نشر اللغة العربية، منهم: يحيى بن الحكم الغزالي (ت: 156هـ/ 773م)، وجودي النحوي (ت: 198هـ/ 813م) وعباس بن ناصح الثقفي (ت: 237هـ/

وأبناء أبناء الزمان، ص 92).

(1) القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، 1/ 207. الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص 204.

(2) القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، 1/ 209.

(3) ابن خير، فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف، ص 328، 363. الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص 204. القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، 1/ 208.

(4) الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ص 156.

(5) ابن خير، فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف، ص 353.

(6) راجع: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص 203. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، 7/ 29. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 1/ 204، 205. السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ص 198. القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، 1/ 206. ابن خير، فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف، ص 352، 355، 434.

852م)، وعلي بن نافع زريات (ت: 243هـ / 857م)، وعثمان بن مثنى (ت: 273هـ / 886م) ومؤمن بن سعيد (ت: 276هـ / 889م)، وسعيد بن جودي (ت: 284هـ / 897م)، وأبا موسى الهواري (ت: 288هـ / 843م)، ومقدم بن معافي القبري (ت: 299هـ / 912م)، ومحمد بن يحيى القلظاط (ت: 302هـ / 915م)، وعثمان بن ربيعة (ت: 310هـ / 922م)، وثابت بن عبد العزيز السرقسطي (ت: 313هـ / 925م)، وعثمان الكناني (ت: 320هـ / 932م)، وأحمد بن عبد ربه (ت: 327هـ / 939م)، وقاسم بن أصبغ البياني (ت: 340هـ / 951م)، وأبو علي القالي (ت: 356هـ / 967م) وغيرهم.

الخلاصة والتعليق:

إن الأندلس قبل دخول الإسلام كانت تحت ظلام الجهل، ولما دخل الإسلام إليها أخذ المسلمون بتعليم الناس كل ما يصلحهم ونوروها بنور العلم والمعرفة، والشعب الأندلسي يقبل العلم والمعرفة وقاموا بتأسيس الأماكن للتعليم والعلم، حتى أصبحت بيوتهم مراكز العلم.

وكان تعليم الإسلام لمن دخل فيه، وفي جانب آخر تعليم اللغة العربية التي سهلت فهم الإسلام، كما أن التعدد الأديان في الأندلس ليس لأي أحد سيادة قاطعة، بل جميع الناس ينضمون إلى اللغة العربية وأصبحت لغة السيادة في الأديان والمعاملات وغيرهم.

وفي عصر الإمارة والخلافة قد امتاز الأندلس على جميع البلدان في مجال العلمي والحضاري، وكانوا يعنون عناية خاصة بالآداب والعلوم والفنون، وأنشأوا المدارس والجامعات والمكتبات ومصانع الورق في كل ناحية، وألّفوا في علوم القرآن والحديث والفقه والقضاء واللغة وآدابها وعلومها والمعاجم والتراجم، والسيرة والتاريخ والجغرافية، وانتشرت اللغة العربية بين أهل البلاد الأصليين وأصبحت اللغة في المرتبة الأولى في الأندلس، وعن طريق هذه الجهود التثقيفية انتشر الإسلام في جميع أنحاء هذه البلاد، وفتح له جميع الأبواب المغلقة، حتى أن المسيحيين قد ترجموا تعاليم الكنيسة إلى اللغة العربية لرعاياها النصارى.

المبحث الثاني

جهود المسلمين في العلوم الشرعية والتطبيقية

بعد فتح الإسلامي واستقرار الدولة في بلاد الأندلس بدأت الحركة العلمية وأنشأت المدارس والجامعات العلمية وظهر علماء الكبار في مختلف العلوم، واشتغل كثير من الناس في العلوم الشرعية والتطبيقية، وكان الحكام يكرمون العلماء ويحيطونهم برعايتهم، فنبتت وازدهرت الحركة العلمية في الأندلس لينعم بخبراتها جميع العالم، وأصبح هذا البلد مركز الحضارة. وأذكر جهود العلماء في العلوم الشرعية والتطبيقية.

أولاً: جهود المسلمين في العلوم الشرعية:

لقد نالت العلوم الشرعية عناية عظيمة من أهل الأندلس وأولوها اهتماماً كبيراً، كما دخل كثير من التابعين مع الجيش الذي دخل لفتح هذه البلاد، وكان لهم دور بارز في نشأة العلوم الشرعية وفي نشاط الحركة العلمية في الأندلس، وعندما توسعت هذه الحركة ظهر فيها العلماء في التفسير والحديث والفقه.. وأذكر جهود العلماء في العلوم الشرعية باختصار:

أ- جهود المسلمين في علوم القرآن:

علوم القرآن وهو ما يتعلق به من علوم القراءات والتفسير، وكان للأندلسيين نشاط واضح في هذه العلوم، فالنشاط العلمي في القراءات التي رواها الصحابة عن الرسول ﷺ عن طرق مختلفة في بعض ألفاظه وكيفيات الحروف في أدائها، واشتهر سبع طرق معينة وتواتر نقلها بادائها، واختصت تلك القراءات بأصحابها الذين اشتهروا بروايتها من بين القراء،⁽¹⁾ فأصبحت هذه القراءات أصولاً للقراءة وانتشرت بين المسلمين.⁽²⁾

ولما ازدهرت الحركة العلمية في الأندلس أخذوا نصيبهم من علم القراءات، ورحل كثير من العلماء إلى المشرق

(1) القراء السبعة هم: نافع المدني، وعاصم بن أبي النجود، وأبو عمرو بن العلاء، وعبد الله بن كثير، وعبد الله بن عامر، وحمزة بن حبيب، وعلي بن حمزة الكسائي. (ابن قتيبة الدينوري: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ/889م)، المعارف لابن قتيبة، تحقيق: دكتور ثروت عكاشة، ط 4، دار المعارف- القاهرة، ص 230-231).

(2) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص 437.

ويأتون بهذا العلم، فكثير من العلماء النحاة الذين برعوا في علم القراءات منهم: أبو عمر الكسائي، (1) ويحيى بن زياد المعروف بالفراء (2) وغيرهم، (3) وذكر الزبيدي: "أن أبا موسى الهواري أول من أدخل علم القراءات إلى الأندلس وألف فيه"، (4) وزاد: "إن أول من أدخل هذا العلم هو الغازي بن قيس، وذلك بعد أن حج وأخذ القراءة عن نافع بن أبي نعيم (5) قارئ أهل المدينة، وضبط عنه أخباره وصحح مصحفه على مصحف نافع ثلاث عشرة مرة، كما كان أول من أدخل موطأ مالك أيضاً"، (6) ويقول المقدسي: "وأما في الأندلس فمذهب مالك وقراءة نافع". (7)

تطور علم القراءات في الأندلس وألّفوا فيها منهم أبو يحيى زكريا بن يحيى الكلاعي (ت: 300هـ/912م) كتاباً في القراءات سماه "أصول قراءة نافع"، (8) وانتشرت قراءة نافع في الأندلس عن طريق محمد بن عبد الله الأندلسي (ت: 230هـ/844م) الذي رحل إلى مصر وأخذ عن الإمام ورش، ولما عاد نشر رواية ورش عن نافع في الأندلس. (9)

ومن أشهر علماء القراءات في الأندلس: أبو الأزهر عبد الصمد العتيقي (10) من تلاميذ ورش الملازمين له،

(1) الكسائي: هو علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي، شيخ القراء السبعة، وإمام النحاة، وتوفي سنة 189هـ/805م. (الصفدي، الوافي بالوفيات، 21/48).

(2) الفراء: هو يحيى بن زياد بن عبد الله الأسلمي الديلمي الكوفي، مولى بني أسد أو بني منقر، كان من أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو والأدب واللغة، وأخذ العلم عن الكسائي، وله العديد من المصنفات، وتوفي سنة 207هـ/822م. (ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 6/176-178).

(3) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 6/176. الصفدي، الوافي بالوفيات، 21/48.

(4) الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص 254.

(5) نافع بن أبي نعيم مولى جعونة بن شعوب الليثي الكناني، أصله من أصفهان، ولد في حدود سنة 70هـ/689م، وهو حبر القرآن وأحد القراء العشرة وإمام القراء في المدينة المنورة، وتوفي سنة 169هـ/785م. (ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 5/368).

(6) الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص 254.

(7) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص 236.

(8) الجزري: شمس الدين بن أبي الخير محمد بن علي (ت: 833هـ/1429م)، غاية النهاية في طبقات القراء، ط 1، دار الكتب العلمية- بيروت، عام 2006م، 2/267.

(9) الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 1/351.

(10) أبو الأزهر عبد الصمد بن عبد الرحمن بن القاسم العتيقي راوٍ مشهور، صاحب الإمام مالك وأخذ القراءة عن عدد من شيوخ زمانه، وتوفي سنة 231هـ/845م. (الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 1/351).

والإمام محمد بن وضاح وله أثر بالغ على رواية ورش عن نافع، (1) وكذلك أبو عمر أحمد الطلمنكي، (2) وأبو عمرو عثمان بن سعيد القرطبي الداني، وهو الذي يعتبر أحد مفاخر الأندلس في القراءات، وقد ألف كتاباً سماه "التيسير في القراءات" ونظم منظومة أسماها "الاقتصاد" في علم القراءات، وألف كتاباً في طبقات القراء. (3)

وللنساء أيضاً نصيب في علم القراءات حيث نبغت منهن المقرئة ريجانة التي درست القراءات وأخذت بعض علومها. (4)

وقد ذكر ابن خلدون: "ولم يزل القراء يتداولون هذه القراءات وروايتها إلى أن كتبت العلوم ودونت، فكتبت حينما كتب من العلوم حتى صارت صناعة مخصوصة وعلماً منفرداً وتناقله الناس في المشرق والأندلس جيلاً بعد جيل". (5)

فمن علوم القرآن علم التفسير أيضاً له مكانة عالية وللعلماء جهود في الأندلس، واعتبر علم تفسير القرآن المصدر الأول للتشريع، (6) فمن الصعب للباحث أن يجد تحديد الفترة الزمنية التي نشأ فيها علم التفسير في الأندلس كعلم مستقل عن باقي العلوم، ولكن يوجد بعض الأسباب ظاهرة الجمع بين العلوم.

فاهتمام بعلم التفسير قد بدأ في الأندلس بعد الفتح الإسلامي، لأن القرآن هو المصدر الرئيسي للتشريع، ويجب أيضاً أن يفهم بتفسيره ومعانيه، وظهر من أعلام المفسرين في الأندلس بقي بن مخلد، (7) وألف تأليف كثيرة

(1) الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 2/ 241.

(2) أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكي، وله مكانة بارزة بين قراء عصره، وتوفي سنة 429هـ/ 1037م. (الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 128).

(3) راجع: الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ص 305. الضبي، بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ص 411-412. الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 67. ابن خير، فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف، ص 72.

(4) الضبي، بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ص 546.

(5) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخير في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، 1/ 552.

(6) دياب، الكتب والمكتبات في الأندلس، ص 38.

(7) هو بقي بن مخلد من أبرز علماء في التفسير والأحاديث.. ارتحل إلى المشرق وروى عن عدة علماء جاوز عددهم المئتين نذكر منهم الإمام أحمد بن حنبل وأبو بكر بن أبي شيبة، وكان من حفاظ المحدثين، وتوفي سنة 276هـ/ 889م. (الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ص 251-252).

ومنهم كتابان مشهوران وهما: التفسير والمسند في الحديث، ⁽¹⁾ يقول ابن حزم فيه: "كتاب بقي في تفسير القرآن لم يؤلف مثله في الإسلام وذلك لشموله". ⁽²⁾ وقال ابن بشكوال عن تصانيف بقي: "إنه لا يوجد نظير لها". ⁽³⁾

ومن علماء الأندلس في تفسير القرآن ابن محاسن عثمان بن محمد (ت: 306هـ / 918م) من أهل إستجة، قال عنه ابن الفرضي: "كان حافظاً للتفسير عالماً بأخبار الدهور وله ذلك كتاب نقل أكثره على ظهر قلب"، ⁽⁴⁾ ومنهم سعدان بن سعيد بن خمير المكني بأبي سعيد من أهل قرطبة، وكان إمام الجامع قرطبة، وقرأ الناس كتب التفسير المنسوب إلى ابن عباس من رواية الكلبي، وكذلك العلامة محمد بن عبد الله المري ⁽⁵⁾ كان له جهود كثيرة في مختلف العلوم وخاصة في التفسير، وصنف كتاباً في تفسير القرآن. ⁽⁶⁾

ب- جهود المسلمين في الحديث:

أما علم الحديث فقد نال عناية فائقة من ولاة الأمر باعتباره المصدر الثاني للتشريع، وكان للعلماء جهود في علوم الحديث في الأندلس، وانتقل علم الحديث من المشرق إلى الأندلس وأسهم في نشر هذا العلم علماء الفقه، وفي مقدمتهم علماء الفقه الأوزاعي، ⁽⁷⁾ لأنهم يعتمدون على الكتاب والسنة في استنباط المسائل الفقهية والأحكام الشرعية، وثم علماء المذهب المالكي بعد أن أصبح المذهب الرسمي لهذا البلد على يد الفقيه يحيى بن يحيى الليثي، لأن هذا المذهب يقوم على أساس كتاب موطأ الإمام مالك، وعلى أثر هذا المذهب تقدم الحديث والتأليف فيه من خلال الشروحات صنفها علماء الأندلس على موطأ الإمام مالك، مثل كتاب "تفسير الموطأ" لعبد الملك حبيب السلمي

(1) الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ص 252. الضبي، بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، 1/ 301.

(2) ابن حزم، رسائل ابن حزم الأندلسي، 2/ 178.

(3) ابن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، 1/ 119.

(4) راجع: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 1/ 398.

(5) محمد بن عبد الله المري ولد في سنة (324هـ / 935م)، وكان له جهود في علم الحديث والفقه والتفسير، وعنده معرفة واسعة بتلك العلوم، وتوفي سنة (396هـ / 1007م). (ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 3/ 173).

(6) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 3/ 173. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 1/ 252.

(7) الإمام الأوزاعي: هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي من قبيلة الأوزاع الدمشقية، إمام الديار الشامية في الفقه والزهد وأحد الكتاب المتوسلين، وكان أفضل أهل زمانه إجتهداً وعبادة وورعاً، له آراء في الفقه معروفة، وله كتاب السنن في الفقه، وتوفي سنة 157هـ / 774م. (الزركلي، الأعلام، 3/ 320).

وغيره. (1)

وكان أداء فريضة الحج من أعلى أسباب انتشار علم الحديث، لأن علماء الأندلس كانوا يلتقون كبار العلماء في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وكذلك اختلفت الآراء عن أول الشخصية التي أدخل علم الحديث إلى بلاد الأندلس، قال ابن الفرضي: "أن أول من أدخل علم الحديث هو صعصعة بن سلام الشامي (ت: 192هـ/ 808م)، وكذلك يعتبر معاوية بن صالح الحضرمي الحمصي هو الذي أدخل علم الحديث إلى الأندلس، وبعض العلماء يعدون بقي بن مخلد من أول العلماء في الأندلس، لأنه كان يمثل مدرسة عظيمة ذات أثر واضح في علوم الحديث.. إنه ملاً الأندلس بالحديث والرواية". (2)

أن بقي بن مخلد كان رائداً للحركة العلمية في علم الحديث ودراساته المختلفة، وألف في الحديث مصنف "المسند" رتبته على أسماء الصحابة وروى فيه ألفاً وثلاثمائة منهم، ورتب أحاديث كل منهم على أسماء الفقه وأبواب الأحكام، فهو مصنف ومسند، حتى قال عنه في المشرق: "ما أحوج المشرق لمثل بقي بن مخلد". (3)

ومن المحدثين في الأندلس محمد بن وضاح الذي نشط في التأليف، وله منهج دقيق في التعامل مع الأحاديث، (4) وأيضاً ثابت بن عبد العزيز السرقسطي (ت: 313هـ/ 925م) وابنه قاسم (ت: 303هـ/ 915م) ورحلا معاً إلى المشرق لطلب علم الحديث، فعنى قاسم بتأليف كتاب في غريب الحديث سماه "الدلائل في غريب الحديث"، لكن توفي قبل إتمامه، فأتمه والده، (5) فوصف ابن الفرضي هذا الكتاب ب: "أنه مساوٍ في قيمته العلمية لكتاب أبي عبيدة القاسم بن سلام". (6) وكذلك عالم في الحديث الحافظ أحمد بن عمرو بن منصور الإلبيري ويعرف

(1) المشني: مصطفى المشني، مدرسة التفسير في الأندلس، مركز الإسكندرية للكتاب- الإسكندرية، عام 1997م، ص 45-46.

(2) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 1/ 144، 145.

(3) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 1/ 144.

(4) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 2/ 26. مؤنس: الدكتور حسين مؤنس، شيوخ العصر في الأندلس، ط 4، دار الرشد العربية للطباعة والنشر، عام 1418هـ/ 1997م، ص 43.

(5) الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ص 488.

(6) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 1/ 463.

بابن عمريـل (ت: 312هـ/ 924م)، وكان طلاب العلم يذهبون إليه للإستفادة من علومه. (1)

وطلاب علم الحديث الذين أخذوا العلم عن بقي بن مخلد؛ أحمد بن عبد الله بن محمد بن مبارك الذي اختص بروايات بقي بن مخلد، وعبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن صفوان، وهو عرف بالزهد والورع، وترك في آخر حياته رواية الحديث، ومن طلاب الذين أخذوا علم الحديث من محمد بن وضاح؛ أحمد بن سعيد الأموي، ويعرف بابن العطار. (2)

وجدير بالذكر أن الأسرة الأموية التي عرفت باهتمامها بالعلوم لها علماء في علم الحديث، منهم: أبو سليمان حبيب بن الوليد بن حبيب بن عبد الملك بن مروان (ت: 318هـ/ 930)، ومن أولاده بشر أيضاً كان من علماء الحديث، وحفظ حوالي عشرة آلاف حديث، واشتهرت عبدة بنت بشر بالرواية وعلم الحديث، وكانت أسرة حبيب بن الوليد حينها مصدراً مهماً للحديث لكثرة حفظ ذويها له. (3) وكذلك محمد بن سليمان بن أحمد بن حبيب المعروف بالحبيبي (ت: 329هـ/ 940م)، ومحمد بن معاوية بن عبد الرحمن بن معاوية المعروف بابن الأحمر، وكان أحد رواة سنن النسائي، ومن محدثي الآخرين في الأندلس قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح بن عطاء (ت: 340هـ/ 951م) المعروف بالبياني، وألف كتباً كثيرة لكن ضاعت وحفظ أسماء كتبه، منها: كتاب الأنساب، وكتاب في السنن، وكتاب في أحكام القرآن، وكتاب في الناسخ والمنسوخ، وكتاب في حديث مالك بن أنس مما ليس في الموطأ. (4)

ج- جهود المسلمين في الفقه:

وكان أهل الأندلس يعظمون مكانة الفقهاء، ولديهم منزلة سامية، وكان عالم الفقه يحظى منهم بكل تقدير وإجلال، وكانوا يسمون عالم الفقه بالفقيه، لأن هذه الصفة لديهم أرفع السمات، ولأجل هذا الفقيه معظم لدى

(1) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 1/ 67.

(2) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 1/ 94. الذهبي، سير أعلام النبلاء، 13/ 286. الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ص 387.

(3) ابن حيان، المقتبس من أبناء أهل الأندلس، تحقيق: مكّي، ص 326-327. المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 2/ 503-4-5.

(4) الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ص 89، 134، 487-488.

الخاصة والعامّة. (1) كما نال الفقهاء كل التقدير والاحترام من الأمراء والخلفاء، فكان هؤلاء يقربون منزلتهم ويستشيرونهم في أمور المواجهة لهم.

وفي نفس الصدد أن هذه المنزلة العالية للفقهاء قد أتاحت لهم أن يلعبوا دوراً كبيراً في تشكيل الجيل الجديد، حتى وصلوا في الدولة إلى مناصب عالية كالفتيا والحسبة والشرطة وغيرها، وكان الفقه انقسم إلى طريقتين: طريقة أهل الرأي وهم من العراق واستقر فيه المذهب أبي حنيفة (2) وأصحابه، وطريقة أهل الحديث وهم من أهل الحجاز، فرأسهم الإمام مالك بن أنس (3) والإمام الشافعي (4) من بعده. (5)

أما في عصر الخلافة فقد ازدهرت الدراسات الفقهية بفضل الفقهاء الذين بذلوا جهوداً كبيرة في نهوض العلم والرقي، وفي مقدمتهم الفقيه محمد بن يحيى بن عمر بن لبابة (ت: 330هـ/941) الذي كان من أعظم الفقهاء علماءً وأوسعهم دراية بمسائل الفقه والفتيا، وولاه عبد الرحمن الناصر قضاء إلبيرة، وكان له نشاط في التأليف حيث صنف كتاب "المنتخب"، وكان هذا الكتاب قيماً في الفقه وله شأن كبير بين فقهاء الأندلس. (6)

وكان مذهب أهل الأندلس منذ الفتح وحتى عهد هشام بن عبد الرحمن الداخل على مذهب الإمام الأوزاعي، المشهور بفقيه الشام، لأن أكثر الفاتحين أصلهم من الشام، (7) فالأمير هشام عمل بكل ما في وسعه لنشر

(1) المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 221.

(2) هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت الفقيه الكوفي، ولد ونشأ بالكوفة وأخذ العلم من العالم حماد ومالك بن أنس وغيره، وكان كثير العلم والزهد والعبادة، وهو صاحب المذهب الحنفي، وتوفي سنة 150هـ/767م. (ابن خلكان، وفيات الأعيان وأبناء الزمان، 5/ 405-406)

(3) وهو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر، إمام أهل المدينة صاحب المذهب المشهور، ولد عام 93هـ/712م وهو نفس العام الذي مات فيه الصحابي الجليل أنس بن مالك، وتوفي سنة 179هـ/795م بعد أن خلف علماً كثيراً. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، 8/ 48).

(4) وهو الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس الشافعي، وكان عالم بالقرآن والحديث والأدب وكلام الصحابة وبكلام العرب واللغة والشعر، وقيل: إنه اجتمع بمالك بن أنس وحفظ موطأه، وله مذهب في الفقه، وتوفي سنة 204هـ/820م. (ابن خلكان، وفيات الأعيان وأبناء الزمان، 4/ 163-164).

(5) ابن خلدون، العبر ودويان المبتدأ والخير في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، 1/ 564.

(6) الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ص 98. الضبي، بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ص 144. المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 3/ 171.

(7) راجع: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 1/ 278. الحجري، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ص 280. عادل: الدكتور محمد عادل عبد العزيز، الحضارة الإسلامية وعوامل الازدهار وتداعيات الإنهيار، دار الغريب للطباعة والنشر والتوزيع، عام 2000م، ص 184.

المذهب المالكي في الأندلس بتدريج، وأصبح المذهب الرسمي الديني للأندلس، فكانت المناصب الدينية تولى للمالكيين في جميع أنحاء الأندلس. (1)

وكذلك دخل المذهب الحنفي إلى الأندلس ومن أشهر أتباع هذا المذهب الأعشى القرطبي (2) الذي كان أول من تأثر بفقهاء أهل العراق، وكان أيوب بن سليمان بن حكم بن عبد الله بن بلكاش بن إلبان القوطي قد ذهب بمذهب الحنفي إلى الأندلس، ومن ثم أحمد بن سليمان القيرواني. فأما المذهب الشافعي دخل الأندلس حين سمح له الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط، وكان قاسم بن محمد بن سيار القرطبي (ت: 276هـ / 890م) أول دعاة المذهب الشافعي في قرطبة، وقد ألف كتاب الإيضاح في الرد على ابن عتبة وابن مزين، والتف حوله بعض الفقهاء، (3) وزاد عدد العلماء في المذهب الشافعي. (4) وفوق ذلك دخل المذهب الظاهري الذي يعتمد على قبول ما نص عليه في القرآن أو ورد فيه حديث موثوق على ظاهر معناه، وهم لم يتركوا مجالاً للعقل بل يأخذون المعنى الظاهرة وإلى الأخذ بالتأويل. (5)

وكان للحكام أثر كبير في تشجيع العلماء على البحث والدرس، وعلى رأسهم عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر، ومن الفقهاء المشهورين خلال عصر البحث في الأندلس يحيى بن يحيى الليثي (ت: 234هـ / 849م) وعبد الرحمن بن حبيب السلمي (ت: 238هـ / 852م) وله رحلة إلى المشرق تعلم فيها المذهب المالكي، وكان عالماً

(1) الشعراوي: أحمد إبراهيم، الأمويون: أمراء الأندلس الأول، دار النهضة العربية- القاهرة، عام 1969م، ص 183-184.

(2) الأعشى القرطبي هو محمد بن أبي عيسى، ولي قضاء الجماعة في قرطبة، وكان فقيهاً جليلاً عالماً، موصوفاً بالعقل والدين، ومن أهل الشعر والأدب، وتوفي سنة 324هـ / 936. (الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ص 115).

(3) راجع: ليفي برونسسال، الحضارة العربية في إسبانيا، ص 159-160. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 1/ 138، 456-457. الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ص 484. المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص 236.

(4) وعلماء من المذهب الشافعي في الأندلس منهم: بقي بن مخلد، ويحيى بن عبد العزيز المعروف بابن الخراز (ت: 295هـ / 907م)، وأبا الخيار هارون بن نصر القرطبي (ت: 312هـ / 924م)، وعبد الله بن الخليفة عبد الرحمن الناصر (ت: 238هـ / 950م)، وأيضاً أبو الجعد أسلم بن عبد العزيز بن هاشم القرطبي (ت: 319هـ / 931م)، وأحمد بن بشر بن محمد بن إسماعيل التجيبي المعروف بابن الأغيش (ت: 327هـ / 939م) وغيرهم. (راجع: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 1/ 175، 2/ 230-231. الحشني، قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، ص 155. الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ص 252، 376).

(5) راجع: فروخ: عمر فروخ، تاريخ العلوم عند العرب، دار العلم للملايين- بيروت، عام 1970م، ص 596.

بالفقه والحديث واللغة والاعراب، وألف كتاب "الواضحة" في الفقه، وقال ابن الفرضي عنه: "لم يؤلف مثله".⁽¹⁾

وكذلك يحيى بن معمر الألهاني، ومن بعده تلميذ يحيى بن يحيى الليثي وعبد الملك بن حبيب هو محمد بن أحمد بن عتبة (ت: 254هـ / 868م) وله كتاب المستخرجة وتسمى "العتيبة". وأيضاً عبد الله بن محمد بن خالد بن مرتيل (ت: 256هـ / 870م) وهو من أهل قرطبة، والفقيه محمد بن عبد السلام الخشني، ومحمد بن عمر بن لبابة (ت: 314هـ / 926م)، ومحمد بن يحيى بن عمر بن لبابة (ت: 330هـ / 941م) وله كتب مؤلفة في الفقه منها كتاب "المنتخب".⁽²⁾

أما دروس الفقه في الأندلس فكانت منتشرة في كل الجوامع، ولكن المجالس المشهورة هي في جامع قرطبة مجلس الفقيه يحيى بن عبد الله بن يحيى الليثي (ت: 367هـ / 977م)، وكان يعقد مجلسه كل يوم الجمعة، ويأتي طلاب العلم ويزدحم بهم مجلسه لاشتهار مكانته العلمية والمعرفة الواسعة بالفقه، حتى أن الخليفة الحكم المستنصر حرص على أن يدرس ابنه هشام المؤيد منه، فسمع منه هشام دروساً مختلفة في الفقه.⁽³⁾

وكذلك الفقيه عبد الله بن محمد بن القاسم الثغري (ت: 383هـ / 993م) نبغ في الفقه، رحل إلى المشرق لطلب العلم ثم عاد وولى له الخليفة الحكم القضاء على بلده، وكان واسع علماً في الفقه.⁽⁴⁾

الفقيه محمد بن الحارث بن أسد الخشني (ت: 361هـ / 971م) وألف للخليفة الحكم كتباً كثيرة حتى قال عنه ابن الفرضي في كتابه: "بلغني أنه ألف له مائة ديوان، وقد جمع له في رجال الأندلس كتاباً قد كتبنا منه في هذا الكتاب ما نسبناه إليه"، وإلى جانبه الفقيه أبو بكر محمد بن أحمد بن يحيى (ت: 380هـ / 990م) كان يهتم بالدراسات الفقهية، وقد ألف كتباً كثيرة ومن بينها كتاب في "فقه التابعين"، وكذلك الفقيه محمد بن عبد الله بن سيد (ت: 363هـ / 973م) له منزله خاصة لدى الخليفة الحكم المستنصر، وبوب له كتاب "المستخرجة" في الفقه

(1) راجع: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 1/ 360-361. الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ص 407-408. ابن عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، 4/ 127.

(2) راجع: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 1/ 189، 2/ 12، 23-24، 49، 50. الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ص 147. ابن عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، 4/ 253. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 1/ 238-239.

(3) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 2/ 191.

(4) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 1/ 244-246.

المالكي، (1) وهو كتاب يعرف بـ "العتبية" نسبة إلى الفقيه العتبي تلميذ عبد الملك بن حبيب. (2) وازدهرت الحركة الفقهية في الأندلس، وظهر بدراسة مسائل الفقه الاختلاف والاتفاق بين العلماء، فصنف الفقيه محمد بن حارث الحشني كتاباً في "الاتفاق والاختلاف لمالك بن أنس وأصحابه". (3) وثم ألف أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي (ت: 392هـ/ 1001م) كتاباً فيما اختلف فيه الفقهاء وسماه "الدلائل في اختلاف العلماء" ووجد هذا الكتاب قبولاً حسناً بين علماء عصره. (4)

وكانت للنساء دور بارز في حركة الدراسات الفقهية، فمنهن فاطمة بنت محمد بن يوسف المغامي (ت: 319هـ/ 931م) والتي وصفت بالفقه والعلم والورع، واشتهرت خديجة بنت جعفر التميمي زوجة الفقيه عبد الله بن أسد بالعلم الواسع في الفقه، وأخذت الكثير من العلوم عن زوجها. (5)

وخلاصة القول فإن لأهل الأندلس في نشاطهم العلمي في مجال الفقه قدرة هائلة من التحصيل والانتاج الفكري الواسع، وقد حرص هؤلاء الفقهاء في مسيرتهم العلمية على الالتزام بالمذهب المالكي والعمل على رفع شأنه بما قدموه من بحوث علمية ومصنفات نفيسة للأمة.

ثانياً: جهود المسلمين في العلوم التطبيقية:

تعد العلوم التطبيقية بالمعارف الحكيمة الفلسفية، التي يهتدي الإنسان إلى موضوعاتها ومسائلها وبراهينها ووجوه تعليمها بفكره ومداركه البشرية، ولقد كان الفتح الإسلامي للأندلس امتزجت الحضارة الرومانية والقوطية مع الحضارة الإسلامية، والمسلمون بدأوا بإقامة الحضارة الإسلامية بجميع جوانبها، ولكن لم تشهد الأندلس في فترة عصر

(1) الصفدي، الوافي بالوفيات، 2/ 51. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 2/ 73، 113.

(2) المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 3/ 171.

(3) الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ص 53. الضبي، بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ص 71.

(4) ابن فرحون، الدباج الذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، 1/ 433. الذهبي: الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: 748هـ)، تذكرة الحفاظ، صحح عن النسخة القديمة المحفوظة في مكتبة الحرم المكي تحت إعاونة وزارة المعارف الهندية، دار إحياء التراث، 3/ 1024. ابن قنفذ، الوفيات، تحقيق: عادل نويهض، ط 2، منشورات دار الآفاق الجديدة- بيروت، عام 1978م، ص 223.

(5) الضبي، بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ص 547. ابن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، 2/ 693.

الولاية هذه العلوم بل في منتصف القرن الثالث الهجري في عصر الإمارة، فقد بدأ العلماء في طلب هذه العلوم. (1)
ومن هذه العلوم التطبيقية، هي:

أ- الطب والصيدلة:

حارب الإسلام بعض الخرافات الطبية، وحث على النظافة وحفظ الصحة في العبادات وفي حياة يومية، وأجاز للمسلمين بطلب العلم دون تحديد، وكان يحث المريض على أن يسعى لإيجاد الدواء المناسب، وتوجد في الأحاديث النبوية النصائح المتعلقة بالطب الوقائي والعلاجي، كما أمر رسول الله ﷺ في الطب الوقائي حيث نهى الدخول إلى أرض طاعون أو الخروج منها، وكذلك الطب العلاجي فقد أوصى بالمداواة بالعسل وبلبن الإبل، وكذلك كثير من العقاقير النباتية ومنافعها، والإرشادات الصحية في الإسلام عبارة عن مجموع الأوامر والنواهي والتوصيات التي أخبر الله بها نبيه ﷺ كي ينال الناس من خلالها سعادتي الدنيا والآخرة. (2) كما قال النبي ﷺ: "من تصبح كل يوم سبع ثمرات عجوة لم يضره في ذلك سم ولا سحر"، (3) وقال ﷺ أيضاً: "عليكم بالأئمة، فإنه منبته للشعر، مذهبة للقدزي، مصفاة للبصر"، (4) وقال ﷺ في علاج لكل داء: "في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام". (5)

ونهى النبي ﷺ عن التداوي بالمحرمات حين سأله ﷺ عن الخمر والتداوي بها فنهاه عنه فقال: "إنها ليست بدواء ولكنها داء". (6)

(1) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، 1/ 549. الموساوي: عطار نقي عبود الموساوي، تطور الطب في الأندلس (منذ عهد خلافة بني أمية وحتى نهاية عصر الموحدين)، دار المعرفة- بغداد، عام 2013م، ص 765. صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص 64.

(2) رضا كرم، الطب النبوي (دراسة صيدلانية حول العقاقير وكيفية الاستفادة منها)، ط 1، دار الوفاء- القاهرة، عام 1997م، ص 253. حنيفة الخطيب، الطب عند العرب، ط 1، إقرأ للنشر والتوزيع- دمشق، عام 1406هـ/ 1986م، ص 35. عبد ربه: إيمان بديع عبد ربه، الصيدلة في التاريخ الإسلامي، ط 1، دار الهدى- دمشق، عام 1992م، ص 2.

(3) الإمام البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأطعمة باب العجوة، 5/ 75، رقم الحديث: 5130.

(4) الطبري: محمد بن جرير الطبري (ت/ 310هـ/ 922م)، تهذيب الآثار وتفضيل الثابت عن رسول الله ﷺ، تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني، باب عليكم بالأئمة، 6/ 313، رقم الحديث: 2176.

(5) الإمام الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الطب، باب جاء في الحبة السوداء، 8/ 88. رقم الحديث: 2176.

(6) الإمام الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الطب، باب ما جاء في كراهية التداوي بالسكر، 8/ 97.

وأمر النبي ﷺ إلى من لا يحسن الطب بإيقاع العقاب عليه إن أخطأ، وقال ﷺ: "من تطيب ولم يكن بالطب معروفاً فأصاب نفساً فمادونها فهو ضامن"، (1) فهذا التنبيه إلى من ليس له معرفة في الطبابة، لأن هذا تركيز رسول الله ﷺ على حفظ الصحة، وأنه لم يعمل في الطب ولكنه أضى عليه شرف مكانته والإهتمام به.

الطب في عهد الخلفاء الراشدين كما كان في عهد النبي ﷺ، وأن الخلفاء قد انشغلوا في الفتوحات، لذلك كان لديهم ضرورة الأطباء في الجيش أثناء الفتوحات، واستعانوا بالأطباء ولكن عددهم قليل، (2) أما في الخلافة الأموية فانطلق العلماء وخاصة الأطباء إلى دمشق على دعوة الخلفاء والأمراء. (3)

ومن أقدم الأطباء المسلمين الذين دخلوا الأندلس منهم الطبيب أبو إبراهيم الوليد المدحجي، دخل في بداية الفتح مع طارق بن زياد وموسى بن نصير، وكان أول من نشر علم الطب في الأندلس، وأنه مارس الطب بأفكار وأساليب جديدة لم تكن معروفة آنذاك، (4) ولما استقر عبد الرحمن الداخل في الأندلس ذهب إليه هذا الطبيب فاهتم بالطب وأصبح الطبيب الخاص للأمير عبد الرحمن الداخل والمدير لعلاجه وحفظ صحته. (5) وكان عبد الرحمن الداخل يهتم بالنباتات والأعشاب والزراعة في ميدان الطب والصيدلة، وجاء كثير من الأشجار والحبوب من الشام. (6)

وكان أطباء الأندلس يعتمدون في الطب على كتاب مترجم من كتب النصارى "الأبرشيم"، -ومعناه المجموع أو الجامع- ويرجح أنه كتاب الفصول لأبقراط، (7) كما قال صاعد الأندلسي (8): "كان الناس.. يعولون في الطب

(1) قطي، سنن الدار قطي، كتاب الحدود والديات، 8/ 23، رقم الحديث: 3488.

(2) سالم مختار، الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداع، مراجعة: الشيخ محي الدين العجوز، ط 1، مؤسسة المعارف- دمشق، عام 1408هـ، ص 138.

(3) احباب: محمد زهير احباب، تاريخ وتشريح وآداب الصيدلة، جامعة دمشق، عام 2002م، ص 142.

(4) حتاملة، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة، ص 1057.

(5) ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ص 151.

(6) المقري التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 329. زرهوني: نور الدين زرهوني، الطيب والخدمات الطبية في الأندلس خلال القرن السادس الهجري- الثاني عشر الميلادي، شباب الجامعة- الإسكندرية، عام 2006م، ص 3.

(7) راجع: ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص 92. صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص 78. أبو الفضل محمد، دراسات في تاريخ وحضارة الأندلس، دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية، عام 1996م، ص 360.

(8) هو صاعد بن عبد الرحمن الأندلسي، مؤرخ، يعود أصله إلى قرطبة، ولي القضاء في طلبلة، وله العديد من المؤلفات في مختلف الميادين العلمية، وتوفي سنة 462هـ/ 1070م. (الزركلي، الأعلام، 3/ 186).

على قوم من النصارى لم يكن عندهم تحقق ولا شيء من سائر العلوم على كتاب بأيديهم من كتب النصارى يقال له الأبرشيم".⁽¹⁾

وكتب الصيدلة في الأندلس واستفاد منها العلماء كتاب الأدوية المفردة المعروف بالخشائش،⁽²⁾ وهذا الكتاب "الخشائش لـ ديسقوريدس Dioscorides"⁽³⁾ وترجم اصطفن بن باسيل في بغداد وإصلاح حنين بن اسحاق⁽⁴⁾ إلى اللغة العربية،⁽⁵⁾ وذكر ابن جلجل في كتابه: "تفسير أسماء الأدوية المفردة أن الخشائش في أصله اليوناني دخل الأندلس وكان معروفاً، وذلك أن هذا الكتاب ترجم إلى العربية في بغداد، غير أن المترجم "اصطفن" لم يترجم إلى العربية سوى جزء من أسماء الأدوية، ولهذا ظلت أسماء باقي النباتات على صورتها اليونانية بحروف عربية، لأنه لم يعرف ما يقابلها في العربية، إلا أن الأندلسيين لم يتوقفوا عند حدود ما أخذوه عن اليونان من العلوم الطبية، بل نظموه ودرسوه دراسة منهجية وأضافوا إليه ملاحظاتهم، كما وصفوا الكثير من الأمراض التي لم يعرفها اليونانيون".⁽⁶⁾

وذكر صاعد الأندلسي: "بداية اشتغال الأندلسيين بالطب بأنه لم يكن في الأندلس من استوعبها ولا لحق بالمتقدمين فيها، وإنما كانت غاية أكثرهم دراسة بعض فروعها وشيء من وجوه الطب والتداوي، وذلك رغبة منهم باللاحق بخدمة الحكام من أجل الجاه والمنزلة، وبالتالي فإن هؤلاء الأطباء بمنهجهم هذا قد تخلوا عن دراسة الطب دراسة العلم والمعرفة إلى دراسته من أجل المصلحة والمنفعة المادية، وهذا بلا شك كفيل بأن يحد من تعمقهم في دراسة الطب دراسة صحيحة، ليكون علمهم يقتصر على بعض أساليب التداوي التي يرونها ضرورية في علاج من يقومون

(1) صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص 158، 197.

(2) كتاب الأدوية المفردة (الخشائش) وكتاب أورسيوس أو هروشيث قد أرسل بهما الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر مع السفارة التي بعث بها إليه سنة 338هـ. (المقري التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 171-172. ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، 2/ 447. ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 239).

(3) ديسقوريدس هو طبيب وعشاب ونباتي يوناني مشهور، ولد في عين زربة قرب طرسوس جنوب آسيا الصغرى في القرن الأول الميلادي، ودرس الطب في الإسكندرية، وصنف أربعة وعشرين كتاباً في تاريخ النبات، ومات في سنة 90م. (عنان، دولة الإسلام في الأندلس، 2/ 108).

(4) حنين بن إسحاق طبيب ومؤرخ، رحل إلى بغداد فأخذ الطب عن يوحنا بن ماسوية (ت: 243هـ/ 857م) وغيره، واتقن عدة لغات، وتوفي سنة 260هـ/ 873م. (الزركلي، الأعلام، 2/ 287).

(5) أبو الفضل، دراسات في تاريخ وحضارة الأندلس، ص 360.

(6) ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص 22.

على خدمتهم من الأمراء والحكام ووصف الأغذية المفيدة لهم". (1)

وفي عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط ظهر الطبيب عبد الملك بن حبيب السلمي، وله كتاب مختصر في الطب، والطبيب أحمد بن إياس القرطبي، واشتهر في عصره في علم الأدوية، وألف كتاباً ورتب له أحسن ترتيب، وليس له نظير من المتقدمين في هذا العلم، وزادت التأثيرات التقنية والعلمية من المشرق عن طريق الطبيب يونس الحراني الذي وفد إلى الأندلس واستقر عند الأمير عبد الرحمن الأوسط، (2) وأشار ابن جلجل: "أن الحراني أدخل معه إلى الأندلس دواءً كان يبيع السقية منه بخمسين ديناراً لعلاج الأوجاع الباطنية وما يتعلق بذلك، واجتمع حوله مجموعة من الأطباء، وسألوه عن تركيبه فأعلمهم بسر ذلك"، (3) وكذلك الطبيب حمد بن أبان كان اشتهر في أيام محمد بن عبد الرحمن الأوسط، وكان عارفاً بتركيب الأدوية وبراعته بالعلاج. (4)

وتطور الطب تطوراً كبيراً في عهد عبد الرحمن الناصر، وزادت الرحلات العلمية إلى المشرق لطلب هذا العلم، وتابع طريقه فيما بعد ابنه الحكم المستنصر، وقام بإكرام علماء الأندلس والوفدين من المشرق لينشروا علومهم ومنهم أبو بكر سليمان بن باج، (5) الذي كان عارفاً بالأمراض وصناعة الأدوية وقد وفق في معالجة الخليفة في أقصر مدة من مرض أصيب به. (6)

وبالإضافة شارك كثير من الأطباء النصارى في هذه المهنة، كطبيب جواد النصراني كان برع في تركيب الأدوية وصنع العقاقير والوصفات الطبية النباتية، والطبيب خالد بن يزيد النصراني صنع العديد من الأدوية ونفع الكثير بأدويته، (7) وكذلك الطبيب ابن ملوكة النصراني (1) وطبيب إسحاق النصراني عمل لدى الأمير عبد الله بن محمد وفي عهد

(1) صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص 78.

(2) صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص 78. ابن أبي أصيبعة: أبي العباس أحمد بن القاسم الخزرجي (ت: 668هـ/ 1269م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: محمد باسل، الكتب العلمية- بيروت، عام 1998م، ص 2/ 42. شلي، موسوعة التاريخ والحضارة الإسلامية، 4/ 85.

(3) ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص 94.

(4) ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص 93.

(5) أبا بكر سليمان بن باج كان في عهد عبد الرحمن الناصر خادماً في الطب، وكان طبيباً نبيلاً وعالج عبد الرحمن الناصر من رمد أصيب به، وعالج صاحب البريد من مرض التنفس. (ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 449).

(6) ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص 102- 103. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 493- 494.

(7) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، 2/ 41. ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، 93.

الأمير عبد الرحمن الناصر، وثم ابنه يدعى يحيى النصراني أحد وزراء عبد الرحمن الناصر في الإمارة، وألف كتاب في الطب وسماه "الأبريشم".⁽²⁾

ومن أشهر الأطباء عمران بن أبي عمر (ت: 320هـ / 932م) كان في خدمة عبد الرحمن الناصر، وله مؤلف إسمه "حب الأنيسون"،⁽³⁾ ورسائل طبية أخرى.⁽⁴⁾

أما الأطباء الذين كانوا في خدمة الخلفاء منهم في خدمة عبد الرحمن الناصر أصبغ بن يحيى القرطبي، وعمر بن بريق على مهمة في تحضير الأدوية وتركيبها، والطبيب سليمان بن باج كان معروفاً في الطب وتركيب الأدوية، والطبيب يحيى بن إسحاق له مكانة عالية عند عبد الرحمن الناصر، وفي عهد الحكم المستنصر استحدث نظام الأطباء المشتغلين بخدمة الخلفاء، وأنشأ لهم ديواناً، ومن خدم الأطباء للحكم المستنصر الطبيب أحمد بن حكم بن حفصون، وأبو بكر أحمد بن جابر وأبو عبد الملك الثقفي الذي جمع بين المهارة في الطب والهندسة.⁽⁵⁾

فكل هذا التأثير المشرق في الأندلس في تلك الفترة، لأن الأندلسيين كانوا كثير الاهتمام بكل ما يصل إليهم من أمور علمية فيدرسونها ويضيفون إليها وابتكروا فيها بشكل كامل، لذلك كانوا أهل عطاء وبذل في ميدان الحضارة الإسلامية.

ب- علم الكيمياء والفلك:

اهتم المسلمون بعلم الفلك أو ما يسمى في القديم بعلم الهيئة أو علم النجوم، لكنهم وصلوا فيه إلى برهان الله

(1) طبيب ابن ملوكة النصراني عاش في أواخر عهد الأمير عبد الله بن محمد وأول عهد عبد الرحمن الناصر، وكان صانع الأدوية لعلاج المرضى. (ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، 2/ 41)

(2) راجع: ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص 97. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، 2/ 43. دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (138-422هـ / 755-1030م)، ص 443.

(3) حب الأنيسون: أنسون أو يانسون، نبات من فصيلة الخيميات، وهي زهرة صغيرة بيضاء، وثمره حب جاف طيب الرائحة، يحتوي على زيت عطري طيار، ويستعمل في أغراض طبية. (أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط 1، عالم الكتب- القاهرة، عام 1429هـ / 2008م، ص 134).

(4) ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص 98. الصفدي، الوافي بالوفيات، 23/ 57.

(5) راجع: ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص 102-103، 107، 108، 110، 111. صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص 104، 106. ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلوة، 1/ 206. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 488، 489، 492.

ومعرفة عظمتة وحكمته وقوته الكبرى وكمال خلقه في الجانب الديني عميقاً التي كان من ضرورات الدين، كتحديد شهور وخاصة شهر رمضان والأعياد ومواقيت الشروق والغروب، وتحديد اتجاه القبلة، لذلك كان لهم أرواحهم الفلكية الخاصة لتصحيح أخطاء الذين ما كان قبلهم. (1)

فعلوم الفلك والرياضيات والهندسة هي علوم متصلة فيما بينها، لذلك كثير من العلماء في الأندلس كانوا يدرسون عدة علوم ولا يقتصرون على علم واحد، واشتغلوا في النجوم والفلك والرياضيات وغيرها ولم يكن تخصص واحد لكل عالم.

فكانت الأندلس مشتهرة مع المشرق في دراسة علم الفلك، كما أشار صاعد الأندلسي: "وأما صناعة أحكام النجوم فلم تزل نافقة بالأندلس قديماً وحديثاً واشتهرت بتقليدها جماعة في كل عصر إلى عصرنا هذا"، (2) لأن عبد الرحمن الأوسط أرسل عباس بن ناصح إلى العراق لحصول الكتب القديمة، (3) وتوفر لعلماء الأندلس المؤلفات القديمة في مجال علوم الفلك، وظهر كثير من العلماء من أبرزهم عباس بن فرناس في عهد الأمير الحكم الرضي، وكان عالماً في الحكمة والشعر والأدب، وشم برع في ميدان العلوم الطبيعية والكيميائية والفلكية، (4) وله مخترعات في محاولة الطيران، (5) وصنع هيكلاً للأجرام السماوية، ويرى عليها النجوم والغيوم والبروق والرعود، (6) وبرع أيضاً في ميدان الكيمياء

(1) محمد أبو الفضل، أضواء علي النشاط العلمي في الأندلس، جامعة الإسكندرية كلية الأدب، بحوث الأندلس (الدرس والتاريخ)، ص 434-435. ذنون طه، دراسات في حضارة الأندلس وتاريخها، ص 43-44.

(2) صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص 64.

(3) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 1/45. ذنون طه، دراسات في حضارة الأندلس وتاريخها، ص 47-48.

(4) الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ص 286. حمدي: عبد المنعم حسين، تاريخ وحضارة المغرب والأندلس، دار المعرفة الجامعية، عام 2005م، ص 251. محسن جمال الدين، عباس بن فرناس أول رائد أندلسي للطيران (274هـ/887م)، جامعة بغداد، كلية الأدب، مجلة المورد، مجلد 6، ع 4، ص 94.

(5) عباس بن فرناس كان من أبرز علماء في مجال العلوم التطبيقية، وكان أول رائد الأندلسي للطيران، قضى أوقاتاً طويلة وهو يدرس تركيب جسم الطير وكيفية طيرانه في الهواء، ثم قام بكساء نفسه بالريش وصنع لنفسه جناحين ليطيّر بهما، وقفز بذلك الرءاء من أعلى تلة قرب مدينة بلنسية، أو طار في ناحية الرصافة في قرطبة من جبل العروس، وطار بضعة أمتار ثم اختل توازنه وسقط، ويرجع سبب سقوطه إلى أنه لم يفتن لأهمية الذيل في طيران الطائر، أثناء سقوطه كسر إحدى فقرات ظهره السفلى. (راجع: المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 3/374. ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 1/333. شبانة: محمد كمال شبانة، الأندلس دراسة تاريخية حضارية، ط 1، دار العالم العربي- القاهرة، عام 2008م، ص 67).

(6) راجع: المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 3/374. شبانة، الأندلس دراسة تاريخية حضارية، ص 67. سعيد الديوه جوي، الفكر العلمي في شخص العباس بن فرناس (حكيم الأندلس)، اللسان العربي (مجلة دورية للأبحاث اللغوية والترجمة والتعريب في العالم العربي)، المكتب الدائم

وطور صناعة الزجاج من الرمل والحجارة الذي يدعى (Quarts) الذي عرف الساسانيون والروم،⁽¹⁾ وعمل على تحويل المعادن إلى ذهب عن طريق الصهر فترات طويلة، واخترع أيضاً شيئاً كقلم الحبر التوفير الجهد الكبير من حمل الأقلام والمحابر، وبالإضافة أنه صنع آلة لمعرفة الوقت، وهي تعتمد على الظل لقياس الزمن.⁽²⁾

ومن العلماء في هذا العلم مسلم بن أحمد بن أبي عبيدة الليثي (ت: 304هـ/ 916م) الذي عرف بحركات الكواكب وأحكامها ودراساته في تعيين القبلة، وزاد فيه بعض المفاهيم عن كرة الأرض ودورانها في فلك، واختلاف الموقع من الكرة الأرضية والفصول حسب المناخ،⁽³⁾ وكذلك يحيى بن يحيى المعروف بابن سميعة من أهل قرطبة عالم بحساب النجوم والطب وغير ذلك من العلوم،⁽⁴⁾ وعالم في علم النجوم والفلك عبد الواحد بن إسحاق الضبي من أهل الجزيرة الخضراء،⁽⁵⁾ وعالم في هذا المجال عبد الله بن الشمر كان رئيس المنجمين لعهدده، واهتم أيضاً بعلم الكيمياء،⁽⁶⁾ وفي علم الرياضيات برع الأمير محمد بن عبد الرحمن وخاصة في الحساب، وقام بنفسه بحاسبة أمور المالية،⁽⁷⁾ وفوق ذلك أن أبو اليسر إبراهيم بن أحمد الشيباني (ت: 298هـ/ 910م) كان من أبرز علماء في الرياضيات.⁽⁸⁾

الخلاصة والتعليق:

لتنسيق التعريب التابع لجامعة الدول العربية الرباط- المغرب الأقصى، العدد 8، عام 1971م، ص 31. أحمد هجوان، حكيم الأندلس رائد الفضاء الأول المخترع (عباس بن فرناس)، مجلة الإعجاز العلمي، عنوان 23، ص 31.

(1) راجع: ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 1/ 333. المقري التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 3/ 374.

(2) المقري التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 3/ 374. مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 334.

(3) راجع: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 2/ 161. المقري التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 3/ 375. صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص 64. حتاملة، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة، ص 1085. كرد، غابر الأندلس وحاضرها، ص 52. سالم، محاضرات في تاريخ وحضارة الإسلامية في الأندلس، ص 288.

(4) المقري التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 3/ 375. العكش، التربية والتعليم في الأندلس، ص 209.

(5) المقري التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 335. الجيوسي، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، 2/ 1321.

(6) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 1/ 319.

(7) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بما بينهم، ص 126.

(8) المقري التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 3/ 134.

الجهود في مجال الثقافة ووسائلها في الأندلس لها أثر كبير في نشر الدعوة، فقام الحكام والعلماء وأهل الأندلس جميعاً في نشر العلوم، فأنشؤا المساجد، والجامعات، والمدارس، والحلقات العلمية، والمكتبات التي توفر الفرصة لأبناء الأمة لتعلم العلم والمعرفة.

وجهزت للناس المناهج الدراسية على المراحل الثلاثة، وأسست المكتبات الغنية لينالوا العلم منها، حتى زادت تأثير تأسيس المكتبات في جميع أنحاء الأندلس، وحتى تأثرت فكرة تأسيس المكتبات على الشعب سواء من المسلمين وغيرهم وأسسوا المكتبات في بيوتهم بنفقات الشخصية، والدولة بذلت جهداً كبيراً لتوسيع المكتبات العامة والخاصة في الأندلس.

والرحلات العلمية هي إحدى وسائل تحصيل العلم، لذلك العلماء بدأوا الرحلات العلمية نحو المشرق كي ينقلوا منها العلوم والفنون، واستفاد أهل الأندلس من المسلمين وغير المسلمين في مجالات متعددة.

العلماء أيضاً بذلوا جهداً كبيراً في نشر اللغة العربية وفنونها في الأندلس، لأن اللغة هي لغة القرآن والحديث والفقهاء، وألفوا كتباً كثيرة حتى أصبحت اللغة العربية على منزلة الأولى في الأندلس.

وكان للعلماء جهود في علوم القرآن والحديث والفقهاء والقضاء واللغة والمعاجم والتراجم، وألفوا فيها، ولهم جهود واضحة في العلوم التطبيقية كالطب والصيدلة والكيمياء والفلك والجغرافية... وألفوا واخترعوا فيها بنجاح.

كما أن علم الكيمياء والفلك قد انتشرا في الأندلس لتقدم المجتمع، وظهر كثير من العلماء في هذا المجال، وكان لهذه العلوم أثر بالغ في الدعوة إلى الإسلام على غير المسلمين، لذلك الحكام شجعوا الناس للحصول هذه العلوم التطبيقية، فظهر من بينهم علماء متميزين في علم الطب والصيدلة والكيمياء والفلك والجغرافية والتاريخ والفلسفة والمنطق، للجميع جهود وأثار إيجابية بين المسلمين وغير المسلمين.

عن طريق هذه العلوم أصبح الأندلس مركز العلوم والفنون والحضارة والثقافة، وبدأت لها بعثات علمية من أوروبا في طلب العلم والمعرفة، وتوفر الحكام لهم منحة تعليمية لينالوا العلم، ولأجل هذه العلوم دخل كثير من غير المسلمين إلى الإسلام، فالعلم والمعرفة هي من أغلى وسائل الدعوة إلى الإسلام وإلى الحق.

الفصل الثاني

الجهود الدعوية في معالجة القضايا الاجتماعية ووسائلها في الأندلس

تمهيد:

الإسلام دين اختاره الله لجميع الناس، وجعل فيه كل المناهج التي ترشد للإنسان الحياة السعيدة في الدارين، فوضح فيه العبادات، والمعاملات، والتشريعات، والأخلاق، والأوامر، والنواهي لتحقيق السعادة بأكمل الوجه، حيث شرع الجهاد لإقامة دولة الإسلام التي تطبق هذا الدين كاملاً وُلِّفَ الظلم والطغيان.

لأجل إقامة العدل شرع القضاء حتى لا يظلم أحد في المجتمع ولا يوجد مظلوم فيه، فالقضاء الإسلامي له أعظم المكانة لإصلاح المجتمع وسعادته، أما القوانين الوضعية فتكون تحت رعاية الأحكام الإسلامية، ولهذا فضل القضاء الإسلامي بشريعة الله.

والقضاء غير الإسلامي صنع عقول البشر، فيوجد فيه النقص والعجز عن إدراك الحقائق، والبشر دائماً يغيرون ويبدلون قراراتهم، لأنه غير ثابت في أصله وغير عادل في أحكامه، لذلك لا يوجد مجال لمقارنة بينه وبين القضاء في الإسلام. والقضاء في الإسلام هو قوة تدل على قوة الدولة وبينهما ربط، وكلما كانت الدولة أكثر أمناً واستقراراً وأعظم حضارةً كانت فيها المكانة العالية والسامية للقضاء وحكماً منفذ، لأن القضاء هو السلطة المنفذة لأحكام الشريعة الإسلامية، وله جهات مساعدة كأهل الشورى، والفقهاء، والحكام لتطبيق شريعة الله.

وكان للقضاة مساعدون والمراقبون والمنفذون، تسمى جميعهم أهل الحسبة، الذين يتفقدون أحوال الناس وأحوال البلد لإصلاح مشاكلهم قبل الوصول إلى القضاة، ويصلحون ما فسد من أمن، وبناء، وتعليم، وأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وعن هذه النظم تعالج فيها القضايا الاجتماعية والاقتصادية وينعم الناس فيها بالعدل والأمن الرخاء.

المبحث الأول

نظام القضاء ودوره في معالجة القضايا الاجتماعية

القضاء لغة وإصطلاحاً:

ورد القضاء في اللغة بمعان عديدة، منها بمعنى الحكم والقطع أو الفصل، قال ابن منظور: "القضاء الحكم، وأصله قضاي لأنه من قضيت، إلا أن الياء لما جاءت بعد الألف الزائدة طرفاً هُزمت، والجمع أقضية، والقضية مثله، والجمع القضايا... قال أهل الحجاز: القاضي معناه في اللغة القاطع للأمور المحكم لها.. القضايا: الأحكام، واحداً قضية.. وأصله القطع والفصل. ويقال: قضى يقضي قضاءً فهو قاض إذا حكم وفصل، وقضاء الشيء أحكامه وإمضاؤه، والفراع منه فيكون بمضى الخلق، وورد أيضاً بمعنى الحكم والختم والالزام والأمر".⁽¹⁾

فالخلاصة على أن القضاء في اللغة القطع بين الأمور والحكم عليه، واتمام الشيء والأمر به ولزومه.

أما القضاء في الإصطلاح فهو: "الفصل بين الناس في الخصومات حسماً للتداهي وقطعاً للنزاع بالأحكام الشرعية".⁽²⁾ وكذلك "الأخبار عن حكم شرعي على سبيل الإلزام"،⁽³⁾ والقضاء "تبيين الحكم الشرعي والإلزام به وفصل الخصومات"،⁽⁴⁾ وهناك تعريفات أخرى تدور هذا المعنى، ونستنتج منها: "القضاء بيان الحكم الشرعي المستند على أصل من أصول الشريعة، والقدرة على الإلزام بالحكم". فالقاضي يكون قادراً على تنفيذ حكمه والإلزام به من أجل إنهاء القضية المتنازعة عليها، لو أن القاضي إذا لم يستطع الإلزام بالحكم، فهو مفتي وليس بقاضي.

خلاصة التعريفات هي: "القضاء تبيان الحكم الشرعي بالفصل في الخصومات بإعطاء كل ذي حق حقه، والحكم بين الخصوم ويفصل الحق عن الباطل ويمنع المظالم".

(1) راجع: ابن منظور، لسان العرب، 15 / 86، مادة قضا. مرتضى الزبيدي: السيد محمد مرتضى بن محمد الحسيني الزبيدي (ت: 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: جماعة من المختصين، ط 2، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، 10 / 296.

(2) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص 220.

(3) ابن فرحون، تبصرة الحكام في أصول الأفضيية ومناهج الأحكام، 1 / 8.

(4) ابن القاسم، حاشية الروض المربع، ط 1، عام 1400هـ، 7 / 508.

فحكم القضاء في الإسلام فرض كفاية على علماء المسلمين، لأن أمور الناس لا تستقيم بدونه، وكان واجباً على الكفاية كالاتجاه، ولا يتعين على أحد إلا إذا لم يوجد غيره، وكان مستوفياً لشروطه، ولمن يتولى أمور القضاء أن يكون مسلماً ذكراً عاقلاً بالغاً حراً وعادلاً. (1) يقول النباهي: "وشروط القضاء التي لا يتم للقاضي قضاؤه إلا بها عشرة: الإسلام، والعقل، والذكورية، والحرية، والبلوغ، والعدالة، والعلم، وسلامة حاسة السمع والبصر من العمى والصمم، وسلامة حاسة اللسان من البكم، وكونه واحداً لا أكثر". (2)

ثانياً: القضاء وعلاقته بالدعوة:

علاقة القضاء بالدعوة علاقة وثيقة، فمهام الدعوة هي إقامة الناس على الحق والعدل، وهو من أكبر مظاهر الدعوة، والقضاء فيه تتمثل قوة الدعوة، وقوة القضاء لا تحقق إلا في ظل قوة الدولة الإسلامية وشدة تمسكها بالإسلام، وقوة دولة الإسلام تحتاج إلى دعاة أقوياء يتحملون تكاليف الدعوة.

فمن مهام الدعوة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا الجانب يدخل في القضاء، لأن إقامة العدل ومنع الظلم من مهام القضاء، كما قال رسول الله ﷺ: "أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، قالوا: يا رسول الله هذا ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً؟ قال: تأخذ فوق يديه"، (3) فمعنى ذلك تمنعه من الظلم بالأخذ على يديه ومنعه منه. إذا فالقضاء نصرة للظالم الذي اعتدى على المظلوم، ونصرة للمظلوم الذي سلب حقه.

وكذلك من مهام الدعوة السعادة في الدارين والحرص على ما يصلح الناس فيهما، فمن أهداف القضاء الوصول إلى السعادة في الدارين، والإصلاح بين الناس بإزالة الخصومات فيما بينهم، ليكون جميع أفراد المجتمع أخوة متحابين.

فالدعوة والقضاء كل منهما يهدف إلى تطبيق شريعة الله، ويقام في الأرض العدل وإزالة الفساد، وأن العدل سبب كثير من غير المسلمين إلى إعتناق الإسلام.

(1) السمناني: علي بن محمد بن أحمد الرحيبي السمناني (ت: 499هـ)، روضة القضاة وطريق النجاة، تحقيق: د. صلاح الدين الناهي، مطبع أسعد- بغداد، عام 1389هـ/ 1970م، ص 52-53.

(2) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص 4.

(3) الإمام البخاري، صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب: أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً، 98/3.

ثالثاً: تسمية القضاة ومكانته عند الحكام في الأندلس:

المسلمون قاموا بفتح بلاد الأندلس وكانت القيادة تحت أيدي العلماء والتابعين من القواد والولاة، وكان القضاء في بداية الأمر على أيدي الولاة، وكانوا القواد في ميادين المعارك والفتوحات، وكانوا يقومون بتنظيم أمور الدولة وشؤونها، وفي نفس الوقت كانوا القضاة يفصلون في الخصومات و يقيمون العدل بين الشعب.

لما استقرت الأمور في الأندلس جعل الولاة يعينون نواباً يقومون بأمور الناس نيابة عن الوالي العام في المنطقة، وهم في أن واحد ولاة وقضاة، كما قال الخشني: "ولى الأندلس عقبة بن الحجاج السلولي، فكان صاحب الجهاد ورباط، وذا نجدة وبأس، ورغبة في نكابة المشركين.. وكان قد اتخذ بالأندلس مدينة يقال لها أربونة، وكان قد عرف مهدي بن مسلم بالعلم والورع، فكان قد استخلفه على قرطبة وأمره بالقضاء بين أهلها".⁽¹⁾

كان منصب الوالي مربوطاً بالقضاء في عهد الولاة، ولكن في بعض الأحيان عندما انشغل الوالي بالحروب والجهاد ولى وظيفة القضاء إلى أحد العلماء الذين اشتهروا بالعلم والورع ويقوم هؤلاء القضاة بالعدل بين الناس، وكان حكمهم نافذ بين الفئات المتنازعة.

وكان القاضي في عصر الولاة يسمى قاضي الجند لكثرة الانشغال في الحروب مع الأعداء، وكان تسميته للوضع، لأن القاضي كان الوالي العام أم كان غيره فهو جندي من الجنود الإسلامية، فجميع القضاة في عصر الولاة كان منهمجهم إقامة العدل بين الناس على أسس من الكتاب والسنة.

ولما دخل عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس بلغ القضاء منزلة عالية في عهده، وعند دخوله كان القاضي في قرطبة يحيى بن يزيد التجيبي⁽²⁾ فأثبته عبد الرحمن الداخل على القضاء ولم يعزله، ولكن تغيرت التسمية من قاضي الجند إلى قاضي الجماعة، كما قال النباهي: "وإضافة لفظ القضاء إلى الجماعة جرى التزامه بالأندلس منذ سنين إلى هذا العهد -القرن الثامن الهجري- والظاهر أن المراد بالجماعة جماعة القضاة، إذا كانت ولايتهم قبل اليوم غالباً من

(1) الخشني، قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، ص 38.

(2) القاضي يحيى بن يزيد التجيبي من قضاة الأندلس في عصر الولاة وعصر الإمارة، ولاة القضاء عمر بن عبد العزيز وحتى عهد عبد الرحمن الداخل، وكان رجلاً صالحاً ورعاً، وكان يحيى من العلماء الأمرين المعروف والناهين عن المنكر، الذي لا تأخذهم في الله لومة لائم، واستمر على القضاء حتى توفي سنة 142هـ. (راجع: الخشني، قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، ص 7. النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص 43).

قبل القاضي بالحضرة السلطانية".⁽¹⁾

وقد ذكر الخشني: "أنه رأى سجلاً عقده محمد بن بشير⁽²⁾ قاضي الجند بقرطبة، وقال أن تسمية القاضي اليوم بقاضي الجماعة اسم محدث لم يكن في القديم".⁽³⁾

أن القاضي في الأندلس كان يقال له قاضي الجند، ولما تأسست الإمارة في الأندلس تغيرت تسمية قاضي الجند إلى قاضي الجماعة، وكان هذا التغير مناسباً، لأن في عصر الولاة كان المسلمون هم جند في الأندلس، لذلك يسمونه بقاضي الجند، ولما أصبح نظام للبلد فيسمونه بقاضي الجماعة.

ويعد قاضي الجماعة من ثلاثة مناصب العليا مستقلة في إدارتها، منهم: إدارة الثغور ومركزها سرقسطة، وإدارة البحر في المرية، وقضاء الجماعة بقرطبة.⁽⁴⁾

وقاضي الجماعة اسم خاص للقاضي بقرطبة، وأما قضاة المدن الصغيرة فيطلقون عليهم "مسدد خاصة"، كما يقول المقرئ التلمساني: "ولفظ قاضي الجماعة لا يطلق إلا لمن هو وال للحكم الشرعي في مدينته جلييلة، أما المدن الصغيرة فلا يطلق على صاحبها إلا مسدد خاصة".⁽⁵⁾

أن تسمية قاضي الجماعة أصبح يطلق على القضاة بعد فترة وجيزة من دخول عبد الرحمن الداخل، ولكن اسم قاضي القضاة في الأندلس لم يظهر إلا في عصر الخلافة سنة 330هـ/941م، كما ذكر ابن حيان: "أن القاضي منذر بن سعيد البلوطي سير في هذه السنة قاضي القضاة في جميع الثغور، وجعل إليه الأشراف على جميع القضاة والعمال بها، والنظر في المختلفين من بلاد الإفرنج عليها".⁽⁶⁾

(1) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص 21.

(2) محمد بن بشير قاضي الجماعة بقرطبة، خرج حاجاً فلقى مالك بن أنس ودرس منه، ولما عاد الأندلس استقضاه الحكم بن هشام، وتوفي سنة 198هـ. (الضي، بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس، ص 62. النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص 47، 51).

(3) الخشني، قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، ص 47.

(4) عبد الحميد العبادي، المجلد في تاريخ الأندلس، ص 146.

(5) المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 218.

(6) ابن حيان، المقتبس من أبناء أهل الأندلس، تحقيق: الحججي، ص 488.

وجدت عن طريق هذه المعلومة أن قاضي القضاة في الأندلس هو المشرف على جميع القضاة والعمال والداخلين من بلاد الإفرنج إلى هذه الثغور، لأن هذه الثغور كانت لها الأهمية وتشكل سداً أمام النصارى لمنع الدخول إلى الدولة الإسلامية، لذلك أعطى الخليفة هذه المسؤولية إلى شخص قوي وقادر على تحملها.

خطة القضاة لها مكانة عالية في الأندلس، كما يقول المقرئ التلمساني: "وأما خطة القضاة بالأندلس فهي أعظم الخطط عند الخاصة والعامّة، لتعلقها بأمر الدين وكون السلطان، لو توجه عليه حكم حضر بين يدي القاضي، هذا وضعها في زمان بني أمية ومن سلك مسلكتهم". (1)

وكان الأمراء في الأندلس يحترمون القضاة أشد الاحترام، وينزلون على حكمهم حتى على الأمير شخصياً، لأجل احترام القضاة والتمسك بالدين، والقضاة يحكمون على الكتاب والسنة وفي جانب المسائل الإجتهدية على الفقه الإمام الأوزاعي من عهد الولاة وحتى نهاية عهد الأمير عبد الرحمن الداخل، وعندما تولى الإمارة إلى هشام بن عبد الرحمن الداخل ركز في جوانب الإجتهدات على مذهب الإمام مالك بن أنس لكثرة وجود العلماء البارزين من تلامذة الإمام مالك.

ومن الأمثلة احترام الأمراء للقضاة في الأندلس كثيرة، وأذكر بعضها:

حين خرج عبد الرحمن الداخل خلف يوسف الفهري لما هرب، فخالف أحد أبناء الفهري وتوجه بجيش إلى قرطبة، فاحتلها وظفر بجاريتين لعبد الرحمن الداخل فأخذهما، فلما علم القاضي يحيى بن يزيد فقال له: "يا لقيم عبد الرحمن ظفر ببناتك وكرائمك فتلوم عليهن حتى نقلن إلى دارك ولم يعرض لهن، وأنت ظفرت بجاريتين لم يستحقا منه حرمة فأخذتكما؟ فتذم الفهري وقال: والله ما رأيت لواحدة منهما وجهاً، فاقبضهما، وبدأ بهما إليه". (2)

واحترام القضاة في عهد هشام بن عبد الرحمن الداخل، حيث نقل ابن سعيد في كتابه: "إن القاضي مصعب بن عمران سجل إلى أحد رجال الأمير هشام بن عبد الرحمن في دار أخرجه عنها، فشكاه إلى الأمير، وطمع أن يأمره بجله، فقال الأمير: والله لو سجل علي في مقعدي هذا لخرجت عنه". (3)

(1) المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 218.

(2) الحشني، قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، ص 48. سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي وحتى سقوط الخلافة بقرطبة، ص 192.

(3) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 1/ 144.

وفي عهد محمد بن عبد الرحمن الأوسط اشتكى أحد خدم للأمير عن القاضي سليمان بن أسود لحكمه عليه وأهانتته له، فقال الأمير: "يابدرون أخفض عليك، فمحللك مني تعلمه فاسألنا به حوائجك نجيبك إليها، ما خلا معارضة القاضي في شيء من أحكامه، فإن ذلك باب أغلقناه، فلا نجيب إليه أحداً".⁽¹⁾

هناك أمثلة كثيرة ولكن اكتفي بهذه، فمكانة القضاة عند الولاة كانت عالية، حيث فعل ابن الفهري مع جاريتين لعبد الرحمن الداخل وثم احترم قول القاضي وتنازل عنهما، وأما هشام بن عبد الرحمن الداخل كان لم يقوم بمواجهة حكم القاضي بل زاد أن القاضي لو سجل على منصبي وعلى كرسي لخرجت عنه، لأجل احترام حكم القضاة، وجميع كبار الدولة يخضعون للقاضي وينقادون لحكمه.

وفوق ذلك أن الحكام في الأندلس أعطوا الصلاحية الكاملة للقضاة، وأما المختص عند القضاة في الشريعة الإسلامية ليست محددة، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ما يستفيده المتولي بالولاية لا حد له شرعاً بل يتلقى من الألفاظ والأحوال والأعراف، فقد يدخل في ولاية القضاء في بعض الأمكنة والأزمنة ما يدخل في ولاية الحرب في مكان وزمان آخر، وبالعكس".⁽²⁾ وقال النباهي: "إن للقضاة إقامة الحدود، والنظر في جميع الأشياء من إقامة الحقوق، وتغيير المناكر والنظر في المصالح".⁽³⁾

وقد ذكر الماوردي قال: "ولا تخلو ولاية القاضي من عموم أو خصوص، فإن كانت ولايته عامة مطلقة التصرف في جميع ما تضمنته، فنظره مشتمل على عشرة أحكام. فصل المنازعات والخصومات، واستيفاء الحقوق، وثبوت الولاية على من كان ممنوع التصرف بجنون أو صغر...، والنظر في الأوقاف بحفظ أصولها وتنمية فروعها، والتنفيذ الوصايا على شروط الموصي تحت رعاية الشرع، وتزويج الأيامى بالأكفاء...، والنظر في مصالح عمله، وإقامة الحدود، والتصفح شهوده وأمنائه، والتسوية في الحكم بين القوي والضعيف بالعدل...".⁽⁴⁾ وكانت هذه الوظائف المختص بالقضاة في الأندلس، ومن الأمثلة فيها كثيرة في تراجم القضاة.

(1) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص 58.

(2) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 68/28.

(3) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص 6.

(4) الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت: 450هـ)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: الدكتور أحمد بن مبارك البغدادي، ط 1، دار ابن قتيبة- الكويت، عام 1409هـ/1989م، ص 70.

والوظائف الأخرى غير هذه المذكورة، منها: "القاضي يتولى الصلاة بالناس وخطبة الجمعة، والقاضي في قرطبة له حق تولية القضاة في المناطق الأخرى والنظر في أحكامهم، وفي بعض الأحيان يكلف من جانب الأمراء بالجهاد وقيادة الجيوش، وخلافة الأمير إذا خرج من مقره، وكان يتولى أمور بيت المال وغيره".

رابعاً: جهود القضاة في الدعوة ومعالجة القضايا الاجتماعية:

أرسل الله تعالى الأنبياء والرسل في مهمة الدعوة إليه، وأوجبها على عباده المؤمنين من بعدهم، والدعوة من خير الأعمال عند الله تعالى، كما قال ﷺ: "ثَنُّ ذُنُوتِ تَدْتُّ تَدْتُّ تَدْتُّ تَدْتُّ تَدْتُّ" (1) فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أسباب خيرية هذه الأمة، وقام سلفنا الصالح بالدعوة خير قيام وجاهدوا في سبيلها حق جهاده، ووصلوا إلى العظمة البشرية في جانب العقيدة والسياسة والأمن.. حتى أقاموا حضارة ليست لها مثيل في مشارق الأرض ومغاربها.

والأندلس قد تشرفت بالدعوة إلى الله تعالى على أيدي المسلمين، وأقاموا دولة عظيمة وحضارة لم تشهدها أوروبا من قبل، وكانت الأندلس ميدان المعارك بين المسلمين والنصارى منذ الفتح، فجميع المسلمين في الأندلس كانوا أهل الدعوة والجهاد، ومن بينهم قضاة ووظائفهم إقامة العدل وتطبيق الشريعة الإسلامية، وإصلاح الناس وتعليم الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فهنا أذكر بعض الجهود الدعوية للقضاة ومعالجة القضايا الاجتماعية في الأندلس.

خامساً: دور القضاة في الجهاد ومحاربة الفتن والبدع:

كما سبق ذكره بأن الأندلس كانت في الصراع الدام مع النصارى، وكان القضاة أهل العلم والمعرفة والدفاع عن الحق، وكانوا يعرفون ثواب الجهاد وشهادة في سبيل الله، لذلك المسلمون في الأندلس إقتدوا بهم، ومن بينهم القاضي معاوية بن صالح في عهد عبد الرحمن الداخل شهد غزوات كثيرة، وكان ينشغل في عبادة الله ليلاً وفي الصباح كان يلبس قباهه وسلاحه ومضى إلى مكان القتال، وعندما علم بزحف العدو كان يخرج إلى الحرب. (2)

وكان القضاة يحثون الجنود على القتال عند الضرورة، حيث أن القاضي سعيد بن محمد بن بشير (3) يغزو

(1) سورة آل عمران، رقم من الآية: 110.

(2) الخشني، قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، ص 54.

(3) هو القاضي سعيد بن محمد بن بشير كان من تلامذة يحيى بن يحيى الليثي، وكان رجلاً صالحاً عاقلاً، ولاة الأمير عبد الرحمن بن الحكم قضاء الجماعة بقرطبة بعد أبيه محمد بن بشير، وتوفي سنة 210هـ. (ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 1/ 192).

إلى أربونة مع الفقيه يحيى بن يحيى الليثي، وكان القائد يشاورهما في أمور الغنائم وغيرها. (1)

وفوق ذلك تولى بعض القضاة الثغور ويجاهدون ويصلحون الأمور، كما أن الفرّج بن كنانة (2) كان يغزو على جند شدونة إلى جليقية، وولاه الأمير الحكم بن هشام ثغر سرقسطة فأخمد بعض الثورات وضبط أمن الحدود، والقاضي محمد بن عبد الله (3) ولى له القضاء في عهد عبد الرحمن الناصر، وفوق ذلك كلفه ببعض الأمور كأمن الثغور والأطراف، والبنيان لحصونها وترتيب مغازيها، وإدخال الجنود إلى بلد الحرب، وأحسن مسؤوليته بحسن تدبيره وديانته. (4)

فهذا حال القضاة في الأندلس لم يشغلهم أي عمل عن الجهاد في سبيل الله، بل كانوا يسارعون إليه ويشتاقون للشهادة.

وكان للقضاة جهود في إخماد الفتن والثورات، كما أن بلاد الأندلس فيها كثرة الفتن والحروب الداخلية على مرور الزمن، حيث أن فتنة أهل الرّيبض بقرطبة التي قامت بين بعض الفقهاء والأمير الحكم بن هشام عام 202هـ/ 818م، وفيها سفكت الدماء وهدمت البيوت وحتى المساجد، وقتل فيها الأبرياء وشرّد آلاف الناس، فقام القاضي الفرّج بن كنانة بإخماد هذه الفتنة، وقد ذكر الخشني في كتابه: "أن رجلاً من جيران القاضي الفرّج بن كنانة أتهم في هذه الفتنة، وكان رجلاً زاهداً، وبسبب التهمة تسور عليه الأعوان بيته ليقتلوه، فصرخ النساء، فقال القاضي: ما هذا؟ فقيل له: جارك فلان، أتاه الأعوان فهجموا عليه ليقتلوه، فخرج الفرّج بن كنانة إلى باب الدار، فاجتمع مع الأعوان فقال: إن جاري هذا سليم الناحية، وليس فيه مما تظنون شيئاً، فقال له المرسل مع الأعوان: ليس هذا من شأنك ولا مما عصب بك، انظر في أحباسك وأحكامك، ودع مالا يعينك، فغضب القاضي عند ذلك فمشى إلى الأمير الحكم بن هشام، واستأذن عليه، فلما دخل سلم، ثم قال: أيها الأمير أصلحك الله، إن قریشاً حاربت النبي ﷺ وناصبته العداوة، ثم إنه صفح عنهم وأحسن إليهم، وأنت أحق الناس بالاعتداء به لقرابتك منه، ثم حكى له القصة وما عرض

(1) الخشني، قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، ص 91-92.

(2) هو فرّج بن كنانة بن نزار بن عسان بن مالك بن كنانة الكناني من أهل شدونة، يروى عن ابن القاسم وابن وهب، استقضاه الحكم بن هشام بقرطبة بعد محمد بن بشير فلم يزل قاضياً إلى سنة 200هـ ثم خرج إلى الثغور قائداً. (ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 1/ 391).

(3) هو القاضي محمد بن عبد الله بن أبي عيسى ولى قضاء عدة كور بالأندلس، وكان صاحب سيرة حسنة عادلاً صارماً في الحق عالماً فاضلاً، ولاء القضاء في عهد عبد الرحمن الناصر، وكان لا يظلم عنده أحد، ثم نقله الناصر إلى قضاء الجماعة بقرطبة. (النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص 59).

(4) الخشني، قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، ص 91-92.

له، فأمر، بضرب الناظر في ذلك الشعب، وعفا عن بقية أهل قرطبة، وبسط الأمان لجماعتهم، واستألفهم إلى أوطانهم". (1)

هذه الدعوة الحسنة التي اختار فيها القاضي الفرج بن كنانة الأسلوب الحسن الذي يصل إلى قلب الأمير الحكم بن هشام، وكانت هذه الدعوة سبباً للعفو وإخماد الفتنة وتأمين الناس. الأمثلة كثيرة ولكن اكتفي بذكر هذه. إن القضاة في الأندلس بذلوا جهداً كبيراً في محاربة البدع والحفاظ على العقيدة السلمية، ولقد ظهرت في الأندلس بدع وتصدوا أهلها كل هذه البدع، وكان للقضاة دور كبير في محاربتها. (2)

ولما ظهر رجل من الشيعة في الأندلس وبدأ بتغلغل بين الشعب في بعض المسائل، (3) فوصل أمره إلى القضاة منه القاضي منذر بن سعيد، والفقير إسحاق بن إبراهيم، (4) وصاحب الصلاة أحمد بن مطرف (5) وغيرهم، فقاموا بفتوى المستدلة على قتله، وقام الخليفة الحكم المستنصر بتطبيق هذا الفتوى وانتهت فتنته. (6)

فكان القضاة في محاربة البدع والخرافة ليس لها مثل في الأندلس، وكانوا لا يدخرون أي وسع في توطيد الدين ومحاربة كل من يريد أن ينال منه شيئاً، ومحاربة كل الأفكار التي يأتي منها أدنى شر ينال من سلامة العقيدة.

(1) الخشني، قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، ص 94.

(2) ومن هذه البدع التي ظهرت في الأندلس بدعة الشيعة، هم الذين يفضلون علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- على الصحابة كلهم ويقولون بإمامته بعد رسول الله ﷺ، وهم عدة فرق، وكان أول ظهور التشيع في عهد عبد الرحمن الداخل، وقضى عليهم عبد الرحمن الداخل بعد حرب طويلة. وبدعة الخوارج وبدعة الصوفية والباطنية وبعض المنتهين الذين دعوا النبوة. (راجع: الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت: 547هـ)، الملل والنحل، تحقيق: أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور، ط 3، دار المعرفة بيروت- لبنان، عام 1414هـ / 1993م، ص 146. سعيد الغامدي: سعيد بن ناصر الغامدي، حقيقة البدعة وأحكامها، ط 3، مكتبة الرشيد للنشر والتوزيع- الرياض، عام 1419هـ / 1999م، 1/ 99. ابن حيان، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق: مكّي، ص 157).

(3) أبا الخير رافضي المعتقد، وكان يظهر الحقد والبغض للحكام ويجاهر بسب أصحاب رسول الله ﷺ وإحلال المحرمات كالخمر وغيرها، ويتمنا انتصار الفاطميين الذين يحاربون الأمويين. (خلاف: الدكتور محمد بن عبد الوهاب خلاف، ثلاث وثائق في محاربة البدع في الأندلس، ص 57).

(4) هو أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن مرة، من أهل قرطبة، كان مقدماً في الفتيا مشاوراً في الأحكام، توفي سنة 352هـ / 963م بطلبيلة. (ابن الفريسي، تاريخ علماء الأندلس، 1/ 87).

(5) هو الفقيه أحمد بن مطرف بن عبد الرحمن بن قاسم، كان معظماً لدى الأمراء محدثاً صالحاً، وكان فاضلاً ومشاوراً في الأحكام، وكان هو المرجع في وقته. (ابن الفريسي، تاريخ علماء الأندلس، 1/ 56).

(6) انظر: خلاف، ثلاث وثائق في محاربة البدع في الأندلس، ص 57.

عند القاضي بحق كان عليه، فقال القاضي عمرو لأخي الأمير: "ظلمت وأسأت فيما فعلت. عمدت إلى رجل قد أخذه حكمي، فأويته وسترته، تريد أن تمنع الحق أن ينفذ عليه، إن لم تخرجه وتبرزه ليؤدي ما عليه، ويصير فيه إلى الواجب. وإلا أرسلت إليك من يسمر أبواب دارك". (1)

هكذا كان احتسابهم على الجميع سواء الأمير أو الخليفة أو الشعب، ولا يخشون في الله لومة لائم.

وكان القضاة في مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما أن القاضي سليمان بن أسود يقول لمؤذني الجامع: "إذا حضر وقت الصلاة فلا تؤخروها عن وقتها، وإن أحسستم أني نزلت عند باب الصومعة فلا تنتظروني، وأقيموا الصلاة وصلوا". (2)

وكذلك سليمان بن أسود كتب إلى الأمير محمد يطلب منه عزل صاحب المدينة لعدم قيامه بواجبه، فقال: "إن صاحب المدينة (ابن أبي أيوب) خرج نهاراً بالسيف مشتهراً فجرح به رجلاً، وأخاف آخرين، وقد كانت لفعلته هذه نظائر كتبت فيها إلى صاحب المدينة، فلم يقمعه عن شره، وأخذ فيه على يده"، (3) فقام الأمير بحبسه.

هكذا كان القضاة في الأندلس أمرين بالمعروف والنهي عن المنكر.

سابعاً: دعوة القضاة غير المسلمين إلى الإسلام:

جهود القضاة في الدعوة لم تكن قاصرة للمسلمين فقط، بل تشمل في دعوة غير المسلمين للإسلام، اتباعاً من قول رسول الله ﷺ: "لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم"، (4) وكل هذا في وقت الفتن وانتشار الشبهات ضد الإسلام، فالإسلام دين التسامح، ولا يجوز لأحد أن يجبر على غير المسلمين للاعتناق إليه،

أول من تولى القضاء من الموالي، توفي سنة 273هـ/886م. (ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 1/363. الخشني، قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، ص 146).

(1) الخشني، قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، ص 150.

(2) الخشني، قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، ص 167.

(3) الخشني، قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، ص 158.

(4) الإمام البخاري، صحيح البخاري، 5/4.

حيث قال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ وَالصَّلَاةَ إِحْسَانًا وَلَا تُرْسِلُوا فِي الْأَمْوَالِ الَّتِي رَزَقْنَاكُمْ مَدْرَجَاتٍ ذَاتِ أَسْمَاءٍ يَسَرُّهَا النَّمَسُ وَالإِنسَانُ وَمِمَّا كَسَبُوا فَسَرُّوا وَلَا تُسَلِّمُوا عَلَيْهَا إِحْسَانًا وَلَا تُحْسِنُوا وَلَا تَحْسِنُوا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَ اللَّهُ وَالْعَلَمَاتُ﴾ (1) وكان المسلمون لم يجبروا أحداً في الأندلس من غير المسلمين للدخول في الإسلام، بل أعطاهم حرية في كل شئوهم الخاصة في الحكم الإسلامي كما سبق ذكره، وكان القضاة عندهم مواقف دعوية مع غير المسلمين ويقومون بالدعوة إلى الإسلام بين جميع الفئات، ومن نماذج ذلك أن أحد القضاة طلب فتوى الفقهاء في غلام أسلم ثم ارتد، ونص كتابه ب: "القاضي في عهد الأمير عبد الله بن محمد كتب إلى عبيد الله بن يحيى: حفظك الله وابقاك أتاني - رضي الله عنك - غلام من النصارى يريد الإسلام، فأسلم على يدي وكتبت إسلامه، وأشهدت عليه، فلما كان بعد أيام، أتاني فذكر أنه بداله عن الإسلام فامتحنته فوجدته مصراً على ما قال. فانظر إليه وإلى كتاب إسلامه، وتكتب إلي برأيك فيه مفسراً إن شاء الله عز وجل"، فوصلت له إجابة من الفقيه عبيد الله بن يحيى: "أسأل الله أن يديم إقامة السنن بك، وأن يجزل على ذلك ثوابك. والغلام -مد الله في عمرك- في قدر ما رهق ولا أظنه بلغ. فأرى أن يحمل عليه والوعيد، فإن رجع إلى الإسلام فبتوفيق الله وبجميل نظرك وإن أصر حبسته أياماً لعله يراجع أمر الله فإن أصر، خليته في سخط الله عز وجل، فليس بأول من أغواه الشيطان. والله أسأله لك أجزل الثواب وأعظم الأجر والسلام عليك ورحمة الله وبركاته". (2)

فهذا النموذج يدل على جهود القضاة في نشر الدعوة إلى الإسلام وعدلهم ورحمتهم على غير المسلمين، وكانوا يقومون بحكم الشرع ببالغ العقل والفهم.

وأمثلة جهود دعوية للقضاة وحسن تسامح مع غير المسلمين كثيرة، حيث أن القاضي طلب إستفتاء في صبي أسلم ثم ارتد بسبب أثر والديه عليه: "أتاني -رحمكم الله- صبي لم يبلغ فأسلم، وصار عند رجل ضمه -ابتغاء ثواب الله عز وجل- فيه فتردد عليه وأبواه، يريد أن رده إلى دينهما، والغلام يأبأ، فلما كان البارحة أتاني والده، فأعلمني إن ولده يريد الرجوع إلى والديه ودينهما، فاكتبوا إلي بما يجب في ذلك"، فرد الفقيه ابن لبابة (3): "فهنا ما ذكره القاضي، فإن كان الغلام قد عقل، مثل أن يكون ابن عشرين سنين، أو ما زاد، فليشدد عليه ويهدد ويوعد عليه، فإن لج في الرجوع إلى دينه، يرد إلى أبويه، ولم يبلغ بن القتل". (4)

(1) سورة البقرة، رقم من الآية/ 256.

(2) أبو الأصبغ، وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس، ص 43.

(3) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن لبابة الفقيه العالم، ولد سنة 225هـ/ 840م بقرطبة وتربا فيها، وتلقى تعليمه بقرطبة حتى نال أعلى الدرجات، وتولى الشورى في عهد الأمير عبد الله بن محمد، واستمر في الشورى حتى توفي سنة 314هـ/ 926م. (ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 2/ 36).

(4) أبو الأصبغ، وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس، ص 46.

توجد أمثلة كثيرة في جهود دعوية للقضاة، وهذا يدل على أنهم لم يطلبوا بمثل هذه الفتاوى في الأمور مثل هذه التي فيها ردة عن الإسلام، إلا لكثرة من كان يسلم على أيديهم، كما أن مثل هذه القصة تدل على مدى تأثير غير المسلمين بالمسلمين، فمثل هؤلاء الصبيان ما أعلنوه إسلامهم إلا لشدة تأثيرهم بالمسلمين معاملة وأخلاقاً ودعوة.

وفي الختام أذكر أسماء بعض أشهر القضاة في الأندلس باختصار، منهم: القاضي مهاجر بن نوفل القرشي ولم يتحدد تاريخ ولادته ولا وفاته، والقاضي يحيى بن يزيد التجيبي (ت: 142هـ / 759م)، والقاضي أبو عبد الرحمن معاوية بن صالح بن حدير بن سعيد بن سعد بن فهر الخضرمي (ت: 158هـ / 775م)، والقاضي مصعب بن عمران بن شفي بن كعب بن كعب بن الدجن بن زيد بن عمرو بن امرئ القيس الهمداني (توفي في عهد الحكم بن هشام)، والقاضي أبو عبد الله محمد بن بشر بن شراحيل المعافري (ت: 198هـ، 814م)، والقاضي يحيى بن معمر بن عمران بن منير بن عبيد بن أنيف الألهاني (ت: 229هـ / 844م)، والقاضي سليمان بن أسود بن يعيش بن سليمان بن جثيب بن المعلى بن إدريس بن محمد بن يوسف الغافقي، والقاضي أبا معاوية عامر بن معاوية بن عبد السلام بن زياد بن عبد الرحمن بن زهير بن ناشرة بن لوزات اللخمي، والقاضي أبا محمد النضر بن سلمة بن وليد بن أبي بكر بن عبيد بن بلج بن عبيد بن علي الكلابي القيسي (ت: 302هـ / 914م)، والقاضي منذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن قاسم بن عبد الملك بن نجيح النفري الكزبي (ت: 355هـ / 966م)، والقاضي أبا بكر محمد بن إسحاق بن منذر بن إبراهيم بن محمد بن السليم بن أبي عكرمة (ت: 367هـ / 978م).⁽¹⁾

الخلاصة والتعليق:

وصل البحث إلى النتائج للجهود الدعوية للقضاة في الأندلس هي:

- 1- تولية سلطة القضاء وعزلهم بيد الأمير أو الخليفة فقط، ولكن الأمير عبد الرحمن الأوسط لا يولي القضاء ولا يعزله إلا برأي الفقيه يحيى بن يحيى.
- 2- صلاحيات قاضي الجماعة محدودة في العاصمة قرطبة، وهو ليس عنده اختيار في أمور الكور والثغور الأقاليم، وأما إسم قاضي القضاة قد ظهر في عهد عبد الرحمن الناصر.

(1) راجع: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس. الحشني، قضاة قرطبة وعلماء إفريقية. النباهي، تاريخ قضاة الأندلس. المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب. الذهبي، سير أعلام النبلاء. الذهبي، تذكرة الحفاظ. ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب. ابن حيان، المتنبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق: مكّي. عنان، دولة الإسلام في الأندلس. ابن فرحون، الديباج الذهب في معرفة أعيان علماء المذهب. ابن عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك. ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب.

- 3- منصب القضاء هو مسؤولية لا يولي إلا لرجل عالم، فقيه، مجتهدا، وصاحب خبرة وتجربة في أمور القضاء.
- 4- وكذلك القضاة عندهم مسؤولية الصلاة الجماعية والخطبة، مثل صلاة الجمعة والعيدين، وفي بعض الأحيان يعين للصلاة والخطبة شخص آخر.
- 5- كان القضاء هي مسؤولية عظيمة في الدولة، والقضاة هم أصحاب الاحترام من قبل الأمير والخليفة والرعية، وليس لهم لباس خاص.
- 6- وكان للقضاة في الأندلس جرأة وشجاعة في الجهر على الحق حتى على الخليفة أو الأمير أو غيره، وكان مجلس القاضي في المسجد أمام الجميع.
- 7- ومن اختصاصات القضاة التثبت في رؤية الهلال بواسطة الشهود. وكان يفصل في الخصومات بين الناس، وقضايا اليتامى والأيتامى والأحباس والمواريث والحدود، والخروج للغزو، وقيادة الجيوش في بعض الأحيان، وإشراف على بناء المدن والحصون العسكرية، والسفارة وغير ذلك من المهام الأخرى.

المبحث الثاني

نظام الحسبة ودوره في معالجة القضايا الاجتماعية والاقتصادية

الحسبة من أهم نظم الشريعة الإسلامية في معالجة القضايا الاجتماعية والاقتصادية، والمحتسب كانت له اختصاصات في الأندلس، وكان من وظيفته مراقبة الأسواق لمنع الغش وجميع المخالفات التي تضر بالدين والمجتمع.

تعريف الحسبة لغة واصطلاحاً:

أ- الحسبة لغة:

كلمة الحسبة في اللغة لها معان عديدة، منها: طلب الأجر كما جاء في لسان العرب: "الاحتساب طلب الأجر والإسم الحسبة بالكسر وهو الأجر، واحتسب فلان ابناً له، إذا مات وهو كبير، وفي الحديث عن النبي ﷺ: "من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه"، (1) أي طلباً لوجه الله عز وجل وثوابه. والاحتساب من الحسب كالاعتداد من العد، وإنما قيل لمن ينوي بعمله وجه الله: أحسب لأن له حينئذ أن يعتد عمله، فجعل في حال مباشر الفعل كأنه معتد به. والحسبة إسم في الاحتساب كالعَد من الإعتداد. والاحتساب في الأعمال الصالحات، وعند المكروهات، هو البدار إلى طلب الأجر، وتحصيله بالتسليم والصبر، أو باستعمال أنواع البر والقيام بها على الوجه المرسوم فيها للثواب المرجو منها". (2)

ويأتي بمعنى التدبير والنظر في الأمور، "إنه لحسن الحسبة في الأمر، أي حسن التدبير والنظر فيه". (3)

وكذلك يأتي بمعنى الإختبار والامتحان، "أحتسبت فلاناً، أي أختبر ما عنده، والنساء يحتسبن ما عند الرجال لهن، أي يختبرن"، والحسبة طلب الشيء والبحث عنه، "ذهب فلان يحتسب الأخبار، أي يتحسسها، ويتحسسها ويطلبها تحسباً". (4)

(1) الإمام البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: صوم رمضان إحتساباً من الإيمان، 1/ 14.

(2) ابن منظور، لسان العرب، مادة: حسب، 1/ 305.

(3) ابن منظور، لسان العرب، مادة: حسب، 1/ 307.

(4) ابن منظور، لسان العرب، مادة: حسب، 1/ 308.

ويأتي بمعنى الإنكار، "احتسب فلان على فلان، أي أنكر عليه قبيح عمله"، ويأتي أيضاً بالاعتداد، "فلان لا يحتسب به، أي لا يعتد به".⁽¹⁾

فجميع هذه المعاني متقاربة فيما بينها، وداخلة في كلمة الحسبة وعمل المحتسب، لأن المحتسب يمارس عمله للأجر، والمحتسب ينظر بحسن التدبير ويختبر من يريد أن يكلفه بالعمل، ويختبر صدق الناس في جميع أمورهم، ويطلب المنكرات ويتحسسها لينكرها، ويقطع الشر في مهده.

ب- الحسبة اصطلاحاً:

كلمة الحسبة لها عديد من التعريفات في اصطلاح العلماء، ومن أشهرها تعريف للماوردي⁽²⁾ والقاضي أبي يعلى⁽³⁾ وهو: "الحسبة هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله".⁽⁴⁾ وكذلك تعريفات أخرى في الاصطلاح⁽⁵⁾ لكن هذا التعريف أشمل التعريفات للحسبة.

أولاً: مكانة الحسبة في الإسلام:

الحسبة من أهم الواجبات الدينية التي أمر الله بها المسلمين، حيث قال الله تعالى: ﴿كَبُرَ الْكُفْرُ الْكُفْرَانُ﴾

(1) الزمخشري: أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت: 528هـ)، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ص 83.

(2) هو أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، ولد بالبصرة سنة 364هـ/975م ونشأ بها ودرس فيها الفقه الشافعي، ثم رحل إلى بغداد ودرس فيها، وتوفي سنة 450هـ/1058. (ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، 3/285. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 1/326).

(3) هو القاضي أبي يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء الفقيه العالم، ولد سنة 380هـ/990م ببغداد، ونشأ فيها وتلقى العلم من والده ومشائخ آخرين، وتولى القضاء للدولة العباسية، وتوفي سنة 458هـ/1066م. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، 18/89).

(4) الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ص 391. الفراء: أبي يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف الفراء (ت: 458هـ/1066م)، الأحكام السلطانية، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط 2، دار الكتاب العلمية بيروت- لبنان، عام 1421هـ/2000م، ص 268.

(5) ومن تعريفات الحسبة: قال أبو حامد الغزالي: "الحسبة عبارة عن المنع عن المنكر لحق الله، وصيانة للممنوع عن مقارنة المنكر"، وتعريف آخر: "وهي عبارة شاملة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر". (الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي (505هـ/1111م)، إحياء علوم الدين، ط 1، دار المنهاج للنشر والتوزيع، السعودية- الرياض، عام 1432هـ/2011م، 2/312، 327). وقد ذكر ابن الخوة: "هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله وإصلاح بين الناس". (ابن الأخوة: محمد بن شريف القرشي (ت: 729هـ/1329م)، معالم القرية في أحكام الحسبة، تحقيق: روبرن ليون، مطبعة دار الفنون- كمبرج، عام 1937م، ص 23).

أما حكم الحسبة في الإسلام فهي واجبة على جميع الأمة الإسلامية حسب استطاعتهم، ولا يسقط عنهم إلا بتحقيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتكون الأمة آثمة حتى يزول المنكر القائم، وإذا قام به من يكفي لإزالته سقط الإثم عن الآخرين، أو تبذل جميع الأمة ما في وسعها حتى يزول المنكر. (1)

والحسبة في الإسلام من أهم أمور حياة المسلمين، لأن الأمر بالمعروف من أعلى واجباتهم الدينية لقول النبي ﷺ: "ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب، يأخذون سنته، ويقتدون بأمره، ثم إنهما تخلف من بعده خلوف، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل". (2)

فحكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واضح، لو تركت مجاهدة المنكرين باليد أو اللسان أو القلب ومنحرفين عن منهج الأنبياء فلا يعد مؤمناً، والحسبة من ضروريات الحياة ولا تقوم الحياة سعيدة إلا بالتعاون على البر والتقوى، والحياة سعيدة للمسلمين لا يأتي إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإصلاح المجتمع في معاشه ومعاده، وعن طريق نظام الحسبة ترفع أسلوب الحياة والأخلاق والحفاظ على الدين والمجتمع وإزالة الضرر فيه، حيث قال ابن خلدون: "الحسبة من الوظائف الدينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي هو فرض على القائم بأمر المسلمين أن يعين لذلك من يراه أهلاً له، فيتعين فرضه عليه، ويتخذ الأعوان على ذلك، ويبحث عن المنكرات، ويعزز ويؤدب على قدرها ويحمل الناس على المصالح العامة في المدينة، مثل المنع من المضايقات في الطرقات، ومنع الحمالين وأهل السفن من الأكل في الحمل، والحكم على أهل المباني المتداعية للسقوط بهما.. وإزالة الغش والتدليس في المعايير وغيرها في المكاييل والموازين". (3)

المفهوم بأن الحسبة تشمل جميع مقومات الحياة الإسلامية، والاحتساب عام يتناول كل مشروع في العبادات وحتى يعد القضاء من أبواب الحسبة.

ثانياً: نظام الحسبة في الأندلس:

(1) راجع عن أنواع وجوب الحسبة وأدلتها كتاب: الدكتور فضل إلهي: الحسبة تعريفها ومشروعيتها ووجوبها، ط 1، دار الحضارة للنشر والتوزيع، عام 2010م، ص 44.

(2) الإمام مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، 2/ 57.

(3) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص 222 وما بعدها.

الحسبة في الأندلس كانت مرتبطة بالإسلام كلياً، وهي دعوة إلى الخير وتحذير عن الشر، فالمسلمون لما فتحوا بلداً يوجد فيه الحسبة، وهي مبنية على الدعوة إلى الخير ودخول الناس في الإسلام، والحسبة هي دعوة للمسلمين إلى الإستقامة على شرائع الإسلام، والحسبة هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنها منهج الرسل في الدعوة إلى الإسلام وإقامة العدل، لذلك أصبحت بلاد الأندلس بعد فتحها وتطبيق نظام الحسبة مركز العلوم والفنون.

لما دخل المسلمون إلى الأندلس دخل معهم نظام الحسبة، كما قال ابن قتيبة⁽¹⁾ عن موسى بن نصير: "إن موسى بن نصير رحمه الله لما وغل وجاوز سرقسطة، اشتد ذلك على الناس وقالوا: أين تذهب بنا، حسبنا ما في أيدينا، وكان موسى بن نصير قال حين دخل إفريقية، وذكر عقبة بن نافع: لقد غرر بنفسه حين وغل في بلاد العدو، والعدو عن يمينه وعن شماله وأمامه وخلفه، أما كان معه رجل رشيد، فسمعه حبيش الشيباني⁽²⁾ وقال: فلما بلغ موسى ذلك المبلغ، قام حبيش فأخذ بعنانه، ثم قال: أيها الأمير إني سمعتك وأنت تذكر عقبة بن نافع تقول: لقد غرر بنفسه وبمن معه أما كان معه رجل رشيد؟ وأنا رشيدك اليوم، أين تذهب؟ تريد أن تخرج من الدنيا أو تلتمس أكثر وأعظم مما آتاك الله عز وجل، أعرض مما فتح الله عليك، ودوخ لك إني سمعت من الناس ما لم تسمع، وقد ملئوا أيديهم، أحبوا الدعة، قال: فضحك موسى ثم قال: أرشدك الله، وكثر في المسلمين مثلك، ثم أنصرف قافلاً إلى الأندلس".⁽³⁾

فهذا يدل على أن المسلمين كانوا يقومون بالحسبة فيما بينهم لما يرى المنكر، وكانت وظيفة العلماء والولاة في عصر الولاة، والمسلمون في عصر الولاة كلهم جنود ولكن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان قائماً بينهم، كما ذكر الخشني في ترجمة القاضي مهاجر بن نوفل، يقول: "كان يحتسب على كل من أتاه للخصومة في مجلس القضاء، وأنه من شدة تأثيره على الناس ربما رجع عنه المتخاصمون، وقد تعاطوا بينهم الحقوق، دون أن يصدر القاضي أي حكم بينهم، وكذلك قيام القاضي يحيى بن يزيد التجيبي بالاحتساب على عبد الرحمن بن يوسف الفهري".⁽⁴⁾

فالخلاصة إن الحسبة كانت موجودة بين المسلمين في عصر الولاة التي يقوم بها العلماء وغيرها من المصلحين

(1) هو الفقيه أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ولد سنة 213هـ/828م وتوفي سنة 276هـ/889م، وله كتاب الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء.

(2) حبيش الشيباني لم أجد ترجمته.

(3) ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة- المعروف بتاريخ الخلفاء، 2/80.

(4) الخشني، قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، ص 46، 48.

دون أن يخصص له وإل معين.

ولما قام عصر الإمارة في الأندلس فأنشأ خطط إدارية وغير الأوضاع، وقام العدل وانتشر العلوم والفنون في جميع أرجاء الأندلس، وكان الأمير عبد الرحمن الداخل يعتني كثيراً بالنظام، وخطه الشرطة لها مهمة بحفظ الأمن وكان يتولاها العلماء، ومن مهامها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحفظ الأمن والاستقرار.

ولما تولى الأمر هشام بن عبد الرحمن الداخل وهو أول من جعل للحسبة نظاماً مستقلاً خاصاً، وكان يرسل العلماء والوعاظ والدعاة إلى جميع أنحاء الأندلس للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعين بالمدن شرطة لمنع الشجار وارتكاب الجرائم. (1)

وكان الأمير هشام مجتهداً في الاحتساب بنفسه وأقام له نظاماً خاصاً واسع النطاق، وكان للمحتسب سلطة عالية وتصرف واسع، وهو مسؤول عن جميع شؤون المدينة سواء الدينية والدنيوية، ويعد حاكماً محلياً للمدينة.

وأما فصل السوق عن الشرطة فكانت في عهد عبد الرحمن بن الحكم، حيث قال ابن سعيد: "هو الذي ميز (الأمير عبد الرحمن بن الحكم) ولاية السوق عن أحكام الشرطة المسماة بولاية المدينة، فأفردتها وصير لوالها ثلاثين ديناراً في الشهر، ولوالي المدينة مائة دينار"، (2) وانقسمت الشرطة إلى ثلاثة أقسام بمرور الزمن والحسبة أصبحت وظيفة مستقلة وصاحبها يعرف بصاحب السوق، (3) وكذلك علاقة الشرطة والحسبة ظلت مرتبطة مع بعضهما البعض في كثير من الأحيان، فللمحتسب سلطة حين ضرب رجلاً من قرابة الأمير وحبس ثم أطلقه فشكاه الرجل عند الأمير، فقال: "لم فعلت هذا؟ قال: لم أفعله أنا، بل فعله الأمير أعزه الله، لأنه ولاي وأمرني بنصفه الحقوق وتغيير المنكر على جميع الناس، ولم يستثنى هذا ولا غيره، فتركه الأمير وأمر أصحابه بالتحرز منه". (4)

فاستمر الوضع هكذا إلى آخر عهد الخلافة، وظلت خطة الشرطة والسوق مرتبطتان في كثير من الأحيان.

ثالثاً: الحسبة ودورها في معالجة القضايا الاجتماعية والاقتصادية:

(1) علي الجازم، قصة العرب في إسبانيا، نشر دار المعارف - مصر، عام 1963م، ص 61.

(2) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 1/ 46.

(3) المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 328.

(4) ابن عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، 4/ 117.

الحسبة كانت لها دور بارز في إصلاح المجتمع والحفاظ على التربية والأخلاق الإسلامية والقيم العالية، كما أن مهمة المحتسب يتولاها كبار العلماء.

وكان المحتسب له خيار في معاقبة المجرمين حتى إلى القتل في بعض الأحيان، ولها دور أيضاً في مراقبة الأسواق ومنع جميع المحرمات والمنكرات، وإن للمحتسبين نظاماً للدراسة يتدارسون فيما بينهم، وكانت تدخل في جميع شئون الحياة للمجتمع الأندلسي. (1) وأذكر بعض نماذج للحسبة في الأندلس.

أ- مراقبة الأسواق:

كان المحتسب أكثر نشاطه ينحصر في الأسواق والأماكن العامة، لذلك يعرف بصاحب السوق، وكان يقوم بالمحافظة على المصالح العامة في الأسواق كمنع العش والتدليس ومراقبة الأسعار وغيرها، وله هيبه عند الناس.

ففي مراقبة الموازين والمكاييل ومنع الغش يقول المقرئ التلمساني: "والعادة أن يمشي ركباً على السوق، وأعوانه معه، وميزان الذي يزن به الخبز في يد أحد الأعوان لأن الخبز عندهم معلوم الأوزان، للربح من الدرهم، رغيف على وزن معلوم وكذلك الثمن"، (2) فيوضح عن هذا أن للمحتسب جولات في الأسواق، وله ميزان صحيح ليوزن ويختبر به الموازين الأخرى.

وكان المحتسب يختبر أهل السوق بطرق مختلفة، كما كان يرسل الصبي الصغير لشراء بعض شيء، ثم يقوم به فيختبر في السعر والوزن، لو وجد نقصاً يعاقب التاجر الذي خالف أحكام السوق، وذكر عن حسين بن عاصم (3) الذي تولى أحكام السوق في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن: "كان شديداً على أهلها في القيم، يضرب الباعة ضرباً شديداً مبرحاً". (4)

أما أنواع العقاب أحياناً الضرب وأحياناً التجول في الأسواق لتشهير المعاقب، حتى يكون معلوماً عند الناس،

(1) المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 218. موسى لقيال، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي، ط 1، عام 1971م، ص 35.

(2) المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 218.

(3) هو أبو الوليد حسين بن عاصم بن كعب بن محمد بن محمد بن علقمة الثقفي من أهل قرطبة، تولى للأمير محمد بن عبد الرحمن أحكام السوق، وتوفي سنة 263هـ/ 877م. (ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 1/ 133).

(4) ابن حيان، المقتبس من أبناء أهل الأندلس، تحقيق: مكّي، ص 212.

ولو تكرر منه الجرم يخرج من السوق أو ينفى إلى مكان آخر، (1) وكذلك لمنع الغش في الصناعات يضمن الصانع ما غش فيه، لو وجد الغش يعاقب بتلافه عليه أو بإخراجه من بلده، أو بتغيره مالاً بسبب غشه، حيث ذكره القاضي عياض (2) في ترجمة أبي صالح أيوب سليمان (3) قال: "سئل أبو صالح: ما الأصل في تضمين الصانع؟ فقال قول رسول الله ﷺ: "لا تتلقوا السلع"، (4) فحكم للعمامة على الخاصة فكذلك حكم هاهنا للعمامة على الخاصة لأن الصانع خاصة، والمستعملون لهم عامة". (5)

المحتسبون كانوا يراقبون أهل الصناعات ويأخذون منهم تضمين الصانع والبضائع المغشوشة، لو حدث الخلاف مراراً عن أوامر المحتسبين وأظهروا عقداً بأداء الناس، فالمحتسبون يخرجون من السوق، كما يوجد فتوى بهذه المناسبة في الأندلس، وهي: "إنه لا سبيل لهم إليه، ولا يباح لهم القيام عليه، ولا يسمع لهم فيه، والمعترض له أولى بالخروج من السوق، وأن تحرق أعمالهم الفاسدة لغشهم بها واستحلالهم أموال المسلمين فيها". (6)

فمن عادة المحتسبين كانوا يراجعون الفقهاء في المسائل يكون حكمها صعباً أو عقوبات يوقعونها على المخالفين، يقول عبد الملك بن حبيب: "سألني صاحب السوق عن رجل فجر في السوق فأمرته أن يخرج منه ولا يتركه فيه". (7)

والخلاصة أن المحتسبين كانت لهم أساليب كثيرة في مراقبة الصناعات وأنواعها، وكانوا يراقبون دائماً السوق في جميع الجوانب سواء الأسعار، والموازين، والمكاييل، والغش، والتدليس وكل ما يتعلق بمعاملة الناس، وكانوا يتحملون عبئاً لتقديم معالجة القضايا الاجتماعية والاقتصادية في الأندلس.

(1) المقري التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 218. موسى لقيال، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب، ص 35.

(2) هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرو السبي ولد في مدينة سبتة سنة 476هـ/ 1083م، وكان مواظباً على العلم بالأندلس وتنقل لطلب العلم كثيراً، وألف كثيراً من الكتب، وتوفي سنة 544هـ/ 1149م. (ابن عياض، مقدمة ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، 1/ 1).

(3) هو أبا صالح أيوب بن سليمان بن هاشم بن صالح المعافري قرطبي أصله من جيان، وروى العلم كثير من العلماء، وتولى السوق للأمير عبد الله بن محمد. (ابن عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، 4/ 149. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 1/ 102).

(4) الإمام البخاري، صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب النهي عن تلقي الركبان، 3/ 28.

(5) ابن عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، 5/ 153.

(6) خلاف، وثائق في شئون الحسبة في الأندلس، ص 51.

(7) خلاف، وثائق في شئون الحسبة في الأندلس، ص 58.

ب- مراقبة الأخلاق الإسلامية ومحاسبة المبتدعين:

الأخلاق الإسلامية هي معرفة المسلم في المجتمعات، وكل من يخالف الأخلاق الإسلامية يعاقبهم، كما أن المحتسبين في الأندلس كانوا يراقبون خلق الناس، وكل من يخالف الإسلام يعاقبون عليه أشد العقوبات.

فالمحتسبون كانوا يمنعون الناس عن شهادة الزور ويعاقبوهم، كما قال محمد بن لبابة: "حضرت إبراهيم بن حسين بن خالد (1) قد ضرب شاهد زور عند باب الجامع أربعين سوطاً، وحلق لحيته وسخم وجهه". (2)

شهادة الزور من كبائر الذنوب حيث قال النبي ﷺ: "آلا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله، وذكر: آلا وقول الزور وشهادة الزور، آلا وقول الزور وشهادة الزور، فما زال يقولها حتى قلنا آلا سكت". (3) وشهادة الزور هي من مفسدات المجتمع، ولما تنتشر فيه شهادة الزور وهي تكتفي لهلاكه باستحلال دمائه وأمواله.

وكان المحتسبون يراقبون الناس في شرب الخمر والمسكرات، وكانوا يحرصون على سلامة المجتمع من هذه المحرمات، بل يعاقبون عليها أشد العقوبة، كما أن محتسباً جاء برجل به رائحة الخمر إلى القاضي، فأمر القاضي أن يحقق عليه هل هو شرب الخمر أم لا؟ ولما حقق لم يثبت عليه شرب الخمر، فتركه ولم يقم عليه الحد، (4) لأن المحتسب قبض عليه لمجرد الشك لوجود رائحة الخمر، ولو ثبت عليه يقيم عليه الحد دون أن يأتي به إلى القاضي.

وفوق ذلك شهد رجلان عند قاضي الجماعة على أحما يعرفان شخصاً يعصر الخمر وبيعها ويشربها ويدخرها، ورأى أنه أهل الشر ويترتب عليها مفسدات كبيرة، استشار القاضي الفقهاء في هذه القضية، فأصدرت الفتوى من أهل الشورى: "فأما شرب الخمر ففيه الحد ثمانون سوطاً، وأما عصرها وبيعها، فالأدب على قدر ما يردعه عن ذلك وينهاه، وأما جمع أهل الشر والفساد، فأكثر من ذلك من الأدب، والحبس حتى تظهر توبته". (5)

لذلك الحفاظ على المجتمع من جميع المفسدات هو مسؤولية المسلمين وخاصة المحتسبين والفقهاء والعلماء، لو

(1) إبراهيم بن حسين بن خالد كان صاحب السوق في زمن الأمير عبد الرحمن بن الحكم، وهو يعاقب شاهد الزور بأغلظ العقوبات.

(2) ابن عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، 4/ 244.

(3) الإمام البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب عقوب الوالدين من الكبائر، 7/ 70.

(4) ابن عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، 5/ 206.

(5) خلاف، وثائق في شئون الحسبة في الأندلس، ص 109.

اجتمع أهل الفساد كان شرهم أكثر واعتداءاتهم أكبر، وبالخصوص شرب الخمر التي هي أم المخبائث، ولهذا أصدرت فتوى الفقهاء بالعقوبة الكبيرة أكثر من عقوبة عصر الخمر وبيعها، وفي عهد الحكم المستنصر أراد أن يقضي على شجرة العنب، حتى يقضي على الخمر، فقيل له: إنها تعصر من غير العنب كالتين وغيره، فعدل عن رأيه. (1)

الخمر في المجتمع الإسلامي وغيره أكثر ضرراً ومنبع الشر، ويجب على الناس سواء من المسلمين وغيرهم منعها، ومنع جميع الوسائل تؤدي إليها، وللمحتسب معاقبة كل من يتعاون في المسكرات حتى لو كان أهل الذمة، لأن أهل الذمة لا يظهروا أي محرم في الإسلام في بلد المسلمين، لحفاظ المجتمع الإسلامي.

ومن حفاظ مجتمع الإسلامي هي منع الاختلاط، ومنع جميع وسائل تؤدي إلى فساد المجتمع، وكان من وظائف المحتسب منع أي نوع من إختلاط أو أي ريبة تؤدي إلى محرم، لو خرجت المرأة من بيتها لحاجة يجب أن يكون هذا الخروج مأمون العواقب، كما ذكر: "يجب أن يحذَّ المحتسب لمن - أي النساء - أن يغسلن في موضع مستور عن الناس، وينهى الناس والمعدنين أن يتسوروا عليهن في ذلك الموضع، ويجب أن يمنع النساء أن يجلسن على ضفة الوادي إلا إن كان في موضع لا يجلس فيه الرجال". (2)

مجتمع الإسلامي طاهر نقي في جميع الجوانب، ورجال الحسبة هم الحرس لتلك القيم الإسلامية لحفاظ عليها، كما قام المحتسبون على محاربة البدع والخرافات في الأندلس، وكانوا يجارون كل المبتدع المحدث ما ليس منه، فلا يترددون في قتله، كما أن رجلاً ادعى النبوة في الثغر الأعلى، وكان عنده خرافات، منها: "الحد في القرآن، فأحاله عن وجهه وأوله على غير تأويله، وقام معه خلق كثير، وكان يمنع عن قص الشارب والأظفار، ويقول: لا تغيروا خلق الله، فأرسل عبيد الله (3) من جاء به فلما دخل عليه، وكاشفه، كان أول ما ابتدأه به أن دعاه إلى إتباعه فاستشار فيه عبيد الله أهل العلم عنده، فأشاروا باستتابته ثلاثة أيام، فإن تاب وإلا قتل. ففعل به ذلك فلم يتب، فأسلمه للقتل صلباً، فجعل يقول: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟ فأمضى عبيد الله قتله بالفتوى، وكتب إلى الأمير بأمره فأحمد فعله". (4)

(1) ابن الأبار، الحلة السيرة، 203 / 1.

(2) التجيبي، ثلاث رسائل أندلسية في آداب القضاء والحسبة والمحتسب، ص 32.

(3) هو عبيد الله بن يحيى بن خالد كان والياً للأمير عبد الرحمن بن الحكم على الثغر الأعلى. (ابن حيان، المقتبس من أبناء أهل الأندلس، تحقيق: مكّي، ص 157).

(4) ابن حيان، المقتبس من أبناء أهل الأندلس، تحقيق: مكّي، ص 157.

بالليل".⁽¹⁾

وكان المحتسبون يراقبون الوعاظ، والمعلمين، والدعاة، والعلماء للحفاظ على سلامة مبادئ الإسلام وصحة الاعتقاد، ويقفون على وجه كل من خالف عن القيم الإسلامية، بل جميع أهل الأندلس كانوا من أشد الناس على التمسك بالدين في كل صغيرة وكبيرة، والمحتسبون كانوا يرفعون أمر من تقدم للتعليم وهو غير عالم إلى القاضي لمنعه وإجراء ما يراه مناسباً، وخاصة المحتسبين يقومون على كل من يخالف مذهب الإمام مالك، ولهذا حدث لبقلي بن مخلد، كما ذكر ابن حيان: "فلما رجع بقلي بن مخلد إلى الأندلس أدخل معه مصنف ابن أبي شيبة إلى الأندلس، فقام أهل الحسبة وأنكروا عليه كتابه، حتى وصل الأمر إلى الشورى وتم الأمير محمد بن عبد الرحمن، وأمر بإحضار بقلي بن مخلد ونظر الأمير على كتاب (المصنف) فأمر خازن كتبه بنسخ الكتاب، وقال: (إن خزانة كتبنا لا تستغنى عنه)، وأمر بقلي بن مخلد أن ينشر علمه، ومن ذلك الحين أصبح لبقلي أعلى شأن في الأندلس".⁽²⁾

هكذا كان المحتسبين يراقبون المساجد، والعلماء، والوعاظ، والدعاة، والمعلمين وغيرهم لحفاظ المجتمع.

الخلاصة والتعليق:

كان نظام الحسبة في الأندلس من أعلى نظم الإدارية، وعمالمهم كانوا معروفون بالورع والتقوى والعلم والمعرفة، وموصوفون بالعفة والفطنة، وكانوا ذو رأي في أمر المحاسبة، ويتبع منهج اللين من غير ضعف والشدة من غير عنف، ومن اختصاصات المحتسبين عبارة عن تفقد الأسواق، ومراقبة المكاييل والموازين، ومنع الغش والتدليس، واستقرار الأسعار للسلع في السوق، ولا يسمح لأحد أن يبيع السلعة بأكثر أو أقل من السعر المحدد، ومنع احتكار السلعة، ويحرص على نظافة السوق وجودة البضاعة، وجعل لكل حرفة سوقاً خاصاً بها لسهولة الناس، وجعل لكل طائفة رئيساً يسمى (الأمين)، والأمين عندهم معرفة بالصناعة خبيراً بها كأمين الجزارين وأمين الطراز وغيرها، وكان يراقب العملة التي تعكس الوجه الحضاري للدولة، وكان يمنع أهل البلد عن الربا وترويج الدراهم والدنانير المزيفة وغش الناس بها وعليه، ولا يسمع عملة من غير عملة البلد لأجل الفساد النقدي والزيادة في الصرف واختلاف الأحوال..

ومن وظائف المحتسبين مراقبة الأخلاق العامة كالخانات، وشاربي الخمر، وتبرج النساء، ومنعهن من أتباع الجنائز وزيارة القبور، وعدم الخروج إلا مع محرم، ومنع التجول النساء بالرجال في الأسواق، ومنع أهل الذمة من

(1) التجيبي، ثلاث رسائل أندلسية في آداب القضاء والحسبة والمحتسب، ص 73.

(2) ابن حيان، المقتبس من أبناء أهل الأندلس، تحقيق: مكّي، ص 248.

الأشراف على المسلمين، ومنع جميع المحرمات في البلد. وكانوا يراقبون العبادات، والمساجد والوعاظ، والعلماء، والمعلمين، والدعاة لحفظ البلد والمجتمع من البدع والخرافات وضعف النظام الاقتصادي والاجتماعي، وكانوا يرفعون الأمر الذي ليس لهم به علم إلى الفقهاء وأهل الشورى.

الباب الثالث

آثار الجهود الدعوية في بلاد الأندلس

إن الضروريات الخمس وما شرعته الشريعة لحفظها من الأمور العظيمة، كما قال الإمام الشاطبي (1) وهو: "لا بد منه في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة؛ بل على فساد وتهاجر وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم، والرجوع بالخسران المبين". (2)

فإذن ما تقوم حياة الناس عليه لا بد منه لاستقامة مصالحهم الضروريات، إذا فقدت الأشياء اختل نظام الضروريات، وحياة الناس بدونها لا تستقيم، فتعم الفوضى والمفاسد هذه الضروريات، وتلك الضروريات تعرف بالكليات الخمسة، وهي: الدين، والعقل، والنسل، والمال، والنفس، ومقصود الشريعة منها: أن يحفظ عليهم دينهم، وأنفسهم، وعقولهم، ونسلهم، وأموالهم، كما قال الإمام الشاطبي: "اتفقت الأمة بل سائر الملل على أن الشريعة وضعت للمحافظة على هذه الضروريات الخمس، وهي: الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل". (3)

حفظ الدين أولها، أكبر الكليات الخمس وأرقاها، لأن الغاية التي خلق الخلق لها هو هذا، الدليل؟ قال تعالى: ﴿يَجْزِيكَ يَوْمَئِذٍ الَّذِي أَبْقَيْتَهُمْ﴾، (4) وضياعه ضياع بقية المقاصد، لذا فقد شرع الله من الوسائل ما يتمم به حفظ الدين، ومن ذلك: تعلمه، والعمل به، والدعوة إليه، والحكم به، والجهد من أجله، ورد ما يخالفه، والصبر على الأذى في سبيل تحقيق ذلك.

من أهم الضرورات بعد حفظ الدين هو حفظ النفس، جعل له الشرع تدابير كثيرة في حفظه، وفي منع زواله، وقد بين لنا طرق المحافظة على النفس من جهة الوجود في نفس المنهج، وتحقيق الوجود من الزوال؛ فالأشياء التي أتت الشريعة بها لحفظ النفس من جهة الوجود نحافظ عليها.

وتأتي في المرتبة الثالثة من الضروريات الخمس حفظ العقل التي ميز الله به الإنسان، وجعل العقل مناطاً للتكليف، والعقل جزء من النفس، نجد أن الشرع قد جاء بما يكفل الحفظ لهذه النعمة الإلهية العظيمة، وشرع تدابير

(1) الشاطبي: هو أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي الغرناطي، من أبرز علماء في الفقه الإسلامي، ومن أشهر كتبه الموافقات، وهو كتاب في بيان مقاصد الكتاب والسنة والحكم والمصالح الكلية الكامنة تحت آحاد الأدلة ومفردات التشريع، والتعريف بأسرار التكليف، وهو محصور في خمسة أقسام: المقدمات العلمية المحتاج إليها، والأحكام، ومقاصد الشريعة، الأدلة، والإجتihad، وتوفي سنة 790هـ.

(2) الشاطبي: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي (ت: 790هـ)، الموافقات، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، 324/2.

(3) الشاطبي، الموافقات، 1/31.

(4) سورة الذاريات، رقم الآية: 56.

قَفَّ، (1) وقال أيضاً: قَفَّ قَفَّ قَفَّ، (2) وأيضاً قال النبي ﷺ: "ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده". (3)

(1) سورة الملك، رقم من الآية: 15.

(2) سورة الجمعة، رقم من الآية: 10.

(3) أمام البخاري، صحيح البخاري، رقم الحديث: 2072.

الفصل الأول

آثار الجهود الدعوية في المجال الديني والعلمي في الأندلس

لقد مرت الأندلس على مراحل عديدة وصعبة وظلت فترة طويلة تحت الحكم الروماني، ودخل إليها أثناء حكمهم المذهب النصراني الكاثوليكي، واستولى هذا المذهب جبراً على المذاهب الأخرى كالأريوسية واليهودية والوثنية وغير ذلك، لكن زاد القلاقل والكراهة نحو المذهب الكاثوليكي، فأصدر قرار القتل لمن لم يعتنق المذهب الكاثوليكي، وأعلن القضاء على المذاهب الأخرى وإجبار أهلها على النصرانية الكاثوليكية.

وأن اليهود كانوا استقروا في الأندلس ويشكلون عنصراً مهماً من سكان الأندلس، فلما وجه الإجماع والاضطهاد على اعتناق الكاثوليك نحوهم لم يرضوا بها، لذلك كثير من اليهود قتلوا، وبعضهم اعتنقوا المذهب الكاثوليكي كرهاً، وبعضهم نفوا عن البلد وأخذ منهم الأموال، لأن اليهود كانوا من أغنى الناس في الأندلس.

والديانة العامة في الأندلس قبل الفتح الإسلامي هي النصرانية على المذهب الكاثوليكي، وكانت له السيطرة الروحية والحكومية في البلاد.

أما في الجانب العلمي فأهل الأندلس قبل الفتح الإسلامي كانوا لا يعرفون شيئاً إلا قليلاً، ولا تهتم الحكومة بالأمور العلمية، فلما دخل المسلمون أخذوا في تعليم الناس حتى أصبحت بلاد الأندلس منبع العلم ومركز الثقافة والحضارة، وكان المسلمون يخرجون الناس من الظلمات إلى النور ولمعرفة الحق.

وكانت الأندلس تحت حكم المسلمين أصبحت مركز العلوم والانتاج العلمي كالمهندسة، والحساب، والرياضيات، والجغرافية، والطب، والمخترعات، وفوق ذلك العلوم الشرعية الإسلامية، حتى وصل أثر هذه العلوم إلى أوروبا، وكل هذه الجهود الدعوية المتتالية بأيدي علماء المسلمين وحكامهم في الأندلس.

كما سبق ذكره أن حكام الأندلس المسيحيين قبل الفتح أجبروا أهلها على اعتناق النصرانية الكاثوليكية، وهذا المذهب كان تابعاً لرجال الدولة ولرجال الدين، فرجال الدين لهم سلطة مطلقة حتى في تعيين الحكام وعزلهم، ولما وصل الإسلام إليهم وقدم لهم عقيدة التوحيد وأنكروا الشرك والوثنية وأهله، وهدموا نظام الظلم والجور الذي تابع تحت ظل الدين، وحرر أهل الأندلس من عبودية العباد، حتى "أصبح أهل كل دين يؤمنون ما في نظامهم الديني من شرك، أو مظاهر شرك ووثنية، ورسومها وتقاليدها، ويلوون بذلك ألسنتهم، ويجتهدون في التعبير عنه وشرحه بما يقرب إلى التوحيد الإسلامي ويشبهه". (1)

وكذلك أثر الإسلام بالغ على مظاهر النصرانية الدينية، وظهرت النزاعات بينهم في القرنين الثاني والثالث الهجريين/ الثامن الميلادي تدعوا إلى إنكار الاعتراف أمام القساوسة وأنكروا منزلتهم، وليس للقساوسة حق في غفران إثم، لأن الإسلام ليس فيه القساوسة والرهبان والأخبار، فأثرت هذه الفكرة عليهم وأنكروا ما بنوا رجال الدين النصرانية.

وظهرت حركة تحطيم الصور والتماثيل المتعلقة بالدين النصراني متأثرة من الإسلام ومن العقيدة الإسلامية السليمة، وبدأت هذه الحركة في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي كانوا يرفضون تقديس جميع الصور والتماثيل والأصنام وقاموا بتحطيمها، وتم ظهرت طائفة من النصارى أنكروا عقيدة التثليث وأعلنوا بوحدانية الله عز وجل. (2)

فجميع الناس في الأندلس من اليهود والنصارى عاشوا بجانب المسلمين يسوى جميع الحقوق والواجبات فيما بينهم، وكانوا يقومون بعبادتهم في الكنائس والبيع إلى جانب المساجد، (3) وأخذوا أثراً كبيراً من المسلمين في العبادات والعقائد والشرائع والمعاملات، والعقيدة الإسلامية مؤثرة أكبر التأثير في عقائد غير المسلمين.

المسلمون لا يحاربون الأديان الأخرى، بل يحفظون ويعطفون ويكرمون ويحرون، كما قال بطريق النسطوري ياف الثالث: "المسلمون لا يحاربون العقيدة المسيحية، بل على العكس يعطفون على ديننا، ويكرمون قسنا وقديسي

(1) أبو الحسن الندوي: أبو الحسن علي بن عبد الحي الحسني الندوي (ت: 1420هـ/ 1999م)، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟، مكتبة الإيمان المنصورة أمام جامعة الأزهر- مصر، عام 2014م، ص 105.

(2) أحمد أمين، ضحى الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة القاهرة- مصر، عام 2012م، 1/ 235، 335.

(3) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، 1/ 65.

الرب، يجودون بالفضل على الكنائس والأديار".⁽¹⁾ وهذا التسامح سبب دخول المسيحيين إلى الإسلام.

ففي التشريعات كان لاتصال غير المسلمين بالمسلمين في عيشهم أثر واضح، وكثير من الذين بقوا على دينهم يذهبون إلى قضاة المسلمين في منازعاتهم، مع أنهم لهم حرية تامة في استقلالية القضاء، لكن أنهم رأوا في الشريعة الإسلامية العدل والتسامح والتعاطف، كما أنهم أخذوا أثراً كبيراً في معاملاتهم التجارية، كما يقول المؤرخ الإنجليزي ويلز في كتابه ملامح تاريخ الإسبانية: "إن أوروبا مدينة للإسلام بالجانب الأكبر من قوانينها الإدارية والتجارية".⁽²⁾

وأن للقضاء أثر بالغ في نشر الدعوة الإسلامية في الأندلس، كما أن حكام الأندلس أشد الناس تسليماً للحق وإقامة للعدل، لأن قضاة الأندلس كانوا فوق جميعهم،⁽³⁾ وكان نظام القضاء العادل شامل لجميع فئات المجتمع في الأندلس سواء من المسلمين وغيرهم، والعدل يقام على كل ظالم، واستقل لغير المسلمين نظام القضاء، ولو حدث شيئاً بين المسلم وغير المسلم فحكمهما على القضاء الإسلامية.

توجد في كتب التاريخ روايات كثيرة من صور العدل في الأندلس، وكذلك اعتراف كثير من علماء الأديان الأخرى على عظمة عدل الإسلام، وتعامل المسلمين مع غير المسلمين معاملة عادلة وكريمة وحسنة، فدخل كثير من أهل الأديان الأخرى إلى الإسلام لأجل قضاء عادل.

لذلك هذا التعامل العادل الحسن كان من أعلى وسائل الدعوة في الأندلس، وتأثر منه أهل الأندلس واعتنق كثير منهم الإسلام، حتى أكثر أهل البلاد أصبحوا من المسلمين وأقاموا في الأندلس أعظم وأعلى حضارة التي ليس لها مثيل في عصره.

ثانياً: الدفاع عن الدين والوطن:

الجهاد في سبيل الله من أعظم وسائل الدعوة إلى الإسلام، لأن الجهاد هو من ذروة سنام الإسلام، ولما خرج طليعة استطلاعية بقيادة طريف بن مالك نحو الأندلس وجاءوا منتصرين، جهز موسى بن نصير جيشاً بقيادة طارق بن زياد وانضم المسلمون في جيشه بكل حماس، لأنهم يعرفون أن مهمة الأمة الإسلامية هي الدعوة إلى الإسلام

(1) المنقول من كتاب: توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص 102.

(2) نقلاً عن: عثمان: محمد عثمان عثمان، محمد في الآداب العالمية المنصفة، جامعة ميتشيغان، عام 1996م، ص 76.

(3) راجع: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، ص 125. ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 79.

بلاغت الحكام وتعليماتهم، وعلى أبوابه توزع الزكاة والصدقات، (1) وكثر بناءات المساجد في جميع أنحاء الأندلس، كما يقول جورجى زيدان: "أن مساجد قرطبة وحدها كان عددها يقترب من ثلاثة آلاف مسجد". (2)

وكذلك للمساجد دور مهم في تثقيف بلاد الأندلس، لأن في الأندلس مراحل للتعليم ومن أهم مراحلها التعليم في المساجد واشتراك الطلاب في حلقات العلوم المتنوعة، فكثير من الناس جعلوا المساجد مكاناً لتعليم الصبيان، وكانت أكثر الجامعات في المساجد والطلاب يتوجهون إليها، (3) ومن أشهر الجامعات جامع قرطبة، فيها حلقات كثر، وكان الطلاب يرتحلون إليها للدراسة، ومهمة التدريس يتولاها كبار العلماء، ويدرس فيها القرآن، والقراءات، والتفسير، والحديث، والفقه، وعلوم اللغة وفنونها، وفوق ذلك العلوم التجريبية كرياضية، والهندسة، والفلك، والكيمياء، والطب، والصيدلة، والمنطق وغيرها.

فدور المساجد في نشر الدعوة ليس لها مثيل في الأندلس، وقدم للأمة عديداً من العلماء والفقهاء والفلاسفة وغيرها في مختلف العلوم، وجهاز جيلاً متميزاً لنشر العلوم الدينية والتجريبية، حتى أن غير المسلمين يرسلون أبنائهم إلى المساجد للدرس من علماء المسلمين واشتراك في مجالس حلقات العلم. (4) وهذا أثر بالغ على غير المسلمين في الأندلس.

رابعاً: الإصلاح في الأخلاق والمعاملات:

إن الأخلاق والتربية والمعاملات مرتبطة بالدين خاصة، وقد وجدنا كثيراً من الأمور أقره الإسلام ولم تصل إليها الآخرون، فأهل الأندلس قد أخذوا الأخلاق والتربية الإسلامية في المعاملات وفي جميع حياتهم حتى وصلت هذه الأخلاق إلى أوروبا، يقول جوليفه كستاو في كتابه قانون التاريخ: "أوروبا مدينة بالهواء النافع الذي تمتعت به في تلك العصور للأفكار العربية، فقد انقضت أربعة قرون ولا حضارة فيها غير الحضارة العربية، وعلمائها هم حملة لوائها

(1) أرنولد: توماس أرنولد عاش بين (1864-1930م)، جمهرة من المستشرقين، تراث الإسلام، وعلق عليه فتح الله، ط 2، دار الطليعة- لبنان، عام 1973م، ص 482.

(2) جرجى زيدان (ت: 1332هـ/ 1914م)، تاريخ التمدن الإسلامي، دار مكتبة الحياة- لبنان، 2/ 621.

(3) راجع: الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ص 152. ريبيرا، التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية، ص 135. الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، 1/ 73.

(4) المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 166. الونشريسي، المعيار العرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، 11/ 96.

الخفاق". (1)

وانتشرت الحضارة الإسلامية بالحقوق والحريات والتربية والمعاملات، وقد وصل تأثيره إلى قصور ملوك أوروبا، كما "في سنة 277هـ/ 890م أراد أذفونش (ألفونسو) الكبير أن ينتدب مؤدباً لابنه وولي عهده، استدعى اثنين من مسلمي قرطبة حرصاً على تربيته، إذ لم يجد في النصارى إذ ذاك كفوفاً لهذه المهمة". (2)

لما فتح المسلمون الأندلس هاجر بعض أهلها إلى فرنسا ويعيشون هناك، ورفضوا العيش في ظل الحكم الإسلامي، لكن عندما علموا عن أحوال الذين يعيشون في الأندلس تحت ظل الدولة الإسلامية أحسن حالاً منهم، رجعوا إلى الأندلس، كما روى توماس أرنولد: "أن أولئك الذين هاجروا إلى الأراضي الفرنسية لكي يعيشوا تحت حكم المسيحيين لم يصبحوا في الحقيقة أحسن حالاً من إخوانهم في الدين الذين خلفوهم وراء ظهورهم -الذين رضوا بالعيش في ظل الحكم الإسلامي- وفي سنة 196هـ/ 812م تدخل شارلمان لحماية المنفيين الذين لحقوا به عند ارتداده عن إسبانيا من عانى من موظفي الإمبراطورية واضطهادهم إياهم. وبعد ثلاث سنين لم ير لويس التقى بدا من إصدار مرسوم آخر لتحسين حال هؤلاء المنفيين الذين لم يلبثوا أن لجئوا -على الرغم من هذا- إلى الشكوى ثانياً من الأشراف الذين اغتصبوا أراضيهم التي خصصت لهم. ولم يمض وقت طويل على محاولة القضاء على هذه المساوئ حتى عمت الشكوى من جديد، ولم تجد هذه المراسيم والأوامر الملكية التي صدرت لتحسين حال هؤلاء المنفيين الناعسين. وسوف نصادف في العصور المتأخرة في الجالية الإسبانية التي فرت من الحكم الإسلامي طبقة مختقرة عوملت معاملة سيئة، ووضعت نفسها تحت رحمة بني جنسهم من المسيحيين". (3)

ويضيف توماس أرنولد: "أن كثيرين من المسيحيين قد تسموا بأسماء عربية، وقلدوا جيرانهم المسلمين في إقامة بعض النظم الدينية، فاختن كثير منهم، وساروا وفق رسوم المسلمين في أمور الطعام والشراب". (4)

وقد تعامل المسلمون في الأندلس مع غير المسلمين المعاملة الحسنة، وكانوا يعيشون في الأمن والأمان وسط المجتمع الإسلامي، حتى أن المسلمون قد جاؤوا اليهود، وكانوا حريصين على المعاملة الحسنة مع الجيران اليهود، كما

(1) نقلاً عن: كرد: محمد علي كرد، الإسلام والحضارة العربية، مؤسسة هنداي، عام 2017م، ص 544.

(2) كرد، الإسلام والحضارة العربية، ص 548.

(3) أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص 159.

(4) أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص 160.

أن المسلمين ورد السلام إن سلم بـ وعليك ولا زيادة، كما قال رسول الله ﷺ: "أن اليهودي إذا سلم عليكم أحدهم، فإنما يقول السام عليكم، فقل وعليك"، (1) وفوق ذلك اشتغل اليهود بالمسلمين في التجارة، وكانوا ذباحين في مجازر المسلمين الذين تخلفوا عن صلاة الجماعة في المسجد، ولكن شددت الحالة في إخراج اليهود من مجازر المسلمين، وقال ابن عبدون: "يجب أن لا يذبح يهودي لمسلم". (2)

وقد أثر الأدب الإسلامي على أخلاق أهل الأندلس واضحاً، حيث ينبه الأدب الإسلامي الدور الأخلاقي الذي يجب أن يقوم به الأدب، وكان "يمثل الحياة ويصورها ويعرض على القارئ والسماع صوراً تنعكس وتبدو من مجالات العيش المختلفة ويعرض عرضاً جميلاً ومؤثراً بشتى جوانبها وأشكالها، فتبدو فيه ملامح الكون والحياة وأشكالها المتنوعة"، (3) واستناداً إلى ذلك "المعتقد يصدر عن تصور يكون خلف التعبير.. فإذا أحسنًا ربطه بالعقيدة الإسلامية، صححنا مسارة وهيأنا له فرص إبداع عظيمة". (4)

فتربية وبناء الجيل أخلاقياً ملون بالدين الإسلامي وعلى شكله الغني يجب أن نربيهما بكتاب الله وسنة النبوية الشريفة، لما ربانا فهو يزن جميع أمور حياته بميزان الإسلام، كما أن أهل الأندلس "لا يشكل أي خروج عن طبيعة الأدب، بل إنه يصحح مسار العلاقة بين الأدب والعقيدة، فيربطه بأصدق عقيدة، يهيئ له أوسع مجال للتصور وأدقه وأكثره تلاؤماً مع الفطرة البشرية"، (5) لأن الأدب والأخلاق والعقيدة والدين تمتزج في حقيقة جمالية واحدة داخل الإنسان، ولهم حقيقة التلازم فيما بينهم.

الخلاصة والتعليق:

الآثار التي ساعدت الدعوة الإسلامية في الأندلس هي حفظ الدين وحرية العقيدة وإصلاح الأخلاق والمعاملات وكثرة تأسيس المساجد للعبادة، وجميع هذه الآثار تتعلق بحفظ الدين وهو من الضروريات الخمس التي سبق

(1) الإمام مالك: أبو عبد الله الإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي الحميري المدني (ت: 179هـ / 795م)، موطأ مالك، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر مصطفى الباي الحلبي، دار إحياء التراث العربي، عام 1406هـ / 1985م، 1 / 822.

(2) التجيبي، ثلاث رسائل أندلسية في آداب القضاء والحسبة والمحتسب، ص 37.

(3) الرابع الندوي: محمد الرابع الحسيني الندوي، الأدب الإسلامي وصلته بالحياة، ط 1، مؤسسة الرسالة- بيروت، عام 1985م، ص 17

(4) عبد الباسط بدر، مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي، ط 1، دار المنارة- جدة، عام 1985م، ص 46.

(5) عبد الباسط بدر، مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي، ص 46.

ذكره، لذلك أثر الإسلام على عقائد غير المسلمين سواء اليهود والنصارى وغيرهم، وكانوا يقتربون إلى الإسلام حتى أنهم تركوا مفاهيم الشرك في دينهم، وهدموا تماثيل الخرافاتية، كما قال الله عز وجل لرسول الله ﷺ: ﴿فَافْقُفْ فَافْقُفْ﴾ (1) لذلك أهل الأندلس أخذوا فكرة التوحيد من المسلمين.

ولجانب القضاء والتشريعات والتسامح أثر بالغ على نفوس أهل الأندلس ودخلوا في دين الله أفواجاً، والمسلمون أعطوهم استقلالية القضاء، وفوق ذلك أنهم يأتون للقضاة المسلمين في منازعاتهم.

وكثرة تأسيس المساجد وتعليم الدين الإسلامي الحنيف بين هؤلاء من آثار تعد ذات أهمية كبيرة، لأنهم لا يعتقدون الإسلام ويأتون إلى مساجد المسلمين، لأن المساجد في الإسلام لها منزلة خاصة وعظيمة، كما سبق ذكره.

الأخلاق والتربية هي من أعلى الوسائل في الدعوة إلى الإسلام، كما قال الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿كَانَ كَرِيماً﴾ (2) فالأخلاق لها منزلة خاصة في الدعوة إلى الإسلام، لذلك أكثر أهل الأندلس عندما رأوا تعامل وأخلاق المسلمين أثرت عليهم ودخلوا إلى الإسلام.

وكذلك غير المسلمين قد شاركوا في جيش المسلمين في الأندلس، وكانوا يذهبون إلى القتال لحماس شديد، لأنهم عرفوا مكانة الإسلام والجهاد، لأن الجهاد مواجهة في وجه الظالمين، وأهل الأندلس كانوا تحت سيطرة الظالمين خلال عدة قرون، والمسلمون أعطاهم الحرية في اعتقاداتهم، وأمواهم، ومعاملاتهم وغير ذلك.

(1) سورة آل عمران، رقم الآية، 64.

(2) سورة القلم، رقم الآية، 4.

المبحث الثاني

آثار الجهود الدعوية في المجال العلمي

اهتم المسلمون بعد فتح الأندلس بنشر العلوم الشرعية والتطبيقية كما سبق ذكره، فالولاة والأمراء والخلفاء كانوا حريصين على نشرها في جميع أنحاء الأندلس، لأنهم يعرفون أهمية العلم والمعرفة، وهو من أسباب نشر الإسلام في الأندلس، والعلم من أهم وسائل الدعوة إلى الإسلام، كما أن ابن القيم الجوزية في كتابه زاد المعاد في هدي خير العباد قسم الجهاد على أربعة مراتب، جهاد النفس، جهاد الشيطان، جهاد الكفار، جهاد المنافقين.

وقسم جهاد النفس أيضاً على أربع مراتب، يقول: "إحداها: أن يجاهد على تعلم الهدى، ودين الحق الذي لا فلاح لها، ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به، ومتى فاتها علمه، شقيت في الدارين. والثانية: أن يجاهدها على العمل به بعد علمه، وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها. والثالثة: أن يجاهدها على الدعوة إليه، وتعليمه من لا يعلمه، وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبيئات، ولا ينفعه علمه، ولا ينجيهم من عذاب الله. والرابعة: أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله، وأذى الخلق، ويتحمل ذلك كله لله، فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين، فإن السلف مجتمعون على أن العالم لا يستحق أن يسمى ربانياً حتى يعرف الحق، ويعمل به، ويعلمه، فمن علم وعمل وعلم فذاك يدعى عظيماً في ملكوت السماوات".⁽¹⁾

فيجب على الناس أن يتعلموا علم الهدى لمعرفة دين الحق، ليصل إلى السعادة في الدارين، وكذلك العمل به، لأن العلم بلا عمل لا ينفعها، وكذلك الدعوة إليه، لو لم يدعوا إليه يكون من الذين يكتمون ما أنزل الله على رسوله من البيئات والهدى، وليس له نجاة من عذاب الله، وفي الدعوة تكون مواجهة للمشاق وأذى المخلوق، فيجب التحمل على جميع المشاق في طريق الدعوة إلى الله، فيكون فازاً في الدنيا والآخرة.

وكان التعليم الابتدائي أساساً على تحفيظ القرآن الكريم ثم إلى مبادئ العربية ورواية الشعر وتعليم الخط وغير ذلك، كما قال ابن خلدون: "أما أهل الأندلس فمذهبهم تعليم القرآن والكتاب من حيث هو، وهذا هو الذي يراعونه في التعليم، فلا يقتصرون لذلك عليه فقط، بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب والترسل وأخذهم بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط والكتاب وعنايتهم بالخط أكثر من جميعها.. فتكونت لهم ملكة صاروا

(1) ابن القيم: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (ت: 751هـ)، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، ط 3، مؤسسة الرسالة، عام 1418هـ/1998م، 9/3.

بها أعرف في اللسان العربي".⁽¹⁾

وكذلك التعليم الثانوي كان فوق سن الرشد، وقد ساروا على نفس منهج المرحلة السابقة لكن أكثر عمقاً وتدقيقاً، وأشار آسين بلا ثيوس بقوله: "إن إسبانيا كانت في التعليم المدني والتعليم الروحي على السواء تدين بفكرة الحرية الخالية من قيود النظام الرتيب، فكان كل إنسان يختار بنفسه الشيخ الذي يروقه، حتى إذا أخذ حظه منه تركه إلى غيره نفس الناحية أو في ناحية أخرى..".⁽²⁾

وكان المسلمون يحرصون السجناء والرهائن على التعليم، كما قال ابن القوطية: "لقد خطر يوماً بدار الرهائن المجاورة لباب القنطرة- يعني الوزير أمية بن عيسى-⁽³⁾ ورهائن بني قيس ينشدون شعر عنتره، فقال لبعض الأعوان: اتنوني بالمؤدب، فلما نزل إلى فراش المدينة، وأتاه المؤدب، قال له: لولا إني أعذرك بالجهل لأدبتك، تعمد إلى شياطين شجي بهم الخلفاء فترويهم الشعر الذين يزيدهم بصيرة في الشجاعة. كف عن هذا، وإلا تروهم إلا خمريات الحسن بن هاني وشبهها من الأهزال".⁽⁴⁾

وكان للمسلمين في الأندلس أثر إيجابي في مجال العلوم؛ من طب، وصيدلة، ورياضيات، وكيمياء، وبصريات، وجغرافيا، وفلك، وغيرها، من أبلغ مظاهر التأثير في الحضارة الأوروبية؛ حتى اعترف كثير من الغربيين المنصفين.

الجهود التي بذل المسلمون في مجال العلمي لها الآثار الواضحة خاصة في الأندلس وعمامة في جميع العالم، لأن العلم والمعرفة تعد من أهم وأعظم شيء في تثقيف البلاد.

أولاً: المكتبات:

المكتبات لها أثر كبير في تثقيف الشعب وتطويره، لأن الثقافة تبني أفكار معينة في المجتمع، وللمكتبات دور مهم في هذا المجال، الثقافة تخرج من العلم والتعلم من خلال القراءة، والقراءة تحتاج للكاتب، والكاتب تكون في

(1) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص 1039.

(2) آسين بلاثيوس، ابن عربي حياته ومذهبه، ترجمة عن الإسبانية: عبد الرحمن بدوي، مكتبة الأنجلو المصرية، عام 1956م، ص 121.

(3) أمية بن عيسى بن شهيد مولى معاوية بن مروان بن الحكم، وهو من أسرة اشتهرت بخدمة الدولة الأموية في الأندلس منذ عهد عبد الرحمن الداخل وأميه هذا كان من أهل الصلاح والحسبة، وتولى الحجابة للأمير عبد وابنه محمد، ومات سنة 243هـ. (ابن حيان، المقتبس من أبناء أهل الأندلس، تحقيق: مكّي، ص 26. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 98-99).

(4) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 94.

المكتبات، والكتب هي المصدر الأوثق للمعرفة، والمكتبة تحتوي على الكتب في جميع المجالات، وهي مجمع للعلماء والمفكرين والباحثين.. فالخلاصة أن المكتبة هي المصدر الوحيد لحصول العلم ونشره.

وانتشرت الحركة العلمية في جميع أنحاء الأندلس ولها فضل في نشر الإسلام فيها، ولهذه الحركة لها نصيب بارز لعلماء المسلمين وحكامهم، لأنهم أسسوا المكتبات ووفروا لها الظروف، بداية من مكتبة قرطبة ولها أثر كبير في نشر الحركة العلمية، حتى انتشرت فكرة المكتبات في جميع الأندلس، وكل الناس يرتبون لهم المكتبات الخاصة، ولا يوجد بيت في الأندلس إلا وفيه مكتبة.

وقد زادت حركة إنتاج الكتب في الأندلس ونمت وازدهرت الحضارة الإسلامية فيها، لأن في الأندلس أنشئت وأُسست كثير من المدارس والجامعات التعليمية لنشر العلم والدين، وهذا العمل يحتاج إلى أكثر عدد من الطلاب والعلماء والأساتذة في مختلف العلوم، لذلك بدأت حركة النساخ والوراقين والمجلدين وبائعي الكتب، وظهرت ورش النسخ الخاصة على قدر ازدياد الطلب على الكتب، وكان من "الطبيعي بل كان من الممكن لرجل العلم الذي تعوزه الموارد المستقلة أن يلجأ أيضاً إلى نسخ الكتب بغرض البيع حصراً، وبهذه الطريقة نشأت طبقة حرفية كاملة كان لها أهمية كبرى في نشر الكتب".⁽¹⁾ ويسمون هذه الطبقة الوراقين، والشخص الذي يحترف نسخ الكتب يدعى "الوراق" من ورق ورقة، وكذلك يدعى "النساخ" ويطلق في بعض الأحيان الخطاط.

وللوراقين دور بارز في إنتاج الكتب في الأندلس، لأنهم كانوا ينسخون الكتب للمؤلفين، وكان للأمرء والحكام والأغنياء الذين يرغبون في تأسيس مكتباتهم الوراقون الخاص ينسخون لهم المؤلفات القيمة.⁽²⁾

ساعد الوراقون والنساخون في نشر الكتب الكثيرة وبناء المكتبات في الأندلس.

بدأت المنافسة في تأسيس المكتبات حتى الحكام ينافسون فيما بينهم على الحصول على الكتب، وينفقون الأموال الكثيرة في اقتناء الكتب، وشجعوا على البحث والتأليف، وقد أثر هذا التنافس على غير المسلمين حتى أنهم يتنافسون على الحصول على الكتب ويضعونها في مكتباتهم الخاصة.

فمن عوامل نشر المكتبات الخاصة بالأندلس هي الأجواء الفكرية والعلمية واستقرار البلاد آنذاك، وكذلك تشجيع الحكام للعلم ونشر العلوم في جميع أنحاء البلد، وكان حكام الأندلس كانوا يجوبون بحب شديد للكتب

(1) هونس بيدرسن، الكتاب العربي منذ نشأته حتى عصر الطباعة، ترجمة: حيدر غيبة، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع - دمشق، عام 1989م، ص 66.

(2) ريبيرا: خوليان ريبيرا، المكتبات وهواة الكتب - إسبانيا الإسلامية، معهد المخطوطات العربية - القاهرة، عام 1959م، جزء أول وصفحات متفرقة.

والمكتبات، حتى لو أن أحد لا يعرف القراءة والكتابة لكن يهتم بجمع الكتب والعناية بها، ويزينون بيوتهم بخزائن الكتب، لينالوا مكانة ومنزلة بين الناس، ويقال أنهم من ذوي العلم والمعرفة، أو من محبي العلم. (1)

دخل هذا الأثر إلى جميع بيوت الأندلس حتى النساء قمن بإنشاء مكتبات خاصة، كعائشة بنت أحمد بن قادم (ت: 400هـ/1010م) وهي قرطبية، يقول عنها ابن بشكوال: "لم تكن في جزائر الأندلس زمانها من يعادلها فهماً وعلماً.. وكانت تجمع الكتب وتعنى بالعلم، ولها خزنة علم كبيرة وحسنة". (2)

المكتبات ساهمت في نشر العلوم والمعلومات، كما أن للعلماء مهمة في الرحلة العلمية، وإن لم يسافر أحد من الأندلس لطلب العلم، هو يحصل المعلومات والعلوم التي يريدونها من المكتبات داخل الأندلس. (3)

ومن طريق هذه الحركة الثقافية في الأندلس نشأت حضارة عالية ارتكزت على توفير الكتب، وأهل الأندلس معلقون بالكتب والمكتبات، حتى انتشرت الثقافة في العالم، وكذلك ساهمت المكتبات في نشأة حركة التأليف، وأتيحت لهم فرصة للإطلاع على الكتب والعلوم الجديدة.

وغير المسلمين عندهم أيضاً مكتبات خاصة، لأن في البداية كان عدد الذين يعيشون تحت حكم المسلمين كثير، وكانوا يتعلمون في مدارس المسلمين على المناهج الإسلامية، ويقتدون بالمسلمين في جميع عاداتهم، حتى أنهم رتبوا جميع مكتباتهم باللغة العربية وفي بعض الأحيان يضيفون إليها الكتب في لغتهم. (4)

وكانت أهداف المكتبات كثيرة ومن أهمها هدف تربوي وتعليمي، لأن المكتبات كانت مراكز التربية والتعليم، ودورها بارز في تدعيم المناهج الدراسية للحصول على الهدف العلمي، وكذلك للمكتبات هدف ديني، لأن المكتبات بدأت مع نشأة المساجد في الأندلس، فتوصل العلم والمعرفة مع أمور دينية، ولتعليم الناس وبناء المجتمع الإسلامي على الأخلاق والقيم النفيسة، والتقوى والصلاح والعلم، لأن الإسلام يدعو إلى العلم والمعرفة، أيضاً هدف علمي لتصبح المجتمع مركزاً للبحوث والدروس، ولها هدف في تحضير المجتمع الإسلامي من حالة التخلف إلى التقدم والتحضر،

(1) دياب، الكتب والمكتبات في الأندلس، ص 101. البشري: سعد عبد الله البشري، الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي - المملكة العربية السعودية، عام 1418هـ/1997م، ص 112-113.

(2) ابن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثهم وفقهائهم وأدبائهم، 2/654.

(3) شيرين السيد عبده، الاتصال الوثائقي في الأندلس، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة الإسكندرية، ص 158.

(4) ريبيرا، التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وأثرها المغربية، ص 169-170.

كيانه العلمي، وينقلون بمختلف التصانيف إلى الأندلس. (1)

❖ العلماء الذين بذلوا جهداً في نشر العلوم كان عددهم كثير، ولكن أذكر بعضاً منهم:

1- أبو عبد الله صعصعة بن سلامة الشامي كان أول من أدخل علم الحديث ومذهب الإمام الأوزاعي إلى الأندلس، وروى عنه كثير، ومن تلامذته عبد الملك بن حبيب السلمي، وعثمان بن أيوب وغيرهم، وتوفي سنة 192هـ / 808م. (2)

2- أبو عبد الله زياد بن عبد الرحمن اللخمي المعروف بـ شبطون، كان محدثاً وفتياً أندلسياً من أهل قرطبة، وكان أول من أدخل موطأ الإمام مالك وعلم السنن ومسائل الحلال والحرام إلى الأندلس، وأهل المدينة كانوا يسمونه فقيه الأندلس، كما قال عنه تلميذه يحيى بن يحيى الليثي: "كان زياد واحد زمانه، زاهداً وورعاً". (3) ومن مؤلفاته: كتاب ما سمعه من الإمام مالك، والآخِر سماه "الجامع". وتوفي سنة 193هـ / 809م.

3- أبو محمد يحيى بن يحيى بن كثير الليثي كان إماماً وفتياً وشيخ المذهب المالكي في الأندلس، ومن تلاميذه إسحاق وعبيد الله أبناءه، ومحمد بن وضاح، وبقي بن مخلد (ت: 275هـ / 889م) وغيرهم، وتوفي سنة 234هـ / 848م. (4)

4- أبو مروان عبد الملك بن حبيب بن ربيع بن سليمان بن هارون السلمي أصله من كورة إلبيرة، ومن شيوخه صعصعة بن سلام الشامي، وزياد بن عبد الرحمن شبطون (ت: 193هـ / 809م)، والغازي بن قيس (ت: 199هـ / 815م)، وكان له رحلات في طلب العلم إلى المشرق، (5) ومن أشهر تلامذته: "سليمان بن نصر المري (ت: 260هـ / 874م)، وإبراهيم بن شعيب الباهلي (ت: 265هـ / 879م)، وإبراهيم بن يزيد الأموي (ت: 268هـ / 882م)، وإبراهيم بن خلاد اللخمي (ت: 270هـ / 883م)، وبقي بن مخلد القرطبي، وعامر بن معاوية القرطبي (ت: 277هـ / 890م)، وأحمد بن مروان الرصافي (ت: 286هـ /

(1) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 1/ 17-18.

(2) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 1/ 22.

(3) منقول من كتاب: ابن فرحون، الديباج الذهب في معرفة علماء المذهب.

(4) المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 518.

(5) المشني، مدرسة التفسير في الأندلس، ص 45-46.

899م)، ويوسف بن يحيى المغامي (ت: 288هـ / 901م)، وعبيد الله بن عبد الملك بن حبيب (ت: 291هـ)، وزكريا بن شمس المعروف بابن الطنجية (ت: 300هـ / 912م) وغيرهم"، لأن عنده حلقات العلم في مختلف التخصصات ولما "يخرج من الجامع وخلفه نحو من ثلاثمائة بين طالب حديث، وفرائض، وفقه، وإعراب، وقد رتب الدُّولَ عليهم كل يوم ثلاثين ذُولة، لا يُقرأ عليه فيها شيء إلا تأليفه أو موطأ مالك".⁽¹⁾

ومن مؤلفاته: "تفسير الموطأ، وكتاب في فتح الأندلس، وكتاب الواضحة، وغريب الحديث، وحروب الإسلام، وفضل المسجدين، وسيرة الإمام فيمن أُلِّد، وطبقات الفقهاء والتابعين، ومصايح الهدى، وطبقات المحدثين، والفرائض، ومكارم الأخلاق، والورع، ووصف الفردوس، ومختصر في الطب، والغاية والنهاية، والجامع، وفضائل الصحابة".⁽²⁾ وتوفي سنة 238هـ / 853م.

5- بقي بن مخلد بن يزيد الأندلسي كان مفسر ومحدث وفقه ومجتهد، وله رحلات عديدة في طلب العلم، ألف كتباً عديدة، ومن آثاره: "تفسير القرآن (وليس له نظير لشموله)،⁽³⁾ وكتاب في فتاوى الصحابة والتابعين ومن دونهم، وألف كتاباً في الحديث المسند، رتبته على أسماء الصحابة وعلى أسماء الفقه وأبواب الأحكام، فهو مصنف ومسند"،⁽⁴⁾ ومن تلامذته أحمد بن عبد الله بن محمد بن مبارك وهو اختص بروايات بقي بن مخلد، وعبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن صفوان.⁽⁵⁾ وتوفي سنة 275هـ / 889م.

6- قاسم بن محمد بن سيار القرطبي (ت: 276هـ / 890م) كان عالماً في الفقه وأدخل المذهب الشافعي إلى

(1) راجع: المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 2/ 5. الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ص 407-408. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 1/ 360-361. ابن عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، 4/ 125-127.

(2) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 32. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 1/ 272. ابن فرحون، الديباج الذهب في معرفة علماء المذهب، 1/ 154. المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 331. الزركلي، الأعلام، 4/ 302.

(3) ابن حزم، رسائل ابن حزم الأندلسي، 2/ 178. ابن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأديانهم، 1/ 119.

(4) راجع: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 9/ 68. ابن عساكر، تاريخ دمشق، 3/ 203، 2/ 205. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 1/ 107-109، 144. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في محاسن ملوك مصر والقاهرة، 3/ 75. السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ص 41.

(5) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 13/ 286. الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ص 387.

الأندلس، وألف كتاب "الإيضاح في الرد على ابن عتبة وابن مزين"، (1)

7- أبو عبد الله محمد بن وضاح بن بزيع كان عالماً بارزاً في علم الحديث، وله تلاميذ منهم أحمد بن سعيد الأموي المعروف بابن العطار. ومن مؤلفاته: "العباد والعباد، والزهد، والقطعان، ومكنون السر ومستخرج العلم، البدع والنهي عنها، وغيره"، وتوفي سنة 287هـ/ 900م. (2)

8- من أبرز علماء الأندلس في الفقه هو الفقيه محمد بن يحيى بن عمر بن لبابة (ت: 330هـ/ 941م)، وكان أعظم الفقهاء علماً وأوسعهم دراية بمسائل الفقه والفتيا، وألف كتاباً في الفقه المسمى بـ "المنتخب" وله شأن كبير بين فقهاء الأندلس. (3)

9- أبو يحيى زكريا بن يحيى الكلاعي القرطبي (ت: 300هـ/ 912م)، سمع محمد بن وضاح وروى عنه عامة أهل قرطبة، وأخذ عنه كتابه وصنّفه المسمى بـ "أصول قراءة نافع"، (4)

10- ابن محاسن عثمان بن محمد (ت: 306هـ/ 918م) من أهل إستجة، وكان من حفاظ الأندلس في علوم التفسير. (5)

11- وقاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح بن عطاء المعروف بـ البياني، ألف كتباً كثيرة في مختلف العلوم لكن ضاعت، وبعض أسماء كتبه ذكرت في كتب التاريخ، منها: كتاب الأنساب، وكتاب في السنن، وكتاب في أحكام القرآن، وكتاب في الناسخ والمنسوخ، وكتاب في حديث مالك بن أنس مما ليس في الموطأ. وتوفي

(1) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 1/ 456-457. الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ص 484. ليفي بروفنسال، الحضارة العربية في إسبانيا، ص 159-160.

(2) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 1/ 94.

(3) ابن حزم، رسائل ابن حزم الأندلسي، 2/ 181. الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ص 147. الخشني، قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، ص 11.

(4) الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 2/ 267. ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلاة، 1/ 70، 71.

(5) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 1/ 398. الضبي، بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، 2/ 540. الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ص 447.

سنة 340هـ / 951م. (1)

12- أبو عبد الله محمد بن أسد الحشني القيرواني (ت: 361هـ / 972م)، كان فقيهاً مؤرخاً نساباً، ومن آثاره: "الاختلاف والافتراق في مذهب مالك، وكتاب الفتيا، وتاريخ الأندلس، وتاريخ إفريقية، وكتاب النسب، وقد كتب للخليفة الحكم المستنصر كتب كثيرة، ذكر ابن الفرضي: بلغني أنه ألف له مائة ديوان". (2)

13- أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم ابن عيسى بن مزاحم الإشبيلي الأصل، المعروف بابن القوطية، وكان نسبه يرجع إلى جدته سارة القوطية بنت المنذر حفيذة غيطشة، (3) وعاش في قرطبة وهو عالم لغوي، أديب، نحوي، صرفي، حافظ في الحديث والفقه والأخبار والنوادر ورواية للأشعار، ومن مؤلفاته: تصاريف الأفعال، والمقصود والممدود، وتاريخ افتتاح الأندلس، وشرح رسالة أدب الكتابة وغيره من المؤلفات القيمة الخالدة، وتوفي سنة 367هـ / 977م. (4)

14- أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله بن مذحج بن محمد بن عبد الله بن بشر الزبيدي المعروف بالزبيدي، ولد في إشبيلية، أصله من حمص، وكان من أعلام اللغويين العرب في الأندلس، درس علم الحديث واللغة والشعر، وترك آثاره القيمة في مختلف العلوم وخاصة في اللغة، منها: كتاب في النحو "الواضح"، وكتاب مختصر "معجم العين للفراهيدي"، وكتاب في بناء الأسماء والأفعال "الأبنية في النحو"، وكتاب "الحن العامة"، وكتاب "هتك ستور الملحدين"، وكتاب "استدراك الغلط في كتاب العين"، ومن أبرز كتبه "طبقات النحويين واللغويين بالمشرق والأندلس من زمن أبي الأسود الدؤلي إلى زمن أبي عبد الله النحوي الرباعي"، وتوفي الزبيدي في سنة 379هـ / 989م. (5)

(1) الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ص 487-488.

(2) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 2/ 113. ابن العماد الخبلي، شذرات الذهب في أخبار من مذهب، 3/ 39.

(3) راجع: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 4/ 370. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 32.

(4) راجع: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 10/ 201. الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ص 71-72، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 2/ 78-79. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 1/ 649-650. ابن خاقان، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، ص 58-59.

(5) راجع: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 2/ 89، 90. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 4/ 372، 373، 374. الضبي، بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ص 66، 67. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ص 2519.

15- ابن الفرضي عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي القرطبي، ويكنى أبا محمد، ولد في سنة 351هـ/ 962م في قرطبة، وتلمذ ابن الفرضي في قرطبة على مشايخ كثيرين، منهم: أبا عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى بن مفرج القاضي، وأبا محمد عبد الله بن قاسم بن سليمان الثغري، وأبا محمد بن أسد، وخلف بن قاسم، وأبا أيوب سليمان بن يوسف بن حسن بن الطويل، وأبا بكر عباس بن أصبغ، وأبا زكريا يحيى بن مالك بن عابد وغيرهم، ورحل لأداء فريضة الحج وتلمذ في المشرق على شيوخ كثير، وكان ابن الفرضي فقيهاً عالماً في جميع فنون العلم في الحديث وعلم الرجال، ومؤلفاته: أخبار شعراء الأندلس، والمؤتلف والمختلف في الحديث، ومشتبه النسبة، وذكر الذهبي في كتابه تذكرة الحفاظ كتابه باسم: "المتشابه في أسماء رواة الحديث وكناهم"، وديوان شعره، والإعلام بأعلام الأندلس من العلماء المتقنين والقراء والمحدثين المتقنين، ورسالة في الفقه، والمنبه لذوي الفطن على غوائل الفتن، وكتاب في النحوين، وكتاب تاريخ علماء الأندلس مقسم على عشرة أجزاء، وتوفي سنة 403هـ/ 1012م. (1)

16- أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكي (ت: 429هـ/ 1037م)، مفسر ومحدث ونحوي، لغوي، فقيه، مؤرخ، عاش في قرطبة، ومن آثاره: "الدليل إلى معرفة الجليل" في مائة جزء، وكتاب في "تفسير القرآن، البيان في إعراب القرآن، وفضائل مالك ورجال الموطاء". (2)

العلماء كثيرون في مختلف العلوم ولكن أذكر بعضاً منهم على الاختصار، الفقيه محمد بن أحمد بن عتبة (ت: 254هـ/ 868م) وله كتاب في الفقه تسمى "العتبية". (3) والفقيه محمد بن عبد الله بن سيد (ت: 363هـ/ 973م) ويوب كتاب "المستخرجة" في الفقه المالكي، (4) وهو كتاب يعرف بـ "العتبية" نسبة إلى الفقيه العتيبي تلميذ عبد الملك بن حبيب. (5) والفقيه أبو بكر محمد بن أحمد بن يحيى (ت: 380هـ/ 990م) وألف كتباً كثيرة ومن بينهم

(1) راجع: ابن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثهم وفقهائهم وأدبائهم، 2/ 212-216. الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ص 244-246. الضبي، بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ص 311-313. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 3/ 86-87. المقري التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 2/ 343-346. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 1/ 7-15.

(2) الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 128. الذهبي، سير أعلام النبلاء، 11/ 126-127.

(3) ابن عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، 4/ 253. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 2/ 12.

(4) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 2/ 73.

(5) المقري التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 3/ 171.

كتاب في "فقه التابعين"، (1) صنف الفقيه محمد بن حارث الحشني كتاباً في "الاتفاق والاختلاف لمالك بن أنس وأصحابه". (2) وأبو محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي (ت: 392هـ/ 1001م) ألف كتاباً المسمى بـ "الدلائل في اختلاف العلماء" وأصبح هذا الكتاب قبولاً حسناً بين علماء عصره. (3)

وكذلك أثار القيمة التي حول وغيّر حياة العالم المعاصر، وهو أبو القاسم عباس بن فرناس بن وردوس التاكريني، المعروف أيضاً باسم ابن فرناس، من أبرز وأفضل العلماء في الأندلس، ولد في مدينة روندا محافظة ملقة في الأندلس سنة 194هـ/ 810م، وكان فيلسوفاً حادقاً وشاعراً، ودرس الطب والصيدلة، وقدم في علوم الهيئة والفيزياء والكيمياء والفلك، وكان عالماً بعلم التنجيم، وأتقن الموسيقى وصناعة آلاتها، وعلم الرسم والهندسة المعمارية، فأصبح أول رائد للطيران في العالم، وقام بأول محاولة للطيران، وأول من أبدع قبة سماوية على داره، ينظر ويمثل صور الفضاء من الشمس والقمر والنجوم والغيوم وريعود وبروق، وكذلك أول أبدع قلم حبر سائل في العالم، وأبدع الآلات الفلكية منها: ذات الحلق التي تستخدم لرصد الكواكب السيارة والنجوم وتوضيح مواضع الشمس والقمر، وأيضاً أول من أبدع آلة لقياس الوقت وسماها (الميقانة)، وتقوم حول الظل تمثل الساعة والدقيقة والثانية، يقول عنه زيفريد هونكة: "إنها قد ألهمت من أتى بعده"، وكذلك صنع الساعات الشمسية الدقاقة أو المائية أو الزئبقية، وغيرها من الإبداعات، حتى نسب إليه السحر، (4) التي ترك لنا أثر كي نتجدد فيها.

فكل هذه الجهود التي بذها علماء المسلمين في نشر الثقافة والعلوم الإسلامية في الأندلس خاصة وبين المسلمين عامة آثار باقية وخالدة حتى يومنا هذا، ومؤلفاتهم قيمة في مختلف العلوم. وبجهود هذه العلماء ظهر جماعة من العلماء في القرن 5هـ/ 11م، منهم المعتمد بن عباد، وابن حزم الأندلسي، وابن زيدون، والبكري، ومحي الدين بن عربي، والإدريسي، وابن رشد، وابن باجة، وابن جبير، وبنو زهر، وابن البطار، وابن طفيل وغيرهم.

ثالثاً: آثار في جانب اللغة والترجمة:

(1) الصفدي، الوافي بالوفيات، 2/ 51.

(2) الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ص 53. الضبي، بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ص 71.

(3) ابن فرحون، الديباج الذهب في معرفة علماء المذهب، 1/ 433. الذهبي، تذكرة الحفاظ، 3/ 1024. ابن قنفذ، الوفيات، ص 223.

(4) الزركلي، الأعلام، 3/ 264. الضبي، بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ص 418. الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ص 318. زيفريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، ص 134. المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 148، 3/ 133. الصفدي، الوافي بالوفيات، 16، 667.

اللغة هي أعلى وسيلة للتفاهم بين الشعوب المختلفة، وتعتبر من أكبر وأعظم طرق التي نتعلمها ونتعرف بها الثقافات والعلوم ونقلها عن طريقها عبر الأجيال، لأن الثقافات تختلف مثل اللغة في مجتمعات، ولكل مجتمع ثقافة خاصة تحمل صفات وأصول ومميزات ليست عند أي مجتمع آخر،⁽¹⁾ وكذلك تختلف اللغة وطرق استخدامها حسب اختلاف ثقافة المجتمع والأفراد، وخلاصة أن اللغة هي لسان الثقافة ورمز الحضارة، ومن خلالها نستطيع نقل العلوم بين المجتمعات والأمم.

فالمسلمون مارسوا التسامح الإسلامي في الأندلس فكان له أثر عظيم في نفوس غير المسلمين، حتى تعلموا اللغة العربية وانتشرت انتشاراً واسعاً في جميع الطبقات وظهرت سيطرتها على لغاتهم، حتى أصبحت اللغة العربية اللغة الرسمية وظلت في المنزلة الأولى بين اللغات، وللغات مراتب في الأندلس، كما قال أحمد هيكل: "على أنه يجب أن نقرر أن العربية الفصحى كانت دائماً في المحل الأول؛ فكانت لغة العلم والأدب العالي؛ كما كانت لغة الرسميات وكل ما هو جاد من أمور الدولة، أما العامية العربية فكانت تلي تلك الفصحى في المنزلة، وذلك لاستنادها إلى الفصحى وتفرعها عنها وقربها منها، وأما تلك العامية اللاتينية فكانت في المحل الأخير بطبيعة الحال".⁽²⁾

من الأسباب التي ساعدت اللغة العربية في الأندلس كثرة منها: التسامح الإسلامي، لما رأى أهل الأندلس التسامح والصدقة والكرامة والأخلاق الكريمة من قبل المسلمين دخلوا في الإسلام، وتعلموا لغة العربية لأداء العبادات والتعامل مع المسلمين، كما قال: "وكان للإسلام دوره في تقوية مركز اللغة العربية حيث نزل القرآن فيها، فالقرآن عربي وبه يكون تعبدهم"،⁽³⁾ واللغة العربية هي لغة القرآن الكريم والعلوم الدينية الإسلامية، وكان أهل الأندلس بحاجة لتعلم اللغة العربية للقيام بأداء الشعائر الدينية، كما قال الدكتور شوقي ضيف: "وطبيعي أن يقبل من أسلم من أهل الأندلس على تعلم العربية حتى يحسنوا أداء شعائر الإسلام وتلاوة كتابه الذي يعد جزء لا يتجزأ من اعتناقه".⁽⁴⁾

وكذلك انتشار العربية التي كانت لغة الفاتحين والحكام، وكان أهل الأندلس يحرصون لتعليمها، ويبحثون فيها العزة والقوة والغلبة، ويرفعون بالعربية شأنها، أما الذين لم ينطقوا بالعربية كانوا مغلوبين بالأندلس، كما قال ابن خلدون:

(1) التوجيحي: عبد العزيز بن عثمان التوجيحي، الثقافة العربية والثقافات الأخرى، ط 2، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو، عام 2015م، ص 11.

(2) هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، ص 49.

(3) المقالة: التعريب والتغريب، مجلة اللغة العربية - القاهرة، العدد 102.

(4) ضيف: الدكتور شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي - عصر الدول والإمارات (الأندلس)، دار المعارف - القاهرة، عام 1994م، ص 128.

"كان لسان القائمين بالدولة الإسلامية عربياً هجرت كلها في جميع ممالكها لأن الناس تبع للسلطان وعلى دينه، فصار استعمال اللسان العربي من شعائر الإسلام وطاعة العرب، وهجر الأمم لغاتهم وألسنتهم في جميع الأمصار والممالك وصار اللسان العربي لسانهم، حتى رسخ ذلك لغة في جميع أمصارهم ومدنهم وصارت الألسنة العجمية دخيلة فيها وغريبة".⁽¹⁾

وأما الذين تعلموا اللغة العربية ينالون الوظائف العليا الحكومية في الأندلس، ويجب عليهم أن يتعلموا العربية من حيث قراءتها وكتابتها، لأن العربية أصبحت اللغة الرسمية للبلاد بعد الفتح، وأما الذين لم يعتنقوا الإسلام وبقوا على المسيحية قاموا بتعلم العربية بكل حماس، حتى جعلوها لغة التحدث والتكلم فيما بينهم، ونبغوا بها وأصبح منهم شعراء ومترجمين للكتب، "مما يؤكد أن الكثرة من يهود الأندلس تعربت تعرباً كاملاً أنه حين أخذ الإسبان والغريون يطلبون ترجمة الثقافة العربية إلى الإسبانية الدارجة واللاتينية كان لهم في ذلك دور ضخم".⁽²⁾

فمن هذا التأثير البالغ للغة العربية في الأندلس قام المسيحيون من رجال الدين والرهبان بترجمة صلواتهم والكتب المقدسة إلى العربية لتفهم أهل المسيحيين في الأندلس، لأنها أصبحت ضرورة لدى غير المسلمين، "لكن هذه اللغة العربية التي تشبه السحر أخذت أولئك الرهبان بأدائها حتى كانوا هم أنفسهم سبب حياتها والقائمين بالدعوة إليها إلى القرن الثاني عشر للهجرة".⁽³⁾

وفوق ذلك أن غير المسلمين في الأندلس نقلوا كتبهم من العبرية اللاتينية إلى العربية، وكذلك عديد من الكتب ترجمت من العربية إلى العبرية، وألفوا الكتب الأدبية والفلسفية بالعربية، وأصبحت اللغة العربية لغة أكثر الناس من أهل الأندلس سواء المسيحيين واليهود وغيرهم، "إن اليهود الذين كانوا يعيشون بإسبانيا منذ قرون طويلة تعربت - في ظننا - كثرتهم حتى لنجد كتب التراجم الأدبية الأندلسية تترجم لنفر منهم بين كتاب الأندلس وشعرائها وموسيقيتها ووحاشيها".⁽⁴⁾

فأولئك رجال الدين والرهبان استخدموا اللغة العربية انتصاراً للمسلمين وجعلوا عاملاً للدعاية الدينية

(1) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص 379.

(2) ضيف، تاريخ الأدب العربي - عصر الدول والإمارات (الأندلس)، ص 134.

(3) الرافي: مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، مطبعة الاستقامة - القاهرة، عام 1954م، ص 354.

(4) ضيف، تاريخ الأدب العربي - عصر الدول والإمارات (الأندلس)، ص 133.

المسيحية بين المسلمين.

المسلمون وحكامهم قد بذلوا جهداً كبيراً في نشر اللغة العربية بين أهل الأندلس، حتى أن هشام بن عبد الرحمن الداخل ألزم على أهل الأندلس غير المسلمين بتعليم اللغة العربية، "لعل من أهم الأسباب التي دفعتهم إلى حب لغة الإسلام فوق أنها لغة الدين الذي اعتنقوه، أنها لغة العلوم والمعارف التي افتقرت إليها لغات الأجناس الأخرى في وقت عم الجهل سائر أرجاء المعمورة وسيطر الفساد على جميع بقاعها، فجاءت تعاليم الإسلام ومعارفه لتحيل ظلام الجهل الهالك، والضلال الشامل والظلم السائد إلى نور وإشراق وعدل وإنصاف".⁽¹⁾

ومن هذا التأثير البالغ نشطت حركة الترجمة حتى أنهم قاموا بترجمة كتب المسلمين إلى لغاتهم، وكذلك كتب الذين ترجموا من لغة أجنبية فترجم أهل الأندلس مرة أخرى إلى لغاتهم الأصلية، كما أن المسلمين ركزوا في الطب بكتاب الأبرشيم، وهو من كتب النصارى مترجم، ويرجع أنه كتاب الفصول لأبقراط،⁽²⁾ وكذلك ترجم اصطفن بن باسيل كتاب (الأدوية المفردة) المعروف بالخشائش لـ ديسقوريدس من اليونانية إلى العربية في بغداد وصحح حنين بن إسحاق في الأندلس.⁽³⁾

قام اصطفن بن باسيل بوضع أسماء عربية للنباتات المذكورة في الكتاب مقابلة للكلمات اليونانية، وبعض الأسماء ظلت على حالها لعدم معرفته بها، وثم جاء دور الأندلس في التقدم العلمي، وقام علماء الأندلس لتكملة هذا الكتاب، فكلف عبد الرحمن الناصر عدداً من علماء متخصصين في علم النبات بالنظر فيه وترجمته، ولكنهم واجهوا صعوبة لعدم معرفتهم على بعض الأسماء اليونانية، فطلب عبد الرحمن الناصر من الإمبراطور أن يرسل له مترجم، فأرسل الراهب نيقولا سنة 340هـ / 951م، ووضح لهم أسماء المجهولة، وتعلمد منه كثير من الناس في الطب والأعشاب.⁽⁴⁾

بعد زمن للمتغيرات البالغة في الجانب اللغوي في الأندلس ظهرت الشخصيات المستقلة البارزة في علوم اللغة

(1) سلامة: علي محمد سلامة، الأدب العربي في الأندلس، الدار العربية للموسوعات - بيروت، عام 1989م، ص 37.

(2) راجع: ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص 92. صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص 78.

(3) أبو الفضل، دراسات في تاريخ وحضارة الأندلس، ص 360.

(4) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، 2 / 109. إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، ص 47. أحمد أمين، ظهر الإسلام، ط 5، دار الكتاب العربي - بيروت، ص 234.

على المقومات الأصيلة، وقاموا بتجديد فيها وظهرت فنون أدبية استمت بالطرافة والإبتكار، فتعايش تيار التقليد وتيار التجديد معاً، لأنهما كانا حاجات أغلبية العرب في الأندلس. (1)

وكذلك كتاب أورسيوس أو هروشييش (2) (كما في المصادر العربية) ويسمى (التواريخ السبعة في الرد على الوثنيين) وهو باللغة اللاتينية، وقام الخليفة الحكم المستنصر بترجمته قبل ولى له الخلافة، واستفاد كثير من المؤرخين والعلماء المسلمين منه. (3)

وهناك كتب أخرى قد ترجمت عن اللغات الأخرى إلى العربية في الأندلس، لأن حركة الترجمة قد نهضت ووجدت وتوافرت جميع الإمكانيات التي تساعد على حركة الترجمة.

أما الآثار في الأندلس عن طريق اللغة هي واضحة حتى الآن، فنجد كثيراً من الكلمات والأسماء في اللغة الإسبانية الحالية من العربية، حتى أن ثمان بالمئة أصلها عربي، اللغة الإسبانية هي اللغة اللاتينية الوحيدة يوجد فيها حروف الحاء والثاء، وكذلك هناك ربط بأن أكثر كلمات تبدأ بـ Al (Al)، وهي أداة تعريف عربية الأصل، مثل السكر (acucar)، والكرز (alcaraz)، وأذكر بعض الكلمات والأسماء من اللغة العربية وما زالت على حالها:

أسماء مناصب الحكومية:

الوزير – Alguacil

القائد أو الحاكم – Alcaide

القاضي – Alcalde

المشرف – Almojarife

(1) الدقاق: الدكتور عمر الدقاق، ملامح الشعر الأندلسي، دار الشرق- بيروت، عام 1975م، ص 45.

(2) بالوس أورسيوس هو راهب روماني الأصل، إسباني المولد والنشأة، عاش في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الميلادي، ووضع هذا الكتاب الذي أرخ فيه للعالم القديم منذ بدء الخليقة حتى عصره سنة 416م، واستفاد من كتابه الكثيرون من المسلمين كالرازي وابن خلدون وغيرهم في التاريخ للأمم التي حكمت إسبانيا قبل الفتح الإسلامي. (ذنون طه، عبد الواحد ذنون طه، نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس، ط 1، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، عام 1988م، ص 24. عنان، دولة الإسلام في الأندلس، 2/ 108).

(3) ذنون طه، نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس، ص 24.

الفارس - Alferez

الأمين - Alamin

العريف - Alarife

المغاورون - Almogavares

أسماء الأزهار:

السوسن - Azucenas

الياسمين - Jazmines

الريحان - Arrayan

الزهر - Azahar

أسماء المحاصيل:

البرقوق - Albaricoque

الخرشوف - Alcachofa

الكافور - Alcanfor

الفسق - Alfoncigo

الزيتون - Aceituna

الزيت - Aceite

الأرز - Arroz

السكر - Azucer

شؤون الري:

البحيرة - Albuhera

القنطرة - Alcantra

الصهريج - Zafareche

السد - Azuda

المسقى - Acequia

السانية أو الساقية - Acena

البركة - Alberca

الجب - Aljibe

أسماء الأطعمة والمتعلقة بالمطبخ:

زعفران - Azafrán

السكر - Azúcar

باذنجان - Berenjena

قهوة - Café

شراب - Jarabe

جرة أو كوب - Jarra

ليمون - Limón

وأذكر بعض الأسماء والكلمات الإسبانية في الأصل مأخوذ من اللغة العربية:

القصر - Alcazar

المخدة - Almohada

المعصرة - Almazara

حناء - Alhena

المخزن - Almacen

الكيمياء - Alkimia

جرّة - Jarra

ركن - Rincon

كاسة أو طاسة - Taza

فلان - Fulano

التابوت - Ataud

فندق - Fonda

قميص - Camisa

فطريقة نطق بعض الكلمات غيرت ولكن ما زالت قريبة جداً إلى العربية، مثلاً:

إن شاء الله (Ojala) وتنطق (أوهالا)

الزيت (Aceite) وتنطق (أثيتي)

الباذنجان (Berenjena) وتنطق (بيرينخيننا)

القهوة (El Cafe) وتنطق (إل كافييه)

شراب (Jarabe) وتنطق (شراب)

كلمة حتى (Hasta) وتنطق (آستا)

بنطلون (Bantalun) وتنطق (بنطلون)

قميص (Camisa) وتنطق (قميسا)

لوبيا (Alubia) وتنطق (ألوبيا)

خروب (Algarrobas) وتنطق (الجاروباس)

جبر (Algebra) وتنطق (الجيرا)

القلعة (Alcala) وتنطق (ألكالا)

البناء (Albanil) وتنطق (ألبانيل)

القبة (Alcoba) وتنطق (الكوبا)

فيوجد كثير من الأسماء والكلمات العربية في اللغة الإسبانية حتى ثمانية بالمئة مكونة من العربية.

الخلاصة والتعليق:

اللغة العربية لها أثر بالغ في نفوس أهل الأندلس سواء من النصارى واليهود وغيرهم، ولأثر هذه اللغة دخل كثير منهم إلى الإسلام، أما الذين بقوا على دينهم تعلموا اللغة العربية وأصبح منهم شعراء وأدباء، كما اشتهرت قسمنة بنت إسماعيل اليهودي، حتى أن الذين لم ما كانت لهم معرفة على العربية طلبوا من الذين يفهمون اللغة العربية بترجمة الثقافة العربية، ولذلك كانت لهذا العمل دور كبير في نشر الثقافة الإسلامية.

وكانت اللغة العربية لها منزلة خاصة بين الشعب الأندلسي وأصبحت لغة ثقافة وحضارة ولم تدخل معها لغة أخرى في تقاوم أو مقابلتها، حتى جميع السكان الأندلس يتحدثون على العربية في اجتماعات الأصدقاء المثقفين، وتحرير الرسائل والوثائق الرسمية، وتستخدم في العلاقات الدولية، وكذلك التمكن منها شرطاً لتولي أي من المناصب العامة، وأيضاً أهل الأندلس من غير المسلمين أرادوا أن يجدوا لهم مكاناً تحت ظل الدولة الإسلامية فيجب عليهم أن يحسنوا اللغة العربية.

الرحلات العلمية لعلماء الأندلس وهجرة علماء المشرق إلى الأندلس لمساعدة المسلمين في مجال اللغة والعلم زادت المنزلة الثقافية والعلمية واللغوية في الأندلس، وبدأت حركة الترجمة والتأليف، حتى أصبحت كل المدن من

الأندلس مراكز العلم والأدب، وأنشئت المكتبات حتى لا يوجد بيت إلا وفيه مكتبة.

وكل هذا حدث في زمن قليل حتى أن غير المسلمين قد ترجموا كتبهم المقدسة إلى العربية، لأن المسلمين لم يفتحوا الأراضي فقط بل يدخلون إليه لنشر دين الإسلام واللغة والثقافة الإسلامية.

فمن ضروريات الخمس حفظ الدين، فتأسيس المكتبات وتربية الناس وجهود العلماء في نشر الدين وانتشار اللغة العربية هي أيضاً من تلك الضروريات الخمس وهو حفظ الدين، لأن جميع تلك الجهود في مجال العلمي تتعلق بحفظ الدين وحراسته.

الفصل الثاني

آثار الجهود الدعوية في المجال الاجتماعي والسياسي في الأندلس

كان المجتمع الأندلسي مكون من عناصر عديدة ومتنوعة في أصولها وعقائدها وثقافتها، ومن بينهم أهل البلاد الأصليين، والوافدون من عرب وبربر وموالي وغيرهم، فأهل البلاد يسمون عجم الأندلس وكانوا على كثرة، وأما الذين أسلموا فيطلقون المسلمة، ومن الذين لم يعتنقوا الإسلام وبقوا على دينهم من أهل الأندلس أصبحوا أهل ذمة.

وكذلك الوافدون الذين أتوا في الجيش الإسلامي منهم العرب والبربر، وقد اختلطوا بأهل الأندلس الأصليين وتزوجوا منهم، لذلك ظهر جيل جديد من عنصر مختلط بين العرب والبربر مع أهل الأندلس، ويسمونه المولدين أو الأسلمة أو المسلمة.

وعنصر آخر هو المماليك أو الصقالبة، وكان يأتي بهم تجار الرقيق من الجرمان واليهود من أماكن أوروبية مختلفة، ويبيعونهم في أسواق الأندلس، ويسمون هؤلاء بالصقالبة، حتى غلب هذا الاسم على جميع الرقيق الأبيض سواء من أي بلد.

اختلطت هذه العناصر بعضها ببعض سواء بالمصاهرة أو بالعشرة أو الجوار أو التعامل، وأخذ بعضها من بعض أثراً في إثراء الحضارة الأندلسية وازدهارها، وفوق كل هذا التعدد السكاني في الأندلس كان ربط قوي وهو ربط الإسلام، لأن الإسلام له تأثير بالغ في نفوس كل هذه العناصر المختلفة، وما زالت آثارها باقية في تلك البلاد.

فلذلك الحضارة الإسلامية في الأندلس هي نتيجة ذلك التفاعل والتبادل والتعامل بين جميع هذه العناصر المختلفة التي عاشت في أرض الأندلس، وقدم للمجتمع الإسلامي شخصيات مميزة شملت مختلف العناصر.

وهذا الامتزاج والخلط بين عناصر عديدة في الأندلس قدم الشخصيات البارزة في جميع المجالات، وخاصة في جانب السياسي، لأن المسلمون قد وفروا الفرصة لأهل الأندلس في السياسة، ولهم أثر إيجابي في هذا المجال.

الاحتكاك بين المسلمين وغيرهم على المستوى الاجتماعي والسياسي ترك آثاراً إيجابية متبادلة فيما بينهم، وقد تأثر عن طريق الاختلاط كلا الجانبين، لأن التأثير متبادل بين الطرفين.

المبحث الأول

أثر الجهود الدعوية في المجال الاجتماعي

كما سبق ذكره أن المجتمع الأندلسي بعد الفتح الإسلامي مكونة من عدة عناصر، ولكل عنصر من هذه العناصر أثر على غيره، مثلاً كان للعرب صفات وعادات وأخلاق اشتهروا بها، وقد كان للبربر صفات وعادات وأخلاق تقترب من صفات العرب واشتهروا بها، وقد ذكر ابن خلدون صفات البربر، قال: "بعض الجوار وحمية النزول، ورعي الأزمة والوسائل، والوفاء بالقول والعهد، والصبر على المكاره، والثبات في الشدائد، وحسن الكلمة والإغضاء عن العيوب، والتجافي عن الانتقام، والرحمة بالمسكين، وبر الكبير، وتوقير أهل العلم، وحمل الكل، وتهيئة الكسب للمعدوم، وقرى الضيف، والإعانة على النوائب، وعلو الهمة، وإباء الضيم، ومقارعة الخطوب، وغلاب الملك وبيع النفوس من الله في نصر دينه، فلهم في ذلك آثار نقلها الخلف عن السلف، لو كانت مسطورة لحفظ منها ما يكون أسوة لمتبعيه من الأمم، وحسبك ما اكتسبوه من حميدها واتصفوا به من شريفها أن فادتهم إلى مراقي العز، وأوفت بهم على ثنايا الملك، حتى غلبت على الأيدي أيديهم، ومضت في الخلق بالقبض والبسط أحكامهم"، (1) وقد يناقض بعض الأقوال في بعض الصفات البربر، كما سئل موسى بن نصير عن البربر، قال له: "هم أشبه العجم بالعرب لقاء ونجدة وصبراً وفروسية، غير أنهم أغدر الناس لا وفاء لهم ولا عهد". (2)

فبلاد الأندلس كانت تنوعت الجنسيات وهذا دليل على تقدم هذه المجتمع في العالم، وكان الناس يستخدمون الأندلس وحضارتها في الأمثلة أو في ضرب الأمثلة.

أولاً: حفظ النسل والتركيب السكاني في الأندلس:

تركيب السكاني في الأندلس قبل الفتح كان منقسماً إلى عدة طبقات، طبقة رجال الدين والنبلاء كانا يحكمان الشعب، والشعب تحت سيطرتهم كعبيد، ليس لهم خيار حتى في ممتلكاتهم ولا في أسرهم.

فبعد الفتح الإسلامي امتزج عناصر في الأندلس فيما بينهم، وكان سكان الأندلس عدة عناصر كما سبق ذكره، ولهذا الامتزاج أثر كبير في نشر الدعوة إلى الإسلام، وفي هذا المجال يجب القول لذكر أهم آثاره المتعلقة بهذا

(1) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، 6/ 104.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 21.

كان تسامح المسلمين له أثر واضح في نشر الإسلام بين أهل الأندلس، لذلك نساء الأندلس فضلن على زواج مع المسلمين، لأن المسلمين كانوا على خلق أفضل من أهل البلد، وهذا الزواج سبب من أهم أسباب نشر الإسلام إلى بيوت أهل الأندلس، وكان هذا الزواج هو ربط بين أسر أهل الأندلس مع المسلمين، فبعد ذلك ظهر جيل جديد من الأبناء، وهؤلاء هم ثمرة الزواج المختلط مع أهل الأندلس، الذين ولدوا من آباء مسلمين وأمهاتهم من الأندلس أي الإسبانيات أطلقوا عليهم اسم الأسلمة أو المسلمة، وفي بعض الأحيان يطلقون على جيل الأبناء اسم المولدين،⁽¹⁾ وكان يطلق على اسم المولدين حتى نهاية القرن الثالث الهجري، وهذا الجيل كان يمثل الجמהرة العظمى من سكان الأندلس، وتم تحول أسماء كالأسلمة أو المسلمة والمولدين وغيرهم في الدولة الإسلامية في الأندلس إلى الأندلسيين دون تمييز.⁽²⁾

تغيرت الأسماء بسبب الامتزاج وكثرة عدد أبناء هذا الجيل وصاروا يكونون مع طول الوقت أغلبية سكان الأندلس، وهذا أثر كبير في المجتمع الأندلسي، لأنهم ينسبون أنفسهم إلى الإسلام فقط، وليس عندهم أي تمييز أو فرق، لذلك نجد كثير من الأسماء التي تدل على أنهم من أصل إسباني، منهم: ابن لب (Ibn Lop)،⁽³⁾ وابن فرتون (Foroon)،⁽⁴⁾ وابن مارتين (Maritn)،⁽⁵⁾ وابن القوطية (Al Gothe)، وشنجول (Shanchol)،⁽⁶⁾ وابن غرسية (Garcia)،⁽¹⁾ وابن شبطون (Shebtoon)،⁽²⁾ والأقشتين (Al

(1) راجع: ابن حزم، رسائل ابن حزم الأندلسي، 2/ 75. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 68، 107-109. ابن الأبار، الحلة السيرة، 1/ 148، 149، 153، 154. ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، 1/ 198.

(2) أبو دياك، الوجيز في تاريخ المغرب والأندلس من الفتح إلى بداية عصر المرابطين وملوك الطوائف، دراسة سياسية وحضارية، ص 200.

(3) لب بن موسى النائر على غرسية في سرقسطة سنة 257هـ/ 870م. (ابن حيان، المقتبس من أبناء أهل الأندلس، تحقيق: مكّي، ص 318. العذري، ترسيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، ص 31-32).

(4) فرتون بن موسى قائد الثغر الأعلى، توفي سنة 260هـ/ 873م. (العذري، ترسيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، ص 34).

(5) سليمان بن مرتين المولد الأصل، وكان النائر في بلدة ماردة على عبد الرحمن بن الحكم سنة 220هـ/ 835م. (ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 84).

(6) عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر الملقب بـ شنجول. (ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 3/ 49، 70-73. ابن الخطيب، أعمال الأعلام فمن بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ص 109).

(Agustaine) (3) وغيرهم، قد ذكر كتب التراجم أسماء كثير من المولدين بأسمائهم الإسبانية القديمة، منهم: أنجلين (Angelino)، (4) وبنو زدلف (Zadulfo) (5) وغيرهم.

فللزواج والمصاهرات أثر بالغ في معرفة أهل الأندلس، وقد تعلم المسلمون عن إثر هذا بعض عادات أهل الأندلس، وكان ربط الزواج انتشر انتشاراً شائعاً بين المسلمين وأهل الأندلس، وظهر عن هذا الطريق المساواة والعدل والتسامح تحكم الجيران جميعاً، ومن آثار حسن الجوار والمصاهرة في الأندلس انتشار الإسلام بين أهلها.

الزواج مع نساء الأندلس زاد حتى الأمراء والحكام تزوجوا منهن، وكان أم الأمير الحكم بن هشام الرضي هي الأندلسية، وكان الحكم بن هشام أيضاً تزوج من نصرانية وأنجب منه ولده عبد الرحمن الأوسط. (6)

الآثار لجهود الدعوة في مجال الاجتماعي كان أهل الأندلس على كثرة مقابل المسلمين في السنوات الأولى عقب الفتح، ولكن مرور الوقت بدأ التناقص في عددهم لاعتناقهم الإسلام، ويزداد المسلمون في الأندلس يوماً بعد يوم، حتى أصبح غير المسلمين في الأندلس أقلية، وكان اختلاط أهل الأندلس مع المسلمين بالمصاهرات جرى وله التأثير المتبادل الطويل ما لم يجد مثله في أي بلد المسلمين، وكان غير المسلمين عاشوا برفاهية وأمن في مدن الأندلس.

وفوق ذلك غير المسلمين قد اتخذوا العادات الإسلامية ومارسوا أفكار المسلمين وتقاليدهم وملابسهم

(1) الكاتب أحمد بن غرسية ويكنى أبو عامر السرقسطي من أهل مدينة الفرج.

(2) الفقيه زياد بن عبد الرحمن المعروف بابن شبطون، هو أول من أدخل إلى الأندلس فقه الإمام مالك. (الحشني، قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، ص 18-19. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 1/ 154-155. المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 340).

(3) محمد بن عاصم المعروف بالأقشتين، هو أول من ألف طبقات الكتاب بالأندلس، وتوفي سنة 307هـ/ 919م. (المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 3/ 174-175. الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ص 79).

(4) محمد بن عمر بن خطاب بن أنجلين أحد زعماء المولدين في إشبيلية في عهد الأمير عبد الله بن محمد. (ابن حيان، المقتبس من أبناء أهل الأندلس، ص 70-74).

(5) يحيى بن بكر بن زدلف المنتزي بكورة أشكونية، وكان القائم بدعوة المولدين في عهد الأمير عبد الله بن محمد. (الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ص 369-370. الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، مجموعة المجلدين، ص 814. ابن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، 1/ 175).

(6) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص 124. الضبي، بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، 1/ 34. أرسلان، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، ص 130.

وطعامهم وأسمائهم، وكذلك كان بعضهم يمنعون أكل لحم الخنزير. (1) فلذلك جاء إلى الأندلس كثير من اللاجئين من مختلف البلدان، وأن هذه الآثار كانت أقوى في نشر الإسلام ونقل الحضارة الإسلامية في أنحاء العالم.

ثانياً: حفظ المال أو النشاط الاقتصادي وأثره في الرخاء والثراء المجتمع:

الاقتصاد له أثر بالغ في رفاهية المجتمع، لكن قبل دخول المسلمين إلى الأندلس كانت الحالة الاقتصادية سيئة جداً، بسبب الحروب بين حكام القوط، وكذلك الضرائب كثيرة تفرض على الشعب.

ولما دخل المسلمون إلى الأندلس قاموا بتنمية النشاط الاقتصادي من عدة طرق، منها الزراعة، ورعي الحيوانات، وتربية النحل، وصيد الأسماك، والصناعات القطنية والكتانية والصوفية والجلدية، وكذلك التجارة منها الداخلية والخارجية، والمصنوعات الذهبية والفضية والحديدية، وصناعة الورق، وصناعة الزيت والصابون، وصناعة الزجاج، وصناعة السكر، وفي هذا المجال كان في الأندلس صناعة السفن والأسطول الحربية، وصناعة الأسلحة، وصناعة النقود، وصناعة الرخام، وكذلك أعمال يدوية والمهن والحرف وغير ذلك.

أ- الزراعة:

الأندلس لها أنسب الأراضي للزراعة، وكان محاصيلها كثيرة وأذكر بعضاً منهم، مثلاً: التمر وقد ارتبطت زراعتها بقدم عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس، وقد جلب من المشرق كثير من أنواع الغروس والبذور من التمر، كان في بداية عصر الإمارة كانت نخيل التمر قليلة، وبعدها انتشر زراعة النخيل في الأندلس. (2)

وكانت الحبوب تعتبر من أهم الغذاء لسكان الأندلس، ومن محاصيلها القمح والشعير والبقول والحمص، ويوجد في الأندلس بعض المخازن لحفظ تخزين هذه الحبوب. (3)

اشتهرت الأندلس بزراعة الفواكه وتوفيرها، وكانوا يزرعون عدة أقسام من التين، منهم التين بصنفة والتين

(1) راجع: لظفي، الإسلام في إسبانيا، ص 7.

(2) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص 55. ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 1/ 235. المقرئ التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 273.

(3) راجع: الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 41. المقرئ التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 197. ابن بطوطة، تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ص 265. القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص 546.

كان أهل الأندلس ماهرين في تصنيع الأشياء، وكانت صناعة الحريرية لها مكانة بارزة بين المجتمع الأندلسي، وكانوا يعتنون عناية فائقة بتربية دودة القذ وزراعة أشجار التوت وهي المصدر الرئيسي لها، ووفروا لتنمية هذه المنسوجات الحريرية المواد الأولية، ومدينة المرية كانت لها شهرة واسعة في صناعة المنسوجات الحريرية، ومدينة قرطبة اشتهرت بصناعة الأقمشة الناعمة والمنسوجات الحريرية السمكية، وفوق ذلك إلى أجود أنواع الثياب المصنوعة من جيد القز والخز. (1)

وكان عدد كبير من عمال النسيج والحياكة في الأندلس، لذلك كان عبد الرحمن الناصر يفتخر بما حاك في الأندلس من الخز والوشي، وبعض أصناف الثياب، والنساجون في الأندلس كانوا ماهرين في حياكة الثياب الحريرية المغشاة بالذهب، والمنسوجات الحريرية في الأندلس وخاصة في مدينة المرية ذاعت شهرتها في جميع أنحاء العالم الإسلامي. (2) وثياب الحرير المغشاة بالذهب كانت لها شهرة بالغة ومصنوعة من حلال الموشية النفيسة ذات الصور العجيبة، وينتج برسم الخلفاء وكبار رجال الدولة. (3)

وفوق ذلك كانت الأندلس اشتهرت بصناعة المنسوجات القطنية والكتانية والصوفية، وتوافرت المواد الخام اللازمة لهذه الصناعة في المناطق المختلفة في الأندلس، وكان الصناع والعمال ماهرين في هذا الانتاج لذلك تطورت واشتهرت هذه الأنواع، أما النساء لهن علم خاص في صناعة القطن والكتان والصوف. (4)

امتازت الأندلس بصناعة المنسوجات القطنية والثياب الفاخرة، وتصدر منها إلى جميع أنحاء العالم الإسلامي، واشتهرت المدن بصناعة المنسوجات الكتانية كمدينة قرطبة ولاردة وطليطلة، وكانت مدينة بلنسية امتازت بمنسوجات الكتانية وصناعتها بجودة عالية، وكذلك صناعة الحرفة الفصادة، وكان صناعة الصوف أيضاً من أهم الموارد الأندلس، لأن أهل الأندلس كانوا يراعون بتربية المواشي في سفوح الجبال والأودية، وأهل الأندلس عرف أيضاً بصناعة أنواع

(1) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ص 199. سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، 2/ 154.

(2) على الجارم، قصة العرب في إسبانيا، مطبوع في مصر، عام 1964م، ص 128. ابن حوقل، صورة الأرض، 1/ 109. ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 2/ 193. القلقشندي: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي (821هـ/ 1418م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، شرح وتعليق: نبيل خالد خطيب، ط 2، دار الفكر، عام 1991م، 5/ 210.

(3) موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، ص 219. ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، 2/ 417.

(4) التجيبي، ثلاث رسائل أندلسية في آداب القضاء والحسبة والمحتسب، ص 60. سالم، محاضرات في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص 28. محمد عبد الله، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنذرين، ط 4، القاهرة، عام 1978م، ص 447.

الملابس الصوفية المختلفة يرتدي أثناء المطر، وثياب الملف مصنوع من الصوف يرتديها في الشتاء. (1) ومن ملابس مصنوعة من الصوف يستخدمون في برد الشتاء، وهي ثياب فاخرة وتعرف باسم أبو قلمون (2) وهي ثياب تمتاز بالجودة والمتانة، وهذه الثياب كانت تنسج إلى الخلفاء والأمراء خاصة، وكان الحكام يحتصون هذه الثياب لأنفسهم فقط، ومنعوا بيعها في الأسواق أو تصديرها إلى خارج الأندلس. (3)

صناعة ثياب السمور كانت في مدينة سرقسطة، وهي ثياب رفيقة الفاخرة المتقنة الصنع، وليس لها مثيل في صناعتها في العالم الإسلامي آنذاك، وكانت تعرف بالثياب السرقسطية، وكذلك من الصناعات البسط والسجاد، (4) وازدهرت هذه الصناعة في الأندلس بعد دخول المسلمين إلى الأندلس، لأن أهل الأندلس ليس لهم معرفة بصناعة البسط والسجاد.

ازدهر استخدام الصوف في صناعة البسط والسجاد من شعر الماعز وغيرها، وكان البسط والسجاد والمصليات من أغلى هدايا التي تقدم للخلفاء والأمراء، السجاد الثمين يفرش بها في قصور الحكام، لذلك أهل الأندلس قاموا بصناعة البسط والسجاد، حتى اشتهرت مدينة مدريد وبلنسية في إنتاج أنواع معينة من السجاد، وكانوا يرسمون الصور عليها ويعلقونها على الجدران. (5)

قبل الفتح الإسلامي للأندلس لم تكن لأهلها معرفة بصناعة منسوجات السجاد ولا يستخدمونها في مجتمعهم، لما دخل المسلمون انتشروا استخدام السجاد في بيوتهم وقصورهم، لذلك أثروا على أهل الأندلس وقاموا بتنسيج السجاد واستخدامهم في بيوتهم ويزينون بها الجدران.

(1) راجع: ابن الخطيب، الإحاطة في اخبار غرناطة، 2/ 333. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 1/ 195. ابن حوقل، صورة الأرض، 1/ 108. المقري التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 3/ 221.

(2) وهي الثياب تنسب إلى حيوان بحري يدعى أبو قلمون.

(3) المقري التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 3/ 198. ابن منظور، لسان العرب، 5/ 271.

(4) الحميدي، صفة جزيرة الأندلس، ص 162. المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص 240.

(5) ابن هشام اللخمي: أبو عبد الله محمد بن أحمد هشام اللخمي (ت: 577هـ/ 1181م)، المدخل إلى تقويم اللسان، تحقيق: حاتم صالح الضامن، ط 1، دار البشائر الإسلامية، عام 1424هـ/ 2003م، 2/ 355. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 3/ 213. الحميدي، صفة جزيرة الأندلس، ص 198. جمال محرز، فضل مصر على صناعة السجاد بإسبانيا، مقال منشور في المجلة، عدد: 11، عام 1377هـ/ 1999م، ص 85. موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، ص 222.

اشتهرت الأندلس بصناعة الثروة الحيوانية، وكانوا يربون الأغنام والأبقار وعدة أصناف الماشية الأخرى، ولها أثر بالغ في ازدهار الصناعات الجلدية، ففي البداية كانوا يصنعون من صوف أو شعر هذه الحيوانات، ويطلقون اسم الصوفين، وبعده يستخدمون الجلود لتصنيع الأشياء الكثيرة منها، وكانوا يضعون على الجلود المواد الخاصة للتنظيف من روائح كريهة ويلونونها، أما الذين يوفرون الجلود يطلقون عليهم الدباغين، وكان أكثر الجلود استعمالاً في المصنوعات هي جلود الماعز الضأن والبقر النسور والثعالب والسمور، حتى أنهم يستخدمون جلود الأسماك أيضاً. (1)

المصنوعات الجلدية في الأندلس عبارة عن قباب الارم والدرع ومفارض المائدة والجراب والجم الخيول وسروجها والحذية والأقراق (نوع من النعال) والفاف وهي حذاء للنساء. (2) وكان المسلمون يستخدمون الجلود في تجليد الكتب والمصاحف لحفظ الكتاب من التلف، ومدينة مالقة كانت أكثر براءة في صناعة الجلود وتجليد الكتب. (3)

النجارة وأعمال الخشب لها مكانة مهمة في الأندلس، لأن بلاد الأندلس فيها مناطق كثيرة التي وفرت فيها الأخشاب، وفيها العمال المهرة في استخدام الأخشاب، وازدهرت هذه الحركة المعمارية في الأندلس وخاصة استخدام الأخشاب في عمارة المساجد والقصور. (4)

وفوق ذلك تقدم المسلمون في مجال النجارة وأعمال الخشب تقدماً كبيراً، وبرع النجارون في صنع أساس البيوت والأدوات المنزلية المتنوعة، وجميع الأدوات المستخدمة في حياة الإنسان تعد من ضروريات العمران البشري، وكانوا يصنعون من الأخشاب الخزائن والصناديق والسلامم والكراسي والأقفال والمفاتيح والطاولات والأبواب والنوافذ وبعض أدوات المطبخ والملاعق، وأيضاً يصنعون لعب للأطفال، ويستخدمون الأخشاب في صناعة القباب، ويستخدمون في ترسيم الخرائط كما انتشرت في أسواق قرطبة، حتى برعوا أهل الأندلس في استخدام الأخشاب

(1) التجيبي، ثلاث رسائل أندلسية في آداب القضاء والحسبة والمحتسب، ص 50. موسى: عز الدين موسى، السير في صناعة الشعر، مدريد، عام 1960م، ص 28. أمين الطيب، الإسلام في الأندلس وصقلية وأثره في الحضارة الأوروبية، ط 1، طرابلس، عام 1986م، ص 31. القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ص 207.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 4/ 38. المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 358. مؤنس: الدكتور حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيون في الأندلس، ط 2، مدريد، عام 1986م، ص 344.

(3) التجيبي، ثلاث رسائل أندلسية في آداب القضاء والحسبة والمحتسب، ص 59. ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 1/ 143. ابن منظور، لسان العرب، 13/ 210. ابن حيان، المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، ص 42.

(4) المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 551. كولان، الأندلس، ص 177.

النجارة. (1)

إضافة إلى ذلك انتشرت في الأندلس المصنوعات الذهبية والفضية، وتوجد فيها معادن الذهب والفضة على نطاق واسع، وكان أهل الأندلس قبل الفتح الإسلامي يستخدمون الذهب والفضة قليلاً، بل للحكام عندهم أشياء كثيرة من الذهب والفضة والأحجار الكريمة، كما عثر المسلمون بعد الفتح على كميات وفيرة من المنتجات الذهبية والفضية، وقد وجدوا في طليطلة مائة وسبعين تاجاً من الذهب مرصعة بالدرر وعدة أصناف من الحجارة النفيسة، وأيضاً وجدوا من الدر والياقوت وأنواع آنية الذهب والفضة. (2) وكذلك عثر المسلمون في طليطلة المائدة المعروفة بمائدة سليمان بن داود -عليهما السلام-، وهي مصنوعة من الذهب ومرصعة بالدر والياقوت والزمرد وغير ذلك من الأحجار الكريمة. (3)

كان المسلمون في عهد الإمارة يتفنون في الصناعة، وبرعوا في صناعة الأساور والخواتم والسلاسل والخلاخيل ويتزين النساء بمنتجات الصاغة الثمينة، وفي عصر الخلافة بلغت الصناعة في أوج عظمتها وازدهارها، وكانوا يستخدمون الذهب والفضة في تزيين المساجد والقصور وغير ذلك، كما زينوا مسجد الجامع قرطبة وبأبها الرئيسي للجامع كانت مصنوعة من الذهب مضروب وأوصاله من فضة، وكان المنبر أوصاله وحشواته مصنوعة من الفضة، ومفاتيح صومعة المسجد الجامع مصنوعة من الذهب والفضة الخالصة. (4)

وكانت مدينة الزهراء هي إحدى أعلى مباني المسلمين في الأندلس، كما بُني فيها قصر الخلافة، وكان جدرانه مصنوعة من الذهب والزجاج والرخام وله قوارير من الذهب والفضة، وله ثمانية أبواب من العاج والأبنوس مرصعة بالذهب والجواهر، حتى أن عبد الرحمن الناصر بنى داراً للصناعة في قرطبة والزهراء، وكانوا يصنعون من الذهب والفضة الأشياء المختلفة، وفوق ذلك كانوا يستخدمون الذهب والفضة في تأليف الكتب وبعض النقوش في الكتابات. (5)

(1) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، 3/ 937-938. التجيبي، ثلاث رسائل أندلسية في آداب القضاء والحسبة والمحتسب، ص 36، 48. ابن هشام اللخمي، المدخل إلى تقويم اللسان، 2/ 167، 362. موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، ص 234.

(2) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 1469. الإدريسي، نزهة المشتاق في إختراق الآفاق، 5/ 551.

(3) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص 490.

(4) راجع: المقري التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 128. ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: شالميتا، 5/ 352. ابن هشام اللخمي، المدخل إلى تقويم اللسان، 2/ 142. ابن الأبار، الحلة السيرة، 1/ 116. ابن غالب، فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، ص 299.

(5) راجع: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس، 2/ 231. ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: شالميتا، 5/ 353. المقري

وقد ازدهر في الأندلس استخدام النحاس والصفرة والبرونز ووفروا المواد الأولية لهذه الصناعة، مثل النحاس والصفرة والكبريت والقصدير والتوتيتا، وهذه المواد تمتاز بصلابتها وسهولة تشكيلها في صناعة القناديل والمصابيح والمباخر والشمعدانات، وبعض المصنوعات ما زالت موجودة حتى الآن في بعض المتاحف الأوروبية،⁽¹⁾ وكانوا يستخدمون النحاس والصفرة في صناعة الأدوات والأواني المنزلية، ويصنعون منها القدور والصناديق والأقراخ والسكاكين والمفاتيح للأبواب وغير ذلك.⁽²⁾

وأذكر باختصار من الصناعة في الأندلس، لأنها تحتاج إلى بحث كامل، ومن تقدم في صناعة المسلمين في الأندلس صناعة الحدادة وأعمال الحديد، والورق، والزيوت والصابون، والخزف، والزجاج، وطحن الحبوب، والسكر، والسفن والأسطول الحربي، والأسلحة، والنقود، الرخام وغير ذلك من الأشياء التي تستخدم في تنمية المجتمع، والأندلس كانت بلد الحرف وظهرت فيها حرف كثيرة ومارسها عدد كبير من الناس، لذلك ازدهرت الزراعة والصناعة والتجارة، وكلهم يتنافس الآخر، فمنهم الخبازون، والفرانجون، والنجارون، والخباطون، العطارون، والبناءون، والفلاحون، والرعاة، والحبالون، والصاغة وغير ذلك.⁽³⁾

الخلاصة أن الأندلس كانت من أهم البلاد الإسلامية في مجال الزراعة والصناعة والثقافة وغيرها، وفيها زراعة الحبوب والخضر والفاكهة وبعض المزروعات التي لها دور في صناعة القطن والكتان وقصب السكر والتوت والزعفران، وكذلك الرعي والثروة الحيوانية المتعلقة بتربية المواشي وصيد الأسماك وتربية النحل. وثم يأتي الصناعة مثل وفرة المعادن ووجود الأيدي العاملة الماهرة، الحديدية، وصناعة الفخار والخزف، وصناعة من الثروة الحيوانية الغابية الزراعية مثل

التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 88/1.

(¹) المصنوعات في المتاحف الأوروبية ما تزال موجودة، ومنها مدينة الزهراء المحفوظ في متحف الآثار الأهلي بقرطبة وهي عبارة عن غزال مجرد من قرنية يقدم على قاعدة مستطيلة الشكل مجوفة من الداخل، وأيضاً هناك نوع آخر لوعل من البرونز الذهب. (ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 1/144. سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، 2/139).

(²) راجع: التجيبي، ثلاث رسائل أندلسية في آداب القضاء والحسبة والمحتسب، ص 45. ابن هشام اللخمي، المدخل إلى تقويم اللسان، ص 2/130. موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، ص 249.

(³) راجع: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بما بينهم. الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار. ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب. المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب. ابن حوقل، صورة الأرض. الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس. ابن بطوطة، تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس. ربييرا، المكتبات وهواة الكتب - إسبانيا الإسلامية.

صناعة الزيوت والجلود والسفن والمنسوجات والورق. ويأتي بعده التجارة الداخلية والخارجية وأهم العوامل التي أثرت فيها، وهي الطرق البرية والبحرية ووسائل النقل، وكذلك المراكز التجارية والأسواق الأساسية، والتجارة الخارجية تسير عن طرق البرية والبحرية أيضاً، وفي مجال التجارة لها مناطق المهمة للتبادل التجاري في موارد الصادرات والواردات، وثم النظام المالي وهي عبارة عن الخزانة العامة وإدارة بيت المال وموارد الحاكم الخاصة.

ثالثاً: العادات والتقاليد والسماحة الاجتماعية:

كان للمجتمع الأندلسي عادات وتقاليد عمل للحفاظ عليها، وانفرد الشعب الأندلسي عن غيرها، ولما فتح المسلمون الأندلس بدأت فيها الحياة الجديدة، وقضى على العادات السيئة وعلى التخلف، وبدأ أيضاً الانحطاط بامتزاج العادات والتقاليد السابقة مع جديدة أي المسلمون، لذلك كانوا يأخذون عادات وتقاليد في السلوك اليومية أو في الملبس والمأكل وفي المناسبات الدينية والأعياد.

أ- الملبس:

اللباس مرتبط بالإنسان ولازم له طول الحياة، ولكن تختلف هذا الملبس حسب الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وأيضاً حسب ظروف البيئة والمناخ، وكذلك اختلف لباس الرجال من النساء في المجتمع الأندلسي، وأيضاً اختلف حسب الظروف المناخ والبيئة،⁽¹⁾ كما "أن أهل الأندلس أكثر لباسهم في الشتاء الجوخ⁽²⁾ وفي الصيف البياض"،⁽³⁾ وقد تأثر لباسهم بلباس الأردية الإفريقية من مقطع التونسية والمآزر المشفوعة.⁽⁴⁾

انتشر في الأندلس ملبس العمامة، وأكثر الناس اللذين يلبسون العمائم هم الشيوخ والقضاة وقادة الجند، كما أن في غرب الأندلس لا يوجد قاضياً ولا فقيهاً دون عمامة،⁽⁵⁾ وكانت للعمامة في الأندلس أثر ومكانة كبيرة عند

(1) خلاف: الدكتور محمد عبد الوهاب خلاف، قرطبة الإسلامية في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي الحياة الاقتصادية، ط 1، الدار التونسية للنشر التوزيع، ص 105.

(2) الجوخ هو سوق الجوخيين وهي معدة لبيع الجوخ المجلوب من بلاد الفرنج لعمل ثياب السروج. (رجب: عبد الجواد إبراهيم رجب، المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثوقة من الجاهلية حتى العصر الحديث، ط 1، كلية الأدب جامعة حلوان، عام 2002م، ص 119).

(3) الفلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، 5/ 271.

(4) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 1/ 35.

(5) المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 222. ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ص 36. فرحات: فرحات يوسف

الخاصة والعامّة، لأنّها رمز الشرف والرفعة واتخذوا لواء عند الحرب، (1) فلكرامة العمامة لدى العرب اتخذوها شعاراً لهم ورمزاً لعروبتهم.

وكذلك لباس خاص يلبسه العلماء والمشائخ وهو الطيلسان، والطيلسان هو شبه العطاف، (2) كما قال المقرئ التلمساني: "لا تجد في خواص الأندلس وأكثر عوامهم من يمشي دون طيلسان، إلا أنه لا يضعه على رأسه منهم إلى الأشياخ المعظمون"، (3) وهو اللباس "الطرحة التي تضع على الرؤوس وشبه المنديل الكبير، فيلقون الطيلسان على الكتف لحمته أو سداه من صوف يعتبر كساء مدوراً أخضر لا أسفل له". (4)

كما جاء في خبر النجاشي: "أنه أهدى لرسول ﷺ هدية جامعة: قميصاً وسراويل وعطافاً وخفين ساذجين".

أما لباس النساء لها صفات خاصة، ولباسها اتصفت بالأناقة والاسراف والنفاسة وألوان مختلفة، والنساء من الديانات المختلفة قد يلبسن بعض الألوان والديباج من الملابس، (5) وكانت النساء اتخذت ملابس من أشكال متنوعة وخاصة من المشهورة في المشرق. (6)

وقد اتخذت النساء في الأندلس من ملابسها العصابة، وهي قطعة من الصوف مربعة وملونة من سوداء وحمراء وصفراء، وهي يلف بها كل الرأس، وتدار قليلاً على الرأس كعمامة أو منديل أو خرقة، وكذلك من أغطية الرأس

شكري، غرناطة في ظل بني الأحمر، ط 1، دار الجيل - بيروت، عام 1993م، ص 223.

(1) يحيى الجبوري، الملابس العربية في الشعر الجاهلي، دار المغرب الإسلامي - بيروت، عام 1989م، ص 197 - 198.

(2) رجب، المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثوقة من الجاهلية حتى العصر الحديث، ص 186 - 187.

(3) المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 222.

(4) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، 5/ 271. رجب، المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثوقة من الجاهلية حتى العصر الحديث، ص 306.

(5) الزجالي: أبي يحيى عبيد الله بن أحمد الزجالي القرطبي (ت: 694هـ)، أمثال العوام في الأندلس، تحقيق: الدكتور محمد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة مكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، 2/ 449.

(6) بولعراش خميس، الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف (400 - 499هـ / 1005 - 1008م)، رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي وعلم الآثار، جامعة باتنة، عام 2007م، ص 95.

للنساء في الأندلس الغفارة جمعها غفائر، وهي حرقة تلبسها النساء والرجال، وأيضاً تضعون على رؤوسهن الخمار، وكان الخمار خاصاً للأندلس لتغطي النساء به رأسها وهي من شقاق الحرير فقط، (1) وفوق ذلك كانت النساء في الأندلس تستخدمن البرقع، وهي غطاء للوجه وفيها فتحتان للعينين لرؤية، أما النقاب نوع من الحجاب للنساء في الأندلس، وهو مزود بفتحات للعينين لتمكين النساء من السير، ولباس الصدر وهو ثوب رأسه كالمقنعة وأسفله يفشي الصدر والمنكبين. (2)

وكانت النساء يلبسن القميص والسراويل، والسراويل ما تشبه البنطلونات ولكنها فضفاضة، وكانت محببة الاستعمال، ولونها على الأغلب الأبيض، ومصنوعة من الكتان. (3) أما القميص يصنع في الأغلب من الكتان، وكان لونه الأبيض والأسود، وكان يلبس مع الرداء أو مع الجبة، وهذا لباس الرجال، وكذلك النساء كانت يلبسن القميص المصنوع من الحرير أو من القطن، وله كمان واسع، والرداء وهو الوشاح وتردت الجاريات وتوشحن وهو ثوب فوق الجبة والعباءة، ويستتر الجزء الأعلى من الجسم، وكذلك يوضع على الكتفين والمنكبين مستطيل الشكل، وهو يلبس مع الإزار لكن هو أطول منه، وفي بعض الأحيان يلبس مع القميص أو معهما معاً. (4)

وأيضاً من ملابس المنزر أو الإزار وهو الملحفة من الكتان لحفظ أصحابها صيانة جسدهم، (5) وهو لباس مشترك بين الرجال والنساء في الأندلس، وكانت نساء اليهود يلبسن إزر الأصفر والنساء النصرانية إزر أزرق لتمييز عن نساء المسلمين، (6) وهذا ليس في الحكم الإسلامي، لأن المسلمون لم يضع قيوداً على أهل الذم.

الملحفة هي تشير إلى الإزار أو الخمار الكبير التي تتحجب بها المرأة عند الخروج من منزلها، وهي يلففن فوق

(1) رجب، المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثوقة من الجاهلية حتى العصر الحديث، ص 159، 343، 402.

(2) ابن سيده: أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي (ت: 458هـ)، المخصص، ط 1، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، عام 2000م، 4/ 38-39.

(3) راوية: عبد الحميد شافع راوية، المرأة في المجتمع الأندلسي من الفتح الإسلامي للأندلس حتى سقوط قرطبة، ط 1، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ص 82. رجب، المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثوقة من الجاهلية حتى العصر الحديث، ص 235.

(4) رجب، المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثوقة من الجاهلية حتى العصر الحديث، ص 194، 405.

(5) الرجالي، أمثال العوام في الأندلس، 2/ 436. يحيى الجبوري، الملابس العربية في الشعر الجاهلي، ص 64.

(6) راوية، المرأة في المجتمع الأندلسي من الفتح الإسلامي للأندلس حتى سقوط قرطبة، ص 82.

القميص، وتصنعونها من القطن وهي من أصل البربر في المغرب الإسلامي. (1)

وكذلك النساء في الأندلس يلبس الوشاح مصنوعة من الجلد والمزينة بالأحجار الكريمة وتضعها في وسطهن، ويختلف الوشاح في المشرق والأندلس، لأن في المشرق يعني العصابة وفي الأندلس الخزم، (2) كما قال: "لا يكون الوشاح وشاحاً حتى يكون منظوماً باللؤلؤ"، (3) وكذلك نساء الأندلس تستعملون في الملابس الإتب، والغلالة، والشال، والأخذية وهي نوع من النعال للرجال والنساء، وللنساء أدوات الزينة منها الحلبي، والعمود وغير ذلك. وكانت النساء في الأندلس تحرص على زينتهن، كما ذكر: "أدوات الزينة التي تستخدمها النساء منها المكاحل، والمراد، والغالية، والأمشاط، والأمرية، والأنعلة، وخرز الأمتعة". (4)

ب- الأطعمة والأشربة:

أطعمة المسلمين في الأندلس امتازت بالبساطة عند الفقراء، وأما عند الأغنياء مركبة وتنوعت بين طبقات العربية والبربرية والأوروبية، وكان القمح الغذاء الأساسي لدى الأندلسيين وخاصة للأغنياء، (5) وكذلك الذرة كانت من أطعمة الفلاحين والمستضعفين وخاصة في فصل الشتاء، وأن "أهل غرناطة يدخرون الفواكه المجففة كالتين، والزبيب، والرومان، والتفاح، والجوز، واللوز لأكلها من حين لآخر". (6) وانتشر أكل الثريد سواء باللبن وباللحم وبالفول والسمن، وتعد من أطعمة الحكام، (7) وأيضاً الأرز بين سكان الأندلس وكانوا يفضلونه مطبوخاً باللبن، كما

(1) الحسن: محمود عبد الحسن، أزياء المجتمع الأندلسي من سنة 92-625هـ، مجلة كلية الأدب، جامعة ديالي كلية التربية الأساسية، العدد 102، ص 200. رجب، المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثوقة من الجاهلية حتى العصر الحديث، ص 453.

(2) راوية، المرأة في المجتمع الأندلسي من الفتح الإسلامي للأندلس حتى سقوط قرطبة، ص 82. الحسن، أزياء المجتمع الأندلسي من سنة 92-625هـ، ص 200.

(3) ابن سيده، المخصص، 4/ 98.

(4) الونشريسي، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، 2/ 502.

(5) فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص 107. ابن رزين: أبي الحسن علي بن أبي القاسم بن رزين التجيبي، فضالة الخوان في طبقات الطعام والألوان، تحقيق: محمد بن شقرون، ط 1، دار الغرب الإسلامي الرباط-المغرب، ص 30.

(6) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 1/ 137.

(7) مؤلف مجهول، الطبخ في المغرب والأندلس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية- مدريد، عام 1962م، ص 21، 171.

قال المقرئ التلمساني: "الأرز الفضل إذ تطبخه بالدين".⁽¹⁾

وأما الأطعمة التي استعملت في الحفلات مثل الأعراس والختان والنزهات هي تعرف في طليطلة بالمجينة، وهي عبارة عن جبن طري يدعك يعجن بالأيدي حتى يصبح كعجين الزلاية، ثم تبسط قطعة منه وتقلي في الزيت ويرش عليه السكر.⁽²⁾

وفوق ذلك كان أهل الأندلس يأكلون اللحوم بمختلف أنواعه، مثل لحم البقر، والغنم، والأرنب، والطيور، والسماك، وعندهم عدة أنواع الأطعمة اللحمية، منها يسمى الأسفيرا أو التفايا، وهي ذو لون أبيض يحضر بلحم الظأن، ويضيف إليه الفلفل والملح والكزبرة.⁽³⁾ وكذلك نوع آخر من الطعام تسمى "البلاجة" وهي تصنع من بقايا الأكباد أو من لحم الغنم، والأطعمة التي تباع في الأسواق كالإسفنج وهو يصنع من البيض والخميرة والسמיד والفستق والجوز والعسل، وفوق ذلك المركاش أو المركاس تصنع من لحم الظأن والهريسة.⁽⁴⁾

وكان الأندلسيون اهتموا بتطبخ الخبز، وهو من عنصر مهم في تغذية السكان، وعندهم عدة أصناف للخبز، كخبز الدرمل وخبز الشعير وخبز الخشكان وخبز الأرز وخبز الذرة وخبز الدخن،⁽⁵⁾ وكانوا يستعملون الفلفل والكمون الكزبرة والملح والخل وبقول، كما "أن أهل الأندلس عندهم خمسة وعشرون صنفاً منها السنبل، والصندل، والقرنفل، والقرفة، وقصب الذريرة...".⁽⁶⁾

(1) المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 3/ 301.

(2) راجع: ابن رزين، فضالة الخوان في طبقات الطعام والألوان، ص 10. الرجالي، أمثال العوام في الأندلس، 2/ 31. بوتشيش: إبراهيم بوتشيش القادري، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت، ص 71. فكري، قرطبة في العصر الإسلامي، ص 255.

(3) ابن رزين، فضالة الخوان في طبقات الطعام والألوان، ص 59. بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، ص 72. مؤلف مجهول، الطبخ في المغرب والأندلس، ص 54-59.

(4) راجع: فكري، قرطبة في العصر الإسلامي، ص 245. بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، ص 74.

(5) مؤلف مجهول، الطبخ في المغرب والأندلس، ص 123، 135. بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، ص 74.

(6) السقطي: أبي عبد الله محمد بن أبي محمد السقطي المالقي الأندلسي، في آداب الحسبة، تحقيق: ليفي بروفنسال، المطبعة الدولية ومعهد العلوم المغربية - باريس، عام 1931م، ص 71.

وكان أهل الأندلس برعوا في صناعة الحلويات، وعندهم عدة أصناف المتميزة، منها حلويات التمر والعسل والسكر، وحلويات من بعض الفواكه، واشتهرت الحلويات المغربية في الأندلس كالعسل والزيت والكعك والمعسل والزلابية وغيرها. (1)

أما الأشربة في الأندلس قد تنوعت منها عصائر تصنع من الفواكه المختلفة، لأن بلاد الأندلس كانت غنية في جانب الأشجار المثمرة. (2)

أما الأطعمة عند غير المسلمين فلها تأثير بالغ عن أطعمة المسلمين، لأن غير المسلمين لا يتناولون لحوم الخنزير واللحوم غير مذبوحة، ولا يشربون في جيران المسلمين الخمر، ولكن اليهود لا يأكلون ذبائح المسلمين وهذا لعدم التزامهم بتعليمات خاصة بهم، ولكن أن المسلمين كانوا يستحلون أكل ذبائح اليهود في بعض الأحيان. (3) لقوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكُفْرَ وَالشِّرْكُ وَالْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمُجْرِمُونَ﴾. (4)

أما النظافة في الأندلس وهو شرط أساسي للطبخ وفي المطبخ، لذلك كانوا ينظفون جميع الأواني والأدوات المطبخية بالماء الحار كل يوم، ويعدونها عن الأوساخ والأتربة لسلامة لذة الطعام. (5) فالخلاصة أن الطعام في الأندلس مكون ومريح بين التأثيرات الشرقية والمغربية والأوروبية أيضاً.

ج- الأعياد والاحتفالات:

الشعب الأندلسي مكون من عدة أجناس، لذلك تنوعت الاحتفالات والأعياد، بعضها مرتبط بالدين وبعضها بالأمور الدنيوية، الدينية كعيد الفطر والأضحى، والدنيوية كأعياد غير المسلمين واحتفالاتهم.

أهم الأعياد عند المسلمين عيد الفطر والعيد الأضحى ويوم الجمعة، ويحتفل المسلمون في أول شهر شوال

(1) بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، ص 74. ابن رزين، فضالة الخوان في طبقات الطعام والألوان، ص 10.

(2) مؤلف مجهول، الطبخ في المغرب والأندلس، ص 92.

(3) كحيل، تاريخ النصارى في الأندلس، ص 112.

(4) سورة المائدة، رقم من الآية: 5.

(5) ابن رزين، فضالة الخوان في طبقات الطعام والألوان، ص 12. مؤلف مجهول، الطبخ في المغرب والأندلس، ص 84.

ونهاية شهر رمضان، وهو من شعائر المسلمين جميعاً، (1) ففي صباح هذا اليوم الرجال والنساء والأطفال يلبسون أحمل الثياب ويزينونهم بأحسن زينة ويتوجهون إلى المساجد لصلاة العيد، ويفرحون بهذا اليوم، كما جاء في حديث رسول الله ﷺ: "للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي ربه فرح بصومه"، (2) وصور فرحة العيد في الأندلس: "وتزفها السعادة واهترت الأرض وذاع الأرح، وارتفع الحرج.. الخ". (3)

ثم يأتي بعده عيد الأضحى في العاشر من ذي الحجة هو يوم النحر، وهو أيضاً فرحة للاحتفالات والتأنق بالأطعمة والأشربة والزينة، وكانوا يذبحون فيه الحيوانات ومن بينهم أكثر نحرًا الخروف كعادة أهل الأندلس بعد صلاة العيد، وفي هذا الصباح تشغل جميع الناس بتهيئة الأضحية وإعدادها للذبح، وبعد الذبح يقومون في طهي مختلف أصناف الطعام من اللحوم، ويستقبلون الأقارب في هذا اليوم. (4)

يوم الجمعة يتخذها الأندلسيون عطلة عامة، وتتوقف الدروس والمجالس العلمية والأمور الحكومية من زوال يوم الخميس حتى يوم السبت، وفي هذا اليوم أيضاً يلبسون الملابس الجميلة ويغسلون ثم يتوجهون نحو المساجد لأداء صلاة الجمعة، وكذلك المحسنون يخرجون في هذا اليوم الصدقات للفقراء والمساكين. (5)

وكان أهل الأندلس يحتفلون بمولد النبي ﷺ، ففي البداية الأندلسيون لا يحتفلون بهذا المولد، ولكن بدأ هذا الاحتفال في القرن 5هـ/11م قليلاً، وأول مرة احتفل رسمياً في القرن 7هـ/13م. (6)

وكان أهل الأندلس يحتفلون بيوم العاشر من شهر محرم، وفي هذا اليوم نجى الله موسى -عليه السلام- وقومه

(1) ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: الحجى، ص 28.

(2) الإمام البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب هل يقول أني صائم إذ شتم، رقم الحديث: 1805، 2/673. الإمام مسلم، صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب فضل الصيام، رقم الحديث: 1151، 2/807.

(3) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 3/502.

(4) الطرطوشي: أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف الطرطوشي (ت: 530هـ)، الحوادث والبدع، تحقيق: علي بن حسن علي الحلبي، ط 1، دار الجوزي المملكة العربية- السعودية، عام 1990م، ص 66-67.

(5) نجاة هاشمي، عادات وتقاليد المجتمع الأندلسي خلال عهد الدولة الأموية (138-422هـ/756-1031م)، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة لحاج لخضر- باتنة، عام 2016م، ص 101.

(6) شاكر مصطفى، الأندلس في التاريخ، ص 142. سامعي إسماعيل، تاريخ الأندلس الاقتصادي والاجتماعي، ط 1، مكتبة إفرنج قسنطينة- الجزائر، عام 2007م، ص 126.

من بطش فرعون، لذلك حث الإسلام على الصيام في هذا اليوم والتوسعة أو الحادي عشرة، وأصبحت سنة للمسلمين، وأيضاً يجهزون أنفسهم وعائلاتهم بمجئ شهر رمضان، وكانوا يشترون مختلف اللوازم للإفطار والسحور لاستقبال رمضان، وتقدم مائدة الإفطار من الأطعمة للناس، وفي نهاية شهر رمضان يحتفلون برؤية هلال شهر شوال، وكانت تقرع الطبول وتقدم التهاني. (1)

أما غير المسلمين فيحتفلون مع المسلمين في أعيادهم وحفلاتهم الدينية وعلى العكس، وأيضاً عندهم أعياد كعيد النيروز وهو أحد الأعياد في الأندلس، وهو عيد السنة الفارسية عبارة عن بداية السنة الشمسية عند الفرس، وكان الأندلسيون يحتفلون في هذا العيد ويشترون المواد الغذائية ومواد الزينة، ويحضرون الحلويات المتنوعة والجميلة. (2) وكان النصراني في الأندلس يحتفلون بميلاد يحيى بن زكريا -عليهما السلام- ويسمى هذا العيد عند الإسبان بسان خوان، وهو عيد العنصرة أو العصرة - كلمة عبرية تعني عيد المهرجان- وهو يشتهر بتشغيل النار. (3)

وأهل الأندلس غير المسلمين وخاصة النصراني يحتفلون بعيد يناير، ويصنعون خلاله عدة أصناف من الحلويات، وهي "مركبة على البيض المصبوغ بالحمرة والخضرة ثم يفرم بالزعفران ويطبخ في الفرن، وكانت تقدم في هذا العيد للأطفال لبسط الرزق فيه كما يخرج الرجال مع النساء للتفرج ويلبسون أحسن الثياب ويدعون أصدقائهم لقضاء الليل في الاحتفال والسهر"، وأيضاً عند النصراني عيد يحتفلون فيه وهو ليلة العجوز وهي آخر ليلة السنة الميلادية. (4) وكذلك عند اليهود أعياد كثيرة، منها عيد الفصح ويسمونه بعيد الفطر، وهو في الخامس عشر من إبريل كل عام، ويدوم سبعة أيام، يأكلون وينظفون فيه بيوتهم من خبز الخمير، وهو احتفال بذكرى خلاصهم من فرعون وغرقه، وعيد حوماريا ويمسى بالكابور، وهو الصوم، وعقوبة من لم يصمه هو القتل، ومدة الصوم خمسة وعشرون ساعة،

(1) عناني: محمد زكريا عناني، تاريخ الأدب الأندلسي، دار المعرفة الجامعية- مصر، عام 1999م، ص 147، 148. بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، ص 78، 88.

(2) المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 239. بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، ص 93.

(3) الرجالي، أمثال العوام في الأندلس، 2/ 85. كحيلة، الخصوصية الأندلسية وأصولها الجغرافية، ص 108-110.

(4) بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، ص 92. نجاة هاشمي، عادات وتقاليد المجتمع الأندلسي خلال عهد الدولة الأموية (138-422هـ/ 756-1031م)، ص 103. الرجالي، أمثال العوام في الأندلس، 2/ 23.

وكذلك عيد الأسابيع وغير ذلك. (1)

الخلاصة والتعليق:

إن للمسلمين في الأندلس أثر بالغ في نفوس أهل هذه البلاد في المجال الاجتماعي، كما أن المسلمين عندما فتحوا هذه البلاد امتزجوا فيما بينهم وخاصة المسلمون تزوجوا بنساء هذه البلاد، وانتشرت أخلاق المسلمين بين أسر الأندلسيين، وبعد سنوات ظهر جيل متميز من هذه المصاهرات، ويسمون بالمولدين أو الأسلمة، وكان لهذا الجيل أثر كبير في نشر الدعوة الإسلامية، وظهر منهم علماء ودعاة أكابر الذين بذلوا جهداً كبيراً في نشر الدعوة بين الشعب الأندلسي.

وأن لهذه المصاهرات أثر بالغ في نقل عادات وتقاليد هؤلاء النساء من الأندلس إلى أبنائهن، كما أن عادات الترف التي اتبعها هؤلاء الخلفاء كانت منقولة عن أمهاتهم، والمسلمون لم يكونوا منعزلين عن المجتمع بل محتككين أو مندمجين فيه، ليجعل أمة واحدة، وكانوا لم يعتبرون أنفسهم سادة عليهم كما فعل حكام القوط، وكان المسلم الحاكم كغيره من أفراد المجتمع، لأنهم تزوجوا وربطوا بالمصاهرات مع أهل البلد، وهذا الزواج وربط المصاهرات رفع معنويات أهل الأندلس، فقاموا يقتدون المسلمين بأخلاقهم وتعاملهم وتسامحهم، ولأجل هذا التعامل الحسن جعل أهل الأندلس يقتربون إلى المسلمين ويبحثون عن الإسلام، وهذه المصاهرات تتعلق بحفظ النسل، لأن المسلمون يراعون دائماً بحفظ النسل عن الضياع.

وأيضاً العادات والتقاليد الإسلامية في مختلف الجوانب قد انتشرت عن طريق المسلمين في جميع أنحاء الأندلس، سواء في الملبس أو الأعياد والاحتفالات أو الأطعمة والأشربة، وكان غير المسلمون يشاركون في أعياد واحتفالات المسلمين، وأيضاً المسلمون يشاركون في أعياد واحتفالات غير المسلمين على أساس الاحترام والتسامح الديني والحياة المشتركة في الأندلس.

وكذلك في مجال النشاط الاقتصادي برز المسلمون فيها، وانتشرت بين أهل الأندلس التخصصات الكسبية كصناعة الحديد والذهب والفضة والورق وغيره، وأعمال التجارة، والزراعة، والفلاحة لها أثر في النشاط الاقتصادي، وقد تم تحويل غير المسلمين إلى الإسلام.

(1) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ص 195-196. بولعراس خميس، الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف (400-499هـ/1005-1008م)، ص 89.

وكان أهل الأندلس المسلمين وغيرهم يراقبون في هذه الأمور المسلمين الذين فتحوا وحكموا هذه البلاد، ويأخذون منهم عادات وتقاليد والأخلاق الإسلامية، لذلك انتشر الإسلام في جميع أنحاء بلاد الأندلس وأصبح أهلها أقلية غير مسلمة.

فهذا يدل على أن المسلمين كانوا يقومون بحفاظ على النفوس ويراعون المصالح البشرية، ويحافظون على المسامحة الدينية والاقتصادية، وكل هذه هي من الضروريات الدين الخمس، كما قال الإمام الشاطبي: "اتفقت الأمة بل سائر الملل على أن الشريعة وضعت للمحافظة على هذه الضروريات الخمس، وهي: الدين، والنفوس، والنسل، والمال، والعقل".⁽¹⁾

(1) الشاطبي، الموافقات، 1/ 31.

المبحث الثاني

اثر الجهود الدعوية في المجال السياسي

حكّام الأندلس قبل الفتح الإسلامي قد قاموا بتعبيد الناس نحوهم، ولرجال الدين والدولة لهم سلطة مطلقة، وكانوا يجبرون الناس على اعتناقهم بالمسيحية الكاثوليكية، وهذا العمل تحول الشعب ضدهم، زاد الكراهة نحو رجال الدين والدولة، لأنهم لا يعرفون سياسة في الدعوة.

لما دخل المسلمون إلى الأندلس كانت عندهم خبرة طويلة في تبليغ الناس إلى الإسلام، وأعطوهم الحرية العقدية والاقتصادية وحرية اللجوء وحتى السياسية، وهذا التسامح له أثر بالغ في نشر الدعوة إلى الإسلام في الأندلس، والسياسة أيضاً من فروع الدعوة الإسلامية، لما جاء النبي محمد ﷺ برسالة إلهية فرفض سادة قريش هذه الرسالة، لأن هذه الدعوة التي جاء بها تهدد مكانتهم بين القبائل، ويقومون السادة بين العبيد في صف واحد.

أثناء الفتح الإسلامي للأندلس كان قائد الجيش هو حاكم لمنطقة، وهو يحكم جميع الأرض تحت سلطته، ولما رجعا موسى بن نصير وطارق بن زياد إلى دمشق بدأ عصر جديد وهو عصر الولاة، وأيضاً لهذا العصر أثر كبير في نشر الدعوة الإسلامية، فقاموا بنظام إداري جديد، ولكن جهودهم في تطبيق النظام محصور، ولما ضعفت الدولة الأموية في دمشق ووصلت أثر ضعفها إلى الأندلس أيضاً، حارب المسلمون فيما بينهم للانتقام والانتصار على الآخرين.

ففي أثناء هذه الأحوال سقطت الدولة الأموية في دمشق وفرّ عبد الرحمن الداخل من الشام إلى الأندلس وأخذ زمام الحكم، ففضى على العصبية القبلية وأسس النظام الجديد في الأندلس، وقام في تنظيم الدولة على منهج العدل والمساواة بشدة، وكان يحسن اختيار رجال دولته وتنظيم إدارته. واستمرت الإمارة الأموية في الأندلس حتى عام 316هـ/928م، وفي هذه السنة أعلن عبد الرحمن الناصر الخلافة بعد أن قضى على جميع العوائق أمامه.

بسبب النزاعات الداخلية في الأندلس غفل المسلمون عن الأعداء، وضعفت قوتهم بسبب الحروب فيما بينهم، وأعداء قاموا بإحتلال أراضي المسلمين حتى دخلوا في شؤونهم الداخلية.

قامت الدولة الإسلامية في الأندلس بتخميد جميع العوائق الداخلية، سواء القبلية والسياسية والمذهبية كما ظهرت فتنة الخوارج في شمال إفريقية والأندلس وهو في أواخر القرن الأول وبداية القرن الثاني الهجري، وقاموا بثورة عام

122هـ/ 740م ضد الولاة في الأندلس، وهذه الثورة قوية وعنيفة، واخذت سريعاً،⁽¹⁾ وكذلك سبق ذكر بعض الثورات التي قامت في الأندلس، ففي النهاية أسس المسلمون الدولة القوية الجليلة في الأندلس، وعاش الشعب الأندلسي بأمن واستقرار وراحة، لذلك انتشرت الدعوة الإسلامية في جميع أنحاء الأندلس تحت رعاية الدولة.

وفوق ذلك قام حكام الأندلس بتنظيم النظام الإداري المتفوق، وجدد التقسيم الإداري حسب الزمان والمكان، كما كان في عصر الولاة التقسيم الإداري للأندلس على خمسة مقاطعات لحل أمور الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وقام الولاة بإنشاء ديوان لتطبيق الأحكام الشرعية،⁽²⁾ وكذلك في عصر الإمارة انقسمت الأندلس على ثلاثة قواعد رئيسية وهي: المتوسط وشرق الأندلس وغرب الأندلس، ولكل قواعد نظام سياسي تحت حكم الوالي أو أمين، وأيضاً لكل قواعد قاضي وإمام للصلاة.⁽³⁾

وأما في عصر الخلافة في الأندلس قد تطور النظام الداخلي السياسي، كما واجه عبد الرحمن الناصر في بداية حكمه عدداً من الثورات، وقام بتخميد جميعها وعاد الأندلس إلى الوحدة والطاعة، ودقق في تنظيم الإدارات الدولة وفي اختيار المسؤولين، وأصبح للأندلس نظام إداري ليس له مثيل في ذلك الحين.

حكام المسلمين طوروا السياسة الداخلية لخدمة شعبهم، ولهذه الخدمة أثر بالغ في نشر الإسلام، كما أنهم أسسوا الدواوين كالحجابه، والوزارة، والخيل، والبريد، والكتابة، والمدينة، والقيادة، والشرطة العليا والصغرى، والمعرض، والخزانة الأموال والسلاح، والسوق، والمواريث، والسكة، والقضاء،⁽⁴⁾ كما أن حكام المسلمين في الأندلس أسسوا خطة البريد لأحوال شعبهم في جميع أنحاء البلاد، وكذلك خطة الكتابة وهي لسان الحاكم ومن وظيفتها كتابة أوامر الحكام إلى شعبهم، وكذلك مسؤولية خطة الشرطة والمدينة هو حفاظ الناس وأموالهم من الضياع، وأما أصحاب الشرطة أو السوق فهم من علماء وهم مسؤولون عن الفصل بين نزاعات الشعب، وقدموا نظام الحسبة ملحقة

(1) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بما بينهم، ص 31. عنان، دولة الإسلام في الأندلس، 1/ 119. سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي وحتى سقوط الخلافة بقرطبة، ص 155.

(2) راجع: الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 246. ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 23-24. عنان، دولة الإسلام في الأندلس، 1/ 70.

(3) راجع: المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 2/ 114-115. مؤلف مجهول، وصف جديد لقرطبة الإسلامية، 13/ 170-171. المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص 234-235. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 1/ 455. ابن الأبار، الحلة السيرة، 1/ 241. الحشني، قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، ص 63.

(4) ابن الأبار، الحلة السيرة، 1/ 232. ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 166، 167، 185-198.

بالقضاء والشرطة، ولهم خيار واسع في تطبيق شرائع الدين والدولة، وكذلك وظيفة المظالم ممتزجة بين السلطة والقضاء، وهي سلطة فوق سلطة القضاة، ووسعوا نظام الجيش في الأندلس لحفاظ البلد عن هجوم الأعداء والمتمردين والثائرين، وزادوا في عدد الجيش وإعداداته، وفوق ذلك أسسوا الأسطول البحري المتميز يشمل عدداً كبيراً من السفن. (1)

لأجل هذه الجهود في تنظيم النظام السياسي في الأندلس اعتنق كثير من أهل الأندلس الإسلام، حتى صغار من أسر غير المسلمين كانوا يريدون أن يعتنقوا الإسلام، لأن الحكام المسلمين في الأندلس يحفظون كرامتهم الإنسانية في التعامل مع غير المسلمين دون تمييز واختلاف أجناسهم وألوانهم ومذاهبهم بالرحمة والمؤلفة والمودة والرأفة، ولم يجبر أحد على أن يعتنق الإسلام بل أعطاهم الحرية الدينية في جميع شعائرهم، وحتى أعطاهم حرية باستقلالية القضاء، واستفاد غير المسلمين من سياسة التسامح، فتغير أحوال الشعب بهذه السياسة ودخل الناس في دين الله أفواجا.

وكذلك من السمات السياسية في مجال الدعوة هو عمران هذه البلاد، حيث أنشأت المدن والطرق والقناطر والمساجد والجامعات والقصور والحمامات والأسواق والأرياض والقلاع والأسطول البحري بشكل واسع، واستخدموا في تعمير بعض المنشآت زخارف مع الأسلوب المفرد عن غيره، وحتى من سياسة المسلمين في نشر الدعوة التسامح في بناء بعض الكنائس في الأندلس. (2) حتى ملوك أوروبا لا يستطيعون الكلام عندما رأى قصور والمباني قرطبة والزهاء، وزاد زيارة من أوروبا لكسب رضاء الأمراء والخلفاء في الأندلس.

ومن آثار الجهود الدعوية في المجال السياسي هو تنظيم النظام الحكومي المركزي في الأندلس، ففي البداية كان الولاة يحالون في تنظيم النظام لهذا البلد، وبدلوا جهداً كبيراً في الحفاظ على حدوده من الأعداء، ودائماً يخرجون لقتال الأعداء، وأما في عصر الإمارة عندما حكم عبد الرحمن الداخل الأندلس جدد النظام السياسي وقام بجهد كبير في تنظيمها وعمرائها، ومن بعده الأمراء يتبعون سياسته في تقدم وتحضر البلاد، وكذلك الخلفاء منهم عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر، لما ولى الإمارة إلى عبد الرحمن الناصر فكانت الأندلس تحت الأخطار الداخلية والخارجية، فقام بقضاء على جميع هذه المشاكل وأمن البلاد وكسر شوكة الأعداء، وأسست الحكومة القوية من جميع نواحي الاجتماعية والسياسية والثقافية والعسكرية، وهذا العهد هو ثمار الجهود التي بذلوا قبل ذلك، وهذا العهد أصبح عز

(1) راجع: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 95-97. ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: الحجي، ص 142، وتحقيق: شالميتا، ص 383. ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 220. ابن الأبار، الحلة السيرة، 1/ 252. المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 67/2. 74.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 2/ 229. المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس، 1/ 560-561.

الأندلس كلها وتحول إلى الإسلام كثير من غير المسلمين.

الخلاصة والتعليق:

كانت سياسة المسلمين في نشر الدعوة إلى الإسلام ليست عن طريق الأشخاص المختصين بالدعوة، بل إن جميع أعمال المسلمين سواء التعامل في العيش، أو في السوق، أو في المساجد، أو في حلقات العلم، أو في الحرب، أو في الأعمال اليومية، أو الكسب، أو الأعمال الحكومية الإدارية والعسكرية، أو العلاقة السفاراتية مع غير المسلمين، أو العمران، أو التأليف، أو التدريس فجميع هذه الأعمال تتعلق بالدعوة، وكان المسلمون ينظرون أمورهم اليومية بنظر الدعوة إلى الإسلام، ومن ثمرة هذه الجهود قد دخل أكثر الشعب الأندلسي إلى الإسلام، وحتى إن الحضارة الإسلامية شاركت في قوانين أوروبا ذاتها؛ كما يقول المؤرخ الإنجليزي ويلز: "إن أوروبا مدينة للإسلام بالجانب الأكبر من قوانينها الإدارية والتجارية".⁽¹⁾

أما من آثار سياسة التسامح الإسلامي في الأندلس فلها أثر عظيم في نفوس أهل الأندلس من غير المسلمين، كما أنهم تعلموا اللغة العربية واستخدموها في حياتهم حتى فضلوها على لغتهم، وكذلك من الحكام منحوا لهم فرصاً للتعليم اللغة العربية، ولما تعلموها بدأت المرحلة الجديدة عندهم، وهي تعليم العلوم الأخرى كعلوم القرآن والحديث والفقه والمنطق والفلسفة وحتى العلوم التطبيقية، وهذه العلوم أثر كبير في نشر الدعوة إلى الإسلام.

والمسلمون في الأندلس أقاموا الدولة القوية والنظام السياسي ليس لها مثيل في ذلك الحين، سواء في جانب الحكم، والوزارة، والشرطة، والجيش، والقضاء، والحسبة، والتعليم والتعلم، والعمران وغيره، فالسياسة لها أثر كبير في نشر الدعوة إلى الله تعالى في الأندلس.

فإقامة الدولة أو الأمور السياسية من قبل المسلمين لا تخلوا عن أمور الدين، لأن الإسلام هو دين السلام والأمن، السياسة المسلمين دائماً يحافظون على الشعب والأمة، وتقدمون لهم الأمن الاستقرار، لذلك السياسة الشرعية هي أيضاً من الضروريات الخمس وتدخل في حفظ الدين والاقتصاد والنفس.

(1) نقلاً عن: عثمان، محمد في الآداب العالمية المنصفة، ص 76.

المبحث الأول

نتائج الجهود الدعوية داخل الأندلس

قبل الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس كان أهلها يعيشون بالضيق، وكان حكام تلك البلاد قاموا على أهلها بالظلم والعدوان، ولا يسمحون لهم أي حرية من حريات الإنسانية، ولما فتح المسلمون الأندلس عاملوا أهل هذه البلاد المعاملة الحسنة وأقاموا العدل وأعطاهم الحرية في جانب العقيدة، والاقتصاد، والتعليم، والسكن، وانتهوا نظم الظلم والعدوان، ولم يجبر أحداً على اعتناق الإسلام، فلما رأى أهل الأندلس هذه المعاملة الحسنة من جانب المسلمين دخلوا في دين الله أفواجاً.

وفي هذا المبحث سأتناول أهم نتائج الجهود الدعوية في الأندلس.

أولاً: نتائج الجهود في مجال الفتح واستقرار الدولة:

أرسل موسى بن نصير طريف بن مالك المعافري بحملة استطلاعية إلى الأندلس، وكانوا يريدون معلومة عن بلاد الأندلس بكاملها، كما رجع طريف بن مالك بمعلومات تامة عن الأندلس وحكامها وأهلها، ولهذا الحملة الاستطلاعية نتيجة واضحة في فتح تلك البلاد.

لما حصل المعلومات الوافرة عن الأندلس بدأ بتجهيز الجيش للعبور نحو الأندلس، وهو جيش فيه جماعة من التابعين لتربية الجنود بالصبر والتقوى، وأخذوا جميع الاحتياطات العسكرية عند العبور، ومعركة وادي لكة ونصرها هي من أهم معارك التي فتحت أبواب الأندلس للدعوة الإسلامية، واستمر المسلمون في الفتح من مدينة إلى مدينة صلحاً وحرماً، وقد كسر المسلمون شوكة الظلم والعدوان ونجى تلك البلاد من الطغاة. (1)

وفتح الأندلس ليس كما كان إبان غزو القبائل الجرمانية والقوطية وغيرهم، لأنهم قاموا بإحراق المدن وقتل الأشراف والنساء والأطفال، ويضعون الخوف في قلوب أهلها، أما المسلمون فقاموا بسلامة المدن وأهلها في هدوء والطمأنينة.

وكذلك للقادة والجيش جهود في نشر الدعوة إلى الإسلام، كما أن تعامل المسلمين مع أهل البلد وسيلة من

(1) راجع: الباب الأول، الفصل الأول، المبحث الأول.

وسائل الفتح في سرعته، وحتى أهل الأندلس ينضمون في جيش المسلمين، وكان القادة والجيش الإسلامي يحارب كل الظالم والطاغى، وكان أهل الأندلس سواء اليهود والمسيحيين وغيرهم قد قاموا بجانبهم في هذه المهمة، وحسن معاملة المسلمين مع غيرهم كالوفاء بالعهود، والموافقة القول مع العمل، والتسامح في حياتهم الدينية والاقتصادية والاجتماعية، وعدم إجبار إلى اعتناق الإسلام، وتخفيف الجزية على الذين بقوا على دينهم، وإعفاء عن كثير من الشعب الذين لم يستطيعوا أن يدفعوها، وقاموا بنصرة المظلوم في جميع الأحوال، لذلك أن المسلمين أصبحوا قدوة العملية الحسنة، ودخلوا أهل البلد في دين الله فراداً وجماعاً. (1)

بعد تحقيق الفتح في الأندلس قام المسلمون بتوحيد الناس تحت حكم واحد دون تنوع في المذاهب والجنسيات والأعراق، وانضم الأندلس تحت رعاية الحكم الإسلامي في دمشق، ففي البداية كانت الأندلس كإحدى ولايات الدولة، وزالت حوالي أربعين عاماً، ولهذا العصر جهود في نشر الدعوة الإسلامية، لأن الولاة قاموا بتوحيد القبائل وتحقيق الاستقرار، كما أن الناس في الأندلس عدة أصناف، منهم المسلمون العرب والبربر والموالي والأسلمة المولدون، ومن غير المسلمين النصارى واليهود والوثنيون وغيرهم، وللولاة جهود بتوحيد جميع هذه الأصناف من الشعب تحت حكمهم، وأخذوا جميع الثورات والنزاعات المذهبية والقبلية والسياسية، وفوق ذلك كانوا يجاهدون في سبيل الله، كما أن الوالي عبد الرحمن العافقي خرج بجيش إلى معركة بلاط الشهداء، ولما زاد القلاقل والاضطرابات في الدولة الأموية بدمشق وسقطت على أيدي العباسيين، فتأثر على أحوال السياسية في الأندلس أيضاً، وضعفت قوة المسلمين فيها، وحتى عبر عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس وأسست الدولة من جديد في سنة 138هـ/755م. (2)

بدأ عصر الإمارة في الأندلس من عبد الرحمن الداخل، وله أبرز الجهود في توحيد الأندلس تحت حكمه، حارب الوالي يوسف الفهري في معركة المسارة أو المصاراة وانتصر عليه، وأصبح عبد الرحمن الداخل أميراً على الأندلس، وقال المقري التلمساني: "ألفى الداخل الأندلس ثغراء، قاصياً غفراً من حلية الملك عاطلاً، فأرهب أهلها بالطاعة السلطانية ومكنهم بالسيرة الملوكية، وأخذهم بالآداب، فأكسبهم عما قليل المروءة وأقامهم على الطريقة، فبدأ فدون الدواوين، ورفع الأواوين، وفرض الأعطية، وعقد الأولوية، وجند الأجناد ورفع العمامة، وأوثق الأوتاد فأقام للملك آتته، واخذ للسلطان عدته، فاعترف له بذلك أكابر الملوك وحذروا جانبه، وتحاموا حوزته، فلم يلبث أن دانت له بلاد الأندلس واستقل له الأمر فيه"، (3) واخذت جميع الثورات ضده، وأما الذين بعده في الإمارة أيضاً لهم فضل

(1) راجع: الباب الأول، الفصل الأول، المبحث الثاني.

(2) راجع: الباب الأول، الفصل الثاني، المبحث الأول.

(3) المقري التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 331.

في توحيد الأندلس، وكثرت الثورات ولكن مكنوا عليهم بالحكمة والتدبير، وفي أثناء تخميد تلك الثورات خرجوا للجهاد ضد الأعداء، حتى تمكن عبد الرحمن الناصر على جميع الفتن الداخلية والخارجية وأعلن الخلافة في الأندلس، وأيضاً من بعد ابنه الحكم المستنصر ولكليهما جهود بارزة في توحيد الأندلس وحفاظ دولتهما عن الأعداء. وكان للعلماء والفقهاء والدعاة دور مهم في إخماد الفتن والثورات في الأندلس. (1)

وبناءً على ذلك قد قسم الأندلس إدارياً إلى عدة أقاليم، وكل إقليم تشتمل على عدة المدن والقرى والنواحي، وكل إقليم تحكمه الوالي، وهذه التقسيمات لتطبيق الأحكام الشرعية وأيضاً لحل الأمور الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وكذلك الانضمام القبائل والعشائر تحت حكم واحد، اختلف تقسيم الإداري في عصر الإمارة عن عصر الولاة، وفي عصر الخلافة عن عصر الإمارة، وجميعهم يفكرون بحل المشاكل ودعائم النظام، وزاد الوزراء في عاصمة قرطبة من اثنين إلى تسعة، وأسسوا نظام الدواوين للإصلاح الأمور في الدولة، فأسسوا نظام الكتابة، ونظام البريد، ونظام الشرطة والمدنية، ونظام الجيش، وكانت المناصب عبارة عن الإمارة والخلافة، وتم الحجابة والوزارة، والقضاء، وأصحاب الشرطة، وأصحاب المدن، وأصحاب المظالم، والمحتسبون، قادة الجيش وغيرهم. (2)

ثانياً: نتائج الجهود الدعوية للحكام:

كان حكام الأندلس يحافظون كرامة الإنسانية، ولا يفرقون في التعامل مع المسلم وغيرهم، وتركوا لغير المسلمين الحرية في الاعتقادات ولم يجبر على أي أحد لتغيير دينهم، لأن الإسلام أعطى الحرية للجميع في اختيار دينهم، وأيضاً أعطى حقهم في العدل وإستقلالية في القضاء، ولا يجبر على غير المسلمين أن يكون تحت رعاية القضاء الإسلامية، ولما وجد الضرورة لقضاء المسلمين فكانوا يراجعون لقضاة المسلمين في منازعاتهم، وأيضاً حكام المسلمين يراعون الأمور الاجتماعية في الأندلس، لذلك كانوا اتصلوا مع أهل الأندلس الأصليين بالمصاهرات، ولها أهمية خاصة في نشر الإسلام بين الشعب الأندلسي. (3)

وأيضاً بدأوا بتعمير البلاد وأيضاً يجرؤون الناس إليه، لأن العمران البشري والحضاري مقصد من مقاصد استخلاف الإنسان في الأرض، أسسوا المساجد والجامعات والمدارس والقصور والمدن والطرق والحمامات والبيوت

(1) راجع: الباب الأول، الفصل الثاني، المبحث الأول.

(2) راجع: الباب الأول، الفصل الثاني، المبحث الثاني.

(3) راجع: الباب الأول، الفصل الثاني، المبحث الثالث.

والمُنشآت الأخرى، ولهذا العمران نتائج إيجابية في تقدم البلد ودعوة لغير المسلمين إلى الإسلام، كما أن للمساجد والجامعات نتائج واضحة في دعوة إلى الإسلام، لأن الشعب الأندلسي يسمعون أصوات الأذان خمس مرات طوال الليل والنهار، وينظرون الناس يذهبون إلى حلقات العلم، فلذلك أثر بالغ في نشر الدعوة إلى الله تعالى، وأما زينة المساجد والجامعات والقصور والمدن فليس لهم مثيل في ذلك الحين، ولما خرج الأمير أو الحاكم لتجول في أنحاء الأندلس ويرون بعض القلاع والحصون والأسوار والقصور المهدومة يأمرهم بإصلاحهم، وكذلك المسلمون يعمرّون البلاد في مجال الزراعة والصناعة والتجارة، لأن الاقتصاد القوي تقدم الرفاهية للشعب، والناس يجلبون إليهم، وهذه الأعمال هو أساس التقدم الحضاري في جميع النواحي الحياة، وأصبحت بلاد الأندلس منطقة حضارية متفوقة في جميع العالم، وزاد إلى الأندلس الزيارات السياسية والاقتصادية وزاد في نظر غير المسلمين عظمة الإسلام والمسلمين، وهذه العظمة هي وسيلة من وسائل الدعوة إلى الإسلام. (1)

ثالثاً: نتائج الجهود الدعوية في مجال الثقافة:

فنتائج الجهود الدعوية داخل الأندلس في مجال الثقافة كثيرة جداً، حيث أن المسلمين قد أسسوا المدارس والجامعات والحلقات العلمية، لأن كثير من التابعين دخلوا إلى الأندلس مع الجيش الإسلامي، وبدأ تثقيف الناس سواء من المسلمين وغيرهم، ولما انتشر المسلمون في جميع أنحاء تلك البلاد زادت حرص على تعلم الناس، وكانت البيوت والجامعات والمساجد تعد مراكز العلوم، وأيضاً علماء المسلمون قدموا في تعليم الشعب المناهج والمراحل العلمية، فجميع مجالات الثقافة تحت رعاية العلماء والحكام، والحكام ينشؤون المدارس لتعليم أبناء المسلمين وغيرهم، فبعد مرور الزمن أصبحت جامعة قرطبة من أعلى مراكز العلوم سواء الدينية والتطبيقية.

وكذلك انتشر حب الكتب في الأندلس، وبدأت المنافسة بين جميع سكان الأندلس من المسلمين وغيرهم، ولا يوجد بيت إلا وفيه مكتبة خاصة، كما أن مكتبة قرطبة غنية من جانب الكتب، وكانت عندهم أنواع المكتبات منهم: مكتبات المساجد والجموع، والمكتبات الخاصة، والمكتبات العامة والأكاديمية، فأصبحت الأندلس من قبل المكتبات والكتب أغلى وأعلى بلاد في العالم.

ولما انتشر حب العلم والعلماء زادت الرحلات في طلب العلم إلى مختلف أنحاء بلاد المسلمين، ونقلوا عن طريق تلك الرحلات العلوم والفنون والكتب، وقدموا للأمة عديد من العلماء في جميع العلوم، وكان الحكام ينفقون

(1) راجع: الباب الأول، الفصل الثالث.

على الكتب كثير من الأموال، يوفرون للرحال جميع الأشياء يحتاجونهم في السفر، وعن طريق تلك الجهود الثقافية دخل كثير من الشعب الأندلسي إلى الإسلام، وأصبحت الأندلس منارة العلم ومركز الحضارة الأندلسية المتميزة، وفوق ذلك انتشر اللغة العربية بين جميع أنحاء الأندلس وألفوا علماء المسلمين في تلك المجال الكتب كثيرة، وأيضاً بدأت حركة الترجمة من اللغات الأجنبية إلى العربية أو على العكس، وحتى أهل البلد العجميين يتعلمون اللغة العربية ويتجمعون صلواتهم وعبادتهم إلى العربية. (1)

وعن طريق تلك الجهود العلمية قدم للأمة الإسلامية عديد من العلماء في علوم القرآن والتفسير والحديث والفقه والفلسفة، وفي مجال العلوم التطبيقية أيضاً للعلماء جهود كما في الطب والصيدلة والفلك والكيمياء والجغرافية وغير ذلك، لأن المسلمون اعتنوا اعتناء كبيراً في نشر العلوم في الأندلس، وتلك الجهود لها نتائج في نشر الدعوة الإسلامية في جميع أنحاء الأندلس. (2)

رابعاً: نتائج الجهود الدعوية في مجال القضايا الاجتماعية:

كل المجتمعات لها مشاكل، وأي مجتمع إن كانت عندها معالجة لتلك المشاكل فهي ناجحة في تقدم البلد والشعب، ويعيش الناس تحت العدل والأمن والاستقرار، كما أن القضاء الشرعي هي إحدى وسيلة من وسائل معالجة القضايا الاجتماعية، وهدفها إقامة العدل ودفع الظلم، والقضاء من أعظم مظاهر الدعوة الإسلامية، والقضاء العادل سبب كبير لأهل الأندلس الأصليين إلى إعتناق بالإسلام، وحكام المسلمين في الأندلس يحترمون القضاة وأعطوهم السلطة وحتى يحكمون على الحكام أيضاً، والحكام يقبلون بما يحكمون القضاة، والمسلمون استقلوا القضاء لغير المسلمين على تشريعاتهم، لو طلب غير مسلم أن يأتي بقضيته إلى القاضي المسلم فله خيار وليس عنده أي مانع، وكانت للقضاة دور بارز في إخماد الفتن والثورات وتوحيد الشعب الأندلسي تحت حكم واحد، وأيضاً كانوا يجارون البدع ويحافظون العقيدة الإسلامية السليمة، وكان للقضاة جهود في الدعوة واعتنق كثير من غير المسلمين إلى الإسلام عن طريق القضاة. (3)

وفوق ذلك أسس المسلمون في الأندلس نظام الحسبة لمعالجة المشاكل الاجتماعية والاقتصادية، والحسبة في

(1) راجع: الباب الثاني، الفصل الأول، المبحث الأول.

(2) راجع: الباب الثاني، الفصل الأول، المبحث الثاني.

(3) راجع: الباب الثاني، الفصل الثاني، المبحث الأول.

الإسلام لها مكانة عالية، وهي دعوة إلى المعروف وإجتنباب عن المنكر، ودخل نظام الحسبة إلى الأندلس عندما دخل المسلمون إليها، والعلماء والفقهاء يقومون بها، وفي عصر الإمارة نشأت النظام خاص للحسبة، والمحتسبون يراقبون الأمراء والولاة وأصحاب المناصب العالية والجيش والشرطة وعمامة الناس ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، والمحتسبون يراقبون الأسواق عن الغش والتدليس ورفع الأسعار وتخسير الأوزان والمصنوعات والأشياء المحرمة وحتى يراقبون الأخلاق الشعب، (1) وأما الذين قاموا بفعل تلك الجرائم فالمحتسب يعاقبونه، ومن مسؤوليتهم مراقبة أمور المساجد والوعاظ والحلقات العلمية لحفاظ المجتمع، وحتى المحتسبون لا يسمحون لأحد أن يصلي في السوق، ويجرضون الناس إلى المساجد لأداء الصلاة بالجماعة. (2)

الخلاصة والتعليق:

نتائج الجهود الدعوية داخل الأندلس كثيرة وقد ذكرت بعضاً منها، كما أن الفتح الإسلامي للأندلس لها نتيجة واضحة وهي تخلص الشعب عن الظلم والإضطهاد من قبل الحكام ورجال الدين وأصحاب الثروة الضخمة، ودخول الشعب تحت الحكم الإسلامي العادل.

وكان حكام المسلمين قدموا لتلك البلاد النظام الإداري والسياسي والعسكري، حتى أن الشعب قد عاش في الأمن والاستقرار والرخاء والرفاهية، ولا يظلم في تلك البلاد على أحد.

والمسلمون قد انتشروا كالدعاة لنشر دين الله في الأرض، لذلك بدأت مهمة الثقافة ونشرها في بلاد الأندلس، توفر للناس جميع أمور المتعلقة بالثقافة، فأسسوا المساجد والجامعات والحلقات والمكتبات، وقدموا للأمة العلماء المتميزين في تخصصاتهم، ومؤلفاتهم ما زالت موجودة عندنا.

وقدم لمعالجة مشاكل المجتمع النظم سواء نظام القضاء والحسبة وغير ذلك، وكانوا يعالجون عن طريق تلك النظم جميع مشاكل الشعب في الأندلس.

فنتيجة تلك الجهود الدعوية داخل الأندلس دخل كثير من الناس في دين الله دون إجبار أو إكراه، فيعتنقون الإسلام بكامل رضائهم، وبعد سنوات أصبح أكثر سكان الأندلس من المسلمين.

(1) المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 218 / 1.

(2) راجع: الباب الثاني، الفصل الثاني، المبحث الثاني.

المبحث الثاني

نتائج الجهود الدعوية خارج الأندلس

قامت الدولة الإسلامية في الأندلس بعد الفتح الإسلامي بأعلى قوة وعظمة، ومرت عليها الأحوال السيئة والصالحة، حتى وصلت إلى أقوى وأعظم دولة ذات قيم وحضارة راقية، وكانت دول أوروبا كلها تحت أثرها وحلفها وكلها تسارع إلى الصداقة، لأن الحضارة الإسلامية بلغت أعظم مبلغ في جميع شؤون الحياة، واعترف على ذلك كثير من المؤرخين سواء من المسلمين وغير المسلمين، كما قال أحد المستشرقين: "أسفر تاريخ الأندلس حضارة.. تباين جهل شعوب الغرب وهمجيتها، وبينما كان ظلم القوة مطبقاً على أوروبا النصرانية كان عرب إسبانيا يدركون أعمال السلم ويحترمون آثار الذكاء مع المحافظة على نشاطهم الخلفي.. وإذا كان العرب قد زاولوا العلوم والفنون لم يكونوا في ذلك كالفرج الذين أطاعوا شارلمان المسيطر، بل مارسوها وفق سجيبتهم، فلم يفعل الخلفاء غير مداراة الرأي العام، وما آتاه الخلفاء من الحث على الآداب والتجارة والصناعة، قوبل بالشكر من قوم كانوا مقدرين لهذه المقومات".⁽¹⁾

وكانت الحضارة في الأندلس هي مبنية على مبادئ الإسلام، وشاملة لجميع شؤون الحياة محافظة على دينها وقيمها الأخلاقية، وتباين أوروبا في كل الأشياء سواء في جانب العلوم الدينية والتطبيقية، والزراعة، والصناعة، والصحة، كما كانت الأندلس مركز جميع العلوم الدينية والهندسية والجغرافية والرياضية والتاريخية والفلسفية،⁽²⁾ الزراعة والصناعة انتشرت في الأندلس، كما قال: "بفضل هندسة العرب كان الماء يجري في كل مكان"،⁽³⁾ وتقدم الأندلس في جانب الصحة، كما أن في قرطبة وحدها خمسين مستشفى لعلاج المرضى، وكان في أوروبا لا يوجد مستشفى واحدة في ذلك الحين،⁽⁴⁾ وفي جانب الهندسة اشتهرت الأندلس بعمارتها المتميزة، وهي: "العقود في البناء فترى أنهم شغفوا بهذا النحو من العمارة وبنو وعلى أساسه مساجدهم وقصورهم"،⁽⁵⁾ ومن أفضل أمثلتها مسجد جامع قرطبة، الصناعة والعلوم واللغة وغيرها قد سبق ذكرهم.

(1) ل أ سيديو، تاريخ العرب العام، ترجمة: عادل زعيتر، المطبعة الحليبية وشركاءه- حلب، عام 1367هـ، ص 292.

(2) ضيف، تاريخ الأدب العربي- عصر الدول والإمارات (الأندلس)، ص 72.

(3) عبد الله عباس، تقدم العرب في العلوم الصناعية وأستاذيتهم لأوروبا، دار الفكر، عام 1380هـ، ص 91.

(4) السباعي: مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، ط 2، دار الإرشاد- بيروت، عام 1388هـ، ص 144.

(5) أحمد أمين، ظهر الإسلام، ص 297.

أولاً: نتائج الجهود الدعوية خارج الأندلس في مجال العلمي واللغوي:

انشغل أهل الأندلس بتعلم اللغة العربية وأدائها وبلاغتها وعلومها وعلوم القرآن والحديث والفقه والفلسفة وغير ذلك، كما قال الفارو (1): "يقبل إخواني المسيحيون على أشعار العرب وقصصهم، ويدرسون كتب الفقهاء والفلاسفة المسلمين لا ليفندوها، بل ليكتسبوا المقدرة على التعبير بالعربية بدقة وبلاغة أكبر وأين نجد اليوم عامياً يقرأ الشروح اللاتينية على الكتاب المقدس؟ وأين ذلك الذي يدرس الأناجيل وأسفار الأنبياء والرسل؟ إن جميع الشباب المسيحيين الذي عرف بموهبة لا يعرفون إلا لغة العرب وأدبهم، ويقرأون الكتب العربية ويدرسونها في حمية، ويجمعون منها مكتبات عظيمة بتكاليف باهضة، ويصرحون بعلو أصواتهم في كل مكان بأن الأدب جدير بالإعجاب.. فإذا حدثتهم عن الكتب المسيحية أجابوك ساخرين بأنها أتفه من أن تستحق اهتمامهم. وبين الألوفا منا لا يكاد يوجد واحد يمكنه أن يكتب رسالة لصديق بلاتينية صحيحة، بينما ليس هناك حصر لأولئك القادرين على التعبير عن أفكارهم بالعربية، وفرض الشعر بما بمقدرة فنية تفوق مقدرة العرب أنفسهم". (2) واعتنق كثير من المسيحيين الإسلام ولم يجبر على أي أحد لمن شاء أن يبقى على دينه.

وكذلك حركة الترجمة بدأت في أوروبا من كتب العربية إلى لغاتهم، وكانت مدينة طليطلة المركز الرئيسي لنقل التراث العلمي الإسلامي إلى أوروبا، وهي المدينة التي ازدهرت فيها الآداب والعلوم والمكتبات الغنية، حينما احتلت في سنة 478هـ/1085م أخذوا جميع الكتب وانضم الناس مع أهلها وهو سبب لنقل العلوم التطبيقية إلى أوروبا، كما أن مدينة قرطبة كانت أرقى مدن العالم وداراً للعلوم والفنون والصناعات والتجارة، وانتقلت تلك النشاطات من الصناعة والفنون وإنشاء الطرق والجسور والفنادق والمستشفيات والقصور، وسكان قرطبة كانوا ينشغلون في عمل من أعمال تقدم البلد. (3) ومن أشهر مترجمي طليطلة: "جيرارد الكريمويني ويسمى الطليطلي، قدم إلى طليطلة من إيطاليا سنة 544هـ/1150م، وتنسب إليه ترجمة ما يقرب من مائة كتاب، بينها واحد وعشرون كتاباً طبياً، منها: المنصوري للرازي، والقانون لابن سينا، ويبدو أن بعضها من إنتاج تلاميذه بإشرافه، وبعضها بالاشتراك مع غيره

(1) الفارو (Alvaro) من أساقفة مدينة قرطبة، وعاش في القرن التاسع الميلادي، وهو يتحسر على انصراف المسيحيين الإسبان عن اللغة اللاتينية إلى اللغة العربية.

(2) نقلاً عن: جودة: محمد غريب جودة، عباقرة علماء الحضارة العربية والإسلامية في العلوم الطبيعية والطب، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، ص 41.

(3) غوستاف لوبون، حضارة العرب، ص 273-275، 392. حيد بامات، إسهام المسلمين في الحضارة، ترجمة: عبد القادر البحراري، مكتبة النور الإحساء المحفوظ، عام 1408هـ/1987م، ص 51، 53. زيغرد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ص 532.

خاصة".

انتشرت الثقافة الإسلامية في أوروبا وكانوا يعلمون ويناقشون بالحرية في معرفة العلوم، الرهبان والراهبات من فرنسا وألمانيا يحصلون على كتب من العلوم الجديدة وأنشأوا مدارس كثيرة، وتدرس فيها العلوم العربية والإسلامية من كتب العربية، كما ذكر: "وقد تبع كثير من اليهود إلى إنجلترا ونالوا حمايته، وبنوا فيها أول مرة البيوت الحجرية التي يمكن أن تشاهد إلى الآن، وأنشأوا مدرسة العلوم في أكسفورد بإشراف حلفائهم، هذه تعلم روجر ليكون اللغة العربية والعلوم العربية".⁽¹⁾

وكان غير المسلمين يتعلمون في المدارس الإسلامية علوم التطبيقية كالفلك والجغرافية والمنطق والكيمياء والفيزياء والتاريخ والطب والصيدلة، وزاد المسلمين في علوم الرياضيات والهندسة والجبر بنجاح، ومكتبات المسلمين توجد فيها كتب من علماء وفلاسفة اليونان أيضاً، وقد قال: "أن العرب كانوا أرقى من النصارى أخلاقاً وعلمياً وصناعة بمراحل، وكان من العبث أن يبحث لدى غيرهم من مثل ما في سجيبتهم وطبائعهم من الكرم والوفاء وحب الخير، وكان العرب يحافظون على الكرامة التي هي من أظهر خلاصهم فكان مسنّها يؤدي إلى أشأم المبارزات".⁽²⁾

صناعة الورق قد نشأت في الشرق وانتقلت إلى المغرب و ثم إلى الأندلس، ومن الأندلس انتقلت إلى فرنسا وإلى جميع أوروبا، وهي من أعظم الخدمات العلمية التي قدمها المسلمون للأوروبيين، لو لم تكن نقل صناعة الورق إليهم لما تيسر للعلم أن ينهض وينتشر في أوروبا، وكانت الأندلس معبر لاتصال الحضارة الإسلامية بالغرب وانتقالها إليه، يقول زيجريد هونكه: "ولم تكن جبال البرانس لتمنع تلك الصلات، ومن هنا وجدت الحضارة العربية الأندلسية طريقها إلى الغرب".⁽³⁾

انتشر الشعر العربي في جنوب فرنسا كما قال الأسقف هوي: "أنه يجب الاعتراف بأن الشعر العربي هو الأم والمعلمة الشرعية للشعر الإسباني والجنوبي - أي جنوب فرنسا - وأن آثار هذا النسب جلية في قصائد الشعراء الراحلة". وقد ذكر: "أن العرب هم الذين أدخلوا وزن الشعر إلى أوروبا وهو ما كان مجهولاً عند اليونان والرومان".⁽⁴⁾

(1) نقلاً عن: روبرت بريغالت، أثر الثقافة الإسلامية في تكوين الإنسانية، ص 150 - 152.

(2) سيديو، تاريخ العرب العام، ص 270 - 271.

(3) زيجريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب، ص 31.

(4) وهو كلام لأسقف هوي مربي ولي عهد فرنسا والكاهن ماسيو. (بك: أحمد رضا بك، الخيبة الأدبية للسياسة الغربية في الشرق، ترجمة: محمود بورقيبة

في أثناء الحكم الإسلامي للأندلس بدأت البعثات العلمية الأوروبية إلى الأندلس، وكان الأوروبيون يزورون مدن وجامعات الأندلس، وحكام الغرب يتصلون أمراء الأندلس بالصدقات الشخصية، وزادت البعثات من أوروبا إلى الأندلس لتحصيل العلم وآداب وأخلاق المسلمين، "لقد أرسلت أوروبا عدة بعثات إلى الأندلس ليتلقى الشباب العلوم الحديثة ومن هذه البعثات: بعثة فرنسية وأخرى إنجليزية وغيرها، وقد بلغ عدد أفرادها سبعمائة طالب وطالبة، وكانت البعثة الفرنسية برئاسة الأميرة البرنسيس اليزبت ابنة خالة الملك الفرنسي لويس السادس، وبعث فيليب ملك بافاريا إلى هشام بن عبد الرحمن الداخل بكتاب يطلب إليه أن يأذن له بإرسال بعثة من بلاده إلى الأندلس، للإطلاع على أحوالها وأنظمتها وشرائعها وثقافتها، وذلك لاقتباس المفيد المثمر منها لبلاده، ووافق الأمير هشام على هذا الطلب وعندئذ أرسل الملك فيليب بعثة برئاسة وزيره الأول المدعو ويلميون الذي يسميه العرب بإسم وليم الأمين. وزادت البعثات العلمية من قبل ملوك أوروبا، فالبعثة التي أوفدها جورج ملك ولز برئاسة ابنة أخيه كانت تضم ثماني عشرة فتاة من بنات الأشراف والأعيان، وقد توجهت البعثة إلى إشبيلية ويرافقهن في سفرهن النبيل -سفيلك- رئيس مظفي القصر في ولز، وكان سفيلك هذا يحمل رسالة من الملك جورج إلى الخليفة هشام الثالث، ونشر المؤرخ الإنجليزي الشهير -جون دانهورت- نصها في كتابه الخطير العرب عنصر السيادة في القرون الوسطى".⁽¹⁾

أما في علوم الطب استفاد المسلمون من مصادر الطب اليوناني وزادوا عليه بأبحاثهم العلمية، واكتشفوا الدورة الدموية وجراحات معقدة كالكاتراكت واستخدموا الطرق فيها لم يعرف الغرب إلا في القرن الماضي، مثل التحذير والتطهير واستعمال المواد متعددة وكان الكحول أحد مكوناتها الأساسية، الأطباء المسلمون يستخدمون النظافة والطهارة كالعلاج كما قال: "امتثل المسلم لأحكام شرعية في الطعام والصحة والنظام، وشجعت أحكام النظافة والوضوء والاستحمام على تأسيس الحمامات الخاصة والعامة، والتي أصبحت بمثابة وحدات علاجية، وكثيراً ما أضيف عليها التدليك".⁽²⁾

وكان في بعض مدن أوروبا ينطقون باللغة العربية، "لذلك الأوروبيون كانوا يعتمدون على الطب الإسلامي حتى القرن السادس عشر الميلادي، كانوا يطبعون قوائم أوائل الكتب في الطب وفي مقدمته كتاب القانون في الطب لابن سينا، وصدر ست عشرة مرة إلى عام 905هـ/1500م واستمر تدريس كتابه بعد عام 1060هـ/1650م،

ومحمد صادق الزملي، ط 2، دار بوسلامة للطباعة والنشر- تونس، ص 202-203).

(1) القصري: محمد فائر القصري، النهضة الأوروبية وأثر الثقافة العربية الإسلامية، مطبعة زيد بن ثابت- دمشق، عام 1979م، ص 89.

(2) روجيه دوسكوية، إظهار الإسلام، ترجمة: عادل المعلم، مكتبة الشروق الدولية، عام 2002م، ص 150-152.

وأنه أكثر ما درس من الكتب الطبية في التاريخ كله، ويطبعون كتب أخرى مثل كتب الرازي غيره، والأوروبيون يعتمدون في الطب على الكتب من الأطباء المسلمين". (1)

وقد وصف خدمات المسلمين في الطب بأن: "ما كتبه ابن سينا في صفحة واحد من كتاب -القانون في الطب- يعادل خمسة أو ستة مجلدات مما كتبه جالينوس الطبيب اليوناني المشهور". (2)

وأيضاً للمسلمين جهود في الصيدلة وعلم النبات والكيمياء، وجميع المستشفيات في بلاد المسلمين ملحقة بصيدلة والأطباء مقيمون فيه، ولكن في أوروبا ظهر كتاب الصيدلي في القرن الخامس عشر الميلادي، وقد تأثر أوروبا بعلم العقاقير من المسلمين وصدرت عدة أجزاء من كتاب -الجامع في الأدوية المفردة- لابن البيطار، وفي علم الفلك نفس التأثير من المسلمين على الغربيين، حيث كتب الفرغاني في عام 245هـ/ 860م نصاً فلكياً أثر تأثيراً كبيراً في أوروبا. (3)

فجميع العلوم والفنون والآداب انتقلت من الأندلس إلى أوروبا، لأن المسلمين أنشأوا مدارس ومكتبات ومختبرات وترجموا الكتب الأجنبية، ودرسوا العلوم الفلكية والرياضية والطبيعية والكيمياء والطبية، والنتيجة لتلك العلوم هو قيام نهضة علمية في أوروبا، كما قال غوستاف لوبون: "كلما أمعنا في درس حضارة العرب وكتبهم العلمية واختراعاتهم وفنونهم ظهرت لنا حقائق جديدة وآفاق واسعة، ولسرعان ما رأينا أن العرب أصحاب الفضل في معرفة القرون الوسطى لعلوم الأقدمين، وأن جامعات الغرب لم تعرف لها مدة خمسة قرون مورداً علمياً سوى مؤلفاتهم، وأنهم هم الذين مدنوا أوربة مادة وعقلاً وأخلاقاً، وأن التاريخ لم يعرف أمة أنتجت ما أنتجوه في وقت قصير، وأنه لم يفقههم قوم من الابتداء الفني". (4)

ثانياً: نتائج الجهود الدعوية خارج الأندلس في الفنون والصناعة والزراعة:

الحضارة الإسلامية دائماً تحث على تقوية الاقتصاد كما جاءت تعاليم الإسلام تحث على العمل والانتاج

(1) مونتجمري وات، فضل الإسلام على الحضارة الغربية، ترجمة: حسين أحمد أمين، ط 1، دار الشروق، عام 1983م، ص 92-94.

(2) راجع: زيفريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ص 315. محمد ياسين عربي، الإستشراق وتغريب العقل التاريخي، ص 196. مونتجمري وات، فضل الإسلام على الحضارة الغربية، ص 93-94.

(3) راجع: زيفريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ص 333-334. جاك رسلر، الحضارة العربية، ص 174.

(4) غوستاف لوبون، حضارة العرب، ص 26، 568، 569.

والتجارة بل عدّ الإسلام السعي على الرزق والتعمير من أفضل ضروب العبادة، وتوجد كثير من الأمثلة في التاريخ الإسلامي.

وانتقلت كثير من الفنون وطرق الصناعة والزراعة من الأندلس إلى أوروبا، كما انتقلت المعمارية والزخرفية ومعظم أساليب الفنون، "فتشير عدد من الحقائق إلى المصدر الإسلامي لكل من الفكرة والشكل في كثير من الفنون التشكيلية الأوروبية".⁽¹⁾

وكذلك بعض الفنانين الغربيين يضيفون أشكال الفن الإسلامي، ويكتبون الكلمات العربية دون معرفة معانيها، لذلك أنهم نقلوا كل الفنون التي في المجتمع الأندلسي دون معرفة عليها، كما قال غوستاف لوبون: "وقد بلغ الخط العربي من الصلاح للزينة ما كان رجال الفن من النصارى في القرون الوسطى وفي عصر النهضة يكتثرون من استنساخ ما كان يقع تحت أيديهم اتفاقاً من قطع الكتابات العربية على المباني المسيحية تزيينا لها، سائرين في ذلك مع الهوى، وقد شاهد مسيو لنجبريه ومسيو لافوا وغيرهما الشيء الكثير منها في إيطاليا، ومما شاهده مسيو لافوا في مكان الأمتعة من كاتدرائية ميلانو باب مبني على طراز رسم البيكارين يحيط به إفريز حجري مؤلف من كلمة عربية مكررة عدة مرات، وكتابة عربية حول رأس المسيح المصور فوق أبواب القديس بطرس التي أمر بإنشائها البابا أوجين الرابع، وخطوط كوفية طويلة على قميص القديس بطرس والقديس بولس"، ويضيف: "ومن دواعي أسفي عدم ترجمة هذا الكاتب لهذه الكتابات، فلعل الكتابة التي حول رأس المسيح هي كلمة: (لا إله إلا الله محمد رسول الله)".⁽²⁾ والخط العربي من أهم انتاجات الفن الإسلامي.

لقد عمل المسلمون عملاً ثابتاً و عميقاً وسريعاً وتحول الأندلس في وقت قصير واستطاعوا أن يجيوا الأرض ويعمروا خرابها، وقيموا بأفخم المباني ويوسعوا التجارة بين جميع الأمم، ويصدرون منتجات المناجم ومصانع الحرير وجلود والسكر وغيرها إلى أوروبا وإفريقيا، والمسلمون يعتنون بجميع العلوم وحتى في علوم الفلاحة، وانتقل كثير من الحبوب والأثمار إلى أوروبا، وكانت عند الأوروبيين غير معلوم كشجر التوت والخزنب والنخيل والعودنة وقصب السكر والقطن والذرة وغير ذلك وكان المسلمون أول من أدخلوا تلك الأشجار إلى الأندلس، وانتشرت تلك الأشجار في

(1) ديونيسيوس آجيوس وريتشارد هيتشكوك، التأثير العربي في أوروبا العصور الوسطى، ترجمة: الدكتور قاسم عبده قاسم، الناشر عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية- مصر، عام 2009م، ص 64 .

(2) جوستاف لوبون، حضارة العرب، ص 531. إيناس حسني، أثر الفن الإسلامي على التصوير في عصر النهضة، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، عام 2005م، ص 120.

جميع أنحاء أوروبا، وأيضاً أدخل المسلمون إلى الأندلس نظام المدرجات الجبلية رغبة في استغلال الأمور الزراعية، وقد ذكر جاك رسلر: "المزروعات التي نقلت إلى أوروبا من إسبانيا الإسلامية زراعة الأرز والمشمش والخوخ والرمان والبرتقال وزراعة قصب السكر والزعفران والقمح والحنطة السوداء، وشجرة الزيتون، والبلح والتين والليمون الهندي والسفرجل".⁽¹⁾

أما النباتات والمزروعات التي أخذها الأوروبيون من المسلمون إلى أوروبا فكثير منها ما زالت على أسمائها العربية،⁽²⁾ وعن طريق تلك الأمور الاقتصادية دخل كثير من أوروبا إلى الأندلس، ولما نظروا في أمور حياتهم ودينهم وعملهم دخلوا في الإسلام.

ثالثاً: نتائج الجهود الدعوية خارج الأندلس في الحياة اليومية:

المسلمون في الأندلس كانوا شديد النظافة والحرص عليها، ولا يقومون بعبادة ربهم إلى كانوا مطهرين، وأسسوا الحمامات في جميع أنحاء الأندلس، والغريبيون لا يعرفون النظافة والطهارة، "والآن أضحت النظافة سلوكاً عاماً في أوروبا والبلاد الغربية، لكنهم ينسون تماماً دينهم للمسلمين في هذا الشأن الحضاري الهام الذي يعترفون الآن بأنه أحد المقاييس المهمة لقياس تقدم الشعوب"،⁽³⁾

لذلك حكام الأوروبيين يطلبون من المسلمين في الأندلس أي يرسلوا إليهم مؤدباً لأبناءهم، ليتعلموا منهم الأدب والأخلاق والتعامل الإسلامي، "كما في عام 276هـ/ 890م حين أراد أذفونش (ألفونسو) الكبير أن ينتدب مؤدباً لابنه وولي عهده، استدعى اثنين من مسلمي قرطبة حرصاً على تهذيبه، إذ لم يجد في النصارى إذ ذاك كفوّاً لهذه المهمة".⁽⁴⁾

وكثير من غير المسلمين الذين تأثروا من المسلمين تسموا أبناءهم بأسماء عربية، كما قال أرنولد: "أن كثيراً من المسيحيين قد تسموا بأسماء عربية، وقلدوا جيرانهم المسلمين في إقامة بعض النظم الدينية، فاختتن كثير منهم،

(1) جاك رسلر، الحضارة العربية، ص 190.

(2) زيفريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ص 17-20.

(3) جودة، عباقرة علماء الحضارة العربية والإسلامية في العلوم الطبيعية والطب، ص 36-38.

(4) كرد، الإسلام والحضارة العربية، ص 548.

وساروا وفق رسوم -المسلمين- في أمور الطعام والشراب". (1)

فشهادات غير المسلمين لجهود المسلمين في الأندلس كثيرة، كما قال ماكس فانتيجو: "كل الشواهد تؤكد أن العلم الغربي مدين بوجوده للحضارة العربية الإسلامية، وأن المنهج العلمي الحديث القائم على البحث والملاحظة والتجربة، والذي أخذ به علماء أوروبا، إنما كان نتاج اتصال العلماء الأوروبيين بالعالم الإسلامي عن طريق دولة العرب المسلمين في الأندلس". (2)

ويقول دانييل بريفولت: "ومنذ عام 80هـ/700م بدأت إشراقة الحضارة العربية الإسلامية تمتد من شرقي المتوسط إلى بلاد فارس شرقاً وإسبانيا غرباً، فأعيد اكتشاف قسم كبير من العلم القديم، وسجلت اكتشافات جديدة في الرياضيات، والكيمياء، والفيزياء، وغيرها من العلوم... وفي هذا المجال، كما في غيره، كان العرب معلمين لأوروبا، فأسهموا في نهضة العلوم في هذه القارة". (3)

وقد قال المسيو سيديو: "لم يشهد المجتمع الإسلامي ما شهدته أوروبا من تحجر العقل، وشل التفكير، وجذب الروح، ومحاربة العلم والعلماء، ويذكر التاريخ أن اثنين وثلاثين ألف عالم قد أحرقوا أحياء! ولا جدال في أن تاريخ الإسلام لم يعرف هذا الاضطهاد الشنيع لحرية الفكر، بل كان المسلمون منفردين بالعلم في تلك العصور المظلمة، ولم يحدث أن انفرد دين بالسلطة، ومنح مخالفه في العقيدة كل أسباب الحرية كما فعل الإسلام". (4)

فمن طريق تلك الجهود التي بذلها المسلمون في الأندلس انتشر الإسلام بين غير المسلمين وحتى خارج الأندلس، ووصل إلى أوروبا بتلك الجهود الناجحة، وانتقل إلى أوروبا كتب المسلمين وعلومهم، والأمور الاقتصادية كتجارة والزراعة والفنون والصناعة، وأخذوا من المسلمين الأخلاق والعادات الإسلامية.

(1) أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص 160.

(2) ماكس فانتيجو في كلمة له أمام مؤتمر الحضارة العربية الإسلامية المعقود في جامعة برنستون في واشنطن عام 1953م. (الأستاذ هاني المبارك والدكتور شوقي أبو خليل: دور الحضارة العربية والإسلامية في النهضة الأوروبية، ط 1، دار الفكر والمطبعة العلمية - دمشق، عام 1417هـ/1996م، ص 125).

(3) روبرت بريفولت طبيب وعالم الاجتماع الروائي الفرنسي، ولد في عام 1874م وعاش في مختلف الأماكن من العالم، أشهر كتابه صناعة الإنسانية، وتوفي عام 1367هـ/1948م. (روبرت بريفولت، نشأة الإنسانية، ص 84).

(4) نقلاً عن: باشا: الدكتور حسان شمسي باشا: هكذا كانوا يوم كنا، ط 1، دار المنارة للنشر والتوزيع، عام 1402هـ/1999م، ص 83.

الخلاصة والتعليق:

أن غير المسلمين في الأندلس بدءوا يقلدون المسلمين في كل شيء، حتى أصبحوا يتعلمون اللغة العربية، يتطعون بطباع المسلمين، ويلبسون كملابسهم، ويتزينون بزيتهم، وأما الذين تعلموا اللغة العربية وذهبوا إلى أوروبا أو فيما بينهم يفتخرون بها، وهذا لأن الأمم المهزومة دائماً تقلد الأمم المنتصرة.

وكان المسلمون يهتمون بتأسيس الحضارة المادية، والإدارة والعمران، وأنشأوا مصانع للأسلحة والسفن، وبدأت القوة العسكرية الإسلامية أكثر عن الآخرين في هذه المنطقة.

ألغى المسلمون النظام الطبقي وساووا بين الناس، وأتاحوا لهم الفرصة في حرية الأمور العقائدية والاقتصادية، لذلك وجد سكان الأندلس في هذا الدين ديناً متكاملًا شاملاً ينظم كل أمور الحياة؛ وعقيدة واضحة، وعبادات منتظمة، وتشريعات في السياسة وفي الحكم وفي التجارة وفي الزراعة وفي المعاملات، وتواضعاً للقادة، وتفصيل عن كيفية التعامل مع الوالدين والأقارب والأولاد والجيران والأصدقاء، ومع الأعداء والأسرى، فدخلوا في دين الله وذهبوا إلى البلدان الأخرى من حيث الدعاة، وبعد مدة أصبح عموم أهل الأندلس من المسلمين، حتى إن غالبية المسلمين في بلاد الأندلس صارت من أهل الأندلس الأصليين، وأصبح العرب والبربر قلة في تلك البلاد.

الخلاصة

والخلاصة تشتمل على النتائج والتوصيات:

النتائج:

بعد إتمام هذا البحث توصل الباحث إلى النتائج، سيذكر أهمها في النقاط التالية:

- 1- انتشر الإسلام في الأندلس بفضل الله ثم بفضل جهود المسلمين الذين ساهموا بأقوالهم وأفعالهم، وجهادهم في سبيل الله حيث كثر المسلمون في تلك البلاد.
- 2- إن قوة الإسلام تكمن في توحيد المسلمين ووحدة صفهم، لذلك لما فتحوا بلاد الأندلس فتحو قلوب الناس بحسن التعامل والرفق بأهل هذه البلاد، وامتنال الأخلاق الحميدة الحسنة، وإقامة العدل وإزالة الظلم والعدوان، لأن له أثر كبير على نشر الدعوة وقبولها.
- 3- المسلمون في الأندلس ألموا بفقته الواقع في حل مشكلات المجتمع، حيث أنهم ساهموا في حلها بعدة وسائل كالقضاء العادل والحسبة والتعليم والثقافة والحفاظ على كرامة الإنسانية وغير ذلك.
- 4- العدل والتسامح من أعظم أساليب الدعوة الإسلامية، فيستطيع الداعي من خلاله نشر الإسلام في أرجاء المعمورة وأن يؤدي حق الدعوة، كما فعل المسلمون في بلاد الأندلس حيث نجحوا من خلال هذا الأسلوب في دعوة الناس واعتناقهم الإسلام.
- 5- كانت القدوة الحسنة من أكبر العوامل التي ساعدت في نشر الإسلام في الأندلس، حيث أن الإسلام ملائم للفترة البشرية، فعلى الطاعمي أن ينوع من استخدام الأساليب الدعوية فتارة يستخدم الشدة وتارة يستخدم اللين والرفق.
- 6- يجب على الحاكم المسلم التخلق بالأخلاق الإسلامية الحسنة وإظهار جميع شعائر الإسلام وتنفيذ أحكامه، وأن يكون مملماً بأمور الإسلام فالناس على دين ملوكهم.
- 7- انتشر الإسلام في الأندلس في فترة وجيزة، وأقام المسلمون فيها حضارة عظيمة ودولة قوية، وأنشأ المسلمون المساجد والجامعات والمكتبات.
- 8- مر المسلمون بأحوال مختلفة في الأندلس، فتارة كانوا في عز وقوة، وتارة سادت فترة من الضعف والتمزق

والاختلاف فيما بينهم.

9- الإستقلال السياسي للأندلس كانت منحصر بين الحكام، والإرتباط بين الأمة الإسلامية كان موجوداً في جانب التعليم والثقافة، لأن العلماء في الأندلس أكثرهم كانوا يتلقون تعليمهم في المشرق.

بعد أن ذكر الباحث أهم النتائج المتعلقة بموضوع الدراسة يوصي بالآتي:

التوصيات:

1 - يجب على الدول الإسلامية أن لا تستخدم غير المسلمين والمفسدين في المناصب والادارات الحكومية، وخاصة المناصب الحساسة التي لها صلة بحياة الأمة وبقائها، وأن لا تدخل في مشورتهم ولا تتولوا أمر الرعية، بل تعاملهم معاملة غير المسلم، ووحدة الأمة والحرص عليها من قوة المسلمين، فإن النزاع والخلاف من أهم أسباب الفشل والهزيمة أمام الأعداء.

2 - لا بد للمراكز العلمية أن يرتب وينظم الكتب والمحاضرات والندوات العلمية عن تاريخ الأمة الإسلامية ومجدها، لمعرفة الشعب عن تاريخها، ويوفر لهم المعلومات عن الأعداء في كل ميادين سواء في مجال العلمي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي وغير ذلك.

3 - يجب على العلماء والمفكرين أن يزور الشعوب الإسلامية في كل أنحاء العالم، ويقدم لهم كل ما بوسعهم كي يصبح مدأ أمام الأفكار الوافدة في العالم الإسلامي، ويدافع الشعب المسلم عن دسائس أعداء الإسلام والمسلمين.

4 - من الضروري أن يبذل الطلاب جهوداً خاصة من أجل وحدة أراضي الأمة الإسلامية وأن يتذكروا جهودهم للجيل القادم، بالإضافة إلى ذلك يجب على الطلاب أيضاً تحديد الجوانب الإيجابية والسلبية للأرض الإسلامية المفقودة.

5 - أوصي للدعاة على أن يجعل الضروريات الخمس من أسس دعوته حتى ينجح فيما يدعوا إليه، ويجب أن تقوم دعوته على مبادئ الشريعة.

وفي الختام أحمد الله وأشكره وهو المستحق للحمد دائماً على ما أعانني عليه من إعداد هذا البحث ويسر لي الأمور في توفير البحث، فإن أحسنت فبتوفيق الله تعالى وفضله، وإن قصرت فمن عندي ومن الشيطان وأستغفر الله وأتوب إليه من ذلك، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

فهرس الأحاديث الشريفة

- 193 إذا حكم الحاكم فاجتهد فله
- 109 إذا رأيتم الجنازة فقوموا حتى تخلفكم
- 42 أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي
- 215 ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟
- 114 ألا من ظلم معاهداً، أو انتقصه
- 56 إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة
- 232 أن اليهودي إذا سلم عليكم أحدهم
- 117 إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام
- 122 إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة
- 117 أنا أحق من أوفى بدمته
- 59 أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً
- 183 إنها ليست بدواء ولكنها داء
- 225 بلغوا عني ولو آية
- 88 ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم
- 225 خيركم من تعلم القرآن وعلمه
- 183 عليكم بالأئمة، فإنه منبئة للشعر
- 60 عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين
- 209 فإني أتيت النبي ﷺ قلت: أبايعك على الإسلام
- 183 في الحبة السوداء شفاء من كل داء
- 147 كان ناس من الأسرى لم يكن لهم مال
- 214 لا تتلقوا السلع
- 56 لا يفني لذي عهد بعهد فليس من أمتي
- 204 لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً
- 223 ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل
- 121 ما من مولود إلا يولد على الفطرة الإسلام

210 ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا
183 من تصبح كل يوم سبع ثمرات عجوة
184 من تطيب ولم يكن بالطب معروفاً
209 من رأى منكم منكراً فليغيره بيده
238 من سلك طريقاً يتغي فيه علماً
207 من صام رمضان إيماناً واحتساباً
56 من كان بينه وبين قوم عهد
109 من كان بينه وبين قوم عهد فلا
2 من لم يشكر الناس لم يشكر الله
56 ومن نكث العهد ومات ناكثاً للعهد
108 يا أيها الناس! ألا إن ربكم واحد
193 يا عبادي إني حرمت الظلم على
222 يا معشر الشباب من استطاع

فهرس الأعلام

167	أبا جعفر الدينوري
166	أبا حاتم والرياشي
174	أبا موسى الهواري
215	إبراهيم بن حسين بن خالد
184	أبقراط
15	ابن الأثير
83	ابن الجليقي
177	ابن الفرضي
176	ابن بشكوال
125	ابن تيمية
185	ابن جلجل
151	ابن حزم
130	ابن حوقل
79	ابن حيان
152	ابن خلدون
171	ابن خير
288	ابن سينا
256	ابن شبطون
165	إبن عبد ربه الأندلسي
256	ابن غرسية
256	ابن فرتون
166	ابن قتيبة
256	ابن لب
204	ابن لبابة
256	ابن مارتين

176	ابن محاسن عثمان بن محمد
186	ابن ملوكة النصراني
149	ابن منظور
174	أبو الأزهر عبد الصمد العتيقي
157	أبو المطرف عبد الرحمن بن فطيس
189	أبو اليسر إبراهيم بن أحمد الشيباني
187	أبو بكر أحمد بن جابر
169	أبو بكر الزبيدي
186	أبو بكر سليمان بن باج
239	أبو عبد الله صعصعة بن سلامة الشامي
168	أبو عبد الله محمد بن إسماعيل
187	أبو عبد الملك الثقفي
170	أبو علي القالي
175	أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله الظلمنكي
174	أبو عمر الكسائي
182	أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي
174	أبو يحيى زكريا بن يحيى الكلاعي
241	أبو يحيى زكريا بن يحيى الكلاعي القرطي
243	أبي الأسود الدؤلي
179	أبي حنيفة
214	أبي صالح أيوب سليمان
243	أبي عبد الله النحوي الرباحي
166	أبي علي القالي
208	أبي يعلى
187	أحمد بن حكم بن حفصون
180	أحمد بن سليمان القيرواني
201	أحمد بن مطرف

110	إدوين كالغري
186	إسحاق النصراني
201	إسحاق بن إبراهيم
235	آسين بلا ثيوس
187	أصبع بن يحيى القرطبي
185	اصطفن بن باسيل
128	الإدريسي
25	الآريوسي
50	الأساقفة
68	الأسلمة أو المولدون
166	الأصمعي
180	الأعشى القرطبي
167	الاقشتين
197	الإمام الأوزاعي
221	الإمام الشاطبي
179	الإمام الشافعي
176	الإمام مالك
176	الأوزاعي
290	البرنسيس اليزيت
31	البشكنس
111	البطريق النسطوري ياف الثالث
23	الجرمانية
71	الحر بن عبد الرحمن الثقفي
87	الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر
81	الحكم بن هشام
17	الحميري
247	الرهب نيقولا

167	الرياشي
189	الساسانيون
71	السمح بن مالك الخولاني
30	السوييف
169	السيوطي
68	الصقالبة
76	الصميل بن حاتم
166	الغازي بن قيس
288	الفارو
97	الفاطميون
166	الفراء
161	الفرج الأصفهاني
200	الفرج بن كنانة
231	ألفونسو
22	الفينيقيون
214	القاضي عياض
23	القرطاجنيون
20	القزويني
23	القوط
166	الكسائي
30	الكلتيون
167	المازني
198	الموردي
294	المسيو سيديو
21	المقري التلمساني
84	المنذر
194	النباهي

30	الهون
40	الوليد بن عبد الملك
16	الوندال
164	إيزابيت
235	أمية بن عيسى
28	أنات
257	أنجلين
28	إيل
71	أيوب بن حبيب اللخمي
180	أيوب بن سليمان بن حكم بن عبد الله
40	بالوماس
73	برديل
226	بطريق النسطوري ياف الثالث
130	بطليوس
28	بعل
175	بقي بن مخلد
76	بلاي قوطي
85	بنو حجاج
85	بنو خلدون
257	بنو زلف
58	توماس آرنولد
177	ثابت بن عبد العزيز السرقسطي
80	ثورة العلاء بن مغيث
164	جربرت دي أورياك
209	جرير بن عبد الله
28	جوبتر
166	جودي النحوي

167	جودي بن عثمان
290	جورج
164	جورج الثاني
230	جورجي زيدان
28	جونو
161	حبيب بن الوليد بن حبيب
213	حسين بن عاصم
186	حمد بن أبان
150	حنش بن عبد الله الصنعاني
185	حنين بن اسحاق
102	دار الزوامل
294	دانييل بريفولت
164	دوبانت
72	دوق اكينانيا
185	ديسقوريدس
288	رازي
40	لذريق
290	لويس السادس
208	ماوردي
162	محمد بن أحمد بن عبد العزيز
181	محمد بن أحمد بن عتبة
181	محمد بن الحارث بن أسد الحشني
170	محمد بن القوطية
150	محمد بن أوس بن ثابت الأنصاري
178	محمد بن سليمان بن أحمد بن حبيب
83	محمد بن عبد الرحمن الأوسط
167	محمد بن عبد السلام الحشني

174	محمد بن عبد الله الأندلسي
176	محمد بن عبد الله المري
166	محمد بن عبد الله بن سوار
181	محمد بن عمر بن لبابة
161	محمد بن معاوية بن عبد الرحمن
168	محمد بن موسى بن هاشم
239	محمد بن وضاح
179	محمد بن يحيى بن عمر بن لبابة
166	محمد عبد الله الغازي
189	مسلم بن أحمد بن أبي عبيدة الليثي
197	مصعب بن عمران
19	مضيق جبل طارق
76	مغارة القديسة
201	منذر بن سعيد
167	منذر بن سعيد البلوطي
73	منوسة
39	موسى بن نصير
174	نافع بن أبي نعيم
138	نبريشة
80	هشام بن عبد الرحمن
81	هيج الربيض
160	وليم درابر
227	ويلز
290	ويلميين
187	يحيى النصراني
174	يحيى بن زياد المعروف بالفراء
181	يحيى بن عبد الله بن يحيى الليثي

181 يحيى بن معمر الألهاني
180 يحيى بن يحيى الليثي
189 يحيى بن يحيى المعروف بابن سمينة
195 يحيى بن يزيد التجيبي
72 يزيد بن عبد الملك
114 يودكس
76 يوسف بن عبد الرحمن الفهري
39 يوليان

فهرس الأماكن

241	إستجة
51	إشبيلية
81	إفريقيا
90	إقليم الجنوب
90	إقليم جليقية لوزيتانيا
90	إقليم وسط الأندلس
25	الآريوسي
90	الإقليم الرابع
15	الأندلس
92	الأندلس المتوسط
23	الإيبيريون
48	إبيرة
130	الجامع بإشبيلية
130	الجامع بألبيرة
127	الجامع قرطبة
189	الجزيرة الخضراء
136	الرصافة
189	الروم
290	الرومان
189	الساسانيون
134	الشام
171	العراق
23	الفينيقيون
51	القسطنطينية
23	القوط

79	المسارة أو المصاراة
21	المناخ
79	الوادي الكبير
16	الوندال
247	اليونان
164	إنجلترا
16	إيبيريا
111	إيلياء
40	بالوماس
73	برديل
171	بغداد
196	بلاد الإفرنج
78	بلاد المغرب
72	بلاد غالة
74	بلاط الشهداء
50	تدمير
134	تونس
131	جامع طرطوشة
17	جبال البرت
20	جبال مورينا
200	جليقية
76	جيليقية
102	دار الزوامل
78	دمشق
72	دوق اكينانيا
82	ربض شقنדה
39	سبتة

137	سرقسطة
15	شبه الجزيرة
3	شبه جزيرة إيبيريا
47	شدونة
92	شرق الأندلس
75	صخرة بلاي
25	طليلة
92	غرب الأندلس
79	غرناطة
18	قارة الأوروبية
134	قرطاجنة إفريقية
48	قرطبة
135	قصر الخلافة
135	قصر الزهراء
135	قصر المؤنس
261	لاردة
50	لبلة
50	ماردة
48	مالقة
130	مدينة أربونة
48	مدينة استجة
133	مدينة الزهراء
134	مدينة المرية
138	مدينة تطيلة
49	مدينة قرمونة
137	مدينة مرسية
87	مدينة مليلة

126	مسجد الرايات
129	مسجد الزهراء
130	مسجد جيان
19	مضيق جبل طارق
76	مغارة القديسة
73	منوسة
138	نبريشة
77	نهر أبي فطرس
81	هيج الریض
47	واد لكة
48	وادي الحجارة
134	ورية

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- 1- أبا الخليل: محمد بن إبراهيم أبا الخليل، الأندلس في الربع الأخير من القرن الخامس الهجري (275-300هـ/888-912م)، ط 1، مكتبة الملك عبد العزيز العامة- السعودية، عام 1416هـ/1995م.
- 2- إبراهيم أنيس، عبد الحلیم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد، المعجم الوسيط، ط 4، مكتبة الشروق الدولية، عام 2004م.
- 3- ابن أبي أصيبعة: أبي العباس أحمد بن القاسم الخزرجي (ت: 668هـ/1269م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: محمد باسل، الكتب العلمية- بيروت، عام 1998م.
- 4- ابن الأبار: أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بإبن الأبار (ت: 658هـ/1260م)، التكملة لكتاب الصلة، مكتب نشر الثقافة الإسلامية بمصر، عام 1375هـ.
- 5- ابن الأبار: أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بإبن الأبار (ت: 658هـ/1260م)، الحلة السيرة، تحقيق: حسين مؤنس، ط 2، دار المعارف- القاهرة، عام 1985م.
- 6- ابن الأثير: أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني المعروف بإبن الأثير الجزري الملقب بعز الدين (ت: 630هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، ط 1، دار الكتاب العلمية بيروت- لبنان، عام 1407هـ/1987م.
- 7- ابن الأخوة: محمد بن شريف القرشي (ت: 729هـ/1329م)، معالم القرية في أحكام الحسبة، تحقيق: روبن ليون، مطبعة دار الفنون- كمبرج، عام 1937م.
- 8- ابن الخطيب: لسان الدين محمد بن عبد الله بن الخطيب الأندلسي (ت: 776هـ/1374م)، أعمال الأعلام في من بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، ط 2، دار المكشوف- بيروت، عام 1956م.
- 9- ابن الخطيب: لسان الدين محمد بن عبد الله بن الخطيب الأندلسي (ت: 776هـ/1374م)، الإحاطة في أخبار غرناطة، حقق نصه ووضع مقدمته وحواشيه: محمد عبد الله عنان، ط 2، مكتبة الخانجي القاهرة-

مصر، عام 1973م.

10- ابن العربي: أبو بكر العربي الأندلس (ت: 543هـ / 1148م)، أحكام القرآن، دار الكتب العلمية، عام 1424هـ / 2003م.

11- ابن العماد الحنبلي: أبو الفلاح شهاب الدين عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت: 1089هـ / 1678م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرنؤوط، ط 1، دار الكتب العلمية- بيروت، عام 1986م.

12- ابن الفرضي: أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي (ت: 403هـ / 1013م)، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط 2، دار الكتاب المصري القاهرة- مصر، دار الكتاب اللبناني بيروت- لبنان، عام 1410هـ / 1989م.

13- ابن القاسم: حاشية الروض المربع، ط 1، عام 1400هـ.

14- ابن القوطية: أبو بكر محمد بن عمر بن القوطية (ت: 367هـ / 977م)، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط 2، دار الكتاب المصري القاهرة ودار الكتاب اللبناني بيروت، عام 1410هـ / 1989م.

15- ابن القيم: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (ت: 751هـ)، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، ط 3، مؤسسة الرسالة، عام 1418هـ / 1998م.

16- ابن القيم: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (ت: 751هـ)، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ط 1، مكتبة المعارف- الرياض.

17- ابن الكردبوس ووصفه لإبن الشباط، نسان جديان، ط 13، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، عام 1965-1966م.

18- ابن الكردبوس: أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس التوزري (عاش في أواخر القرن السادس الهجري الموافق الثاني عشر الميلادي)، تاريخ الأندلس، هو قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق: الدكتور أحمد مختار العبادي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مجلة مدريد سنة 1965م.

- 19- ابن بشكوال: أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال الأندلسي (ت: 578هـ / 1183م)، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، تحقيق وضبط وتعليق: بشار عواد معروف، ط 1، دار الغرب الإسلامي - تونس، عام 2010م.
- 20- ابن بطوطة: محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ت: 799هـ / 1377م)، تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار - المعروف برحلة ابن بطوطة، شرحه وكتب هوامشه: طلال حرب، ط 2، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، عام 1413هـ // 1992م.
- 21- ابن تغري بردي: أبو المحاسن جمال الدين يوسف (ت: 874هـ / 1470م)، النجوم الزاهرة في محاسن ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة - القاهرة، عام 1963م.
- 22- ابن تيمية: شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد، ط 1، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف المدينة المنورة - السعودية، عام 1423هـ / 2003م.
- 23- ابن جلجل: أبو داود سليمان بن حسان بن جلجل الأندلسي (توفي في القرن الرابع الهجري)، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، مطبة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية - القاهرة، عام 1955م.
- 24- ابن حجر العسقلاني: الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت: 852هـ / 1448م)، تهذيب التهذيب، ط 1، دائرة المعارف النظامية - الهند، عام 1908م.
- 25- ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت: 456هـ / 1064م)، رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية لدراسات والنشر، عام 1987م.
- 26- ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (456هـ / 1064م)، جمهرة أنساب العرب، ط 1، دار كتب العلمية بيروت، عام 1403هـ / 1983م، وط 5، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف - القاهرة.
- 27- ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (456هـ / 1064م)، نطق العروس، تحقيق: الدكتور شوقي ضيف، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة.
- 28- ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت 456هـ / 1064م)، طوق الحمامة في الألفة والألاف، تحقيق: محمد يوسف الشيخ محمد وغريد يوسف الشيخ محمد، ط 1، دار الكتاب العربي،

عام 2004م.

- 29- ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت: 456هـ / 1063م)، شذرات من كتاب السياسة، مستخرجة من مخطوطة الشعب اللامعة في السياسة النافعة، المعروف بسياسة ابن رضوان، نشره محمد إبراهيم الكتاني في مجلة تطوان المغربية، عام 1963م، العدد 8.
- 30- ابن حوقل: أبو القاسم بن علي بن حوقل النصيبي (ت: 380 / 990م)، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة- بيروت، ومنشور أيضاً من دار مكتبة الحياة، عام 1979م.
- 31- ابن حيان: أبو مروان حيان بن خلف القرطبي (ت: 469هـ / 1076م)، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق: محمود علي مكّي، لجنة إحياء التراث الإسلامي القاهرة- مصر، عام 1410هـ / 1989م.
- 32- ابن حيان: أبو مروان حيان بن خلف القرطبي (ت: 469هـ / 1076م)، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: الدكتور عبد الرحمن علي الحجّي، نشر وتوزيع دار الثقافة بيروت- لبنان، عام 1983م.
- 33- ابن حيان: أبو مروان حيان بن خلف القرطبي (ت: 469هـ / 1079م)، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: شالميتا، المعهد الإسباني للثقافة مدريد، وكلية الأدب- الرباط، عام 1979م.
- 34- ابن خاقان: أبو نصر الفتح بن محمد بن خاقان الإشبيلي (ت: 529هـ / 1135م)، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق: محمد علي شوابكة، ط 1، مؤسسة الرسالة- بيروت، عام 1983م، ومطبعة الجوائب- القسطنطينية، عام 1302هـ.
- 35- ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون (ت: 808هـ / 1405م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر- بيروت، عام 1958م.
- 36- ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون (ت: 808هـ / 1405م)، المقدمة ابن خلدون، نشر دار إحياء التراث العربي- بيروت.
- 37- ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد أبي بكر بن خلكان (ت 681هـ / 1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان بن عباس، دار الثقافة بيروت، عام 1977م.

- 38- ابن خير: أبو بكر محمد بن خير (ت: 575هـ)، فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف، ط 2، دار الآفاق الجديدة- بيروت، عام 1399هـ/ 1979م.
- 39- ابن رزين: أبي الحسن علي بن أبي القاسم بن رزين التجيبي، فضالة الخوان في طبيبات الطعام والألوان، تحقيق: محمد بن شقرون، ط 1، دار الغرب الإسلامي الرباط- المغرب.
- 40- ابن سعيد: أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد الغرناطي المغربي (ت: 685هـ/ 1286م)، المغرب في حلى المغرب، تحقيق وتعليق: شوقي ضيف، ط 2، دار المعارف مصر، عام 1964م.
- 41- ابن سيده: أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي (ت: 458هـ)، المخصص، ط 1، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، عام 2000م.
- 42- ابن عبد الحكم: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الحكم بن أعين القرشي المصري (ت: 287هـ/ 900م)، فتوح مصر وأخبارها، ط 1، دار الفكر بيروت- لبنان، عام 1996م، والطبعة 2، مكتبة مدبولي القاهرة، عام 1419هـ/ 1999م.
- 43- ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (٥٧١ هـ)، تاريخ دمشق، تحقيق: محب الدين العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام 1415هـ/ 1995م.
- 44- ابن عياض: القاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت: 544هـ/ 1149م)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: محمد تاويت الطبخي، ط 2، وزارة الأوقاف المغربية، عام 1983م.
- 45- ابن غالب: محمد بن أيوب بن غالب الأندلسي (ت: 571هـ/ 1175م)، فرحة الأنفس عن كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمائة، نشر وتحقيق: الدكتور لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية جامعة الدول العربية- مصر، عام: 1375هـ/ 1955م.
- 46- ابن غالب: محمد بن أيوب بن غالب الأندلسي (ت: 571هـ/ 1175م)، فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، تحقيق: الدكتور لطفي عبد البديع، مطبعة مصر- القاهرة، عام 1956م.
- 47- ابن غداري: أبي العباس أحمد بن محمد بن عذارى المراكشي (ت: 712هـ)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج. س كولان وأ. ليفي برونفسال، ط 2، دار الثقافة بيروت- لبنان، عام

1983م.

- 48- ابن فارس: أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط 1، دار الفكر، عام 1399هـ / 1979م.
- 49- ابن فرحون: أبو الوفاء برهان الدين إبراهيم بن الإمام شمس الدين بن فرحون اليعمري المالكي (ت: 799هـ / 1396م)، تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، خرج أحاديثه وعلق عليه وكتب حواشيه الشيخ جمال مرعشلي، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان.
- 50- ابن فرحون: أبو الوفاء برهان الدين إبراهيم بن الإمام شمس الدين بن فرحون اليعمري المالكي (ت: 799هـ / 1396م)، الدياج الذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: محمد الأحمد أبو النور، ط 1، دار التراث للطبع والنشر- القاهرة، عام 1351هـ.
- 51- ابن قتيبة الدينوري: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ / 889م)، المعارف لإبن قتيبة، تحقيق: دكتور ثروت عكاشة، ط 4، دار المعارف- القاهرة.
- 52- ابن قتيبة الدينوري: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ / 889م)، الإمامة والسياسة- المعروف بتاريخ الخلفاء، تحقيق: طه محمد الزيني، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، عام 1387هـ / 1967م.
- 53- ابن قنفذ: الوفيات، تحقيق: عادل نويهض، ط 2، منشورات دار الآفاق الجديدة- بيروت، عام 1978م.
- 54- ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت: 774هـ / 1373م)، البداية والنهاية، ط 1، مكتبة المعارف- بيروت، عام 1966م.
- 55- ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت: 774هـ / 1373م)، تفسير قرآن العظيم، ط 1، دار ابن حزم بيروت- لبنان، عام 1420هـ / 2000م.
- 56- ابن منظور: أبو الفضل محمد بن مكرم (ت: 711هـ / 1311م)، لسان العرب، دار صادر- بيروت.
- 57- ابن هشام اللخمي: أبو عبد الله محمد بن أحمد هشام اللخمي (ت: 577هـ / 1181م)، المدخل إلى تقويم اللسان، تحقيق: حاتم صالح الضامن، ط 1، دار البشائر الإسلامية، عام 1424هـ / 2003م.

- 58- أبو الأصبغ: القاضي أبو الأصبغ عيسى بن سهل الأسدي (ت: 486هـ / 1093م)، وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس، مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى، تحقيق: محمد عبد الوهاب خلاف، مراجعة وتقديم: محمود علي مكي، المركز العربي للدول للإعلام القاهرة- مصر، عام 1980م، ومخطوط برقم 20 فقه، مركز البحث العلمي جامعة أم القرى.
- 59- أبو الحسن الندوي: أبو الحسن علي بن عبد الحي الحسيني الندوي (ت: 1420هـ / 1999م)، ماذا خسر العالم بالخطا المسلمين؟، مكتبة الإيمان المنصورة أمام جامعة الأزهر- مصر، عام 2014م.
- 60- أبو الفداء: عماد الدين إسماعيل (ت: 732هـ) تقويم البلدان، دار صادر- بيروت، عام 1820م.
- 61- أبو الفضل محمد: دراسات في تاريخ وحضارة الأندلس، دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية، عام 1996م.
- 62- أبو حيان: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الأندلسي (ت: 745هـ)، البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، ط 1، دار الفكر بيروت- لبنان، عام 1420هـ.
- 63- أبو داود: سنن أبي داود، تعليق: عزت العباس، ط 1، عام: 1391هـ.
- 64- أبو دياك: صالح محمد فياض أبو دياك، الوجيز في تاريخ المغرب والأندلس من الفتح إلى بداية عصر المرابطين وملوك الطوائف، دراسة سياسية وحضارية، ط 1، مكتبة الكتاني- أريد، عام 1988م.
- 65- أبو صالح: وائل فؤاد، التربية اللغوية في الأندلس: عصر سيادة قرطبة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإسكندرية، عام 1979م.
- 66- أبو مصطفى: كمال السيد أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية الإسلامية في العصر الإسلامي (95-490هـ / 714-1102م)، دراسة التاريخ السياسي والحضاري.
- 67- اجيليرا: تاريخ إسبانيا. تاريخ التعليم في الأندلس.
- 68- احباب: محمد زهير احباب، تاريخ وتشريح وآداب الصيدلة، جامعة دمشق، عام 2002م.
- 69- إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، دار الشروق- بيروت، عام 1997م.
- 70- أحمد أمين: ضحى الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة القاهرة- مصر، عام 2012م.

- 71- أحمد أمين: ظهر الإسلام، ط 5، دار الكتاب العربي - بيروت.
- 72- أحمد صادق: جغرافية العالم - دراسة إقليمية، مكتبة الأنجلو والنهضة المصرية - القاهرة، عام 1966م.
- 73- أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ط 1، عالم الكتب - القاهرة، عام 1429هـ / 2008م.
- 74- أحمد هجوان: حكيم الأندلس رائد الفضاء الأول المخترع (عباس بن فرناس)، مجلة الإعجاز العلمي، عنوان 23.
- 75- الإدريسي: أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الإدريسي (ت: 560هـ / 1164م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط 1، عالم الكتب بيروت - لبنان، عام 1409هـ / 1989م.
- 76- أرسلان: الأمير شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، ط 1، دار مكتبة الحياة - بيروت.
- 77- أرسلان: الأمير شكيب أرسلان، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، دار الكتب العلمسة بيروت - لبنان.
- 78- أرسلان: الأمير شكيب أرسلان، خلاصة تاريخ الأندلس، دار مكتبة الحياة بيروت - لبنان، عام 1402هـ / 1983م.
- 79- أرنولد: توماس أرنولد عاش بين (1864 - 1930م)، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: الدكتور حسن إبراهيم والدكتور عبد المجيد عابدين، ط 3، مكتبة النهضة المصرية، عام 1390هـ / 1970م.
- 80- أرنولد: توماس أرنولد عاش بين (1864 - 1930م)، جمهرة من المستشرقين، تراث الإسلام، وعلق عليه فتح الله، ط 2، دار الطليعة - لبنان، عام 1973م.
- 81- الأستاذ هاني المبارك والدكتور شوقي أبو خليل: دور الحضارة العربية والإسلامية في النهضة الأوروبية، ط 1، دار الفكر والمطبعة العلمية - دمشق، عام 1417هـ / 1996م.
- 82- آسين بلاثيوس: ابن عربي حياته ومذهبه، ترجمة عن الإسبانية: عبد الرحمن بدوي، مكتبة الأنجلو المصرية، عام 1956م.
- 83- الإشتيوي: يعقوب أحمد الإشتيوي، الأندلس في عصر الولاة (91 - 138 / 710 - 756م)، إشراف:

- الدكتور هشام أبو رميلة، جامعة النجاح الوطنية نابلس - فلسطين، عام 2004م.
- 84- الإمام أحمد: الإمام أحمد بن حنبل (ت: 241هـ)، المسند المشهور بـ مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤط وغيره، ط 1، مؤسسة الرسالة، عام 1421هـ / 2001م.
- 85- الإمام البخاري: أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت: 256هـ)، الأدب المفرد، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، ط 1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، عام 1419هـ / 1998م.
- 86- الإمام البخاري: أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت: 256هـ)، الجامع المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه المشهور بصحيح البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، ط 1، المكتبة السلفية - القاهرة.
- 87- الإمام الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي (ت: 279هـ)، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، ط 2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، عام 1395هـ - 1975م.
- 88- الإمام مالك: أبو عبد الله الإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي الحميري المدني (ت: 179هـ / 795م)، المدونة الكبرى برواية الإمام سحنون بن سعيد التنوخي عن الإمام عبد الرحمن بن القاسم المتقي، وزارة الأوقاف السعودية مطبعة السعادة، عام 2014م.
- 89- الإمام مالك: أبو عبد الله الإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي الحميري المدني (ت: 179هـ / 795م)، موطأ مالك، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر مصطفى البابي الحلبي، دار إحياء التراث العربي، عام 1406هـ / 1985م.
- 90- الإمام مسلم: أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت: 261هـ / 875م)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر وتوزيع إدارات البحوث العلمية - الرياض، عام 1400هـ.
- 91- أمان: محمد محمد أمان، الكتب الإسلامية، ترجمة: سعد بن عبد الله الضبيعان، مكتبة الملك فهد الوطنية - الرياض، عام 1990م.
- 92- أمين الطيب: الإسلام في الأندلس وصقلية وأثره في الحضارة الأوروبية، ط 1، طرابلس، عام 1986م.
- 93- أنصاري: يوسف الأنصاري، الجغرافية الطبيعية، ط 1، بدون مطبعة، عام 1959م.

- 94- إيناس حسني: أثر الفن الإسلامي على التصوير في عصر النهضة، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، عام 2005م.
- 95- باسيليون: باسيليون بابون مالدونادو، العمارة الإسلامية في الأندلس - عمارة القصور، ترجمة: علي إبراهيم المنوفي، ومراجعتة: محمد حمزة الحداد، ط 1، المركز القومي للترجمة - القاهرة، عام 2010م.
- 96- باشا: الدكتور حسان شمسي باشا: هكذا كانوا يوم كنا، ط 1، دار المنارة للنشر والتوزيع، عام 1402هـ/ 1999م.
- 97- بدر: الدكتور أحمد بدر، تاريخ الأندلس في القرن الرابع الهجري: عصر الخلافة، دمشق، عام 1974م.
- 98- بدر: الدكتور أحمد بدر، دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها من الفتح حتى الخلافة، ط 2، دمشق، عام 1972م.
- 99- بروكلمان: كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: بنيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت.
- 100- بروكلمان: كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة: عبد الحليم النجار - القاهرة، عام 1959- 1962م.
- 101- بشتاوي: عادل سعيد بشتاوي، الأندلسيون المواركة، دراسات في تاريخ الأندلسيين بعد سقوط غرناطة، ط 2، دمشق، عام 1985م.
- 102- البشري: سعد عبد الله البشري، الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي - المملكة العربية السعودية، عام 1418هـ/ 1997م.
- 103- بك: أحمد رضا بك، الخيبة الأدبية للسياسة الغربية في الشرق، ترجمة: محمود بورقيبة ومحمد صادق الزمري، ط 2، دار بوسلامة للطباعة والنشر - تونس.
- 104- البكري: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري (ت: 487هـ/ 1094م)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب (جزء من كتاب المسالك والممالك)، الناشر يطلب من مكتبة المثني - بغداد، عام 2017م.
- 105- البكري: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو البكري (ت: 487هـ/ 1094م)،

- جغرافية الأندلس وأوروبا، تحقيق: الدكتور عبد الرحمن بن علي الحججي، ط: 1، نشر دار الإرشاد- بيروت، عام 1387هـ/ 1968م.
- 106- البلاذري: أبو الحسين أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري (ت: 279هـ/ 892م)، فتوح البلدان، تحقيق: شوقي أبو خليل، منشورات وزارة الثقافة دمشق- سوريا، عام 1997م.
- 107- بوتشيش: إبراهيم القادري، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر- بيروت.
- 108- بولعراس خميس: الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف (400- 499هـ/ 1005- 1008م)، رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي وعلم الآثار، جامعة باتنة، عام 2007م.
- 109- التجيبي: ابن عبدون محمد بن أحمد التجيبي (المتوفى في الخامس الهجري)، ثلاث رسائل أندلسية في آداب القضاء والحسبة والمحتسب، تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية- القاهرة، عام 1955م.
- 110- التويجري: عبد العزيز بن عثمان التويجري، الثقافة العربية والثقافات الأخرى، ط 2، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة- ايسيسكو، عام 2015م.
- 111- الثعالبي: أبو منصور عبد الملك بن محمد النيسابوري الثعالبي (ت: 429هـ/ 1038م)، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، القاهرة، عام 1956م.
- 112- الثعالبي: أبو منصور عبد الملك بن محمد النيسابوري الثعالبي (ت: 429هـ/ 1038م)، تاريخ شمال إفريقيا، تحقيق: أحمد بن ميلاد ومحمود إدريس، دار الغرب الإسلامي بيروت، عام 1987م.
- 113- جاد أحمد رمضان: أثر الحضارة الإسلامية في الحضارة الأوروبية، مجلة الجامعة بالمدينة المنورة، عام 1981م.
- 114- جاسم: جاسم بن محمد القاسمي، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مؤسسة الشباب الجامعة، عام 1421هـ/ 2000م.
- 115- جرار: صلاح جرار: دراسات في التفاعل الحضاري والثقافي في الأندلس، وزارة الثقافة- عمان، عام 2009م.

- 116- جرجي زيدان (ت: 1332هـ / 1914م): تاريخ التمدن الإسلامي، دار مكتبة الحياة- لبنان.
- 117- جرجي زيدان (ت: 1332هـ / 1914م): عبد الرحمن الناصر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- مصر، عام 2012م.
- 118- جرجي زيدان (ت: 1332هـ / 1914م): فتح الأندلس، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- مصر، عام 2012م.
- 119- الجزري: شمس الدين بن أبي الخير محمد بن علي (ت: 833هـ / 1429م)، غاية النهاية في طبقات القراء، ط 1، دار الكتب العلمية- بيروت، عام 2006م.
- 120- جمال محرز: فضل مصر على صناعة السجاد بإسبانيا، مقال منشور في المجلة، عدد: 11، عام 1377هـ/ 1999م.
- 121- الجمل: الدكتور محمود الجمل، أوروبا في مجرى التاريخ، ط 1، مكتبة النهضة المصرية، عام 1969م.
- 122- الجهني: مانع بن حماد الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ط 1، الندوة العالمية للشباب الإسلامي- الرياض، عام 1409هـ.
- 123- جودة: محمد غريب جودة، عباقرة علماء الحضارة العربية والإسلامية في العلوم الطبيعية والطب، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع.
- 124- جوزيف كيب: مدينة المسلمين في إسبانيا، ترجمة: محمد تقي الدين الهلالي، ط 1.
- 125- جون دوانبورت: المؤرخ الإنجليزي السيد جون دوانبورت، العرب وعنصر القيادة في القرون الوسطى، دراسة وترجمة: أبو الحسن شاكرين شيهون، ط 1، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر- جدة، عام 1432هـ / 2010م.
- 126- الجوهري: الدكتور يسري عبد الرازق الجوهري، أسس الجغرافية العامة، نشر مكتبة المعارف بالإسكندرية- مصر، بدون تاريخ.
- 127- الجيوسي: الدكتورة سلمى الخضراء الجيوسي، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ط: 2، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت- لبنان، عام 1999م.

- 128- حتاملة: الدكتور محمد عبده حتاملة، الأندلس التاريخ والحضارة والحننة "دراسة شاملة"، ط 1، دائرة المكتبة الوطنية عمان- الأردن، عام 1420هـ/ 2000م.
- 129- حتاملة: الدكتور محمد عبده حتاملة، إيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين، ط 1، عمان، عام 1996م.
- 130- حتاملة: الدكتور محمد عبده حتاملة، مدخل لدراسة تاريخ الأندلس، المملكة الأردنية الهاشمية لدى المكتبة الوطنية، عمان- الأردن، عام 1431هـ/ 2010م.
- 131- حتاملة: الدكتور محمد عبده حتاملة، موسوعة الديار الأندلسية، عمان، عام 1999م.
- 132- الحجي: الدكتور عبد الرحمن علي الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (92-897هـ/ 711-1492م)، ط 2، دار القلم- دمشق، عام 1407هـ/ 1987م.
- 133- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلامي السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل بيروت ومكتبة النهضة المصرية القاهرة.
- 134- الحسن: محمود عبد الحسن، أزياء المجتمع الأندلسي من سنة 92-625هـ، مجلة كلية الأدب، جامعة ديالى كلية التربية الأساسية، العدد 102.
- 135- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريذة.
- 136- الحلوجي: عبد الستار الحلوجي، لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات، ط 1، دار الفجر للنشر والتوزيع، عام 1905م.
- 137- حماده: محمد ماهر حماده، المكتبات في الإسلام: نشأتها وتطورها ومصادرها، مؤسسة الرسالة- بيروت، عام 1970م.
- 138- حمدي: عبد المنعم حسين، تاريخ وحضارة المغرب والأندلس، دار المعرفة الجامعية، عام 2005م.
- 139- حمود: الدكتور سوزي حمود، الأندلس في عصر الذهبي منذ حملة طارق بن زياد إلى وفاة عبد الرحمن الثالث "الناصر لدين الله" (91-350هـ/ 710-961م)، ط 1، دار النهضة العربية بيروت- لبنان، عام: 1430هـ/ 2009م.
- 140- حموده: الدكتور علي محمد حموده، تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي، ط 1، دار الكتاب

العربي - مصر، عام 1376هـ / 1957م.

141- الحميدي: أبو عبد الله محمد بن أبي نصر بن عبد الله الحميدي (ت: 488هـ / 1095م)، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، تحقيق: صلاح الدين خواري، ط 1، المكتبة العصرية بيروت - لبنان، عام 2004م.

142- الحميدي: أبو عبد الله محمد بن أبي نصر بن عبد الله الحميدي (ت: 488هـ / 1095م)، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط 3، دار الكتاب المصري - القاهرة، دار الكتاب اللبناني - بيروت، عام 1410هـ / 1989م.

143- الحميري: أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري (ت: 866هـ / 1461م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط 2، مطابع هيدلبرغ مكتبة لبنان - بيروت، عام 1420هـ / 1984م.

144- الحميري: أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري (ت: 866هـ / 1461م)، صفة جزيرة الأندلس من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، اعتنى بنشرها وتصحيحها وتعليق حواشيتها: ا. ليفي بروفنسال، بدون تاريخ وطبع.

145- حنيفة الخطيب: الطب عند العرب، ط 1، إقرأ للنشر والتوزيع - دمشق، عام 1406هـ / 1986م.

146- حيدر بامات: إسهام المسلمين في الحضارة، ترجمة: عبد القادر البحرأوي، مكتبة النور الاحساء الهفوف، عام 1408هـ / 1987م.

147- خزعل: ياسين مصطفى خزعل، بنوا أمية ودورهم في الحياة العامة (138 - 422هـ / 755 - 1030م)، أطروحة دكتوراه، تحت إشراف: الدكتور ناطق صالح مطلوب، جامعة الموصل - العراق، عام 1424هـ / 2004م.

148- الخشني: أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد القيرواني الخشني (ت: 361هـ / 971م)، قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط 1، دار الكتب الإسلامية - القاهرة، بيروت، عام 1402هـ.

149- الخشني: أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد القيرواني الخشني (ت: 361هـ / 971م)، أخبار الفقهاء والمحدثين، تحقيق: ماريا لويسا ولويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث معهد التعاون مع العالم العربي - مدريد، عام 1999م.

- 150- خلاف: الدكتور محمد بن عبد الوهاب خلاف، ثلاث وثائق في محاربة البدع في الأندلس.
- 151- خلاف: الدكتور محمد عبد الوهاب خلاف، صاحب الشرطة في الأندلس، مقال بمجلة أوراق - المعهد الإسباني العربي - مدريد، العدد الثالث، عام 1980م.
- 152- خلاف: عبد الوهاب خلاف، قرطبة الإسلامية في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي الحياة الاقتصادية، ط 1، الدار التونسية للنشر للتوزيع.
- 153- خلفي خنفر: تاريخ الحضارة الإسلامية، ط 1، عام 1991م.
- 154- خليفة: حسن خليفة: تاريخ العرب في إفريقيا والأندلس، ط 1، مطبعة الاتحاد، عام 1356هـ / 1938م.
- 155- الخوارزمي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي (ت: 387هـ / 997م)، مفاتيح العلوم، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
- 156- دانييل بريفولت (ت: 1367هـ / 1948م): نشأة الإنسانية.
- 157- دائرة المعارف الإسلامية، 3 / 35 - 36.
- 158- دائرة المعارف الشعب، مطابع الشعب بمصر، عام 1959م.
- 159- الدباغ: أبي زيد عبد الرحمن الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ط 2، مكتبة الخانجي بمصر، عام: 1388هـ.
- 160- دراج: الدكتور أحمد السيد دراج، صناعة الكتابة وتطورها في العصور الإسلامية، منشورات رابطة العالم الإسلامي، السنة الأولى 1401هـ، العدد 8.
- 161- الدقاق: الدكتور عمر الدقاق، ملامح الشعر الأندلسي، دار الشرق - بيروت، عام 1975م.
- 162- الدكتور شاكر مصطفى، الأندلس في التاريخ، ط: 1، الناشر وزارة الثقافة في الجمهورية السورية - سوريا، عام 1990م.
- 163- الدكتور فضل إلهي: الحسبة تعريفها ومشروعيتها ووجوبها، ط 1، دار الحضارة للنشر والتوزيع، عام 2010م.
- 164- دوروثي لورد: إسبانيا شعبها وأرضها، ترجمة: طارق فودة، مكتبة النهضة، عام 1965م.

- 165- الدوري: إبراهيم ياسر الدوري، عبد الرحمن الداخل في الأندلس، دار الرشيد- بغداد، عام 1982م.
- 166- دوزي: رينهات دوزي، المسلمون في الأندلس، ترجمة وتعليق: حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام 1994م.
- 167- دويدار: حسين يوسف دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (138- 422هـ/ 755- 1030م)، ط 1، مطبعة الحسين الإسلامية حارة المدرسة- خلف الأزهر، عام 1414هـ/ 1994م.
- 168- دي بور، ت. ج دي بور: تاريخ الفلسفة في الإسلام، تعريب عبد الهادي أبو ريذة، ط 2، لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة، عام 1957م.
- 169- دياب: الدكتور حامد الشافعي دياب، الكتب والمكتبات في الأندلس، ط 1، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة، عام 1998م.
- 170- ديونيسيوس آجيوس وريتشارد هيتشكوك: التأثير العربي في أوروبا العصور الوسطى، ترجمة: الدكتور قاسم عبده قاسم، الناشر عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية- مصر، عام 2009م.
- 171- ذنون طه: عبد الواحد ذنون طه، الفتح والاستقرار العربي في شمال إفريقيا والأندلس، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، عام 1982م.
- 172- ذنون طه: عبد الواحد ذنون طه، نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس، ط 1، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، عام 1988م.
- 173- الذهبي: الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: 748هـ)، تذكرة الحفاظ، صحح عن النسخة القديمة المحفوظة في مكتبة الحرم المكي تحت إعاونة وزارة المعارف الهندية، دار إحياء التراث.
- 174- الذهبي: الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: 748هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعلي أبو زيد، ط 7، مؤسسة الرسالة بيروت، عام 1411هـ/ 1990م.
- 175- الرابع الندوي: محمد الرابع الحسيني الندوي: الأدب الإسلامي وصلته بالحياة، ط 1، مؤسسة الرسالة- بيروت، عام 1985م.
- 176- الراجحي: الدكتور التهامي الراجحي، نظم وإدارة بني أمية في الأندلس من خلال المقتبس لابن حيان، مجلة

المناهل - الرباط، العدد 20 / 1984م.

- 177- الرفاعي: مصطفى صادف الرفاعي، تاريخ آداب العرب، مطبعة الاستقامة- القاهرة، عام 1954م.
- 178- راوية: عبد الحميد شافع راوية، المرأة في المجتمع الأندلسي من الفتح الإسلامي للأندلس حتى سقوط قرطبة، ط 1، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.
- 179- رجب: عبد الجواد إبراهيم رجب، المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثوقة من الجاهلية حتى العصر الحديث، ط 1، كلية الأدب جامعة حلوان، عام 2002م.
- 180- رجب: محمد رجب عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصري بني أمية وملوك الطوائف، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني.
- 181- رضاكرم: الطب النبوي (دراسة صيدلانية حول العقاقير وكيفية الاستفادة منها)، ط 1، دار الوفاء- القاهرة، عام 1997م.
- 182- روبرت بريفالت: أثر الثقافة الإسلامية في تكوين الإنسانية، ترجمة: أبو نصر أحمد الحسيني، ط 1، مطبعة الباي الحلبي وشركاه، عام 1957م.
- 183- روجيه دوسكويه: إظهار الإسلام، ترجمة: عادل المعلم، مكتبة الشروق الدولية، عام 2002م.
- 184- ريبيرا: خوليان ريبيرا، التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية، ترجمة: الطاهر أحمد مكي، دار المعارف- القاهرة.
- 185- ريبيرا: خوليان ريبيرا، المكتبات وهواة الكتب- إسبانيا الإسلامية، معهد المخطوطات العربية- القاهرة، عام 1959م.
- 186- الزبيدي: أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي (ت: 379هـ / 989م)، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 2، دار المعارف- القاهرة، عام 1984م.
- 187- الزجالي: أبي يحيى عبید الله بن أحمد الزجالي القرطبي (ت: 694هـ)، أمثال العوام في الأندلس، تحقيق: الدكتور محمد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة مكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي.
- 188- الزركلي: خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي الدمشقي (ت: 1396هـ)، الأعلام، ط 5، دار العلم

للملايين - بيروت، عام 2002م.

- 189- زرهوني: نور الدين زرهوني، الطيب والخدمات الطبية في الأندلس خلال القرن السادس الهجري - الثاني عشر الميلادي، شباب الجامعة - الإسكندرية، عام 2006م.
- 190- الزعفراني: حاييم الزعفراني، يهود الأندلس والمغرب، ترجمة: أحمد شحلان، الناشر مرسوم الرباط مطبعة النجاح الجديدة، عام 1844هـ / 2000م.
- 191- زغروت: محمد إبراهيم زغروت، مكتبة الأمويين الإسلامية في قرطبة وتأثيرها الفكري في شعوب غرب أوروبا، مجلة البحوث الإسلامية، عام 1406هـ، العدد: 17.
- 192- الزمخشري: أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت: 528هـ)، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
- 193- زيتون: محمد محمد زيتون، المسلمون في المغرب والأندلس محمد محمد زيتون، المسلمون في المغرب والأندلس، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، عام 1411هـ / 1990م.
- 194- زغريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب: أثر الحضارة العربية في أوروبا، ترجمة: فاروق بيضون وكمال دسوقي، مراجعة ووضع حواشيه: مارون عيسى الخوري، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، عام 1964م.
- 195- ساعاتي: يحيى محمود ساعاتي، الوقف وبنية المكتبة العربية، استنباط للموروث الثقافي - الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، عام 1988م.
- 196- سالم مختار: الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداع، مراجعة: الشيخ محي الدين العجوز، ط 1، مؤسسة المعارف - دمشق، عام 1408هـ.
- 197- سالم: السيد عبد العزيز سالم، الجوانب الإيجابية والسلبية في الزواج المختلط في الأندلس - الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى، تنسيق: محمد حمام، ط 1، جامعة محمد الخامس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، عام 1995م.
- 198- سالم: السيد عبد العزيز سالم، المساجد والقصور في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة - الإسكندرية، عام

1986م.

- 199- سالم: السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي وحتى سقوط الخلافة بقرطبة، نشر مؤسسة شباب الجامعة- الإسكندرية، عام 1999م.
- 200- سالم: السيد عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر- الإسكندرية، عام 1984م.
- 201- سالم: السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة- الإسكندرية، عام 1997م.
- 202- سالم: السيد عبد العزيز سالم، محاضرات في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع- الإسكندرية، عام 1985م.
- 203- السامرائي: الدكتور عبد الواحد خليل إبراهيم السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط 1، درا الكتاب الجديد المتحدة بيروت- لبنان، عام 2000م.
- 204- سامعي إسماعيل: تاريخ الأندلس الاقتصادي والاجتماعي، ط 1، مكتبة إفرنج قسنطينة- الجزائر، عام 2007م.
- 205- السباعي: مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، ط 2، دار الإرشاد- بيروت، عام 1388هـ.
- 206- سحنون: أبو سعيد عبد السلام بن سحنون التنوخي (ت: 240هـ/ 854م)، آداب المعلمين، تحقيق: حسني عبد الوهاب، تونس، عام 1972م.
- 207- سطيحة: محمد محمد سطيحة، الجغرافية الإقليمية دراسة المناطق الكبرى، نشر دار النهضة العربية- بيروت، عام 1974م.
- 208- سعيد الديوه جي: الفكر العلمي في شخص العباس بن فرناس (حكيم الأندلس)، اللسان العربي (مجلة دورية للأبحاث اللغوية والترجمة والتعريب في العالم العربي)، المكتب الدائم لتنسيق التعريب التابع لجامعة الدول العربية الرباط- المغرب الأقصى، العدد 8، عام 1971م.
- 209- سعيد الغامدي: سعيد بن ناصر الغامدي، حقيقة البدعة وأحكامها، ط 3، مكتبة الرشيد للنشر والتوزيع-

الرياض، عام 1419هـ / 1999م.

- 210- السقطي: أبي عبد الله محمد بن أبي محمد السقطي المالقي الأندلسي، في آداب الحسبة، تحقيق: ليفي بروفنسال، المطبعة الدولية ومعهد العلوم المغربية- باريس، عام 1931م.
- 211- سلامة: علي محمد سلامة، الأدب العربي في الأندلس، الدار العربية للموسوعات- بيروت، عام 1989م.
- 212- السمناني: علي بن محمد بن أحمد الرحي السمناني (ت: 499هـ)، روضة القضاة وطريق النجاة، تحقيق: د. صلاح الدين الناهي، مطبع أسعد- بغداد، عام 1389هـ / 1970م.
- 213- السويدان: الدكتور طارق محمد السويدان، الأندلس التاريخ المصور، ط 1، مطابع المجموعة الدولية الكويت وشركة الإبداع الفكري، عام 1426هـ / 2005م.
- 214- سيد أمير علي: مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي، ترجمة: رياض رأفت، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة، عام 1938م.
- 215- السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت- لبنان، عام 1969م.
- 216- السيوطي: أبو بكر جلال الدين عبد الرحمن بن محمد السيوطي (ت: 911هـ / 1505م)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 2، دار الفكر، عام 1399هـ / 1979م.
- 217- السيوطي: أبو بكر جلال الدين عبد الرحمن بن محمد السيوطي (ت: 911هـ / 1505م)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، ط 1، دار الكتاب العلمية- بيروت، عام 1418هـ / 1998م.
- 218- الشاطبي: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي (ت: 790هـ)، الموافقات، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان.
- 219- شبارو: الدكتور عصام محمد شبارو، الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود (91- 897هـ/ 710 / 1492م)، ط 1، دار النهضة العربية بيروت- لبنان، عام: 1423هـ / 2002م.
- 220- شبانة: محمد كمال شبانة، الأندلس دراسة تاريخية حضارية، ط 1، دار العالم العربي- القاهرة، عام 2008م.

- 221- شبت: الدكتور شبت خطاب، قادة فتح المغربي، ط 2، دار الفكر، عام 1393هـ.
- 222- شحلان: أحمد شحلان، مكونات المجتمع الأندلسي ومكانة أهل الذمة فيه، مجلة التاريخ العربي - المغرب.
- 223- الشطشاط: علي حسين الشطشاط، تاريخ الإسلام في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة، دار قباء للنشر والتوزيع القاهرة- مصر، عام 2001م.
- 224- الشعراوي: أحمد إبراهيم الشعراوي، الأمويون: أمراء الأندلس الأول، دار النهضة العربية- القاهرة، عام 1969م.
- 225- شليبي: الدكتور أحمد شليبي، موسوعة التاريخ والحضارة الإسلامية، ط 4، دار النهضة المصرية -القاهرة، عام 1973م.
- 226- الشنتريني: أبو الحسن ابن بسام علي الشنتريني (ت: 542هـ)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، ط 1، دار الثقافة- بيروت، عام 1417هـ/ 1997م.
- 227- الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت: 547هـ)، الملل والنحل، تحقيق: أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور، ط 3، دار المعرفة بيروت- لبنان، عام 1414هـ/ 1993م.
- 228- الشيخ طه الولي: المساجد في الإسلام، نشر دار العلم للملايين، عام 1988م.
- 229- شيرين السيد عبده: الاتصال الوثائقي في الأندلس، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة الإسكندرية.
- 230- صاعد الأندلسي: أبو القاسم صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن الأندلسي (ت: 462هـ/ 1070م)، طبقات الأمم، مطبعة الكاثوليكية لآباء اليسوعيين- بيروت، عام 1912م.
- 231- الصفدي: أبو الصفاء صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت: 764هـ/ 1363م)، الوافي بالوفيات، مخطوطة بمكتبة أحمد الثالث، رقم: 660، بعناية هلموت ريتز وآخرون.
- 232- صفر: أحمد صفر، مدينة المغرب العربي في التاريخ، دار النشر بوسلامة- تونس، عام 1959م.
- 233- الضبي: أحمد بن يحيى بن عميرة الضبي (ت: 599هـ/ 1202م)، بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق: روحية عبد الرحمن السويفي، ط 1، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، عام 1997م.

- 234- ضيف: الدكتور شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي- عصر الدول والإمارات (الأندلس)، دار المعارف- القاهرة، عام 1994م.
- 235- الطبري: محمد بن جرير الطبري (ت: 310هـ / 922م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، ط 2، دار المعارف- مصر، عام 1384هـ / 1964م.
- 236- الطبري: محمد بن جرير الطبري (ت: 310هـ / 922م)، تهذيب الآثار وتفضيل الثابت عن رسول الله ﷺ، تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني.
- 237- الطرطوشي: أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف الطرطوشي (ت: 530هـ)، الحوادث والبدع، تحقيق: علي بن حسن علي الحلبي، ط 1، دار الجوزي المملكة العربية- السعودية، عام 1990م.
- 238- طقوش: الدكتور محمد سهيل طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ط 3، دار النفائس، عام 1431هـ / 2010م.
- 239- الطهطاوي: محمد عزت الطهطاوي، في الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين، مكتبة دار التراث بالقاهرة، عام 1399هـ.
- 240- عادل: الدكتور محمد عادل عبد العزيز، الحضارة الإسلامية وعوامل الازدهار وتداعيات الإنهيار، دار الغريب للطباعة والنشر والتوزيع، عام 2000م.
- 241- العبادي وآخرون: دراسات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ط 1، منشورات ذات السلاسل - الكويت، عام 1405هـ / 1985م.
- 242- العبادي: الدكتور أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الشباب الجامعة- الإسكندرية، عام 1968م.
- 243- عبد الباسط بدر: مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي، ط 1، دار المنارة- جدة، عام 1985م.
- 244- عبد الحميد العبادي: المحمل في تاريخ الأندلس، ط 2، دار القلم، عام 1964م.
- 245- عبد الله عباس: تقدم العرب في العلوم الصناعية وأستاذيتهم لأوروبا، دار الفكر، عام 1380هـ.
- 246- عبد ربه: إيمان بديع عبد ربه، الصيدلة في التاريخ الإسلامي، ط 1، دار الهدى- دمشق، عام 1992م.

- 247- عثمان: محمد عثمان عثمان، محمد في الآداب العالمية المنصفة، جامعة ميتشيغان، عام 1996م.
- 248- العدوي: إبراهيم العدوي، موسى بن نصير مؤسس المغرب العربي، القاهرة (بدون تاريخ وطبع).
- 249- العذري: أحمد بن عمر المعروف بابن الدلائلي العذري (ت: 478هـ / 1085م)، ترسيخ الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق: عبد العزيز الأهواني، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية- مدريد، عام 1965م.
- 250- العكش: إبراهيم العكش، التربية والتعليم في الأندلس، ط 1، دار الفيحاء، دار عمار- عمان، عام 1986م.
- 251- علي الجازم: قصة العرب في إسبانيا، نشر دار المعارف- مصر، عام 1963م.
- 252- علي حبيبة، مع المسلمين في الأندلس، ط 2، دار الشروق- جدة، بدون تاريخ.
- 253- علي مكي: الدكتور محمود علي مكي، التشيع في الأندلس، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، عام 1954م.
- 254- العميد: الدكتور طاهر مظفر العميد، آثار المغرب والأندلس، بيت الحكمة للنشر والترجمة والتوزيع- بغداد، عام 1989م.
- 255- عنان: محمد عبد الله عنان، الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال- دراسة تاريخية أثرية، ط 2، مكتبة الخانجي- القاهرة، عام 1417هـ / 1997م.
- 256- عنان: محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ط 3، مكتبة الخانجي- القاهرة، عام 1408هـ.
- 257- عناني: محمد زكريا عناني، تاريخ الأدب الأندلسي، دار المعرفة الجامعية- مصر، عام 1999م.
- 258- العنزي: غزوي العنزي: الثقافة الإسلامية وصلتها بالعلوم الأخرى، إشراف: أ. د. عبد الله الوصيف، قسم الثقافة الإسلامية، بكلية الشريعة جامعة الإمام محمد بن سعود بالمملكة العربية السعودية.
- 259- عواطف يوسف: الرحلات المغربية والأندلسية، مكتبة الملك فهد الوطنية- الرياض، عام 1996م.
- 260- عيسى: الدكتور محمد عبد الحميد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس، ط 1، دار الفكر العربي، عام

1982م.

- 261- الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي (505هـ/1111م)، إحياء علوم الدين، ط 1، دار المنهاج للنشر والتوزيع، السعودية- الرياض، عام 1432هـ/2011م
- 262- الغنيمي: عبد الفتاح مقلد الغنيمي، معركة بلاط الشهداء في التاريخ الإسلامي والأوروبي، ط 1، عالم الكتب القاهرة، عام 1416هـ/1996م.
- 263- غوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، ط 3، دار إحياء الكتب العربية- القاهرة، عام 1956م.
- 264- فتحي: الدكتور عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، التاريخ والمؤرخون في مصر والأندلس في القرن الرابع الهجري- العاشر الميلادي، ط 1، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، عام 1424هـ/2004م.
- 265- الفراء: أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف الفراء (ت: 458هـ/1066م)، الأحكام السلطانية، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط 2، دار الكتاب العلمية بيروت- لبنان، عام 1421هـ/2000م.
- 266- فراج: الدكتور عز الدين فراج، فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية، دار الفكر، عام 1987م.
- 267- فرحات: فرحات يوسف شكري، غرناطة في ظل بني الأحمر، ط 1، دار الجيل- بيروت، عام 1993م.
- 268- فروخ: عمر فروخ، العرب والإسلام في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، ط 1، المكتب التجاري- بيروت، عام 1378هـ/1959م.
- 269- فروخ: عمر فروخ، تاريخ العلوم عند العرب، دار العلم للملايين- بيروت، عام 1970م.
- 270- الفقي: عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة.
- 271- فكري: أحمد فكري، الآثار الإسلامية في الأندلس، مجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة لإتحاد المؤرخين العرب- بغداد، عام 1978م، العدد: 8.
- 272- فكري: أحمد فكري، قرطبة في العصر الإسلامي- تاريخ وحضارة، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع الإسكندرية- مصر، عام 1983م.

- 273- فيلاي: عبد العزيز فيلاي، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر، عام 1982م.
- 274- فيلاي: عبد العزيز فيلاي، المظاهر الكبرى لعصر الولاة ببيلااد المغرب والأندلس، دار المعارف للطباعة والنشر- تونس.
- 275- فيليب: الدكتور فيليب حتي، صانعو التاريخ العربي، ترجمة: الدكتور أنيس فريجة، ط 2، نشر وتوزيع دار الثقافة بيروت- لبنان، عام 1400هـ / 1980م.
- 276- القابسي: أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القابسي (ت: 403هـ / 1012م)، الرسالة المفصلة في أحوال المعلمين والمتعلمين، تحقيق: أحمد فؤاد الأهواني، القاهرة، عام 1955م.
- 277- القزويني: زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت: 682هـ)، آثار البلاد وأخبار العباد، الناشر دار صادر- بيروت.
- 278- القصري: محمد فائز القصري، النهضة الأوروبية وأثر الثقافة العربية الإسلامية، مطبعة زيد بن ثابت- دمشق، عام 1979م.
- 279- قطني: أبي الحسن علي بن عمر البغدادي الدار قطني (ت: 385هـ)، سنن الدار قطني، تحقيق: عبد الله هاشم اليماني المدني، شركة الطباعة الفنية المتحدة- المدينة المنورة، عام 1966م.
- 280- القفطي: أبو الحسن جمال الدين علي بن يوسف القفطي (ت: 646هـ / 1248م)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 1، دار الكتب المصرية- القاهرة، عام 1371هـ / 1952م.
- 281- القلقشندي: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي (821هـ / 1418م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، شرح وتعليق: نبيل خالد خطيب، ط 2، دار الفكر، عام 1991م.
- 282- القوسي: مفرح بن سليمان القوسي، مقدمات في الثقافة الإسلامية، ط 3، الرياض، عام 1424هـ.
- 283- القيرواني: أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقيا والمغرب، تحقيق: عبد الله العلي الزيدان وعز الدين عمر موسى، ط 1، دار الغرب الإسلامي بيروت- لبنان، عام 1990م.
- 284- القيسي: فايز فلاح القيسي: آداب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ط 1، دار البشير للنشر

والتوزيع - عمان، الأردن، عام 1409هـ / 1989م.

285- كحالة: عمر رضا كحالة، مقدمات ومباحث في حضارة العرب والإسلام، مطبعة الحجاز بدمشق، عام 1394هـ / 1974م.

286- كحيلة: الدكتور عبادة بن عبد الرحمن رضا كحيلة، الخصوصية الأندلسية وأصولها الجغرافية، ط 1، مركز عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية - القاهرة، عام 1995م.

287- كحيلة: الدكتور عبادة بن عبد الرحمن رضا كحيلة، تاريخ النصارى في الأندلس، ط 1، دار السعادة طبعة الزيتون، عام 1414هـ / 1993م.

288- كرد: محمد علي كرد، الإسلام والحضارة العربية، مؤسسة هنداوي، عام 2017م.

289- كرد: محمد علي كرد، غابر الأندلس وحاضرها، ط 1، مطبعة الرحمانية - القاهرة، عام 1923م.

290- كولان: ج. س كولان، الأندلس، لجنة الترجمة دائرة المعارف الإسلامية (إبراهيم خورشيد، دكتور عبد الحميد يونس، حسن عثمان)، ط 1، دار الكتاب البناني - بيروت، دار الكتاب المصري - القاهرة، عام 1980م.

291- كويلر يونغ: الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته، ترجمة: عبد الرحمن محمد أيوب، دار النشر المتحدة - القاهرة.

292- ل أ سيديو: تاريخ العرب العام، ترجمة: عادل زعيتير، المطبعة الحلبية وشركاءه - حلب، عام 1367هـ.

293- لطفي: عبد البديع لطفي، الإسلام في إسبانيا، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة، عام 1958م.

294- اللميلم: الدكتور عبد العزيز محمد اللميلم، رسالة المسجد في الإسلام، ط 2، مؤسسة الرسالة، عام 1411هـ.

295- لوثرروب ستودارد: حاضر العالم الإسلامي، ترجمة: عجاج نويهضي، ط 3، دار الفكر - بيروت، عام 1971م.

296- ليفي بروفنسال: الحضارة العربية في إسبانيا، ترجمة: الطاهر أحمد مكي، ط 3، دار المعارف - القاهرة، عام 1994م.

297- ليفي بروفنسال: حضارة العرب في الأندلس، ترجمة: ذوقان قرقوط، دار مكتبة الحياة بيروت - لبنان.

- 298- الماوردى: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت: 450هـ)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، القاهرة، عام 1960م.
- 299- متولي: الدكتور محمد متولي، وجه الأرض، مكتبة الأنجلو المصرية.
- 300- مجلة الوعي الإسلامي، العدد 37، سنة 1388هـ.
- 301- مجموعة من العلماء: المدخل إلى الثقافة الإسلامية، ط 16، محار الوطن للنشر- السعودية، عام 1433هـ/ 2012م.
- 302- محسن جمال الدين: عباس بن فرناس أول رائد أندلسي للطيران (274هـ / 887م)، جامعة بغداد، كلية الأدب، مجلة المورد، مجلد 6، ع 4.
- 303- محمد أبو الفضل: أضواء علي النشاط العلمي في الأندلس، جامعة الإسكندرية كلية الأدب، بحوث الأندلس (الدرس والتاريخ).
- 304- محمد عبد الله: نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنذرين، ط 4، القاهرة، عام 1978م.
- 305- محمد غريب جودة: عباقرة علماء الحضارة العربية والإسلامية في العلوم الطبيعية والطب، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع.
- 306- المخلف: الدكتور محمد بن خلف بن صالح المخلف، الحرب النفسية في صدر الإسلام- العهد المدني-، رسالة الدكتوراه في المكتبة المركزية بجامعة الإمام، عام 1408هـ.
- 307- المراكشي: أبي محمد محي الدين عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي (ت: 647هـ / 1250م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: سعيد عربان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الجمهورية العربية المتحدة، عام 1963م.
- 308- مرتضى الزبيدي: السيد محمد مرتضى بن محمد الحسيني الزبيدي (ت: 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: جماعة من المختصين، ط 2، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان.
- 309- مرسي: الشيخ محمد مرسي، دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس حتى أواخر القرن العاشر الميلادي، مؤسسة الثقافة الجامعية، عام 1401هـ / 1981م.

- 310- المسعودي: أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت: 346هـ/ 957م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، اعتنى به وراجعته: كمال حسن مرعي، ط 1، المكتبة العصرية صيدا- بيروت، عام 1425هـ/ 2005م.
- 311- المشني: مصطفى المشني، مدرسة التفسير في الأندلس، مركز الإسكندرية للكتاب- الإسكندرية، عام 1997م.
- 312- مطلوب: ناطق صالح مطلوب، إمارة الفهريين في المغرب العربي، صدى التاريخ- بغداد، العدد الثامن تموز 2001م.
- 313- المغراوي: أبو عبد الله محمد الوهراني المغراوي (ت: 917هـ/ 1511م)، جامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان، تحقيق: أحمد جلولي البدوي ورايح بونار- الجزائر.
- 314- المقدسي: محمد بن أحمد المقدسي (ت: 380هـ/ 990م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط 2، مطبعة بريل- لندن، مكتبة المثنى بغداد، عام 1906م.
- 315- المقري التلمساني: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت: 1041هـ/ 1632م)، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر بيروت- لبنان، عام 1408هـ/ 1988م.
- 316- مكّي: محمود مكّي، تاريخ الأندلس السياسي (92هـ- 897هـ/ 711- 1492م)، دراسة شاملة، ط 1.
- 317- مني حسين محمود: المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة (92- 206هـ/ 714- 815م)، دار الفكر العربي القاهرة- مصر، عام 1407هـ/ 1986م.
- 318- الموساوي: عطار نقي عبود الموساوي، تطور الطب في الأندلس (منذ عهد خلافة بني أمية وحتى نهاية عصر الموحدين)، دار المعرفة- بغداد، عام 2013م.
- 319- موسى لقيال: الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي، ط 1، عام 1971م.
- 320- موسى: عز الدين موسى، السير في صناعة الشعير، مدريد، عام 1960م.
- 321- موسى: عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، ط 1،

- دار الشروق مكتبة المهتدين الإسلامية- بيروت، عام 1403هـ/ 1983م.
- 322- مؤلف مجهول (عاش في قرن 4هـ/ 10م): أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط 2، دار الكتاب اللبناني، عام 1988م.
- 323- مؤلف مجهول: (عاش في قرن 4هـ/ 10م)، ذكر بلاد الأندلس، تحقيق وترجمة: لويس مولينا، مدريد، عام 1983م.
- 324- مؤلف مجهول: الطيبخ في المغرب والأندلس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية- مدريد، عام 1962م.
- 325- مؤلف مجهول: جغرافية وتاريخ الأندلس، تحقيق: الدكتور عبد القادر بوبايا، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، عام 1971م.
- 326- مؤلف مجهول: فتح الأندلس، نشر دون خواكين دي كونتالت- الجزائر، عام 1889م.
- 327- مؤلف مجهول: وصف جديد لقرطبة الإسلامية، تحقيق: حسين مؤنس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية- مدريد، عام 1966م.
- 328- مونتجمري وات: فضل الإسلام على الحضارة الغربية، ترجمة: حسين أحمد أمين، ط 1، دار الشروق، عام 1983م.
- 329- مؤنس: الدكتور حسين مؤنس، بلاي وميلاد اشتوريش وقيام حركة المقاومة النصرانية في شمال إسبانيا، مجلة كلية الآداب، المجلد الحادي عشر، مطبعة جامعة فؤاد الأول، عام 1949م.
- 330- مؤنس: الدكتور حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيون في الأندلس، ط 2، مدريد، عام 1986م.
- 331- مؤنس: الدكتور حسين مؤنس، رحلة الأندلس، ط 2، الدار السعودية للنشر والتوزيع، عام 1405هـ/ 1985م.
- 332- مؤنس: الدكتور حسين مؤنس، شيوخ العصر في الأندلس، ط 4، دار الرشد العربية للطباعة والنشر، عام 1418هـ/ 1997م.
- 333- مؤنس: الدكتور حسين مؤنس، فجر الأندلس، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية (711- 756م)، ط 1، الشركة العربية للطباعة والنشر- القاهرة، عام 1959م.

- 334- مؤنس: الدكتور حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط 2، الناشر: دار الرشاد، مطبعة سرية للطباعة والنشر- القاهرة، عام 1418هـ / 1997م.
- 335- مؤنس: الدكتور حسين مؤنس، موسوعة في تاريخ الأندلس- تاريخ وفكر وحضارة وتراث، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة، عام 1416هـ / 1996م.
- 336- نادية العمري: نادية شريف العمري، أضواء على الثقافة الإسلامية، ط 1، مؤسسة الرسالة، عام 2009م.
- 337- النباهي: أبو الحسن عبد الله بن الحسن المالقي (ت: 792هـ / 1390م)، تاريخ قضاة الأندلس- المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، ط 5، دار الأفاق الجديدة بيروت- لبنان، عام 1983م.
- 338- نجاة هاشمي: عادات وتقاليد المجتمع الأندلسي خلال عهد الدولة الأموية (138- 422هـ / 756- 1031م)، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة لحاج لخضر- باتنة، عام 2016م.
- 339- نجلة العزي: قصر الزهراء في الأندلس، بغداد، عام 1977م.
- 340- النصولي: أنيس زكريا النصولي، الدولة الأموية في قرطبة، ط 1، المطبعة العصرية- بغداد، عام 1926م.
- 341- نعنعي: الدكتور عبد المجيد نعنعي، تاريخ الدولة الأموية في الأندلس- التاريخ السياسي، ط 1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت- لبنان.
- 342- نور الدين حاطوم، ونبيه عاقل، وأحمد طربين، وصلاح مدني: موجز تاريخ الحضارة، حضارات العصور القديمة، دمشق، عام 1964م.
- 343- النوييري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النوييري (ت: 733هـ / 1332م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: عبد المجيد الترحيني، ط 1، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، عام 1424هـ / 2004م.
- 344- هزاع: هزاع بن عبد الشمري، المعجم الجغرافي لدول العالم، ط 1، مطبعة التقدم- القاهرة، عام 1401هـ.
- 345- هزاع: هزاع بن عبد الشمري، مختصر جغرافية العالم، دراسة شاملة لجميع حول العالم وسلطانه ومعالم الطبيعة فيه، دار النشر اليمامة، عام 1975م.
- 346- هونس بيدرسن: الكتاب العربي منذ نشأته حتى عصر الطباعة، ترجمة: حيدر غيبة، الأهالي للطباعة والنشر

- والتوزيع - دمشق، عام 1989م.
- 347- هيكل: الدكتور أحمد هيكل مقصود، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، ط 10، دار المعارف - القاهرة، عام 1986م.
- 348- وجدي: محمد فريد وجدي، دائرة المعارف القرن العشرين، الرابع عشر - العشرين، دار الفكر - بيروت، عام 1979م.
- 349- الونشريسي: أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي (ت: 914هـ / 1508م)، المعيار العرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، ترجمة: محمد علي الحجوي، دار الغرب الإسلامي بيروت - لبنان، عام 1401هـ / 1981م.
- 350- ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي (ت: 626هـ / 1228م)، معجم البلدان، دار صادر بيروت - لبنان، عام 1397هـ / 1977م.
- 351- ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي (ت: 626هـ / 1228م)، معجم الأدباء، مكتبة عيسى البابي الحلبي، عام 1938م.
- 352- يحيى الجبوري: الملابس العربية في الشعر الجاهلي، دار المغرب الإسلامي - بيروت، عام 1989م.
- 353- يوليوس فنهازون: تاريخ الدولة العربية، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريذة وحسين مؤنس، القاهرة، عام 1968م.

- 1- Cagigas. t1, p. 58. ID, Ibid.
- 2- Chapman, C.E: A History of Spain.
- 3- Dozy: Reinhart Pieter Anne Dozy, Spanish Islam, translated with a biographical introduction and additional notes by Francis Griffin Stokes, published Chatto Windus- London 1972.
- 4- E Levi Provincial: Espane Musulmane Auxe 10 siecle-op-cit- P: 29, Note 10.

- 5- H. L. Jones Leon: The Geography II, trans. Classical Library , London 1923.
- 6- Lane- Poole. The Moore in Spain V. I
- 7- MANUEL TORRES Y RAMON PRIETO BANCES: ibidem. And PEDRO AGUADO BLEYE, Manuel de Historia de Espana, tomo I, Madrid, 1947.
- 8- Minahan James, One Europe, many nations: a historical dictionary of European national groups, Greenwood Publishing Group, ISBN 0-313-30984-1, Retrieved May 25, 2013.
- 9- O' Callaghan .J. F: History of Medieval Spain.
- 10- Pavlovic, Zoran (2007), Europe, Infobase Publishing, ISBN 1-4381-0455-3, Retrieved 9 March 2014.
- 11- Thompson, E.A, The Goth in Spain PP, 311, 312, Isidoro of Sville History of Goths, Vandals and Suevi.
- 12- Waldman, Carl: Mason, Catherine (2006), Encyclopedia of European Peoples, Infobase Publishing, ISBN 1-4381-2918-1, Retrieved May 25, 2013.

فهرس المحتويات

2.....	الإهداء
3.....	كلمة الشكر
4.....	المقدمة
5.....	أهمية الموضوع:
6.....	أسباب اختيار الموضوع:
6.....	الدراسات السابقة:
7.....	الفرق بين الدراسة والدراسات السابقة:
8.....	مشكلة البحث:
8.....	منهج البحث:
8.....	خطوات البحث:
9.....	حدود البحث:
10.....	خطة البحث:
15.....	التمهيد
15.....	موجز بلاد الأندلس قبل الفتح الإسلامي
16.....	أولاً: تسمية الأندلس واشتقاقاتها:
19.....	ثانياً: الأندلس جغرافياً:
19.....	الف: موقع ومساحة الأندلس:
20.....	ب: ما تشمله شبه جزيرة الأندلس اليوم:

ج: التضاريس:	20
د: المناخ:	22
ه: السكان:	23
و: اللغات:	25
ثالثاً: المعتقدات الدينية في الأندلس قبل الفتح الإسلامي:	25
الف: الديانة النصرانية:	25
ب: الديانة اليهودية:	27
ج: المعتقدات الأخرى:	28
رابعاً: الأحوال السياسية لبلاد الأندلس قبل الفتح الإسلامي:	30
خامساً: الأحوال الاجتماعية في الأندلس قبل الفتح الإسلامي:	33
سادساً: الحالة الاقتصادية في الأندلس قبل الفتح الإسلامي:	34
الباب الأول	37
الجهود الدعوية في فتح الأندلس وإقامة الدولة ونشر الإسلام فيها	37
الفصل الأول	38
الجهود الدعوية في فتح بلاد الأندلس	38
المبحث الأول	40
حركة الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس	40
العمليات الاستطلاعية بقيادة طريف بن مالك المعافري (91هـ / 710م):	40
أهمية هذه الحملة الاستطلاعية في الفتح:	44

45	الفتح الإسلامي واستقرار المسلمين في الأندلس:
45	حملة طارق بن زياد (92-93هـ / 711-712م):
49	حملة موسى بن نصير (93-95هـ / 712-714م):
51	حملة موسى وطارق معاً:
53	الخلاصة والتعليق:
54	المبحث الثاني
54	الجهود الدعوية للقادة والجيش في الأندلس
54	أولاً: الأحوال كانت تجري في الأندلس وحياة أهلها قبل الفتح:
56	ثانياً: حسن التعامل والوفاء بالعهود مع أهل الأندلس:
59	ثالثاً: نصره المظلوم:
60	رابعاً: القدوة العملية الحسنة:
61	الخلاصة والتعليق:
63	الفصل الثاني
63	الجهود الدعوية في إقامة الدولة ونشر الإسلام في الأندلس
64	المبحث الأول
64	الجهود الدعوية في توحيد القبائل وتحقيق الاستقرار
65	عناصر القبائل في الأندلس بعد الفتح:
65	1- المسلمون:
65	أ- العرب:

- ب- البربر: 66
- ج- الموالي: 67
- د- الأسلمة والمولدون: 67
- 2- غير المسلمين: 67
- أ- النصارى: 68
- ب- اليهود: 68
- أولاً: الجهود الدعوية في توحيد القبائل وتحقيق الإستقرار في عصر الولاة 68
- ثانياً: الجهود الدعوية في توحيد القبائل وتحقيق الإستقرار في عصر الإمارة 76
- ثالثاً: الجهود الدعوية في توحيد القبائل وتحقيق الإستقرار في عصر الخلفاء 85
- الخلاصة والتعليق: 86
- المبحث الثاني 89
- مراحل الجهود لإقامة الدولة في الأندلس 89
- المرحلة الأولى: الجهود لإقامة الدولة في عصر الولاة: 89
- المرحلة الثانية: الجهود لإقامة الدولة في عصر الإمارة: 91
- المرحلة الثالثة: الجهود لإقامة الدولة في عصر الخلافة: 95
- نظام الدواوين أو الخطط في الأندلس: 98
- 1- خطة الكتابة: 99
- 2- خطة البريد: 100
- 3- خطة الشرطة والمدينة: 101

102	4- خطة الجيش:
103	النظم والمناصب السياسية في الأندلس:
104	الخلاصة والتعليق:
106	المبحث الثالث
106	جهود تعامل الحكام وأنظمة مع غير المسلمين ودورها في نشر الدعوة
107	أولاً: تعامل الحكام وأنظمة مع غير المسلمين وحفظ كرامتهم الإنسانية:
109	ثانياً: تعامل الحكام وأنظمة مع غير المسلمين في الإعتقادات:
112	ثالثاً: تعامل الحكام وأنظمة مع غير المسلمين وإعطاء حقهم في العدل وإستقلاليتهم في القضاء:
115	رابعاً: تعامل الحكام والأنظمة مع غير المسلمين في الأمور الاجتماعية:
119	الخلاصة والتعليق:
121	الفصل الثالث
121	الخدمات العمرانية ودورها في نشر الإسلام في الأندلس
121	العمران لغة وإصطلاحاً:
123	المبحث الأول
123	جهود الحكام والأمراء في تقديم الخدمات العمرانية
124	أولاً: المساجد في الأندلس:
125	أ- جامع قرطبة:
128	ب- مسجد الزهراء:
129	ج- مساجد أخرى في الأندلس:

130	ثانياً: تأسيس المدن والحصون والقصور في الأندلس:
130	أ- مدينة قرطبة:
132	ب- مدينة الزهراء:
135	ج- المنشآت أخرى:
138	الخلاصة والتعليق:
140	المبحث الثاني
140	دور الخدمات العمرانية في نشر الدعوة الإسلامية في الأندلس
141	دور العمران في نشر الدعوة في الأندلس:
143	الخلاصة والتعليق:
145	الباب الثاني
145	الجهود الدعوية في مجال الثقافة ومعالجة القضايا الاجتماعية ووسائلها في الأندلس
147	الفصل الأول
147	الجهود الدعوية في مجال الثقافة ووسائلها في نشر الدعوة في الأندلس
147	تعريف الثقافة لغة واصطلاحاً:
148	المبحث الأول
148	<u>الوسائل الثقافية ودورها الدعوي في الأندلس</u>
148	أولاً: المدارس والجامعات:
153	ثانياً: المكتبات:
158	ثالثاً: الرحلات العلمية:

163	رابعاً: دور اللغة والتأليف:
170	الخلاصة والتعليق:
171	المبحث الثاني
171	جهود المسلمين في العلوم الشرعية والتطبيقية
171	أولاً: جهود المسلمين في العلوم الشرعية:
171	أ- جهود المسلمين في علوم القرآن:
174	ب- جهود المسلمين في الحديث:
176	ج- جهود المسلمين في الفقه:
180	ثانياً: جهود المسلمين في العلوم التطبيقية:
181	أ- الطب والصيدلة:
185	ب- علم الكيمياء والفلك:
187	الخلاصة والتعليق:
189	الفصل الثاني
189	الجهود الدعوية في معالجة القضايا الاجتماعية ووسائلها في الأندلس
190	المبحث الأول
190	نظام القضاء ودوره في معالجة القضايا الاجتماعية
190	القضاء لغة وإصطلاحاً:
191	أولاً: القضاء في الإسلام ومشروعيته:
192	ثانياً: القضاء وعلاقته بالدعوة:

193	ثالثاً: تسمية القضاة ومكانته عند الحكام في الأندلس:
197	رابعاً: جهود القضاة في الدعوة ومعالجة القضايا الاجتماعية:
197	خامساً: دور القضاة في الجهاد ومحاربة الفتن والبدع:
200	سادساً: الرقابة القضائية والاحتساب:
201	سابعاً: دعوة القضاة غير المسلمين إلى الإسلام:
203	الخلاصة والتعليق:
205	المبحث الثاني
205	نظام الحسبة ودوره في معالجة القضايا الاجتماعية والاقتصادية:
205	تعريف الحسبة لغة واصطلاحاً:
206	أولاً: مكانة الحسبة في الإسلام:
208	ثانياً: نظام الحسبة في الأندلس:
210	ثالثاً: الحسبة ودورها في معالجة القضايا الاجتماعية والاقتصادية:
211	أ- مراقبة الأسواق:
213	ب- مراقبة الأخلاق الإسلامية ومحاسبة المبتدعين:
215	ج- مراقبة المساجد والوعاظ:
216	الخلاصة والتعليق:
218	الباب الثالث
218	آثار الجهود الدعوية في بلاد الأندلس
222	الفصل الأول

222	آثار الجهود الدعوية في المجال الديني والعلمي في الأندلس
223	المبحث الأول
223	آثار الجهود الدعوية في المجال الديني
223	أولاً: حفظ الدين وحرية العقيدة:
225	ثانياً: الدفاع عن الدين والوطن:
227	ثالثاً: تأسيس الأماكن للعبادة:
228	رابعاً: الإصلاح في الأخلاق والمعاملات:
230	الخلاصة والتعليق:
232	المبحث الثاني
232	آثار الجهود الدعوية في المجال العلمي
233	أولاً: المكتبات:
236	ثانياً: علماء ومؤلفاتهم:
242	ثالثاً: آثار في جانب اللغة والترجمة:
250	الخلاصة والتعليق:
252	الفصل الثاني
252	آثار الجهود الدعوية في المجال الاجتماعي والسياسي في الأندلس
253	المبحث الأول
253	أثر الجهود الدعوية في المجال الاجتماعي
253	أولاً: حفظ النسل والتركيب السكاني في الأندلس:

256	ثانياً: حفظ المال أو النشاط الاقتصادي وأثره في الرخاء والثراء المجتمع:
256	أ- الزراعة:
257	ب- الثروة الحيوانية والمائية:
258	ج- الصناعات والحرف:
264	ثالثاً: العادات والتقاليد والسماحة الاجتماعية:
264	أ- الملابس:
267	ب- الأطعمة والأشربة:
269	ج- الأعياد والاحتفالات:
272	الخلاصة والتعليق:
274	المبحث الثاني:
274	اثر الجهود الدعوية في المجال السياسي:
277	الخلاصة والتعليق:
278	الفصل الثالث:
278	نتائج الجهود الدعوية داخل الأندلس وخارجها:
279	المبحث الأول:
279	نتائج الجهود الدعوية داخل الأندلس:
279	أولاً: نتائج الجهود في مجال الفتح واستقرار الدولة:
281	ثانياً: نتائج الجهود الدعوية للحكام:
282	ثالثاً: نتائج الجهود الدعوية في مجال الثقافة:

283 رابعاً: نتائج الجهود الدعوية في مجال القضايا الاجتماعية:
284 الخلاصة والتعليق:
285 المبحث الثاني
285 نتائج الجهود الدعوية خارج الأندلس
286 أولاً: نتائج الجهود الدعوية خارج الأندلس في مجال العلمي واللغوي:
289 ثانياً: نتائج الجهود الدعوية خارج الأندلس في الفنون والصناعة والزراعة:
291 ثالثاً: نتائج الجهود الدعوية خارج الأندلس في الحياة اليومية:
293 الخلاصة والتعليق:
294 الخاتمة
294 النتائج:
295 التوصيات:
296 الفهارس الفنية
296 فهرس الآيات الكريمات
299 فهرس الأحاديث الشريفة
301 فهرس الأعلام
309 فهرس الأماكن
313 فهرس المصادر والمراجع
345 فهرس المحتويات